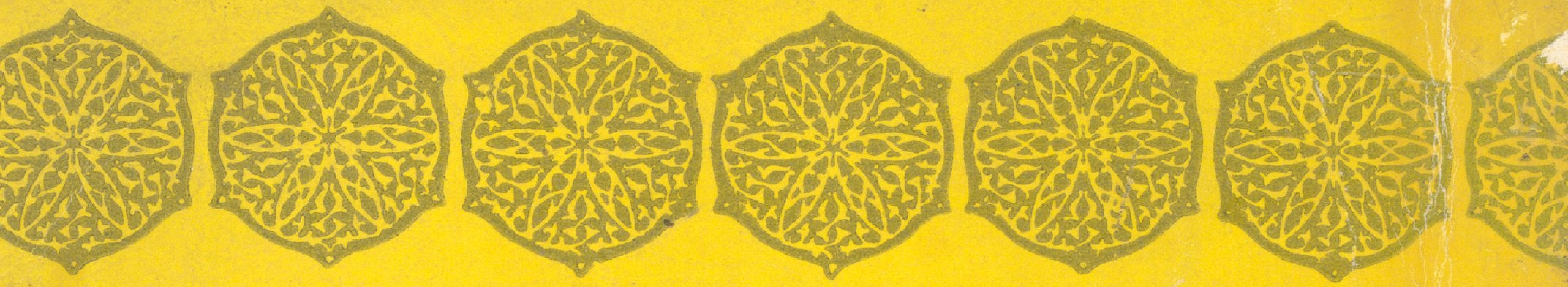
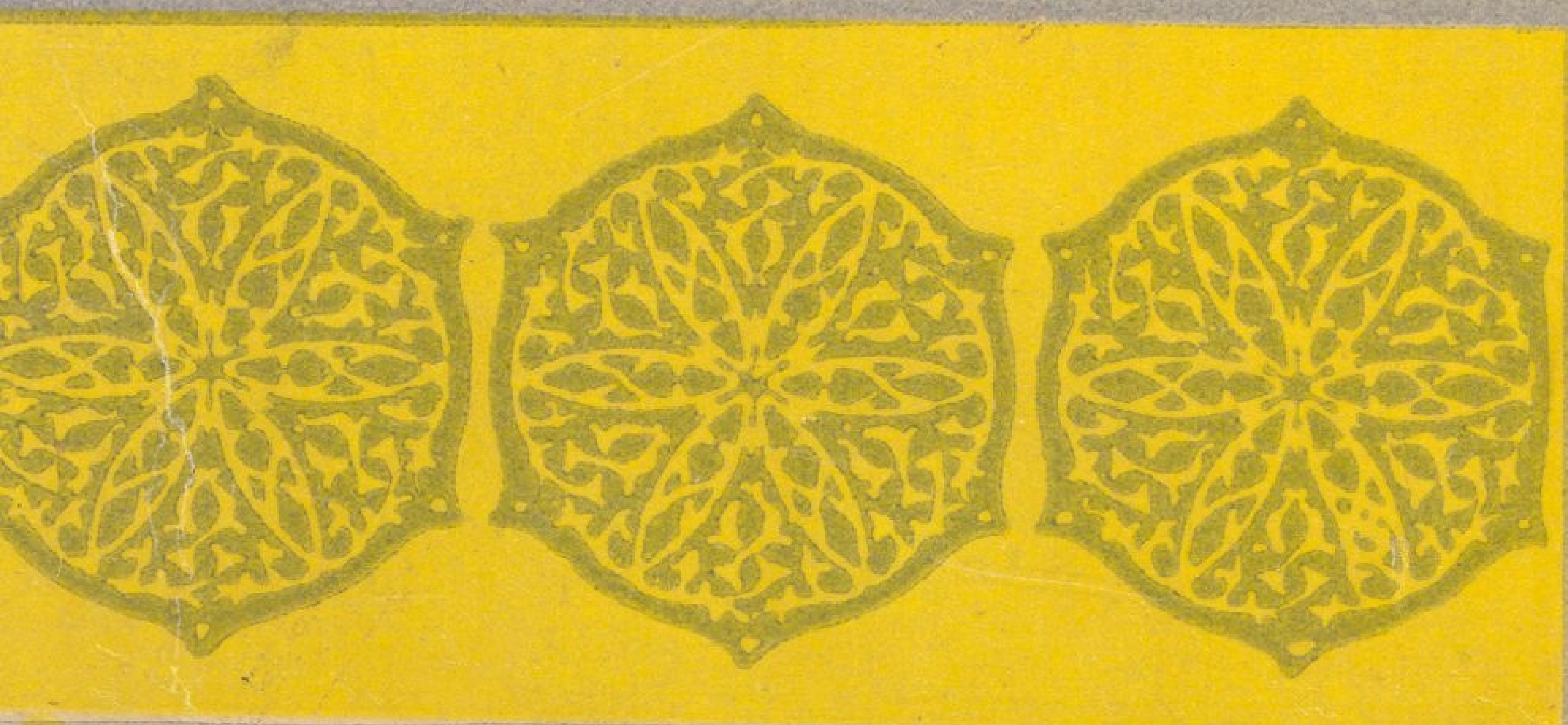
الجمهورية العربية المتحدة
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي

تأليف
الدكتورة سعاد ماهر



لجنة الخبراء

لجنة الخبراء
يصدرها :
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بالقاهرة

محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى

تأليف
الدكتورة سعاد ماهر

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

الكتاب الرابع
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م

التقسيم الإدارى للإقليم المصرى في العصر الإسلامى

تنقسم مصر من الوجهة الجغرافية منذ أقدم العصور الى قسمين أساسيين ، هما الوجه البحرى أو أسفل الأرض أو الريف ويقع فى دلتا نهر النيل ، والوجه القبلى أو الصعيد أو أعلى الأرض . وقد أجرى حاكمو القسمين تقسيمهما الى عدة أقسام صغيرة ليسهل حكمها والاشراف عليها ، وأطلقوا على هذه الأقسام أسماء تغايرت بتغير الزمان وتعدد الحكام ، ولما دخل العرب مصر وجدوا ان الرومان قد قسموها الى أقسام ادارية صغيرة يعرف كل منها باسم (Nome) ، وجريا على سياستهم الحميدة التى انتهجوها فى البلاد التى فتحوها ، أبقى العرب النظام الادارى والمالى على ما هو عليه وأبدلوا باسم (نوم) كلمة كورة .

وفى أوائل العصر الاسلامى كانت مصر مقسمة الى سبعة أقاليم ، أولها الجفار وقاعدته الفرما ، وآخرها الواحات (١) . وكانت هذه الأقاليم السبعة تنقسم بدورها الى ثمانين كورة (٢) . واستمر هذا التقسيم حتى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله فى القرن الخامس الهجرى فعدل عنه ، وقسمت البلاد الى كور كبيرة بلغ عددها ٢٢ كورة ، اثنتا عشرة منها فى الوجه البحرى وعشر فى الوجه القبلى وكان عدد القرى فى الوجهين ٣١٤٨ (٣) قرية ، منها ١٦٠١ فى الوجه البحرى و ١٥٤٧ فى الوجه القبلى . ولما جاء الأيوبيون أضافوا الى هذا التقسيم كورتين فأصبح عددها ٢٤ كورة (٤) .

---

(١) أحسن التقاسيم ص ١٩٣ ، المقريزى جـ ١ ص ٢٠٥

(٢) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٧٩ ، المقريزى جـ ١ ص ٧٢.

(٣) أبو صالح الارمينى : ص ٩ .

(٤) ابن مماتى ص ١٤ .

وفى العصر المملوكى أمر الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥ هـ ، أن يفك زمام الأراضى وأن يعاد مسحها وتقسيمها الى أقسام ، يعرف كل منها باسم « عمل » على أن يكون عددها ٢١ عملا بدلا من ٢٤ كورة . فكان الوجه البحرى ١٢ عملا والوجه القبلى تسعة أعمال ، وقد عرف هذا الأمر أو المرسوم باسم « الروك الناصرى » (١) . وقد استمر هذا التقسيم طوال العصر المملوكى أى حتى سنة ٩٢٣ هـ .

وفى العصر العثمانى فك زمام القطر وأعيد مسحه وتقسيمه الى ١٣ قسما ، سمى كل قسم باسم ولاية (٢) ، منها سبعة فى الوجه البحرى وستة فى الوجه القبلى ، ودون ذلك فى دفاتر عرفت باسم (دفاتر الترابيع) . ويشمل الوجه القبلى ولايات : الاطفيحية والفيومية والبهنساوية والاشمونين والمنفلوطية وجرجا . ويشمل الوجه البحرى ولايات : القليوبية والشرقية والدقهلية والغربية والمنوفية والبحيرة والجيزة ، هذا بالاضافة الى ست محافظات هى الاسكندرية ورشيد ودمياط والعريش والسويس والقصير ، وكان يرأس كل ولاية حاكم أو كاشف ويرأس المحافظة محافظ ، أما القاهرة فكان يرأسها شيخ البلد .

وفى عصر محمد على أعيد تقسيم البلاد الى ٣٤ قسما ، سمى كل منها مأمورية . وفى سنة ١٨٣٣ أعاد التقسيم مرة ثانية وجعلها ١٤ قسما وسمى كلا منها مديرية .

وقد ظلت هذه التسمية سارية الى أن عدل عنها فى سنة ١٩٦٠ فى عهد ثورتنا المجيدة ، (ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م) فقد أبدل بكلمة مديرية كلمة محافظة ، وقسمت البلاد الى ٢٥ محافظة على نحو ماكانت عليه فى عهد الفاطميين والأيوبيين من حيث العدد ، اذ كانت ٢٤ كورة وان اختلفت الأقسام فى المساحة والحدود . وسأتناول فيما يلى كل محافظة على حدة فاذكر تاريخها وآثارها الباقية وأعلامها وأقسامها الادارية .

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ١٤١ .
(٢) ابن اياس ص ٧ .

أسماء المدن وطريقة قياسها ومسحها

لما استولى اليونان على مصر بعد فتح الاسكندر المقدونى لها ، وتوطيد حكم دولة البطالمه بها ، استبدلوا باسماء المدن المصريه أسماء أخرى اغريقية أو ترجموها الى ما يقابلها من الاغريقية . على أن المصريين لم يقبلوا عـلى استعمال الاسماء الاغريقية الجديدة وظلوا يسمون مدنهم باسمائها المصريه القديمه ، واستمر الحال على ذلك طوال العهد البطلمى والـرومانى حتى الفتح العربى . أما الاسماء اليونانيه للمدن والقرى ، فقد حفظت فى سجلات ودفاتر البطالمه والرومان ، ولم يبق منها مستعملا الا القليل وخاصـة فى محافظة الفيوم ، وهى الأقليم الذى اختاره البطالمه حدا فاصلا بين السهل والجبل وجعلوا منه مستعمرة يونانية ونقلوا اليها كثيرا من الأسر اليونانية وأطلقوا عليها اسم مقدونيا الجديدة ، ولذا فان أربع عشرة قرية بها لا تزال تحمل اسمها اليونانى القديم .

ولما فتح العرب مصر سنة ٢١ هـ = سنة ٦٤١ م ، أبقوا اسماء بعض المدن على مصريتها القديمه ، وحرفوا اسماء البعض الآخر التى يثقل سماعها على الاذن العربيه ، اما الاسماء المصريه التى تقارب فى اللفظ الكلمه العربيه فترجمت ترجمه معنوية . على ان تعريب أسماء المدن المصرية لم يستمر طوال العصر الاسلامى ، فقد ابطله صـلاح الدين الأيوبى واعاد الأسماء المصرية للمدن والقرى ، وبذلك نستطيع أن نقول انه لم يبق من أسماء المدن بالعربية الا ما أسسه العرب قبل عصر صلاح الدين ، وهو قليل .

أما عن الزراعة فقد كانت طوال عصور مصر هى أسـاس تقدير الثروة والمصدر الذى تعتمد عليه الدولة فى تدبير شئونها وقياس اقتصادها ،لذلك

حرصت جميع الدول التى توالت على الحكم ، سواء الوطنيه منها أم الاجنبيه كل الحرص ، على حصر مساحة الأراضى الزراعية وتعيين قدر معـلوم من المال تفرضه على المنتفعين بها .

وكانت وحدة المقاييس الزراعيه هى الفـدان فى العصر الفرعـونى والقبطى والاسلامى . وقد ذكر هيرودت ان وحدة المقـاييس الزراعيه فى مصر فى عهـده هى (الأورور) وهو نصف فدان تقريبـا (١) أما الوحدة الزراعيه فكانت القبالة فى العصر الاسلامى ، فقد جاء فى المقريزى (٢) ، ان الأرض كانت تؤجر للمقبلين أو المتقبلين كل أربع سنوات ، وكل قبالة تكون باسم متقبلها لاستخلاص الخراج منه ، واستمر الحال على ذلك حتى سنة ١٨٩٩ م ، عنـد فك الزمام فقسمت الأراضى الى أحـواض بدلا من القباله ؛ وبذلك أصبح الأساس فى الوحدة الزراعية هو الحوض ، ويعرف كل حوض باسمه . وهناك فرق واضح بين القباله والحوض ، فالقبالة غير محددة المقاس أو المساحة ؛ بينما الحوض عبارة عن قسم متساو من الأرض ليس من حيث المقاس فحسب بل كذلك من حيث الخصوبه وطرق الرى ، أما القباله (٣) فلم يكن يراعى فيها هذه الدقه لا فى درجة الخصوبة ولا فى نظام الرى ، ومع ذلك فقد كانت الضريبة العقـارية متساوية على الجيـد والردىء والمستبحر . أما بالنسبة للعرض فقد روعيت فروق الأراضى بكل دقه وعدلت الضرائب على هذا الاساس العادل .

وعرفت الأداة التى تقـاس أو تمسـح بهـا الأراضى فى العصر الاسـلامى باسم القصبة الحاكميه ، وكانت هى الوحدة المساحية الزراعية . وهى عبارة عن عود من الغاب ، استعمل فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٤) فنسب اليه . أما عن مقياس الفدان فى العصر الاسلامى فيقول المقريزى (٥) ان مساحة الفدان كانت (٤٠٠) قصبة حاكميه مربعة ، أى (٢٠ قصـبة

---

(١) جرجس حنين ص ١٠٨ .
(٢) الخطط والآثار جـ ١ ص ١٣٢ .
(٣) أحمد رمزى جـ ١ ص ١١ .
(٤) صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٤٦ .
(٥) المقريزى جـ ١ ص ١٠٣ .

عرضا فى (٢٠) قصبه طولا . وقد اعطانا يعقوب ارتين (١) بحثا مفصلا عن مقاسات الفدان خلال عصور مصر المختلفه ، فقال ان الفدان هو أساس الضريبه العقارية فى مصر منذ الفتح الاسلامى حتى اليوم ، وكانت مساحته عند الفتح الاسلامى (٦٢٠٩) أمتار مربعة ، ثم أصبح فى العصر المملوكى فى القرن الرابع عشر (٦٠٣٤) مترا مربعا وفى القرن الثامن عشر أى فى عهد الحملة الفرنسية على مصر كان (٥٩٢٩) مترا مربعا . ثم يقول عن مقاس القصبه الحاكمية انها كانت (٣٫٨٥) متر ، أما القصبة التى استعملت سنة ١٢٢٨ هـ ، أى فى عهد محمد على ، فكانت (٣٫٥٥) متر ، كما ان مساحة الفدان كانت (٣٣٣) وثلث قصبة أى عباره عن (٤٢٠٠) متر مربع تقريبا ، وقد بقى مقاس القصبه وكذا مساحة الفدان على ذلك حتى الآن .

ولما كانت مصر تعتمد اعتمادا كليا على الزراعة فى اقتصادياتها ، فقدوجه عمرو بن العاص عنايته الى طريقة جباية أموال الأراضى الزراعيه ، فرأى ان يستمر على ما كان متبعا فى العصر الرومانى ، مع بعض التعديل حسب مقتضيات الحال . فاذا عمرت القرية زاد على أهلها قيمة الخراج ، واذا خربت رفع عن أهلها بعض ضريبة الخراج .

ويقول ابن عبد الحكم القرشى (٢) ، « وكان المتبع أن يخرج أهل كل قرية الى أرضهم يزرعونها ويخرجون فدادين (أى ربع عدد من الفدادين) لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم ، فلما جاء عمرو بن العاص جعل لكل فدان نصف أردب من القمحوووبتين من شعير (أى فرض على كل فدان كضريبة) ، الا القرط (٣) فلم تكن عليه ضريبة ما .

ولما ثبتت أقدام الدولة الاسلامية ، وتوطدت أركانها بعد قيام الدولة الأموية ، عربت الدواوين فى مصر ، ومسحت الأراضى الزراعية وذلك لتقدير الخراج تقديرا محكما .

---

(١) الاحكام المرعية ص ١٨٦ .
(٢) فتح مصر ص ١٥٢ .
(٣)القرط هو البرسيم .

ويقول الكندى (١) ان أول عملية مسح لأراضى مصر فى العصر الاسلامى تمت فى عصر الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك سنة ١١٠ هـ = سنة ٧٢٩م على يدى واليه الوليد بن رفاعة الفهمى وعامل الخراج (٢) عبيد الله بن الحبحاب . ومنذ ذلك العهد أصبحت الأرض تمسح أو تراك (٣) مرة كل ثلاثين سنة ، فيزاد فيما يحتمل الزيادة من الخراج ، وينقص مما يحتاج الى تنقيص منه . وقد وصف المقريزى (٤) كيف كانت تتم عملية توزيع الأراضى على الملتزمين أو المقطعين بعد أن مسحت الأراضى فى ذلك الوقت ، وصفا دقيقا جاء فيه « ان متولى خراج مصر كان يجلس فى جامع عمرو بن العاص من الفسطاط ، فى الوقت الذى تتهيأ فيه قبالة الأراضى ، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن ، فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات ، وكتاب الخراج بين يدى متولى الخراج يكتبون ما تنتهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها . فاذا انقضى هذا الأمر ، خرج كل من تقبل أرضا وضمنها الى ناحيته فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر أعمالها بنفسه وأهله ومن ينتدبه لذلك ، ويحمل ما عليه من الخراج فى ابانه على أقساط ، ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه لتلك الأراضى ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجانها بضرايبه مقدرة فى ديوان الخراج »

وفى عهد الخليفة المعتز بالله العباسى (٥) مسحت الأراضى مرة ثانية ، وكان الوالى على مصر فى ذلك الوقت أحمد بن طولون ، وعامل الخراج أحمد بن المدبر . وبذلك نقل ديوان (٦) الخراج من جامع عمرو بن العاص فى الفسطاط الى جامع أحمد بن طولون . ولما تولى الفاطميون ، مسحت الأراضى للمرة الثالثة وكان ذلك سنة ٤٨٣ هـ فى خلافة المستنصر بالله وامارة أمير الجيوش بدر الجمالى ، وكان ديوان الخراج قد نقل من جامع أحمد بن

---

(١) فضائل مصر المحروسة ص ٢٠١ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ١٢٨ .
(٣) راك يروك والروك كلمة قبطية معناها قياس الأرض بالفدان وتقدير قيمة خصوبتها لتقدير الخراج المستحق عليها (أحمد رمزى جـ ١ ص ١١) .
(٤) المقريزى جـ ١ ص ١٣١ ، ١٣٢ .
(٥) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٤٧ .
(٦) المقريزى جـ ١ ص ١٣٢ .

طولون أيام العزيز بالله الى دار الوزير يعقوب بن كلس . ثم حلت الاقطاعات ومسحت الأراضى للمرة الرابعة فى عهد الخليفة المستعلى بالله ووزارة أمير الجيوش الأفضــل ومتولى الخراج محمد بن فاتك البطائحى ، وكان ذلك سنة ٤٩٠ هـ = سنة ١٠٧٩ م . ويذكر المقريزى السبب فى عملية المســح التى تمت بعد انقضاء سبع سنوات فقط من المسح السابق فيقول « رأى أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى من اختلال أحوال الرجال العســكرية والمقطعين وتضررهم من كون اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وساءت أحوالهم لقلة المتحصل منها ، وان اقطاعات الامراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها ، وان فى كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجىء بالعسف ويتردد الرسل من الديوان بسببها » . ويضيف المقريزى فيقول « فخاطب البطائحى الأفضل بن أمير الجيوش فى ان تحل الاقطاعات جميعها ويروكها ، وعرفه ان المصلحة فى ذلك تعود على المقطعين والديوان ، لأن الديوان يتحصل له من هذه الفواضل جملة ما يحصل بها بلاد مقوره ، فأجابه الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكها . » ونقل الديوان فى ذلك الوقت الى قصر الخلافه واستمر به حتى نهاية العصر الفاطمى .

ولما جاءت الدولة الأيوبيه قامت بعملية مسح على نطاق ونظام لم تعرفه مصر الاسلامية من قبل ، وكان ذلك سنة ٥٧٢ هـ فى عهد صــلاح الدين الأيوبى ووزارة القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى . وقد حصر لنا أسعد ابن مماتى (١) اسماء الأعمال والكور والقرى (٢) حصرا شاملا دقيقا حتى غدا كتابه « قوانين الدواوين » مرجعا هاما لكل عمليات المســح التى جاءت بعـــده .

وفى العصر المملوكى مسحت البلاد من جديد سنة ٦٩٧ فى عهدالسلطان حسام الدين لاجين وبرياسة وزيرة التاج الطــويل ، ولذا سمى بالــروك الحسامى ، وقد وصلت الينا نتيجته فى كتاب « تحفة الارشاد » (٣) . وقد

---

(١) قوانين الدواوين الباب الثالث .
(٢) النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٥٠٢ .
(٣) تحفة الارشاد ـ مخطوطة بدار الكتب المصرية مجهولة المؤلف .

جاء فى المقريزى (١) عن ذلك ما يأتى : « فلما أفضت السلطنة الى المنصور لاجين ، راك البلاد وذلك لأن الأمراء كانوا يأخذون كثيرا من اقطاعات الجند، فلا يصل الى الاجناد منها شيء ، ويصير ذلك الاقطاع فى دواوين الأمراء ، ويحتمى بها قطاع الطريق ، وتثور بها الفتن ويقوم بها الهوشات ويمنع منها الحقـوق والمقررات الديوانية ، وتصير مأكلة لأعوان الأمراء ومستخدميهم ومضرة على أهل البـلاد التى تجاورها . فأبطل السـلطان ذلك ورد تلك الاقطاعات على اربابها فأخرجها بأسرها من دواوين الأمراء » .

ثم أجريت مساحة عامة للقطر المصرى مرة ثانيـة فى العصر المملوكى عرفت باسم الروك الناصرى ، ويقول المقريزى (٢) «فلما كانت الأيام الناصرية راك الناصر محمد فى سنة ٧١٥ هـ = ١٣١٥ م الديار المصرية ليبطل منهـا مكوسا كثيرة ويفضل لخاص مملكته شيئا كثيرا من أراضى مصر » . وقد تضمن كتاب ابن الجيعان (٣) سجل الروك الناصرى ، الذى جـددت كتابة نسخته مرتين ، الأولى فى عهد الملك الأشرف شعبان بن قلاوون سنة ٧٧٧ هـ ، والمرة الثانية فى عهد الملك الأشرف قايتباى سنة ٨٨٣ هـ . وقد استمر الروك الناصرى معمولا به حتى العصر العثمانى .

وفى العصر العثمانى أمر السلطان سليمان القانونى سنة ٩٣٣ هـ بعمل حصرجديد للأراضى الزراعية وماتجبيه من خراج ، وقد دون ذلك فى دفاتر عرفت باسم دفاتر الترابيع (٤) . ويقول محمد رمزى، ولما تولى محمد على تخلص من واضعى اليد على الأراضى الزراعية من المماليك وغيرهم من الملتزمين ، وألغى الألتزام جملة ووضع ضرائب ثابته على الاطيان ، ومسح كل قرية على

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ١٤١ .

(٢) المقريزى جـ ١ ص ١٤٢ .

(٣) التحفة السنية باسماء البلاد المصرية للشيخ شرف الدين يحيى بن الجيعان .

(٤) الترابيع قوائم من الورق مربعة الشكل تكتب فيها عملية المساحة فى كل قرية وتضم ترابيع كل قرية بعضها الى بعض فى دفاتر عرفت بهذا الاسم . ويقول محمد رمزى ، أن الترابيع هذه غير المربعات التى كانت فى دولة المماليك ، فقد ورد فى صبح الأعشى ، ان المربعة وثيقة مربعة الشكل تعطى لكل صاحب اقطاع يثبت فيها اسمه ومقدار اقطاعه .

حده وفصل نواح جديدة من النواحي القديمة ، وحصر ذلك فى دفاتر عرفت باسم دفاتر التراببع [1] وكان ذلك سنة ١٢٢٨ هـ .

أما من حيث ملكية الأراضى الزراعية ، فقد كانت أرض مصر منذ الفتح العربى حتى القرن التاسع عشر أرضا خراجيه ، وليس لأحد حق امتلاكها بحال من الأحوال ، بل تعطى للمقطعين أو الملتزمين هبة أو بالمزاد العلنى ويدفعون ما عليها من المال خراجا سنويا ، ما عدا الرزق والاحباس والبساتين فقد كانت معفاة من الخراج [2] تماما . فلما تولى محمد على ، أبطل الاقطاع ووزع أرض كل ناحية على أهلها ، وقيد أراضى كل ناحية على واضعى اليد عليها لدفع الضريبه العقاريه دون التملك أو التصرف ، وسميت هذه الأرض بالأراضى الخراجيه . ثم انعم على امرائه وكبار موظفيه بالأراضى البور لاستصلاحها ، على أن يدفع عشر غلتها عينا ونقدا ولذا عرفت بالأراضى العشوريه .

ولما ساءت أحوال البلاد الاقتصادية فى عهد اسماعيل لكثرة ما استدان من الدول الأجنبية ، وأراد أن يحصل على المزيد من النقود من الشعب . أصدر قانونا سنة ١٨٩٩م سماه قانون المقابله ، أمر بتخويل حق الملكية الصريحة فى الأطيان الخراجية والعشورية وبذلك أصبح واضعوا اليد ملاكا لأراضيهم الزراعية .

---

(١) ذكر الزبيدى فى تاج العروس : ان التربيع ما يكتب فيه ربع البلاد والظاهر أن موظفى الروزنامة والمساحين فى عهد محمد على أطلقوا كلمة التاربع على دفاتر المساحة لانها هى الاساس فى حصر الاراضى الزراعية التى ينتج منها ربع البلاد أى ايرادها . واصطلح الكتاب بعد ذلك على استعمال كلمة تاربع بمعنى مساحة ، فيقال تاربع كذا أى مساحة كذا ودفتر تاربع سنة كذا أى دفتر مساحة كذا .

(٢) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ١٧ .

محافظة القاهرة

أسس الفاطميون بعد فتحهم مصر سنة ٣٥٨ هـ ، مدينة القاهرة لتكون عاصمة لملكهم الجديد ، ومركزا لنشر دعوتهم الدينية . وقد عملوا منذاللحظة الأولى على حماية هذه العاصمة ، فأحاطوها بسور وكان ذلك على يدى قائدهم جوهر الصقلى . ولما تهدم ذلك السور بعد ما يقرب من ثمانين عاما ، أعاد بدر الجمالى ، وزير الخليفة المستنصر بالله ، سنة ٤٨٠ هـ بناءه بالحجر والآجر ، ولا تزال بعض أجزاء هذا السور الأخير باقية حتى اليوم عند باب زويله وباب النصر وباب الفتوح . كما عمل خلفاء الفاطميين على تعمير المدينة فشيدوا الدور والقصور والمناظر ، وزرعوا البساتين والمتنزهات ، وأقاموا المساجد والجوامع وأنشأوا المكتبات العامة ودور العلم وأهمها الجامع الأزهر (لوحة رقم ٣) ، وجامع الحاكم ، ودار الحكمة . كذلك أقطعوا أتباعهم وأشياعهم الخطط ، فسكنوها وعرفت بأسمائهم .

ولما تولى صلاح الدين الأيوبى ملك مصر سنة ٥٦٧ هـ ، كان عليه أن يحصن عاصمة البلاد حتى يطمئن عليها أثناء غيابه فى محاربة الصليبيين فى بلاد الشام ، فأنشأ قلعة الجبل على صخرة مفصولة من جبل المقطم ، ثم أحاط عواصم مصر الاسلامية الأربع ، وهى مدينة الفسطاط (لوحة رقم ١) والعسكر والقطائع (لوحة رقم ٢) والقاهرة بسور واحد . وعلى ذلك يمكننا القول ، ان عاصمة صلاح الدين شملت عواصم مصر الاسلامية الأربع السابقة ، وأطلق عليها جميعا اسم القاهرة ، أما أسماء العواصم الأخرى فقد تضاءلت اذ أضحت كأنها أحياء فى قاهرة صلاح الدين . ولما كانت الدولة الأيوبية سنية المذهب ، فقد عملت منذ توليها مقاليد الحكم على نشر هذا المذهب ومناهضة المذهب الشيعى الذى كان سائدا فى العصر الفاطمى ، فأنشىء لذلك كثير من المدارس المذهبية .

وفى عهد دولتى المماليك البحرية والجراكسة ، بلغت مدينة القاهرة شأوا كبيرا من الناحيتين المادية والأدبية ، جعلها محط أنظار العالم كله ، خاصة بعد أن أفل نجم مدينة بغداد باستيلاء المغول عليها سنة ٦٥٦ هـ ، وسقوط مدينة قرطبة على يد الفرنجة سنة ٨٩٧ هـ ١٤٩٢ م . وقد نتج عن ذلك أن أضحت مدينة القاهرة السوق الكبير للبلاد الاسلامية والعربية ، فكان عليها أن تنشىء مبانى عامة لاستضافة الوافدين عليها من التجار والرحالة ، ومن أجل هذا كثر فى هذا العهد انشاء الخانات والوكالات والفنادق ، التى لا يزال الكثير منها باقيا حتى اليوم . ومما لاشك فيه أن العصر المملوكى يعد بحق العصر الذهبى لمدينة القاهرة ، على الرغم مما تخلله من المنازعات والثورات والشغب الذى كان يحدث عند تولية كل سلطان جديد .

وعلى الرغم من التدهور السياسى والأدبى والاجتماعى الذى عانته مدينة القاهرة أثناء الحكم العثمانى ، فانها ظلت محتفظة بمكانتها العمرانية ، فقدقام كثير من السلاطين وولاتهم فى مصر ، بتشييد كثير من العمائرالدينية، كما انتشر فى ذلك العصر عادة بناء الأسبلة والتكايا التى تجلت فيها طرز الفن العثمانى .

وفى القرن التاسع عشر ضاقت مدينة القاهرة بساكنيها فامتدت مبانيها شمالا وجنوبا وضمت اليها من الناحية الادارية وعرفت بضواحى القاهرة . وفى سنة ١٩٦٠ ضمت لمحافظة القاهرة بعض الأعمال التى كانت تتبع غيرها من الأقسام الادارية ، وفيما يلى بيان بضواحى القاهرة .

الضواحى الجنوبية :

حلوان : (١) أنشأ عبد العزيز بن مروان والى مصر مدينة حلوان سنة ٦٨ هـ ، ويقول ياقوت « ان حلوان قرية من أعمال مصر مشرفة على النيل

---

(١) معجم البلدان جـ ٤ ص ١٩ ، المقريزى جـ ١ ص ٣٢٧ ، احسن التقاسيم جـ ١ ص ١٧ ، الكندى ص ٤٩ .

من جهة الصعيد بينها وبين الفسطاط فرسخان ، وأول من اختطها عبد العزيز ابن مروان ، وضرب بها الدنانير وبنى بها دورا وقصورا واستطونها وزرع بها بساتين وغرس فيها كروما ونخلا » . ويستفاد مما ذكره المقريزى [1] نقلا عن ابن عبد الحكم ، أنه كان يوجد بصحراء حلوان عيون ماء عذبة غير عيونها الكبريتية . ثم يضيف ، أن عبد العزيز بنى هناك سنة ٧٠ هـ مقياسا للنيل . وجاء فى الخطط للمقريزى [2] « أن عبد الله (المأمون) أمير المؤمنين لما قدم مصر أقام فى حلوان » . وقد سعدت حلوان طوال العصور الوسطى وازداد عمرانها باقامة الأمراء والأعيان فيها ، ثم أخذت بعد العصر المملوكى فى القرن ١٦ م تتقهقر حتى تخربت قصورها ومساجدها وكنائسها ويقول الجبرتى « ان شيخ البلد أحرقها سنة ١٧٨٦ م : أما الآن فانها قرية عادية مدفونة فى غابة من النخيل » . وظلت حلوان قرية مهجورة ومتخربة حتى القرن ١٩ م ففيه اكتشفت عيونها الكبريتية وأنشئت الحمامات سنة ١٨٩٩م . وقد زادت أهميتها عندما نقل اليها المرصد من مكانه بالعباسية الى مقره الحالى بحلوان وأنشئت بها مصانع للنسيج والحرير وللحديد والصلب .

طره : قرية قديمة منذ العصر الفرعونى ، ولما جاء العرب استعملوا اسمها القبطى (Troyo) ومعناه (أرض المغارات المخيفة) أى المحاجر ، وهى تقع على شاطىء النيل الشرقى وهى شهيرة بمحاجرها التى تخرج الحجر الجيرى الأبيض الجميل . ووردت فى معجم البلدان [3] « طرا » قرية فى شرق النيل قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد . وجاءت فى معاجم البلدان الأخرى « طرا » من الأعمال الاطفيحية . وقد عثرت مصلحة الآثار فى مغارة قديمة فى جبل طره على بعض الأوراق البردية تتضمن تفسيرا للكتاب المقدس وترجع الى القرن الرابع أو الخامس الميلادى ، ولعل وجود هذه المخطوطات فى تلك المغارة يشير الى الدير الذى ذكر أبوصالح [4] ، أن القديس ارستيوس كان يقيم فى تلك المغارات ، والذى عرف فيما بعد باسم دير القصير .

(١) المقريزى جـ ١ ص ٣٣٩ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ٣٣٨ .
(٣) معجم البلدان جـ ٧ ص ٣٧ .
(٤) الديورة والكنائس ص ١١٦ .

ويقول المقريزى ، ان الحاكم بأمر الله أمر سنة ٤٠٠ هـ بهدم دير القصير، ومع ذلك ظلت أجزاء منه باقية حتى القرن (١٤ م) ، ثم اندثرت تماما .

المعادى : قرية قديمة عرفت باسم منية السودان [١] . ويقول أبو صالح الأرمينى [٢] ان دير العدوية واقع بأرض منية السودان ، ولا يزال هذا الدير موجودا بين المعادى وطره ، وقد سمى بهذا الاسم نسبة الى سيدة مغربية أنشأته تسمى العدوية : ويسميه النصارى الآن كنيسة العذراء. وقد وردت فى كثير من معاجم البلدان [٣] العربية باسم العدوية ، ووردت فى الانتصار [٤] « العدوية ضمن ضواحى القاهرة بين بركة الحبش (دير الطين) وطرا » . وفى العصر العثمانى عرفت العدوية باسم (معادى الخبيرى) حيث كان بها مرسى المراكب المخصصة لتعدية الناس ، وكان يتولى رياسة تلك المعادى رجل يسمى على الخبيرى فنسبت اليه واشتهرت باسمه . وكانت المعادى تابعة لناحية البساتين ، ومنذ سنة ١٩٦٠ أصبحت تابعة لمحافظة القاهرة .

أثر النبى : [٥] قرية صغيرة كانت تتبع مديرية الجيزة ، وهى على الشاطىء الشرقى للنيل ، وملاصقة لدير الطين ، أخذت اسمها من وجود حجر قديم على هيئة قدم يزعم الناس أنه أثر قدم النبى عليه الصلاة والسلام . وقد أدخل هذا الحجر فى المسجد الذى أقامه الملك الظاهر بيبرس وبنى قبة فوق هذا الأثر . وفى القرن (١٦ م) ضمت الأراضى الزراعية فى منطقة البستان المعشوق وبركة شطا وبركة الشعبية الى بعضها ، وتكون منها زمام خاص باسم ناحية أثر النبى [٦] ، وهى الآن تتبع محافظة القاهرة ويسميها العامة أتر النبى بالتاء بدل الثاء .

---

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ص ١٦٦ ، القاموس الجغرافى جـ ٣ ص ١٧ .
(٢) الديورة والكنائس ص ١٢٧ .
(٣) ابن مماتى ص ١٧٢ .
(٤) ابن دقماق ص ١٨٤ .
(٥) المقريزى جـ ٤ ص ٢٩٥ ، القاموس جـ ٣ ص ٢ .
(٦) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ٦ .

الضواحي الشمالية :

عين شمس والمطرية :

عين شمس (١) مدينة مصرية قديمة عرفت باسم (أون) أى الشمس ، وترجم البطالمة الاسم فصارت تعرف فى وقتهم باســم « هليوبوليس » وفى العصر المسيحى استعمل الأقباط الاسم القديم (أون) • ولما دخل العرب مصر ترجموا الاسم الى العربية فأصبحت تعرف باسم مدينة الشمس . وكان بجوار المدينة عين ماء معروفة سماها العرب عين شمس ، فغلب اسمها على اسم المدينة وعرفت به .

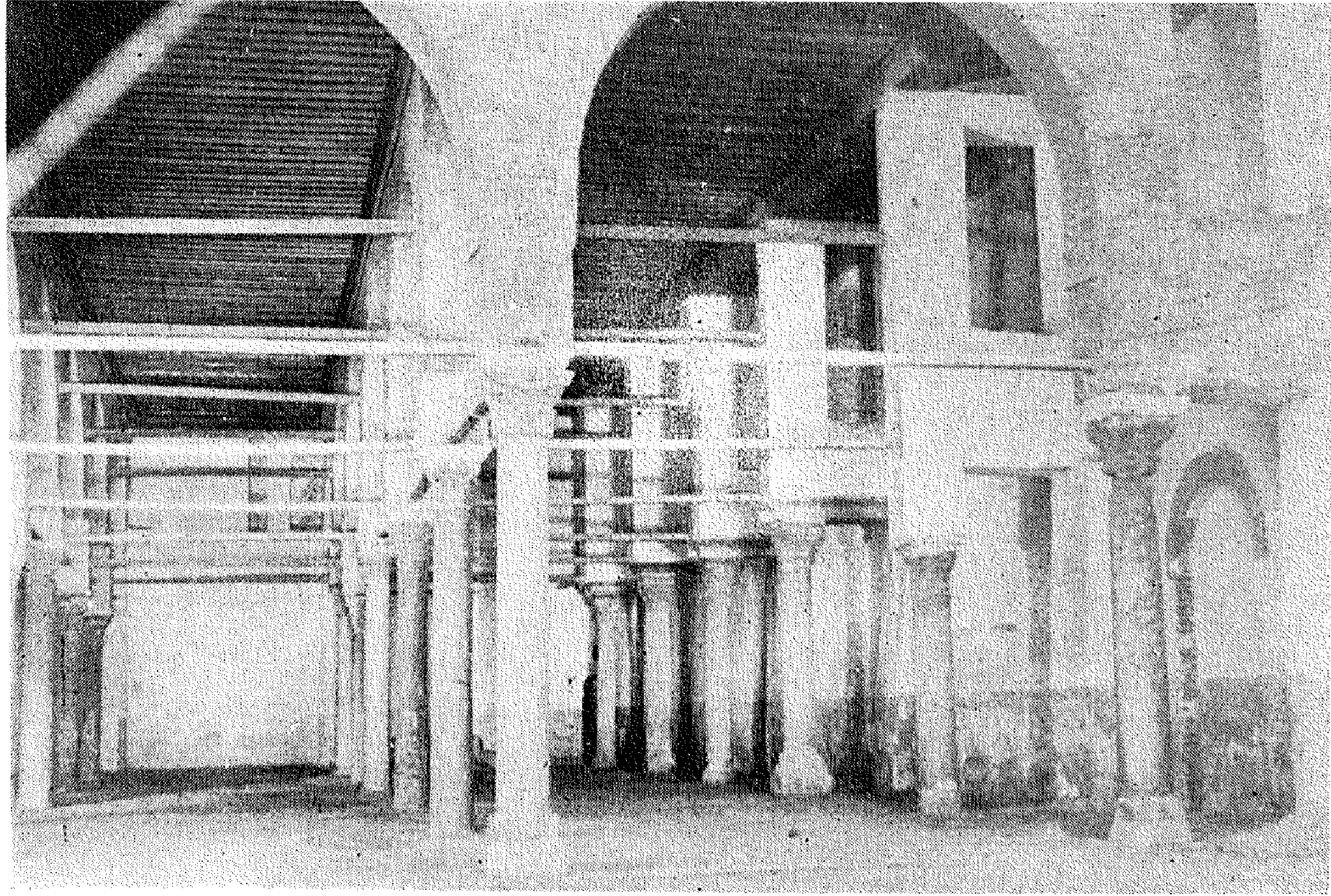
وقد نقل ابن ســعيد عن كتاب « لــذة الملمس فى حلى كــورة عين شمس » انها كانت فى قديم الزمان عظيمة الطول والعرض ومتصلة البناء بمدينة مصر حيث قامت مدينة الفسطاط . ومعنى هذا ان مدينة عين شمس كانت الى ما قبل الفتح العربى تمتد من موقعها الحالى جنوبا حتى حصــن بابليون ، والآن يطلق اسم عين شمس على محطة عين شمس وعلى المساكن المجاورة لها الواقعة على السكة الحديدية فى شمال المطرية .

والمطرية من المدن المصرية القديمة قال عنها ياقوت (٢) « انها من قرى مصر وبأرضها يزرع شجر البلسان يستخرج منه نوع من الدهن الطبى » . وقال عنها ابن الجيعان (٣) ، انها من ضواحى مصر وذكرها المقريزى (٤) باسم منية مطر .

مصر الجديدة : يستفاد مما جاء فى خطط المقريزى (٥) ان الريدانية اسم يطلق على بستان كبير انشأه ريدان الصقلى أحد خدام العــزيز بالله الفاطمى ، وجاء فى القاموس (٦) الجغرافى ، ان اسم الريدانية كان يطلقعلى

---

(١) نزهة المشتاق ص ١٧٦ ، معجم البلدان جـ ٦ ص ١٩٥ ، ابن مماتى ص ١٦٧ .
(٢) معجم البلدان جـ ٨ ص ١٦١ .
(٣) التحفة السنية ص ١٨٢ .
(٤) الخطط جـ ٣ ص ٢٢٧ .
(٥) المقريزى جـ ٣ ص ٢٢٩ .
(٦) احمد رمزى جـ ١ ص ٧١ .



لوحة رقم (١) جامع عمرو بن العـــاص الذى كان يتوسط مدينة الفسطاط اول عاصمة اسلامية لمصر



لوحة رقم (٢) جامع أحمد بن طولون الذى كان يتوسط مدينة القطائع ثالث عواصم مصر الاسلامية



لوحة رقم (٣) جامع الازهر الذى كان يتوسط قاهرة الفاطميين

البستان وما جاوره من الأرض الرملية التى كانت تمتد فى ذلك الوقت ما بين باب الحسينية وبين الصحراء التى بها الآن مصر الجديدة . ويؤيد ذلك جميع الوقائع والأحداث التاريخية التى وقعت فى الريدانية منذ نهاية عصر المماليك سنة ١٥١٧ وفى سنة ١٨٠٠ عندما التقت الحملة الفرنسية بجيوش العثمانيين هناك . أما اسم مصر الجديدة فلم يطلق عليها الا فى سنة ١٩٠٦ عندما اشترتها الشركة البلجيكية ، وقد أممت أملاك الشركة البلجيكية وأصبحت الآن ملكا للدولة .

محافظة أسوان

أسوان لغة الحزن ، من قولهم آسى الرجل اذا حزن ، ورجل أسيان وأسوان أى الحزين . ومن الطريف ان المقريزى (١) يحاول تفسير اسم أسوان على هذا الأساس اللغوى دون النظر الى اشتقاق الاسم من الاسم الفرعونى . فقد كانت تعرف باسم سونو (٢) (أى السوق) وذلك لشهرتها بحركتها التجارية بين مصر وبلاد النوبة والسودان ، ثم حرفت الكلمة وأصبحت أسوان . ويقول البعض انها مشتقة من كلمة صوان ، وذلك لوجود محاجر الصوان والجرانيت فيها بكثرة . وكانت أسوان فى العصر الاسلامى ثغرا من ثغور كورة القوصية (٣) واستمرت كذلكحتى نهاية العصر المملوكى، وفى العصر العثمانى أصبحت ثغرا لولاية جرجا ، وذلك لأن أعمال الأسيوطية والاخميمية والقوصية ضمت بعضها الى بعض وجعلت ولاية واحدة باسم جرجا . وفى عصر محمد على ضمت الى مديرية اسنا . وفى سنة ١٨٨٨ م أصبحت قاعدة لمديرية الحدود ، وفى سنة ١٩٠٠ جعل اسم المديرية أسوان وقاعدتها أسوان ، واستمرت حتى سنة ١٩٦٠ فأصبحت محافظة .

وقد انتشر الاسلام بأسوان منذ بدء ظهوره.فقد عثربها على شاهد قبر يرجع الى سنة ٣١ هـ كما عثر على شواهد قبور أخرى مكتوب عليها الاسم ثم تجىء بعده كلمة الأنصارى (٤) ، ومعنى ذلك أن مدينة أسوان سكنها أقوام من العرب من القرن الأول الهجرى ممن عاصروا الرسول عليه الصلاة والسلام .

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٢١٩ .

(٢) سليم حسن جـ ١ ص ٧٥ .

(٣) معجم البلدان جـ ١ ص ٢٤٨ « النجوم الزاهرة » جـ ٥ ص ٢٩٢ « حاشية » .

(٤) Monneret de Villard : La Musulman di Aswan p. 2.

ازدهرت أسوان فى العصر الاسلامى ، اذ ظلت منذ الفتح حتى القرن السادس الهجرى طريقا الى عيذاب حيث تبحر السفن الى الحجاز والهند ، واشتغل أهلها بالتجارة وخاصة العطارة وسن الفيل والصمغ وريش النعام. كما كانت تمتاز بالتمر ، ويقول المقريزى (١) فى ذلك : والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير ، تودع النواة فى الأرض فتنبت نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ، ويقول القاضى الفاضل ، ان متحصل ثغر أسوان فى سنة واحدة ثلاثون ألف أردب من التمر . وكانت حدود أسوان متداخلة مع بلاد النوبة ، ولذلك كان على من يملك من أهلها ضياعا داخلة بأرض النوبة أن يؤدى خراجها الى ملك النوبة ، وقد ابتيعت هذه الضياع من بعض رجال النوبة فى صدر الاسلام فى عهد الدولة الأموية والعباسية . وقد أغار ملك النوبة (٢) سنة ٣٤٤ هـ فى العهد الاخشيدى على أسوان فخرج اليه محمد ابن عبد الله الخازن بجنوده برا وبحرا وهزمه وأسر وسبى كثيرا من النوبيين وسار جنوبا حتى وصل ابريم وفتحها . وكان ثغر أسوان حتى نهاية العصر الفاطمى خاضعا خضوعا تاما للدولة ، فقد كان بأسوان دائما قوات من الجيش على أهبة الاستعداد لحمايته ضد غارات النوبة والسودان ، فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل أمر الثغر ، مما شجع ملك النوبة على الهجوم والاستيلاء عليه .

وفى سنة ٧٩٠ هـ استطاع بنو الكنز أن يستردوا الثغر من ملك النوبة ولكنهم احتفظوا به لأنفسهم ، فقامت بينهم وبين ولاة أسوان من قبل دولة المماليك عدة حروب حتى كانت محنة سنة ٨٠٦ هـ ، عندما انخفض منسوب مياه النيل وحدثت مجاعة وخرب اقليم الصعيد ، وتخلت الدولة عن الثغر ولم يبق للسلطان فى المدينة وال (٣) . واستمر الحال على ذلك بضع سنين حتى زحف أهل هواره على بنى الكنز سنة ٨١٥ هـ ، وهزموهم وهدموا سور المدينة وتركوها خرابا يبابا حتى نهاية القرن (٩) هـ ، استعادت المدينة مكانتها التجارية .

---

(١) معجم البلدان جـ ١ ص ٢٤٩ ، المقريزى جـ ١ ص ٢٢١ .
(٢) المقريزى : جـ ١ ص ٢٢٠ .
(٣) النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ٣٠١ ، اغاثة الامة ص ٤٢

وسكن أسوان قبائل من قحطان ونزار وربيعة ومضر والأنصار وبنى هلال وكثير من القرشيين ، ويقول الأدفوى (١) انه كان بأسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع ، كما عثر على وقف مكتوب عليه اسم أربعين شريفا ووقف آخر عليه اسم ستين شريفا .

وكما كانت أسوان مركزا تجاريا كانت كذلك مركزا ثقافيا مهما فى القرنين السادس والسابع للهجرة ، فقد كانت بها ثلاث مدارس (٢) لتدريس علوم الشريعة واللغة العربية ، أقدمها مدرسة أسوان وقد درس بها العلامة اسماعيل بن محمد بن حسان الانصارى ، والمدرسة السيفية وقد تولى التدريس فيها العلامة عمر بن محمود الانصارى المتوفى سنة ٦٦٧هـ ، والمدرسة النجمية وقد درس بها علماء أجلاء منهم العلامة الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن المفضل المتوفى سنة ٧٠٢ هـ ، وقد تخرج فى هذه المدارس عدد عظيم من العلماء والأدباء .

وقد يكون من الطريف أن نذكر أن فكرة بناء خزان بأسوان نشأت فى عهد الحاكم بأمر الله ، فقد بلغه أن الرياضى الكبير والمهندس البصرى الحسن بن الهيثم ، قال ، لو كنت فى مصر لعملت فى نيلها عملا يصلح به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فأرسل اليه الحاكم بأمر الله يدعوه الى الحضور ويرغبه فى ذلك ، فلما حضر استقبله الخليفة وأكرمه وطالبه بما وعد به فى أمر النيل ، فسار ومعه الصناع حتى وصل الى الشلال ، وعاين الموقع الذى تخيره ولأمر ما امتنع بعد ذلك عن تنفيذ فكرته وتظاهر بالجنون .

---

(١) الطالع السعيد ص ١٣
(٢) عبد الله بن احمد بن سليم الاسوانى الطالع السعيد ص ١٤

الآثار الباقية

ولا تقتصر الآثار الباقية فى أسوان عـلى تلك التى ترجع الى العصر الفرعونى والبطلمى والرومانى ، بل انها تزخـر كذلك بالآثار المسـيحية والاسلامية . ومن أهم آثارها القبطية دير الأنبا سمعان(١) الذى يطلق عليه أهل أسوان اسم الأنبا هدرا (لوحة رقم ٨) نسبة الى رئيس الرهبان الذين عاشوا فى القرن (٥م) فى البقعة التى أقيم فيها الدير فيما بعد . ويقع الدير على تل مرتفع فى الصحراء الغربية قبالة جزيرة (الفنتين) ولهذا الدير اهمية خاصة لأنه يعطينا فكرة شاملة عن حالة الأديرة فى مصر العليا فى العصور الوسطى ، اذ أنه ظل آهلا بسكانه منذ انشائه حتى القرن (١٢ م) .

وقد يكون من المفيد أن ننقل هنا وصف الدير وما يشتمل عليه من مبان وعمائر ، كما جاء فى كتاب الديارات لأبى الحسن على بن محمد المعروف بالشابشتى ، اذ يقول : تختلف الديارات باختلاف مواضعها ، فمنها ماتسنم قمم الجبال ، أو ما توسد ضـفاف الأنهار ، ومنهـا ما اقترب من المـدن والأرياف ، أو ما انفرد به البرارى والقفار .

ولكل دير من الديارات ، حاجات تماثل حاجات سائر الأديرة من وجوه ، وتخالفها من وجوه أخرى . وبوسعنا القول اجمالا ، ان كبر الدير يدل على كثرة الرهبان المتبتلين فيه والعكس بالعكس .

ولا يرى دير من الديارات الا وهو محصن بسور مكين شاهق ، يدفع عنه شر الهجمات ويقيه غائلة المعتدين عليه . ويشترط فى كل دير صغر أم

---

(١) أبو صالح الارمينى ص ١٧ .

كبر ، ان يكون فيه (كنيسة) يصلى فيه القس والرهبان ، كما يشترط فيه ان يحتوى على صوامع تستوعب من فيه من الرهبان ، ولا حاجة بنا الى القول ، ان فى كل دير من المبانى الأخرى ما لا سبيل الى الاستغناء عنها ، كالمخازن وبيوت الطعام وغيرها من المرافق .

على أن بعض الديارات الكبيرة ، كانت تضم بين جدرانها أكثر من كنيسة ، تقام كل واحدة على اسم قديس أو يتخذ لها اسم من بعض شعائر الدين . أما الصوامع ، وهى قلالى الرهبان ، فكانت فى بعض الأديرة تبلغ العشرات ، وفى البعض الآخر تبلغ المئات ، وجاوزت الألف فى القليل منها .

ولا يخلو دير من الديارات الكبيرة من خزانة كتب ، يجد الرهبان فيها ما ينشرون من التأليف التى تتناول موضوعات دينية وأدبية وعلمية مختلفة . كالكتب المقدسة وتفاسيرها ، والفلسفة واللاهوت ، وسير الشهداء والقديسين والحياة النسكية ، والعبادات والطقوس ، والأدب والشعر ، وغير ذلك من العلوم والمعارف .

والديارات الجليلة الشأن ، لا تخلو من دور ضيافة وبيوت ينزلها زوار الدير والمجتازون به ، فانه لا يباح لزائر أن يقيم فى صوامع الرهبان ذاتها .

وان بعد موضع الدير عن مجارى المياه لجأ مؤسسوه الى استنباط الماء الذى يفى بأمور معيشتهم ، فلا تقوم للدير قائمة ان فقد الماء ، فتراهم يحفرون الآبار داخل الدير طلبا للماء ، أو ينقرون الصهاريج فى جوف الصخر ليجتمع فيها ماء المطر . وان ركب الدير شواطىء الأنهار ، ألفيت حوله من البساتين والكروم والرياحين ما يبهج النظر ويشرح الخاطر .

أما دير الانبا سمعان فيتكون من الكنيسة وسكن الرهبان الذى يتكون من طابقين العلوى لسكنى الرهبان ، أما الطابق الأول فكان يستعمل كمخازن لحفظ الأطعمة ومعاصر للزيوت وأفران وما الى ذلك مما يمكن الرهبان من المعيشة داخل أسوار الدير مستقلين عن العالم الخارجى ومتفرغين للعبادة .

أما عن الآثار الاسلامية فان أقدمها يرجع الى القرن الأول الهجرى . وهو شاهد قبر من الحجر الجيرى عليه كتابة باسم ابن حجر ومؤرخ سنة ٣١ هـ ، وهو يمثل أقدم كتابة على الحجر فى مصر الاسلامية (لوحة رقم ٤) . كذلك احتفظت لنا جبانة أسوان بعدد كبير من القبور وشواهدها التى يمتد تاريخها من القرن الثانى للهجرة حتى العصر المملوكى . وبهذه الجبانة توجد أول محاولة لاقامة القباب على الأضرحة فى مصر ، وكان ذلك فى العصر الفاطمى (١) « لوحة رقم ٥ » . ومن أهم هذه المبانى (السبعة وسبعين ولى) ويقول الاسوانيون عنه انه ضريح ، ولكنه فى الواقع مسجد كما يتضح من تخطيطه ، فهو يتكون من شكل رباعى تبلغ مساحته ١٢ مترا مربعا ، وقد غطيت هذه المساحة بتسع قباب وله مدخلان . ويشبه هذا المبنى مشهد طباطبا ؛ غير أن الدعائم ذات التخطيط الصليبى قد حل محلها أعمدة من الجرانيت ، كما أن المحراب مستدير من الخارج بخلاف طباطبا فهو مربع وبذلك يمكن ارجاع هذا الأثر الى العصر الفاطمى (٢) .

وبالقرب من (السبعة وسبعين ولى) يوجد ضريح كبير يعرف باسم المشهد ، الذى يشبه من حيث أقبائه وقبابه أضرحة السيدة عاتكة والجعفرية والشيخ يونس والسيدة رقية بالقاهرة ، ويمكن ارجاع هذا الأثر الى نهاية العصر الفاطمى (٣) . وعلى بعد نصف ميل جنوب فندق « كاتاركت » يوجد فناء غير منتظم التخطيط فى ركنه الشمالى مئذنة تعرف باسم الطابية (٤) وهى مبنية من الطوب من الخارج ومن الطمى من الداخل ، وقد سقطت الطبقة الثالثة للمئذنة وكذا القبة . وتمتاز هذه المئذنة بوجود كتابات على الطبقة الثانية وقد حدثت هذه الكتابة من استعمال قوالب الطوب بأوضاع مختلفة ، وقد تكون هذه المئذنة من عمل بدر الجمالى (لوحة رقم ٦) . وعلى الجانب الشرقى

---

(١) Creswell III p. 142.

(٢) المرجع السابق ص ١٤٤ .

(٣) Creswell III p. 145.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٢ .

لنهر النيل جنوب الشلال يوجد مشهدان يعرفان عند أهل النوبة باسم المشهد البحرى « أو الباب » وباسم « مئذنة بلال » (1) ، للمشهد القبلى . وقد كان من نتائج التعلية الثانية لخزان أسوان ان غمرت المياه المشهدين ولم يعد يظهر منهما غير المئذنتين ، والمشهدان من عمل بدر الجمالى أيضا « لوحة رقم ٧ » .

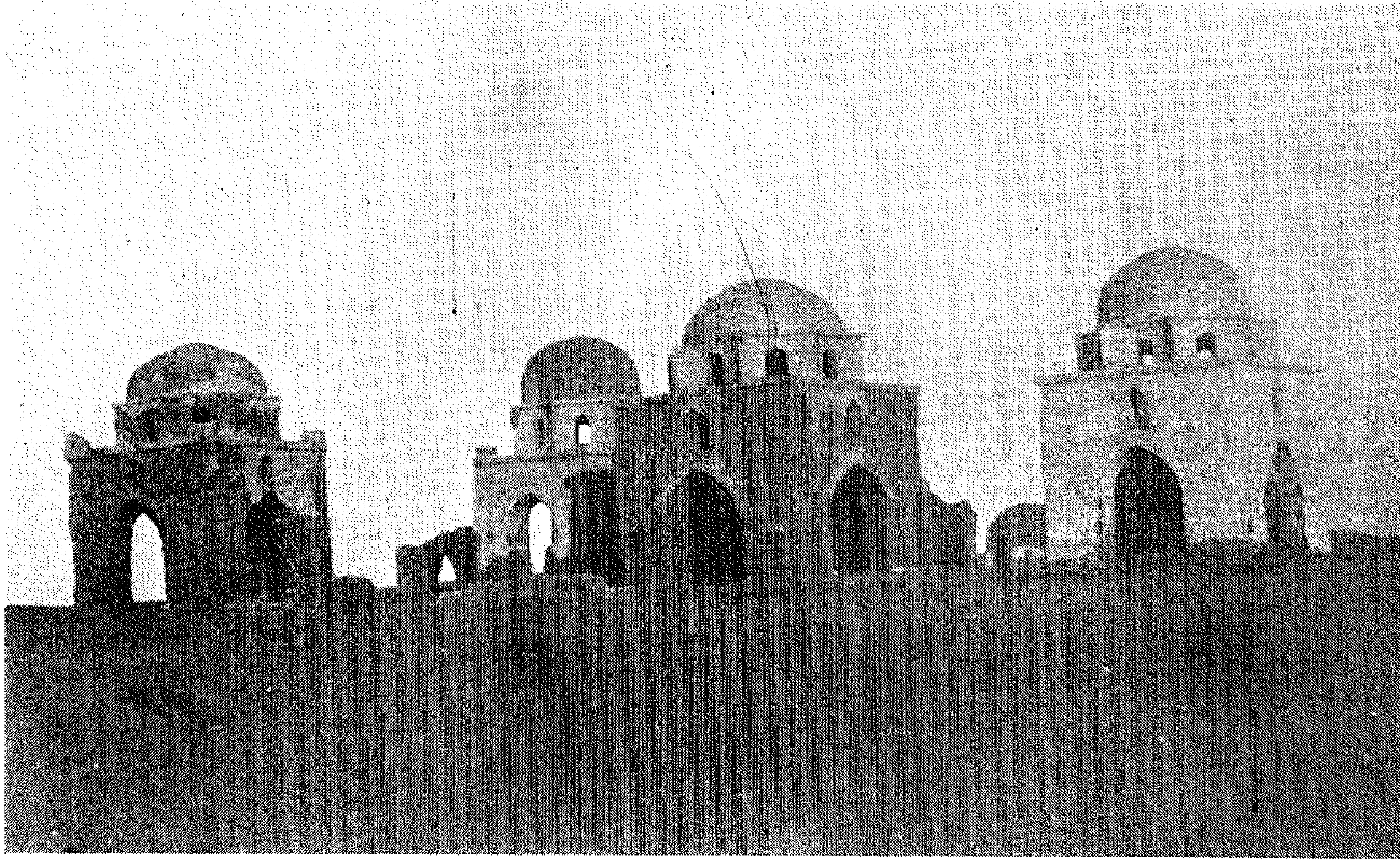
وفى شرق المدينة وعلى التل المعروف باسم جبل هارون ، أقام محمدعلى طابيه ، كما أقام قلعة فى وسط المدينة لتعليم وتدريب الجنود الذين أتى بهم من السودان .

---

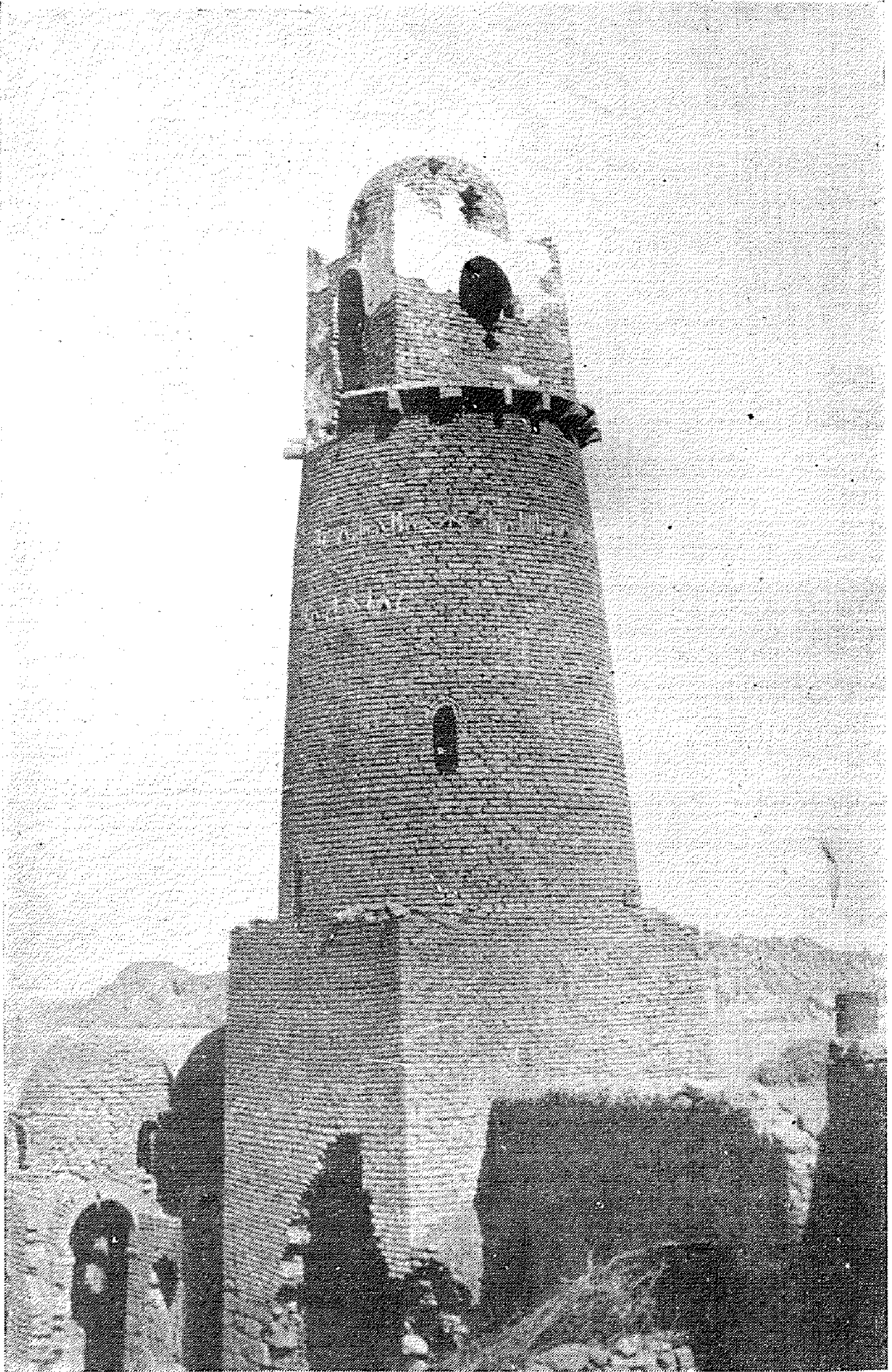
(1) Creswell :vol. III. p. 147 - 149



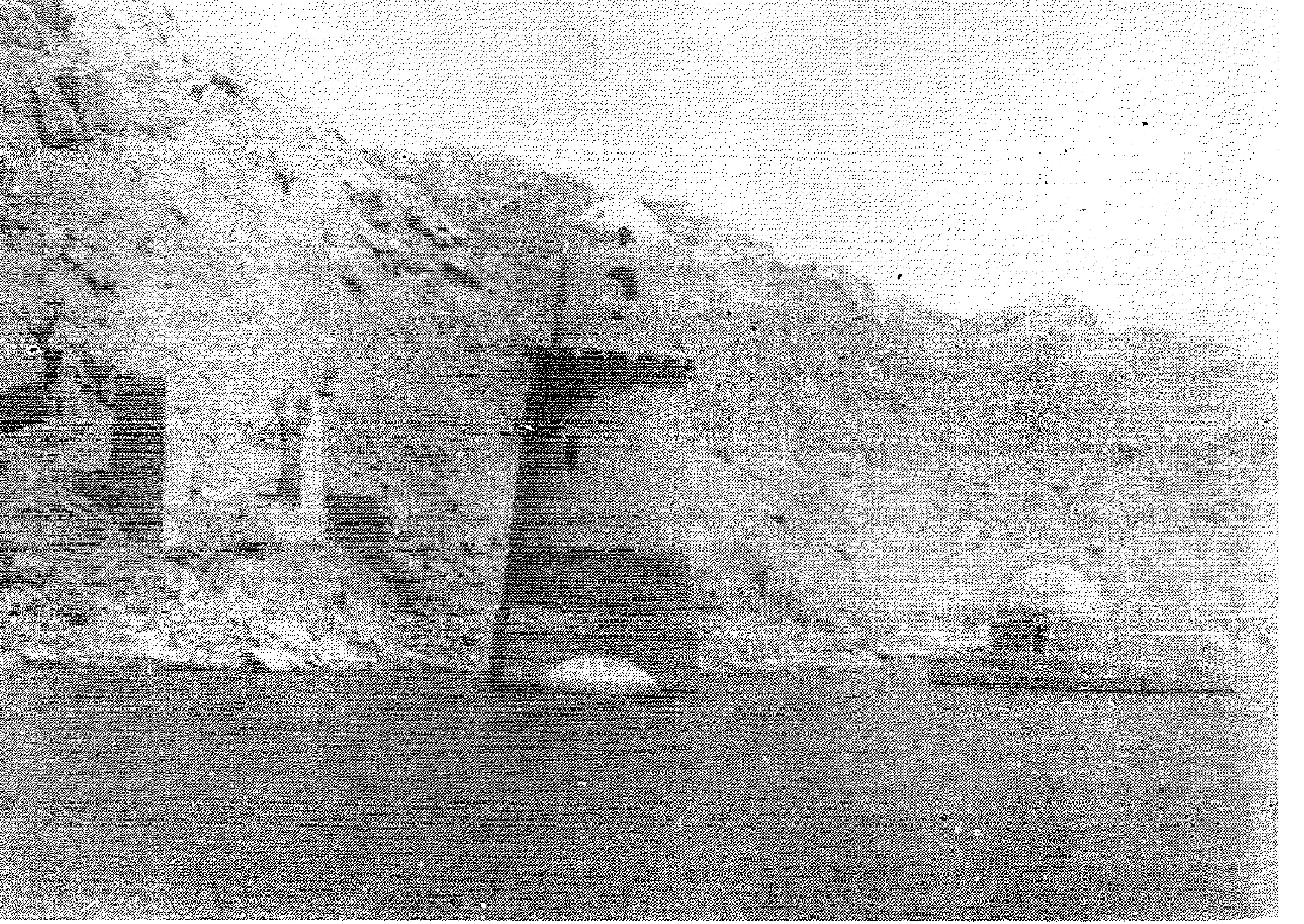
لوحة رقم (٤) شاهد قبر من الحجر الجيرى من مدينة اسوان ، عليه كتابة مؤرخة
سنة ٣١ هـ وهو يمثل اقدم كتابة فى مصر الاسلامية



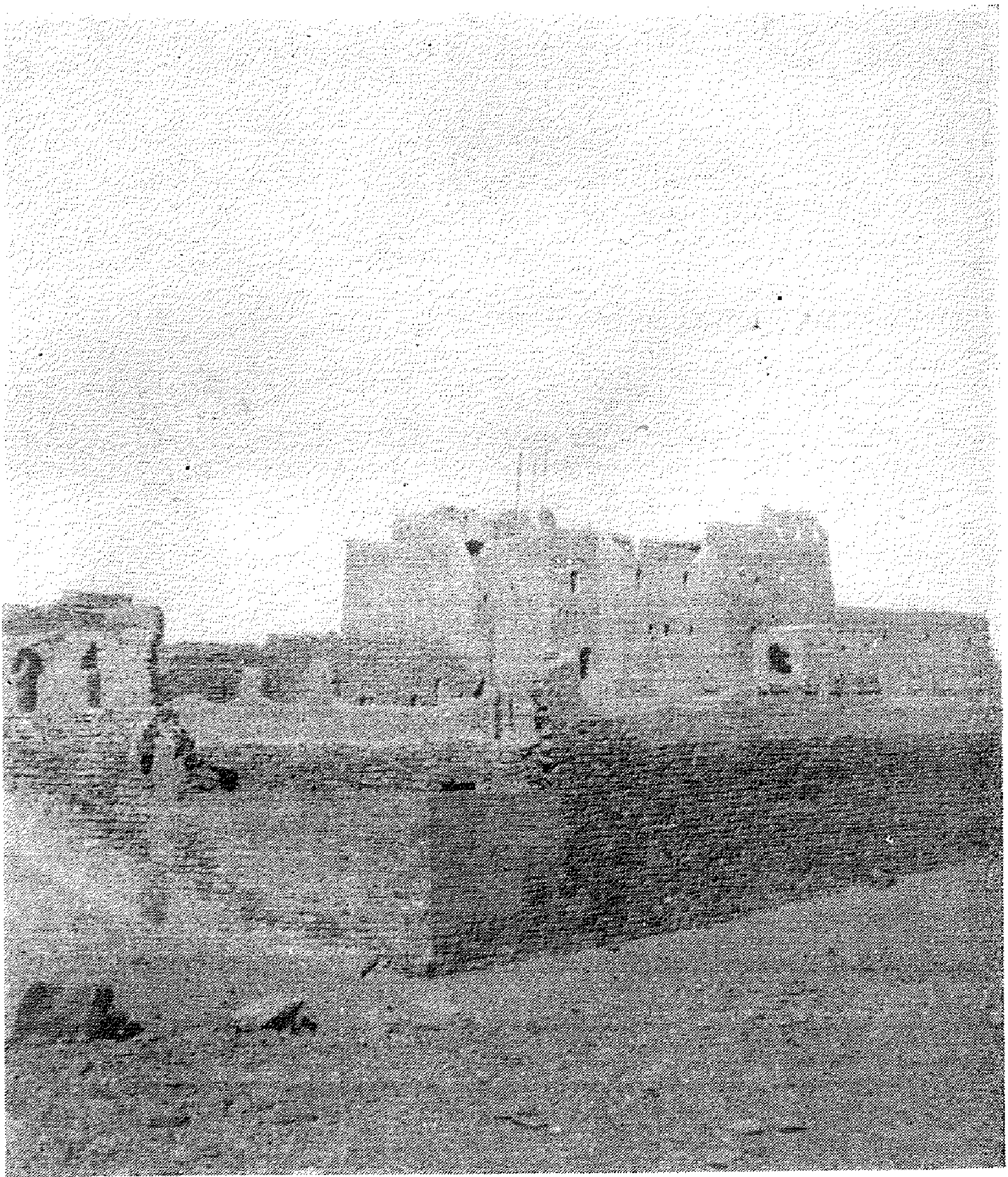
لوحة رقم (٥) مجموعة أضرحة بجبانة مدينة اسوان تبين أول محاولة لاقامة القباب على الاضرحة فى العصر الفاطمى



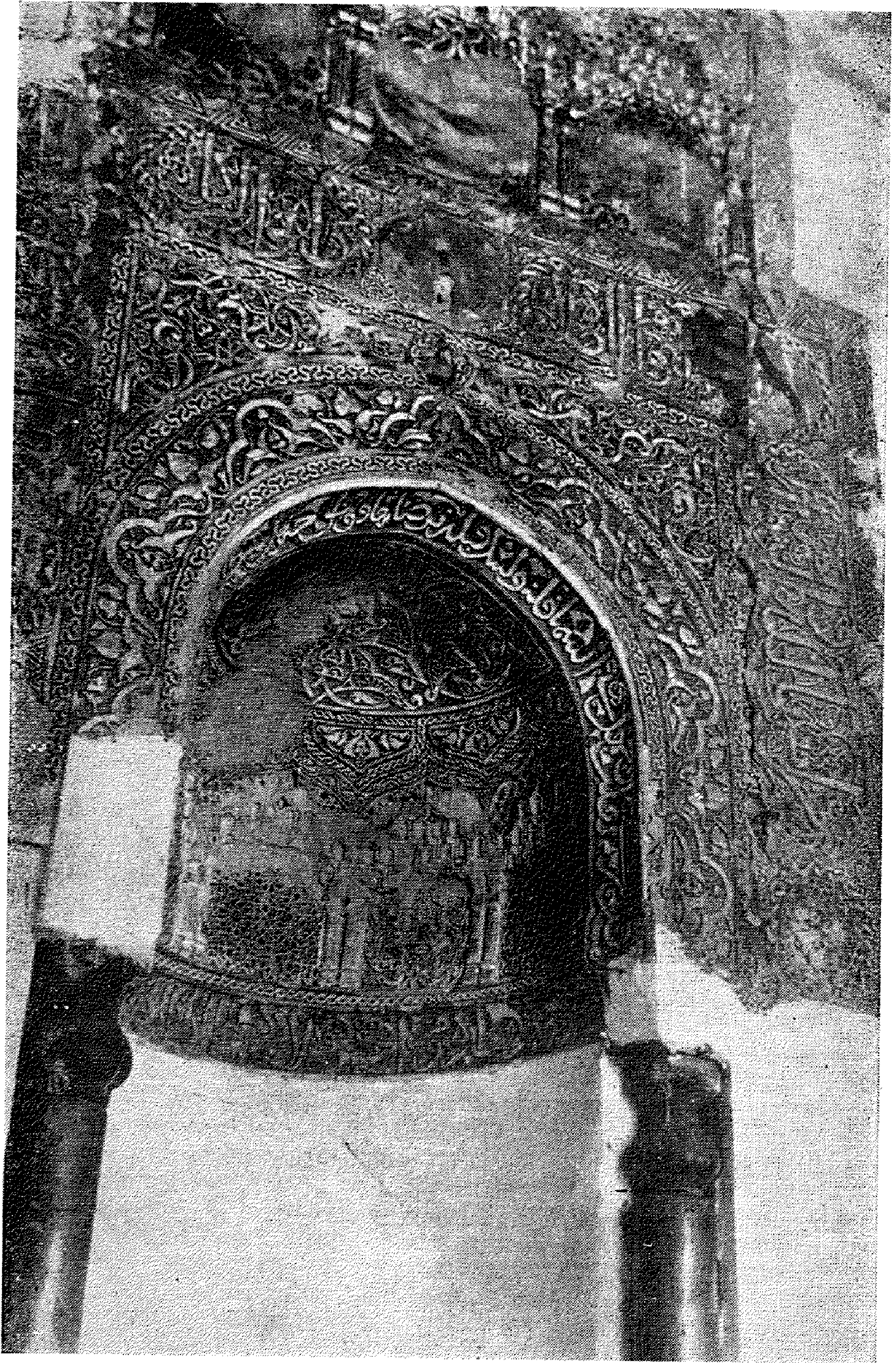
لوحة رقم (٦) مئذنة المبنى الذى يعرف باسم (الطابية) بمدينة أسوان • وتمتاز بوجود كتـابات حدثت من استعمال الطوب بأوضاع مختلفة • وترجع الى العصر الفـــاطمى



لوحة رقم (٧) مشهد على الشاطئ الشرقى للنيل جنوب الشلال يرجع تاريخه
الى العصر الفاطمى ، وقد غمرته مياه النيل ولم يظهر منه غير القبة والمئذنة التى
يطلق عليها أهل النوبة اسم (مئذنة بلال)



لوحة رقم (٨) دير الانبـــا سمعان الذى يسميه أهل اسوان باسم الانبا هدرا ويقع على تل مرتفـع فى الصحراء الغربية قبالة جزيرة (الفنيين) · ويرجع الى القرن الخامس الميـــلادى



لوحة رقم (٩) تبين المحـراب الجصى للمسجد العمرى أو المسجد العتيق بمدينة قوص ويرجع الى العصر الفاطمى . أما المحراب فيرجع الى العصر المملوكى

محافظة قنـــا

قنا مدينة مصرية قديمة شهيرة بالصعيد الأعلى (١) ، تقع على الشاطىء الشرقى للنيل ، وكانت منذ عهد الدولة الفاطمية حتى نهاية الحكم المملوكى من أعمال القوصية ، وفى العصر العثمانى كانت من أعمال ولاية جرجا ، وفى سنة ١٨٣٣ ضمت مأمورية قنا الى مأمورية اسنا وتكون منهما مديرية واحدة تارة باسم مديرية نصف ثانى قبلى وأخرى باسم مديرية عموم قنا واسنا. وفى سنة ١٨٥١ م سميت المديرية باسم قنا وقاعدتها قنا وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت محافظة .

وقال ابن جبير (٢) عن قنا ، انها من مـدن الصعيد المشهورة وكانت بيضاء أنيقة ذات مبان مشيدة وكانت معظم مبانى المدينة طوال العصـور الوسطى بالآجر واللبن وأكثرها مكون من طابقين . ولما أصبحت المدينـة عاصمة للمديرية فى القرن (١٩م) ، بنيت بها القصور لذوى الجاه والثروة والاشراف (٣) ، وكثرت أسواقها وازدحمت الحوانيت بأنواع البضـائـع الثمينة . وكان بها كثير من أرباب الحرف ولكل طائفة شيخ ، وكان بها نحو اثنتى عشرة وكالة لاستقبال التجار الأجانب والوافدين عليها . وبمدينة قنا قطعة أرض تقرب مساحتها من الفدان تؤخـذ منها طينة طفلية تصـنع منها الأوانى الفخارية التى تشتهر بها المدينة ، وعلى الرغم من استمرار الأخـذ من هذا الفدان فان مساحته لا تنقص وذلك لأن مياه الفيضان ترسب فيه كل سنة كمية من الطمى تعادل تقريبا ما يؤخذ منه ، كما أنه قريب من مصرف

---

(١) معجم البلدان جـ ٧ ص ١٦٣ ، النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٦٢ .
(٢) رحلة ابن جبير — ص ٣٤ .
(٣) الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ١٢١ .

قنا ، فعندما تنزل السيول من جبال البحر الأحمر تحمل معها طينة طفلية ترسبها فى الفدان قبل أن تتجمع فى المصرف القريب منها .

وكان يوجد بمديرية قنا طريق يوصل الى القصير ، يمر أولا بين الجبل والساحل متجها الى الجنوب حتى يصل الى بئر عنبر شرقى قفط ، ثم يستقيم الى جهة الشرق حتى يصل الى القصير . وبالمدينة عدد كبير من الأضرحة والمقامات المشهورة ، الا ان المبانى المقامة عليها ليست قديمة ، وذلك لكثرة ما توالت عليها من أيدى الاصلاح والتعمير . ومن أجل من ينسبون الى قنا السيد عبد الرحيم القنائى (١) من مواليد نزعا من أعمال سبتة بالأندلس ، وهو شيخ مشايخ المسلمين وامام العارفين ، رحل من المغرب وأقام بمكة سبع سنين ثم قدم وأقام بها وتزوج وله أولاد توفى سنة ٥٩٢ هـ .

قوص :

مدينة هامة فى محافظة قنا ، وقد كان لها فى العصور الوسطى شأن عظيم ليس فى المحافظة فحسب بل فى الصعيد ، (٢) فقد كانت قوص قاعدة الاقليم منذ العصر الفاطمى حتى القرن التاسع عشر . ويقول عنها ابن جبير (٣) ، انها مدينة حافلة بالأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنود وتجار الحبشة ، لأنها محط للرحال ومجتمع الرجال وملتقى الحجاج المغاربة والقاهريين والاسكندريين ومن يتصل بهم . ومنها يفوزون بصحراء عيذاب واليها انقلابهم . وقال ابن الكندى ، كان يوجد بقوص سائر أصناف التمر والحطب الكارمى الذى لا رماد له والفحم الجافى والكروم ، ومعادن الذهب والجوهر والنفط الذى ظهر سنة ٨٣٤ هـ . وجاء فى مسالك الأبصار (٤) ، أنه كان بقوص كثير من الفنادق والبيوت الفاخرة والحمامات ومزارع الخضروات والبساتين كما كان بها مائة وخمسون مغلقا (٥) ولكل مغلق

---

(١) الطالع السعيد ص ١٩ .
(٢) القريزى جـ ١ ص ٣٨١ ، النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٢٩٢ (حاشية) جـ ٦ ص ٣٨٣ .
(٣) ابن جبير — ص ٣٥ .
(٤) ابن فضل العمرى جـ ٣ ص ٨١ .
(٥) المغلق هو الحديقة التى لا تقل مساحتها من عشرين فدانا .

ساقية ذات أربعة وجوه . وكان بقوص دار لضرب النقود ، ويقول الادفوى انه عثر فى سنة ٦٧٢ هـ فى عهد السلطان الملك الظاهر بيبرس علـى فلوس مدفونة ويرجع تاريخها (وقت قراءتها) الى ألف وثلثمائة سنة .

ويقول أبو صـالح (١) الأرمينى : ان كلمة قوص كلمة قبطية معناها الدفن ، وسميت كذلك لتخصص أناس من أهلها فى دفن الملوك (الفراعنة) . كما كان بها قوم لهم معرفة تامة بصيد الثعابين والحيات والعقارب بواسطة عزائم وأقسام سحرية يقرأونها عليها . ويقال (٢) أن طائفة الحواة فى القطر المصرى من قوص ، ويؤيد ذلك ما رواه المقريزى (٣) عن الأمير تكتباى حاكم قوص فى عهد السلطان محمد بن قلاوون وقصة المرأة الساحرة معه .

وكان بقـوص ست مدارس (٤) ودار للحـديث وكثير من المـدارس الجامعة والزوايا ، ولا تزال تحتفظ المدينة بجامع يعرف بالجامع العتيـق ، يرجع تاريخ انشائه الى العصر (٥) الفاطمى . وبالجامع منبر خشبى يرجع الى ذلك العصر ، وهو تحفة فنية رائعة فى فن زخرفة الأخشـاب بالحشـوات المجمعة . ومن الشخصيات الهامة التى تنتسب لقوص (٦) ، العلامة أبو الفضل بهاء الدين زهير بن محمد بن على بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن المنصور ابن عاصم الأزدى المـكى القوصى النشأة ، المصرى الدار الـكاتب الشاعر المعروف بالبهاء زهير صاحب الديوان المشهور . وهنـاك طائفة كبـيرة من العلماء ورجال الدين ممن ينتسبون لقوص ولا يتسع المجال لذكرهم . ولم يقتصر طلب العلم والفضل فى قوص على الرجال فحسب بل تعـداه الى النساء كذلك ، فقد انجبت قوص سيدات فضليات خلفن وراءهن ، ذكريات عطرة تشهد بما كانت عليه المرأة المصرية فى العصور الوسطى من مـكانة مرموقة بين العلماء وأهل الرأى ، ومن أشهرهن تاج النسـاء ابنة عيسى بن على بن وهب القوصية ، كانت فقيهة فى علوم الدين والقراءة وتوفيت سنة

---

(١) ابو صالح الارمينى ص ٨٧ .
(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ١٢٨ .
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٣٨٢ .
(٤) الطالع السعيد ص ١١ .
(٥) Creswell vol. III P. 23
(٦) الطالع السعيد ص ١٢ .

٦٧٩ هـ . وكذلك السيدة خديجة بنت وهب الشقير توفيت بالقاهـرة سنة ٦٩٩ هـ . والسيدة رقية بنت محمد بن على بن وهب ولدت وتربت فى قوص واستوطنت القاهرة وتوفيت بها سنة ٧٤١ هـ .

اسـنا :

مدينة مصرية قديمة بالصعيد الأعلى اسمها القبطى (اسنى) ، وكانت فى العصر الفـاطمى قاعـدة كورة اسنا (١) ، وفى العصر المملوكى كانت من أعمال القوصية ، وفى العصر العثمانى أصبحت من أعمال ولاية جرجا . وفى سنة ١٨٣٣ م أصبحت اسنا قاعدة مأمورية قائمة بذاتها ، وكانت هـذه المأمورية تضم أحيانا الى قنا ويتكـون منهما مديرية واحدة . وفى سـنة ١٨٦٨ فصلت اسنا عن قنا وأصبحت مديرية اسنا ، وكانت تتكون من أربعة أقسام وهى اسنا وادفو والكنوز وحلفا ، ولما ظهرت أخطار الثورة المهدية فى السودان ألغيت مديرية اسنا وأضيفت الى مديرية قنـا ، وكان ذلك سنة ١٨٨٨ م .

كانت اسنا ولا تزال مدينة عظيمة بلغ عدد منازلها فى القرن (١٤ م) ثلاثة عشر ألف منزل كلها مبنية بالآجر ، وكان بها سبعون (٢) حارة كبيرة . وكان بها ثلاثمائة وسـبعون فدانا مغروسة نخيلا وكـرما وقصـبا ، قال الادفوى (٣) انه كان يتحصل سنويا من اسنا أربعون ألف أردب تمراواثنا عشر ألف أردب زبيبـا . وكان بها كثير من المتـاجر والحوانيت والحانات . ترد اليها البضائع من القاهرة والأقاليم القبلية وأهمهاالأقمشة،كالبردوالأردية المسماة الشقق الخاصة بالرجال والنساء . وكان بها كثير من الحرف كصناعة المنسوجات الصوفية السميكة المعروفة (بالكليم) ، وصناعة المقاطف ونحوها مما يصنع من سعف النخيل . كذلك كان يرد الى اسنا القـوافل الآتية من سنار تحمل اليها الحاصلات السودانية ، كما كانت تشتهر بأبراج الحمام (٤) . ومن الأحداث الهامة التى وقعت باسنا وذكرها ابن تغرى بردى (٥) ، خروج

(١) النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٦٠ .
(٢) معجم البلدان جـ ٩ ص ٢٢٦ .
(٣) الطالع السعيد ص ١٧ .
(٤) الخطط التوفيقية جـ ٨ ص ٦٠ .
(٥) النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٦ .

ابن الصوفى العلـوى بالصعيد ودخوله اسنا سـنة ٢٥٥ هـ فنهبها وقتل أهلها ، فبعث اليه أحمد بن طولون بجيش التقى به فى ناحية (هو) فانهزم جيش ابن طولون ، فأرسل اليه جيشا آخر فالتقيا باخميم وانهزم ابن الصوفى وفر الى أسوان ثم الى مكة . ويقيم باسنا عدد غير قليل من الأقباط ، وبها دير وكنيسة منعزلان عنها من الجهة القبلية تعرف باسم كنيسـة مقتلة النصارى ، نسبة لاستشهاد كثير منهم بها فى العصر الرومانى (١) ، كما ان ديرهـا من أشهر الأديرة . وبالمدينة كثير من المساجد الجامعة ، أقدمها الجامع العمرى الكبير (٢) ، وبه لوحة تأسيسية من الرخام ومحفور عليها كتابة كوفية باسم بدر الجمالى سنة ٤٤٧ هـ فى عهد الخليفة المستنصر . ومن المساجد الهامة هناك جامع الضوى نسبة الى الشيخ الضوى المدفون بداخله ، وله قبة . وكان باسنا كثير من البيوتات المعروفة بالأصالة والرياسة والفضل ، حتى قيل أنه كان بها فى وقت واحد سبعون شاعرا ، وخرج منها جمع كبير من أهل العلم والأدب . ومن بيوتها العريقة بنو السديد ، وبنو الحطيب وبنو أشواق وبنو النضر . فقد تولى معظم أعضائها مراكز رئيسية وهم الذين بنوا جامع الخطبة فى سنة ٤٢٠ هـ ، ثم أضـافوا اليه زيادة سنة ٤٩٥ هـ ، وان كانت يد الاصلاح والتعمير قد تـوالت عليه فلم تترك أثرا للمبنى القـديم . وكان المذهب الشيعى منتشرا باسنا حتى العصر المملوكى ، وقد استطاع الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطى عندما وفد اليها أن يخفف من حدة التشيع .

---

(١) ابو صالح الارمينى ص ٨٧ .

(٢) Creswell ; Vol. III P. 146

الآثار الباقيــة

الجامع العتيق باســـنا :

يرجع تاريخ هــذا المســجد الى العصر الفــاطمى ، وقــد تهــدم المســجد القــديم وجدد عدة مرات فتغيرت معــالمه الأصــيلة ولم يبــق منه غير المئذنة . وهى تقع فى الركن القبلى من الواجهة الغربية للمسجد ، وقد طرأ على قاعدتها بعض التغير أثناء العمارة التى أجريت للباب الغــربى سنة ١٢٩٥ هـ . وعلى قاعدة المنارة مزوله من عمل خليل أفندى ابراهيم مهندس الخريطة الفلكية سنة ١٢٨٧هـ . كمــا ثبت على باب المئذنة لوح من الرخام ٩٫٥×٥٨ سم مكتوب عليه بالخط الكوفى ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين . صلوات الله وبركاته على مولانا ســيدنا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنــين وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين . أمر بعمارة هــذا الجامع المبارك السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام أبو النجم بدر المستنصر أدام الله قدرته وأعلى كلمته القاضى أبا الحسين على بن محمد بن جعفر بن محمد بن النصر فأسس فى النصف من ذى الحجة سنة تسع وستين وأربعمائة . وسقف فى النصف من شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربعمائة وفقه الله لمرضاته وأعانه على طاعته ، كما أصرف اهتمامه الى مماته » .

كما يوجد على يسار المحراب لوح آخر من الرخام مقاسه ٧٣×٦٥سم يتضمن تاريخ انشاء المنارة وهو سنة ٤٧٤ هـ أى بعد الانتهاء من بناء المسجد بأربع سنوات .

المنـــــــازل والخانات :

وتمتـاز مدينـة اسـنا باحتوائها على عـدد كبيـر من المنـازل القـديمة التى أعطتنا فـكرة واضحة عن التخطيط المعمـارى عن المنـازل فى الصعيد فى العصر العثمانى . ومن أهم هذه العمائر ، منزل الخواجة ستين جبران ، ويتكون تخطيطه من الأجزاء الرئيسية الآتية ، فناء يتوسط المنزل ثم الديوان الخاص بالرجـال فى الدور العلوى ويقابله أو يعـلوه الديوان الخاص بالحريم . أما الغـرف والحواصل التى بالدور الأرضى فكلها مقبية وخالية من النوافذ والفتحات . وقد كتب على مدخل هذا المنزل تاريخ انشائه بالتقويم القبطى سنة ١٥٠٦ للشهداء والتاريخ الميلادى سنة ١٧٩٠ م ويشبه هذا المنزل من حيث التخطيط العام ومن حيث مواد البناء ، منزل الخواجة عبد الملك ، فقد بنى كلا المنزلين بالطوب المنجور ، وقـد ثبت عـلى المنزل الأخير لوحة تذكارية تشتمل على نص باللغة القبطية وآخر بالعربية وهـو كالآتى : جدد هذا المنزل المبارك المعلم عبد الملك وأولاد أخوته نخلة سنة ١٦٠٦ للشهداء سنة ١٨٩٠ م .

خان الشـــــناقرة :

ومن العمـائر المدنيـة الهامـة بمدينـة اسـنا الخـانات ، وهى مبان عامة لايواء الوافدين على المدينة من غير أهلها ، وعادة مايحتوى الدور الأرضى منها على حوانيت للتجارة . ومن أهم الخانات باسـنا خان الشناقرة الذى يقع بالقرب من الجـامع العتيق ونجد على البـاب الداخلى له النص الآتى :

أنشأ هـذا الخان المبارك السيد عبـد الرحيم عبـد البارى شنقبر سنة ١٢٦٤ هـ .

خان حسن بك الجداوى : (لوحة رقم ١٠)

لم يبق من هذا الخان سـوى الباب الرئيسى له ، وهو مثـال حسن للعمائر المبنية بالطوب بمدينة اسنا . ويحتوى الخان على لوحة تأسيسية كتب عليها النص التالى :

نصر من الله وفتح قريب . وبشر المؤمنين يامحمد . أنشأ هذا المكان أمير اللواء حسن بك على الجداوى فى شهر ذى القعدة سنة ١٢١١ هـ .

قبة حسن بك الجداوى : تتكون القبة من قاعدة مربعة تعلوها رقبة مثمنة أقيمت فوقها القبة . وقد ألحق بالقبة من جهتها الجنوبية مصلى تتكون من ايوانين متقابلين ، احدهما بحرى والآخر قبلى . وتعرف المصلى باسم الديوان وهى مبنية بالطوب الملون الموضوع بأشكال هندسية غاية فى الدقة والابداع ، وقد كتب على بابها النص الآتى :

أنشأ هذا المكان حضرة حسن بك الجداوى فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٠٧ هـ .

الجباخانة :

ومن الاستحكامات الحربية التى توجد بمدينة اسنا الجبخانة والتى يطلق عليها على مبارك فى خططه اسم (الذخيرة) وهى ترجع الى عصر محمد على . والجباخانة بنيت على شكل الحصون ذات الأبراج ، بنيت قاعدتها بالحجر وأجزاؤها العلوية بالطوب ، أما الأعمدة والأكتاف فمن الحجر .

دير الشهداء :

يقع هذا الدير على بعد خمسة كيلو مترات من اسنا . والدير مبنى من الطوب وبه كثير من القباب الضحلة. وأهم الأجزاء التى ترجع الى عهد انشائه عقداى هيكل الانبا أرمنيوس ، وأمام هذا الهيكل قبة صغيرة مقامة على حطتين تشبه القباب الفاطمية فى أسوان ، ولذا نرجح أن يكون الدير من العصر الفاطمى .

الجامع العمرى بأصفون :

تقع أصفون على الضفة الغربية للنيل ، وهى من قرى مركز المطاعنة بمدينة اسنا ويقول عنها المقريزى ، انها كانت من أحسن بلاد مصر وأكثر نواحى الصعيد وفرة فى الفواكه والبساتين . ومن أهم آثارها الباقية الجامع العمرى ، الذى توالت عليه يد الاصلاح والتعمير حتى تغيرت معالمه الأولى ، وتكاد تكون المئذنة هى الجزء الوحيد الباقى من المبنى القديم . وتتكون المئذنة من قاعدة مربعة يعلوها مربع آخر به نوافذ وبأركانه الأربعة مقرنصات

ممتدة ، ويعلو المربع دورة ثانية مثمنة ثم دورة ثالثة مثمنة كذلك تعلوها قبة تشبه الخوذة . ومن المرجح أن يكون قد أجرى للمئذنة بعض ترميمات فى القرن الحادى عشر للهجرة . ويشبه طراز هذه المئذنة الى حد كبير مئذنة مسجد اسنا العتيق ، وقد كان هذا الطراز شائعا فى مآذن الصعيد حتى العصر الحديث .

ومما يلفت النظر فى هذه المئذنة أن قاعدتها المربعة تحتوى على (ميدات) من الرخام ، ومن المرجح أن تكون القاعدة أقدم أجزاء المئذنة ، ولعلها ترجع الى العصر الفاطمى ، وهو العصر الذى انتشر فيه استخدام الأعمدة الرخامية كميدات للتقوية .

دير الفاخورى

يقع هذا الدير على بعد ثمانية كيلو مترات من أصفون فى وسط الصحراء . وينقسم الدير الى قسمين رئيسيين ، الأول ويعرف باسم القيسارية ويتكون من ممر طويل معقود بكل من جانبيه ست فتحات توصل الى حجرات صغيرة ، وقد بنى هذا القسم باللبن أما عقوده فمن الآجر . وتشبه عقود هذا القسم العقود الفاطمية المدببة ، ولذا نرجح نسبته الى العصر الفاطمى . أما القسم الثانى من الدير فيتكون من كنيسة تتوسطها قبة يكتنفها قباب صغيرة فى أركانها الأربعة . وتقوم القبة على أربعة عقود وقد غشيت هى والقبة برسوم الفرسكو ، التى تلاشى كثير من أجزائها للأسف . وفى الزاوية الشمالية الشرقية للدير يوجد الجزء المسمى بالقصر ، وهو عبارة عن بناء كبير مربع الشكل ، والدور الثانى منه معد للمراقبة ولذا نجد بحجراته كثيرا من المزاغل للمراقبة ورمى السهام اذا ما اعتدى على الدير معتد . ويرجع تاريخ الدير الى القرن الرابع الميلادى .

الجامع العتيق بقوص :

ان التغيرات والتجديدات التى أدخلت على هذا الجامع أفقدته الكثير من معالمه الأصيلة ، فقد تغير كثير من عقوده الداخلية فى ايوان القبلة فى العمارة التى قام بها محمد بك قهوجى سنة ١٢٣٣ هـ ، كما أن التجديد الذى حدث للمئذنة أفقد الجامع وجهاته الرئيسية . ويوجد بهذا الجامع منبر على

جانب كبير من الأهمية اذ انه يعتبر أقدم منبر فى الجمهورية العربية المتحدة، فقد أنشىء عام ٥٥٠ هـ . وهو من الخشب المحفور حفرا بارزا وكذا من الحشوات المجمعة التى بدأت تظهر فى أواخر العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى . ونجد فى منتصف البائكة الثالثة فى ايوان القبلة محرابا يرجع الى العصر المملوكى ، وقد زخرفت واجهته بزخارف جصية قوامها عناصر نباتية وهندسية بديعة التكوين (لوحة رقم ٩) . وتشبه زخارف هذا المحراب زاوية زين الدين يوسف ، وكذا المحراب المملوكى فى جامع عمرو بن العاص . ويحيط بالمحراب كتابة بالخط الثلث المملوكى نصها . « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أ نيكونوا من المهتدين » وحول قبة المحراب قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) . وفى النهاية البحرية للبائكة الرابعة والخامسة من ايوان القبلة توجد مقصورة من الخشب الخرط على جانب عظيم من الأهمية ، فالجانب الشرقى من المقصورة باق على صورته الأولى ، ويتكون من حشوات بها زخارف محفورة حفرا عميقا وكذا الجانب الغربى ، وكذا باب المقصورة مكون من حشوات سداسية الشكل يحيط بها من أعلى وأسفل أشرطة من خشب الخرط الذى انتشر استعماله فى العصر المملوكى .

وبداخل هذه المقصورة يوجد كرسى مصحف مغطى بقماش خلق،وهو من الخشب المصنوع بطريق الحشوات المجمعة والمطعم بالعاج والصدف . ويحيط بالكرسى شريط من الكتابة بالخط النسخ المملوكى ، وتتكون من آية الكرسى والنص الآتى :

أمر بانشاء هذا المصحف المبارك المقر الكريم العالى المولى الأميرى الاجلى عز الدين خليل الملكى الناصرى أعز الله أنصاره بمحمد وآله ». ومن المرجح أن يكون منشىء الكرسى والمقصورة هو منشىء المحراب المملوكى بالبائكة الثالثة بايوان القبلة أى انهـا جميعا ترجع الى أوائل القرن الثامن الهجرى .

ويوجد أمام المحراب المملوكى عمود من الرخام تعلو تاجه (طبلية) خشبية عليها كتابات كوفية جاء فى تقرير لجنة حفظ الآثار العربية ، انهـا

نقلت اليه ، ولكنى أرجح أنها من بقايا أخشاب المسجد القديم ، أى أنها ترجع الى العصر الفاطمى سنة ٥٥٠ هـ .

ومن الأجزاء الهامة بهذا المسجد كذلك القبة الموجودة لصق الركن الشرقى من الجدار البحرى للمسجد ، وهى منفصلة عن المسجد ويتوصل اليها من دورة المياه . وتقوم القبة على أربعة عقود يعلوها فى الأركان صفان من المقرنصات ، مما حول المربع الى مثمن أقيمت فوقه القبة . أما من الخارج فالقبة مضلعة ، ويتخلل هذه الاضلاع فتحات على شكل نجمة سداسية . وترجح اللجنة الدائمة بمصلحة الآثار أن يكون منشىء هذه القبة هو مقلد بن على بن نصر سنة ٥٦٨ عندما جدد باقى المسجد ، كما هو ثابت فى اللوح الرخامى المثبت فى نهاية الجدار الشرقى ونصه كما يلى : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله بنيه الطيبين الطاهرين أمر بتجديد هذا الجامع المبارك العبد الفقير الى رحمة الله تعالى مبارك بن كامل بن مقلد ابن على بن نصر بن منقذ الناصرى الفخرى فى شهور سنة ثمان وستين وخمسمائة) .

ويحتوى المسجد على لوح تذكارى آخر مثبت على باب الميضأة ، قد نقش فى وسطه شكل مشكاة ، ثم كتب تحته اسم المقرىء الشيخ الصالح جمال الدين محمد الناجى ، وتاريخ وفاته يوم الجمعة ١٩ رمضان سنة ٧١٧ هـ . ومن الاصلاحات الهامة التى أجريت لهذا المسجد ، تلك العمارة التى قام بها الأمير محمد كاشف فى سنة ١٢٣٣ هـ . وقد أثبت الأمير محمد كاشف عمارته للمسجد فى ثلاثة مواضع ، احدها فى لوح صغير مثبت فى صحن المسجد والثانى فى لوح رخام مؤرخ سنة ١٢٣٣ هـ مثبت على باب الميضأة السابق ذكره ، أما اللوح الثالث فقد ثبت على مدخل المسجد وكتب عليه النص التالى : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . الحمد لله الذى وفق من عباده ما أراد بتجديد ما أعد لطهارة العبادة للصلاة المفروضة وتوابعها على لسان الحبيب المخلص بها كل مطيع وعتيد ، والصلاة والسلام على من أرسل لكافة المخلوقات على توالى الأيام والساعات واللحظات وعلى آله وصحبه الطاهرين الذين هم

شيدوا الشريعة والدين صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين . وبعدفقدجدد هذا المحل وما اشتمل عليه الجامع العتيق بمدينة قوص حضرةالجناب المكرم محمد كاشف قهوجى ، كاشف مدينة قوص راجيا الثواب الجزيل من المولى الجليل بقوله وهو أصدق القائلين ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . وعمارة المحل من ماله خاصة فى سلخ شهر ذى الحجة ختام سنة ١٢٣٣ للهجرة النبوية) .

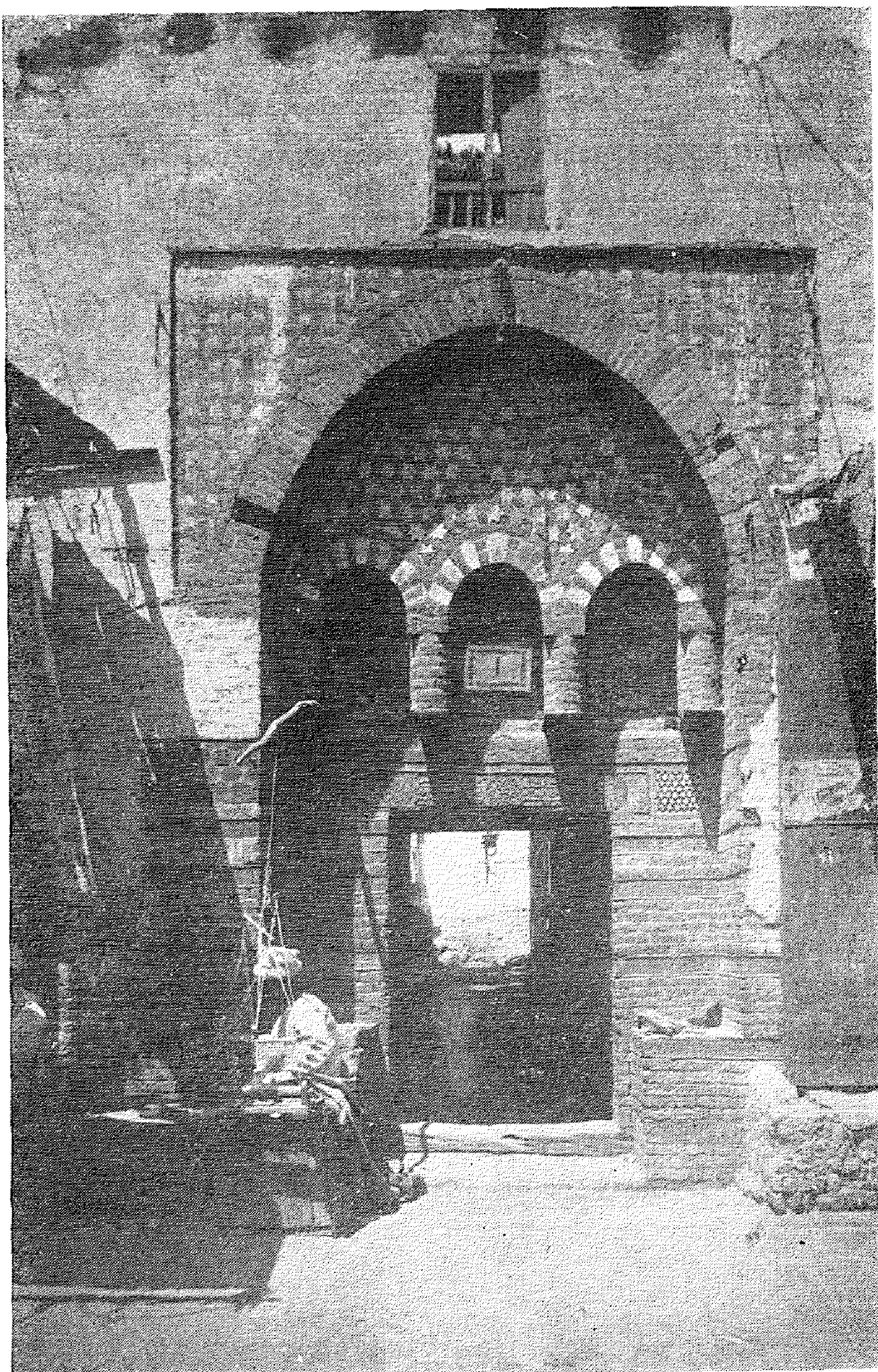
جامع همام بفرشوط (لوحة رقم ١١)

فرشوط قرية من محافظة قنا تقع على الضفة الغربية للنيل ، وكانت تعرف باسم برشوط ثم قلبت الباء فاء وأصبحت فرشوط .ومن عمائر فرشوط الهامة جامع همام الذى يرجع الى القرن الثامن عشر . ويتكون المسجد من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جوانبه الأربعة ، وهو مبنى بالآجر من الداخل والخارج على السواء . ويحيط بسقف المسجد وزره خشبية نقش عليها قصيدة البردة وانتهت بما نصه : (انشاء الشيخ بن الشيخ يوسف الله تعالى هذا المسجد المبارك وعمارته سنة ألف ومائة واثنين وسبعين .وقدتبرك بكتابته عبد الهادى بن اسماعيل » . وتقع مئذنة المسجد فى الركن الشمالى الغربى وهى من الطوب كذلك، وعلى الواجهة الرئيسية للمسجد فى الجهة الغربية كتبت بعض أبيات من الشعر نصها :

لجامع همـــام بن يوسف رونق	به لاذت العباد من كل وجهـــة
عليــه عـــلامات القبول لوائح	وقد طاب من ارجائه كل بقعـــة
فيـــا داخـــــلا ادع لمنشـــئى	وارخ بســـــدان شـــر المنيـــة

كتبه على تابع شيخ العرب همام سنة ١١٧٢ هـ

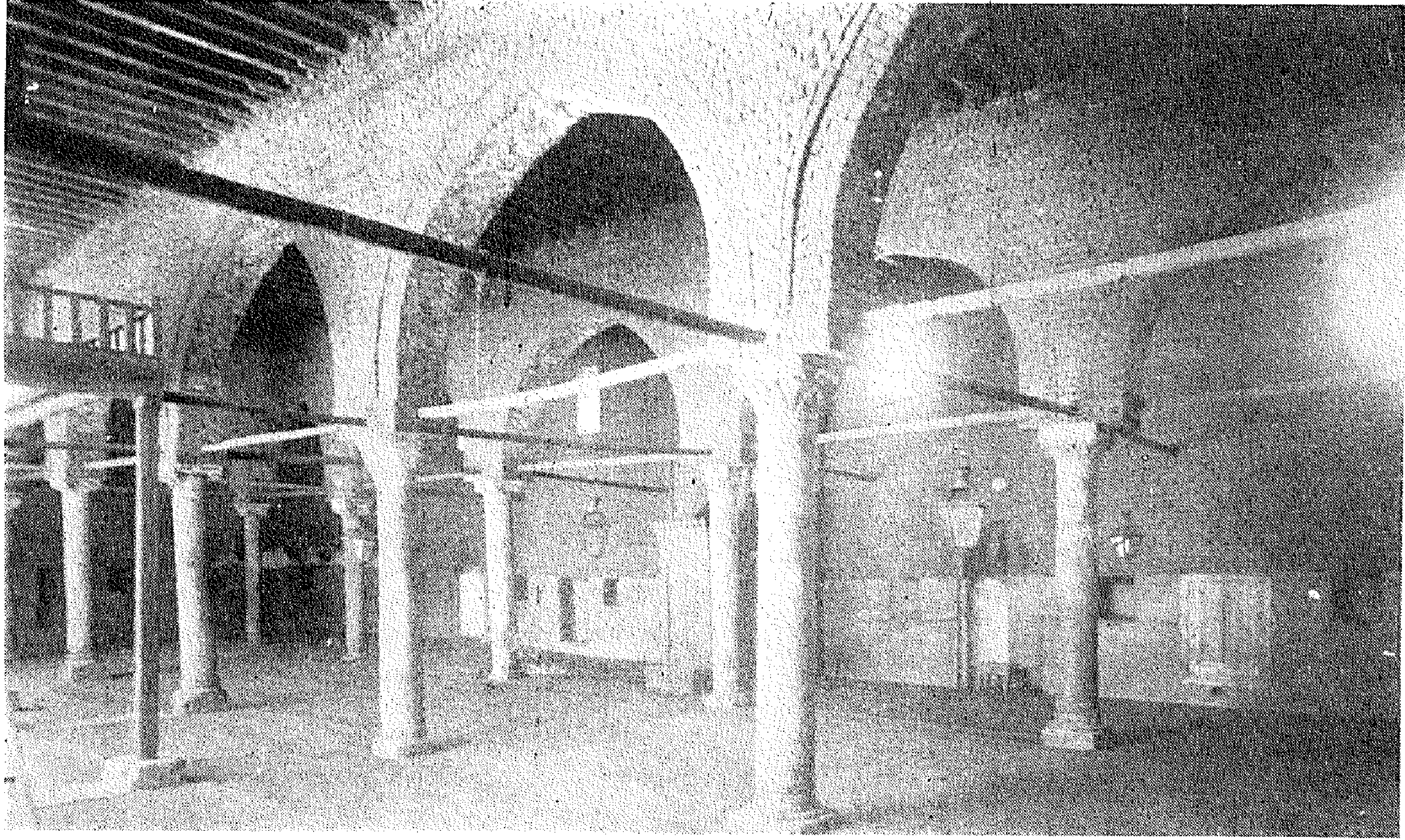
وكان شيخ العـــرب الأمير همام قد غادر فرشوط الى اســـنا على أثر الخلافات التى دبت بينه وبين على بك الكبير ، بعد أن تأكد من هزيمته اذا ما دارت الحرب بينهما . وقد مات كمدا فى اسنا ونقل الى فرشوط ودفن فى المسجد المعروف باسمه ، كما بينا .



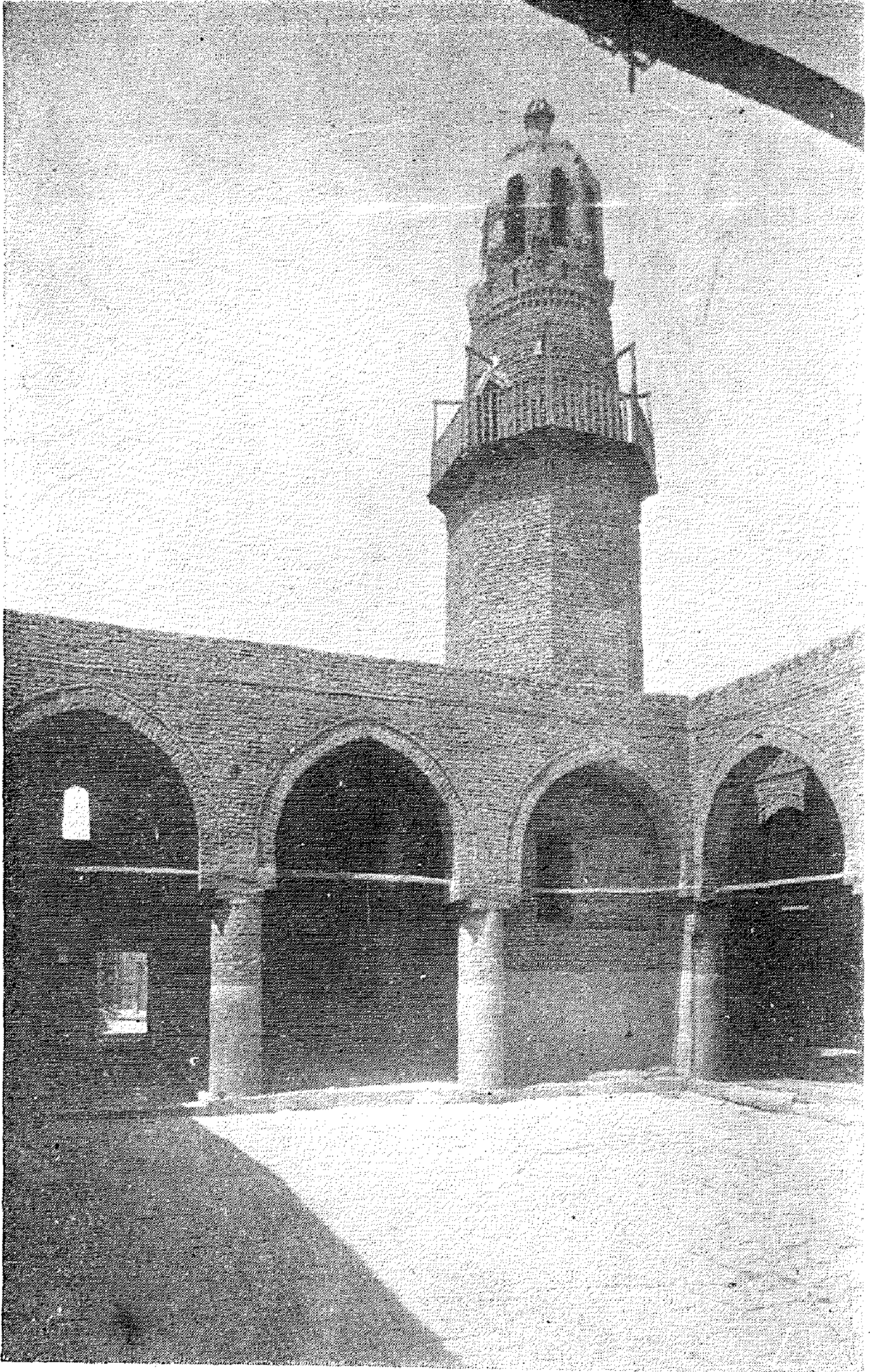
لوحة رقم (١٠) خان الجداوى بمدينة اسـنا



لوحة رقم (١١) داخل مسجد همام بمدينة فرشوط ومنارته



لوحة رقم (١٢) تبين رواق القبلة فى مسجد مدينة قفط



لوحة رقم (١٣) تبين صحن جامع مدينة هو ومئذنته تعلو الرواق الغربى

محافظة سوهاج

سوهاج مدينة مصرية قديمة فى الصعيد الأوسط ، كانت تابعة لـكورة القوصية فى العصر الفاطمى ثم أعمال القوصية فى العصر المملوكى ، وبعد أن ألغيت ولاية القوصية سنة ١٥١٧ م أصبحت تابعة لولاية جرجا . وفى القرن العشرين أصبحت سوهاج قاعدة مديرية جرجا ، وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت عاصمة محافظة سوهاج . وتشتهر سوهاج بصيد السمك الذى يعمل منه نوع من الطعام يعرف باسم الملوحة ، ويقبل أهل الصعيد وخاصة الأقباط منهم على تناوله ، ويقول الفيروزبادى عن الملوحة انها تصلح المعـدة ، أما القزوينى فيقول ان التمضمض بها نافع فى ازالة النتن من الفم . وفى جزيرة التبل شرقى مدينة سوهاج ، توجد نزلة صغيرة يسكنها جماعة من عرب بنى واصل يقال لهم أولاد محروس ، وقد عمـر أولاد محروس النزلة وبنوا فيها المساجد والبيوت وغرسوا النخيل والأشجار ، وزرعوا قصب السكر وأنواع الخضر التى كانوا يبيعونها لسوهاج وأخميم . كما كانوا يزرعون فيها أنواعا من الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون ، وكان مشـهورا فى القاهرة باسم الأفيون الاخميمى . وبمدينـة سوهاج مساجد جامعة وزوايا عامرة ومن أشهرها مسجد الشيخ العارف (١) بالله ، ويضم المسجد كتابا لتعليم الأطفال الصـغار كما يضم مكتبة . ومن حسنات الشيخ العارف أنه رتب للاطفـال جرايات ، فى الصباح ، وثريدا فى المساء واستمرت ذريته من بعده تؤدى هذه الجرايات للأطفال . ويقول الجبرتى (٢) ، انه يوجد بجوار مسجد العارف مدافن للامراء والصناجق ممن تولوا حكم سوهاج ، كما يوجد مدفن مراد بك الذى حرض المماليك ضـد محمد على عند توليه الحـكم ثم فر الى

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ٦٧ .
(٢) الجبرتى جـ ٢ ص ١١٢ .

سوهاج وهو مدفون عند الشيخ العارف . وكان يوجد فى غرب سوهاج ديران (١) هما الدير الأحمر والدير الأبيض (أو دير الاب شنوده) وقد تهدمت معظم مبانى الديرين ولم يبق سالما غير كنيسة الدير الابيض (لوحة رقم ١٤ ، ١٥) .

ويذكر السخاوى (٢) ان من شيوخ سوهاج الأفاضل الشيخ محمد ابن محمد بن أبى بكر الشمس الأنصارى السوهائى (نسبة الى سوهاج) ولد بسوهاج سنة ٨٠٥ هـ وهو خطيب مدرستى الجائى ، والخانكية كما تولى معظم مبانى الديرين ولم يبق سالما غير كنيسة الدير الأبيض (لوحة رقم ١٤ ، ١٥) .

اخميم :

بلدة مصرية قديمة من مدن الصعيد الأوسط على الشاطىء الشرقى للنيل ، وكانت فى العصر الفاطمى قاعدة كورة الاخميمية ، واستمرت كذلك حتى نهاية العصر المملوكى، وفى العصر العثمانى ألغيت الاخيميمية وأضيفت بلادها الى ولاية جرجا ، وأضحت اخميم احدى المدن التابعة لمركز سوهاج وفى سنة ١٩٠٣ فصلت البلاد الواقعة شرقى النيل من مركز سوهاج وجعلت مركزا باسم اخميم وهى قاعدة المركز منذ ذلك التاريخ وتتبع الآن محافظة سوهاج (٣) .

قال أبو الفداء ، مدينة اخميم من المدن الكبيرة بيوتها مبنية من الطوب اللبن ومساجدها وزواياها من الحجروحاراتها متسعة ونظيفة (لوحة رقم ٢١). كما كانت من أشهر مدن الصعيد فى صناعة المنسوجات فى العصر القبطى والاسلامى وكانت منتجاتها تصدر الى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وكانت بها مصانع حكومية لصناعة النسيج تعرف (بالطراز) وكان ثمن الثوب من الطرز الصوف الرقيق ، أو المعلم أو المطرف من الكتان يبلغ عشرين دينارا (٤) . كذلك اشتهرت اخميم بالانطباع ، كما اشتهرت بتمرها وغلالها ،

---

(١) أبو صالح ص ٩١ .
(٢) الضوء اللامع جـ ٩ ص ٧١ .
(٣) النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٤٠ (حاشية) .
(٤) المقريزى جـ ١ ص ٣٨٧ .

اذ كانت من أكبر المدن المنتجة للغلال فى الصعيد وكانت بها معاصر لزيت السلجم (١) .

وكان باخميم عدد غير قليل من الأقباط ولهم بها كنيستان عظيمتان (٢) احداهما تعرف باسم كنيسة سوتير (أى المخلص من العذاب) والثانية كنيسة القديس ميخائيل ، وكان من عادتهم فى الاحتفال بعيد الشعانين أن يخرجوا من الكنيستين مع القساوسة والقمامصة فى هيئة محفل حاملين المباخر والعطر والصلبان والأناجيل والشموع ويقفون أمام بيت قاضى القضاة برهة من الزمن يتلون فيها بعض صفحات من الانجيل وينشدون بعض المقطوعات فى مدحه ، ثم يتابعون بعد ذلك الوقوف أمام بيوت أعيان البلد ووجهائها من المسلمين . ويوجد باخميم كثير من الأديرة منها دير السبع جبال ، وكان خارج ذلك الدير عين ماء تظلها شجرة الصفصاف وتعرف المنطقة باسم وادى الملوك ، وذلك لأنه ينمو بها نبات يشبه نبات السلجم ، له عصارة حمراء داكنة تستعمل فى الصباغة وقد عرف النبات باسم (ملوك) لأن عصارته كانت تستعمل فى صباغة الحرير القرمزى الذى اقتصر لبسه على الملوك والأباطرة فى العصر الرومانى . وفى الجبال ، الى الشرق من اخميم مغارات كثيرة بعضها مقابر والبعض الآخر كان يسكنه الرهبان هربا من ظلم أباطرة الرومان ، ويقول المقريزى (٣) ان بطرك قسطنطين واسمه نسطورس نفى الى اخميم لخلاف فى العقيدة بينه وبين بطرك الاسكندرية وروما ودمشق ، وأقام بها سبع سنوات ثم مات ودفن بها ، وقد دان بمذهب نسطورس ، نصارى ايران والعراق والموصل والجزيرة والفرات ، وعرفوا بالنساطرة .

وجاء فى كتاب البيان والاعراب (٤) أنه كان باخميم جماعة من بنى قرة فصيلة من بنى هلال بن عامر بن صعصعة الذى ينتهى نسبهم الى معد بن نزار ابن معد بن عدنان جد النبى عليه السلام ، كما كان بها نقيب أشراف يقال أنه من ذرية الشيخ كمال الدين ابن عبد الظاهر صاحب المقام الشهير بهذه البلدة. ومن أشهر أعلام مدينة اخميم أبو الفيض ذو النون بن ابراهيم المصرى ،

---

(١) معجم البلدان جـ ١ ص ١٥٣ .
(٢) أبو صالح الارمينى ص ٩٢ ، المقريزى جـ ٤ ص ٤١٧ .
(٣) المقريزى جـ ٤ ص ٤٠٧ .
(٤) المقريزى ص ٧٣ .

يقول عنه ابن خلكان ان أباه كان نوبيا من أهل اخميم وانه كان أعظم علماء عصره أدبا وعلما توفى سنة ٢٤٨ هـ ودفن بالقرافة الكبرى .

حرجا :

مدينة مصرية قديمة على الضفة الغربية للنيـل ، كانت تتبـع كورة القوصية فى العصر الفاطمى ولما ألغيت أعمال القوصـية فى العصر العثمانى أنشىء بدلها ولاية جديدة باسم جرجا ، وفى سنة ١٨٩٠ أصبح اسمها مديرية جرجا ، وقاعدتها جرجا وفى القرن العشرين أصبحت سوهاج قاعدة مديرية جرجا وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت جرجا مركزا فى محافظة سوهاج .

كانت مدينة جرجـا فى العصرين الفاطمى والمملوكى من أكبـر مدن الصعيد الأوسط وأشهرها (١) ، وكانت رقعتها متسـعة وأسـواقها غاصة بالبضائع المحـلية وخاصة صناعة الجلـود وصناعة الأثاث من الاخشاب ، وبالبضائع المستوردة من السودان . وكانت منازلهـا تتكون من طابقـين وأحيانا من ثلاثة ، وهى مبنية من الآجـر كما استعمل الزجاج للنـوافذ والفتحات ، وبها عشرون مسجدا وقد عرف أحدها باسم الجامـع الصينى وذلك لتغشية جدرانه الداخلية ببلاطات القاشانى الملون (٢) كما كان يوجد بها مساجد معلقة (لوحة رقم ١٨) .

كانت ولاية جرجا طوال العصور الوسطى مقرا لاقامة الولاة والحكام والصناجق كما أنها كانت ملجأ وملاذا للعاصـين من الأمراء الخارجين على سلطة الملك أو السلطان ، وكان حاكمها يقع تحت نفـوذه هواره ، وكذا أهل الواحات الجنوبية والوادى الكبير الذى يؤدى الى طريق القوافل السودانية . ويقول المقريزى (٣) ان الظاهر برقوق فى سنة ٧٨٥ هـ أنزل عرب هوارم ببلاد الصعيد بعد أن نزحوا من طرابلس الغرب وأقطعهم ناحية جرجا فأقاموا بها وعمروا واستقروا بها . وجاء فى الجبرتى(٤) أن عرب هواره كانت لهم مواقف مشرفة فى محاربة الحملة الفرنسية حين زحفت على الصعيد .

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣١٣ .
(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٠ ص ٥٣ .
(٣) البيان والاعراب ص ٣٧ .
(٤) الجبرتى جـ ١ ص ٥١ .

الآثار الباقية

الجامع العتيق بسوهاج : (لوحة رقم ١٦)

يرجع تاريخ هذا المسجد الى العصر الفاطمى كما هو ثابت فى لوح من الرخام مقاسه ٨٠×٥٠ سم ، جاء فيه ما يلى : وعمارته ولى عهد أمين المؤمنين ابن الامام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وعلى آبائه الطاهرين وابنائه الأكرمين شيد الله أركان الاسلام بعزائمه وامضى فى أعناق الدعاوى شغار صوارمه ، وانفذ فى أقطار البسيطة أحكامه وضاعف صلاته عليه وسلامه ، ابتغاء ثواب الله ومرضاته وتكثر البيوت عباداته ، واشعارا بتاريخ نزول النصر على جنده المنصورة وميقاته وذلك فى محرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

ويعرف هذا المسجد الآن باسم الفرشوطى ، ولم أجد لهذه التسمية من تعليل اللهم الا أن يكون واحد ممن تولى الامامة أو القراءة فيه من مدينة فرشوط بمحافظة قنا . ويحتوى المسجد على لوحة كتب عليها مرسوم صادر من السلطان الغورى يثبت فيه ملكية أصحاب الحرف فى عهده للاملاك التى وقفها عليهم ، ولكى يضمن لهذا المرسوم ، الدوام أثبته فى المسجد حتى يكسبه هيبة دينية . وقد كتب المرسوم على لوح من الرخام مقاسه ١٢٥×٥٠ سم مثبت على قاعدة المئذنة ونصه كما يلى :

(بسم الله الرحمن الرحيم رسم بأمر مولانا المقام الشريف السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى خلد الله ملكه وثبت قواعد دولته بمنع من يتعرض للبزازين والصناعية والفرازين والاسكافية بناحية سوهاج فى وقف الشهيد الأشرف قايتباى (سقى) الله عهده المنتهى بنظر المقر لاتابك قبة اتابك العساكر المنصورة أعز الله أنصاره . وان المغرم الذى عليهم مقطوع

لوالد الولد اكراما للنبى صلى الله عليه وسلم واستجلابا لدعاء المجابا فى الصحائف الشريفة يسر الله تعالى بتاريخ ..)

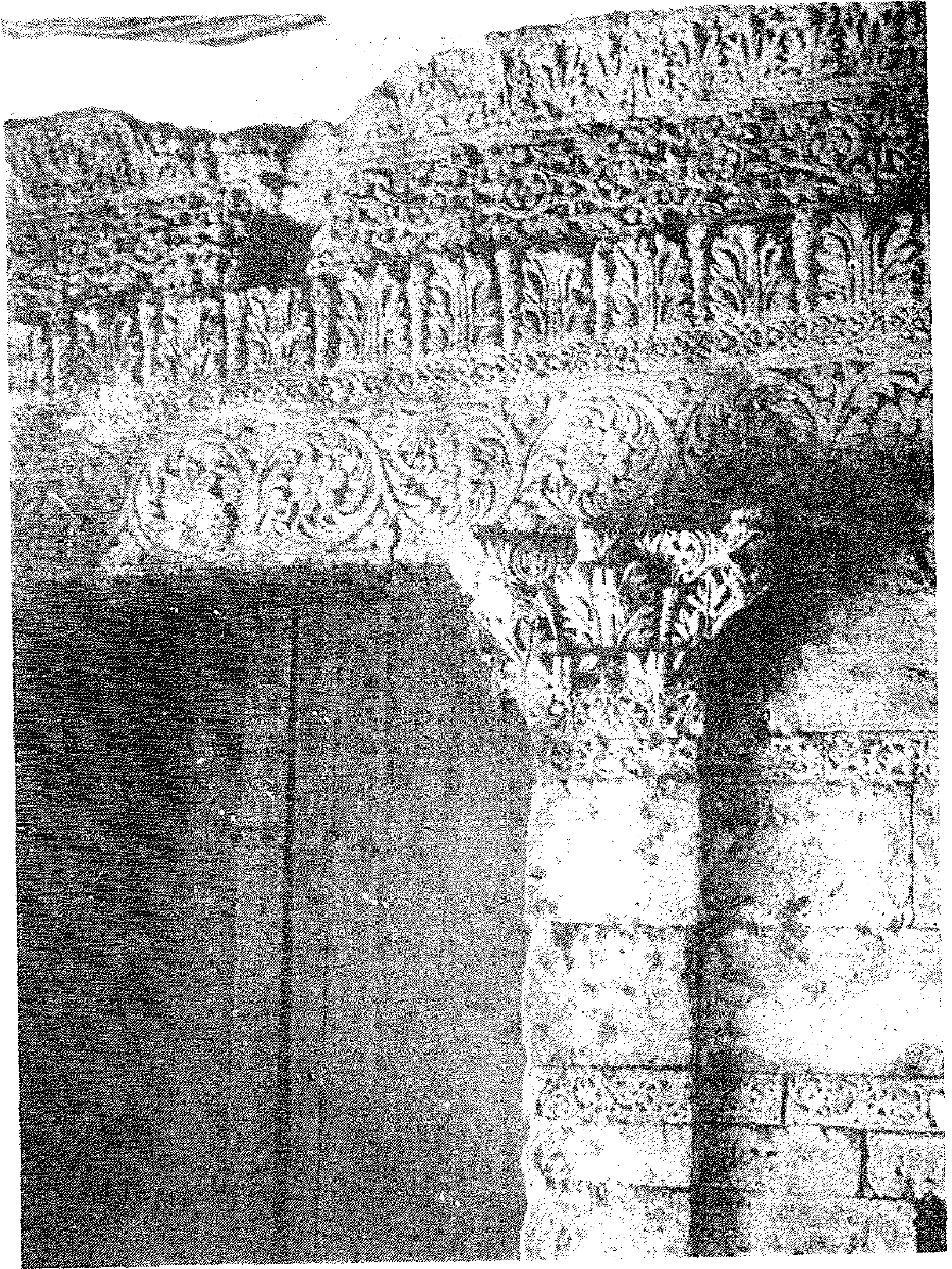
الجامع الصينى بجرجا : (لوحة رقم ١٩) .

أطلقت هذه التسمية على مسجد كان يقع على شاطىء النيل ، انشأه الأمير الكبير محمد بك الفقارى مملوك الأمير الفقارى ولما طغى النيل عليه كغيره من الأماكن المجاورة ، أمكن الاحتفاظ ببعض انقاضه ، وقام ببنائه من جديد الشيخ عبد المنعم المعروف بأبى بكرى ، وكان ذلك فى سنة ١٢٠٢ هـ والفراغ من منارته وبياضه سنة ١٢١٩ هـ .

ويقول الشيخ عبد الرحمن المصرى فى كتابه (تعطير النواحى)وسمى المسجد باسم الصينى نسبة الى أن جدرانه الداخلية كانت ولا تزال مغطاة ببلاطات من القاشانى ومن هنا جاءت التسمية . وقد كانت عادة تغشية المساجد بالقاشانى موجودة منذ العصر المملوكى ولكنها انتشرت على نطاق واسع فى العصر العثمانى .

جامع الأمير حسن باخميم :

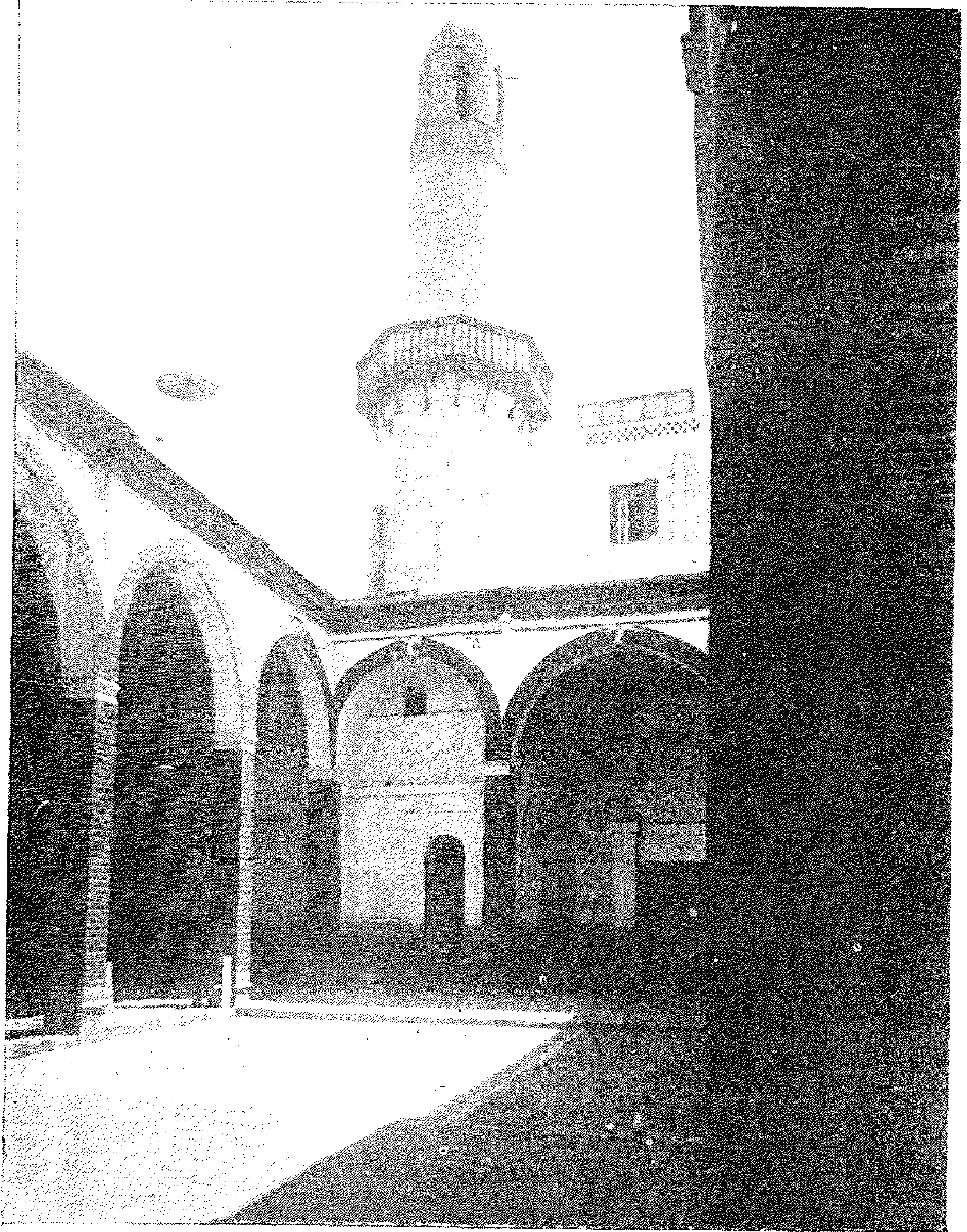
يمتاز هذا المسجد بمميزات خاصة غير مألوفة فى مساجد الصعيد ، ذلك ان سقفه محمول على أعمدة وأعتاب من الخشب ، رغم فقر البيئة للخشب وهو يشبه الى حد كبير مسجد سيدى جلال بمدينة جرجا . كما أن المحران مبنى من الحجر الملون باللون الأخضر ، مما أكسبه منظرا جميلا . والسقف حافل بالزخارف الزيتية وتحيط به وزرات خشبية كتب عليها آيات قرآنية . وكتب على الباب القبلى النص التالى : (العبد الفقير الراجى عفو ربه القدير المتوسل بسيد المرسلين الجناب العالى حاوى كملات المفاخر والمعالى الأمير الكبير الواثق بالملك الأمجد الامير حسن بن الأمير محمد كان الله له . وكان الفراغ من هذا المسجد فى غاية شهر ربيع الأول سنة ١١١٦ هـ) وقد كتب أعلى المحراب : (بسم‌الله الرحمن الرحيم‌انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى عمل هذا المسجد المبارك الأمير حسن بن محمد سنة ١١٢١ هـ . ونلاحظ هنا ان هذا التاريخ المكتوب على



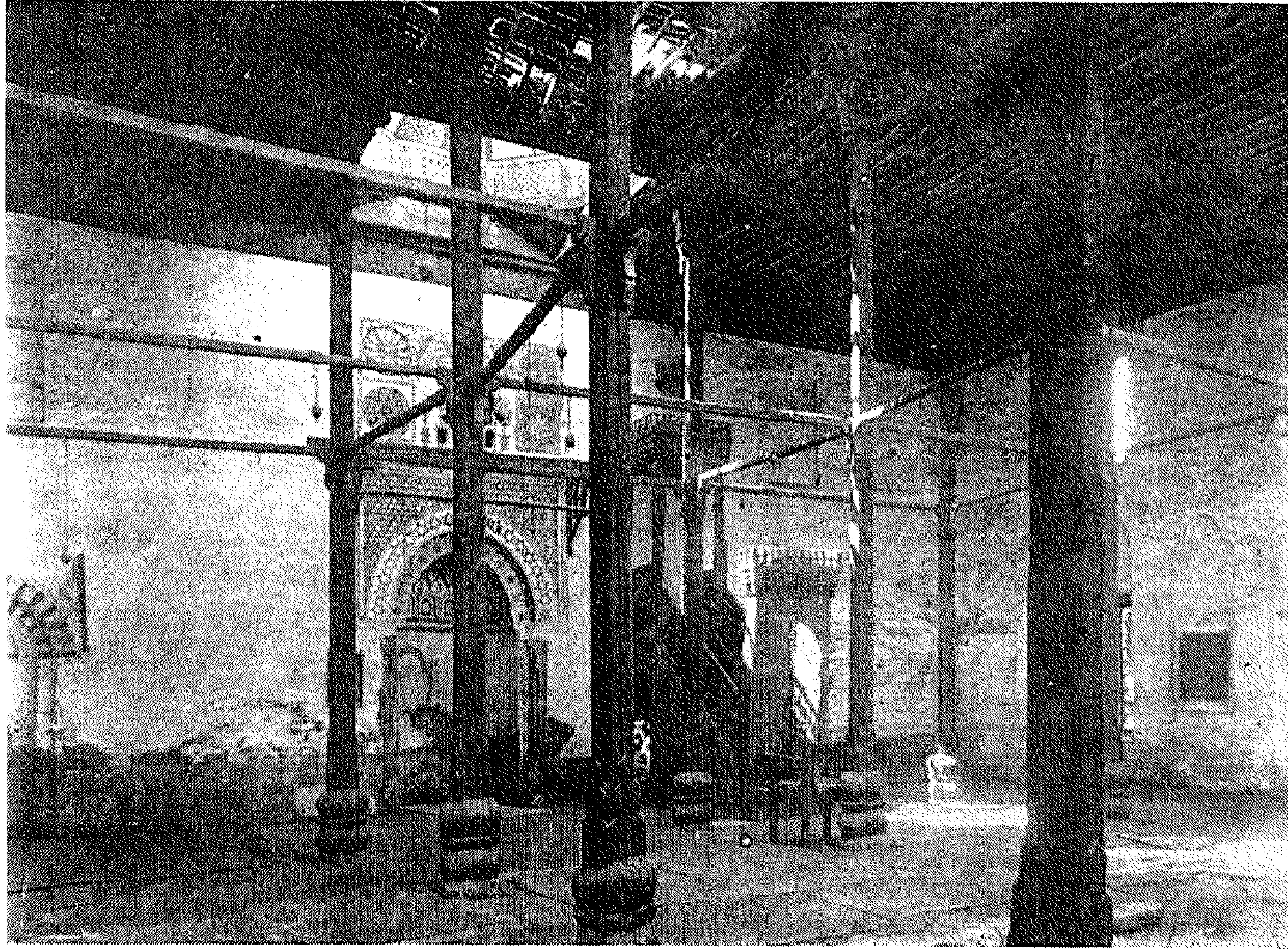
لوحة رقم (١٤) تبين المدخل الرئيسي للدير الاحمر . وقد ظهرت الزخارف النباتية الجميلة المنحوتة فى عتب الباب



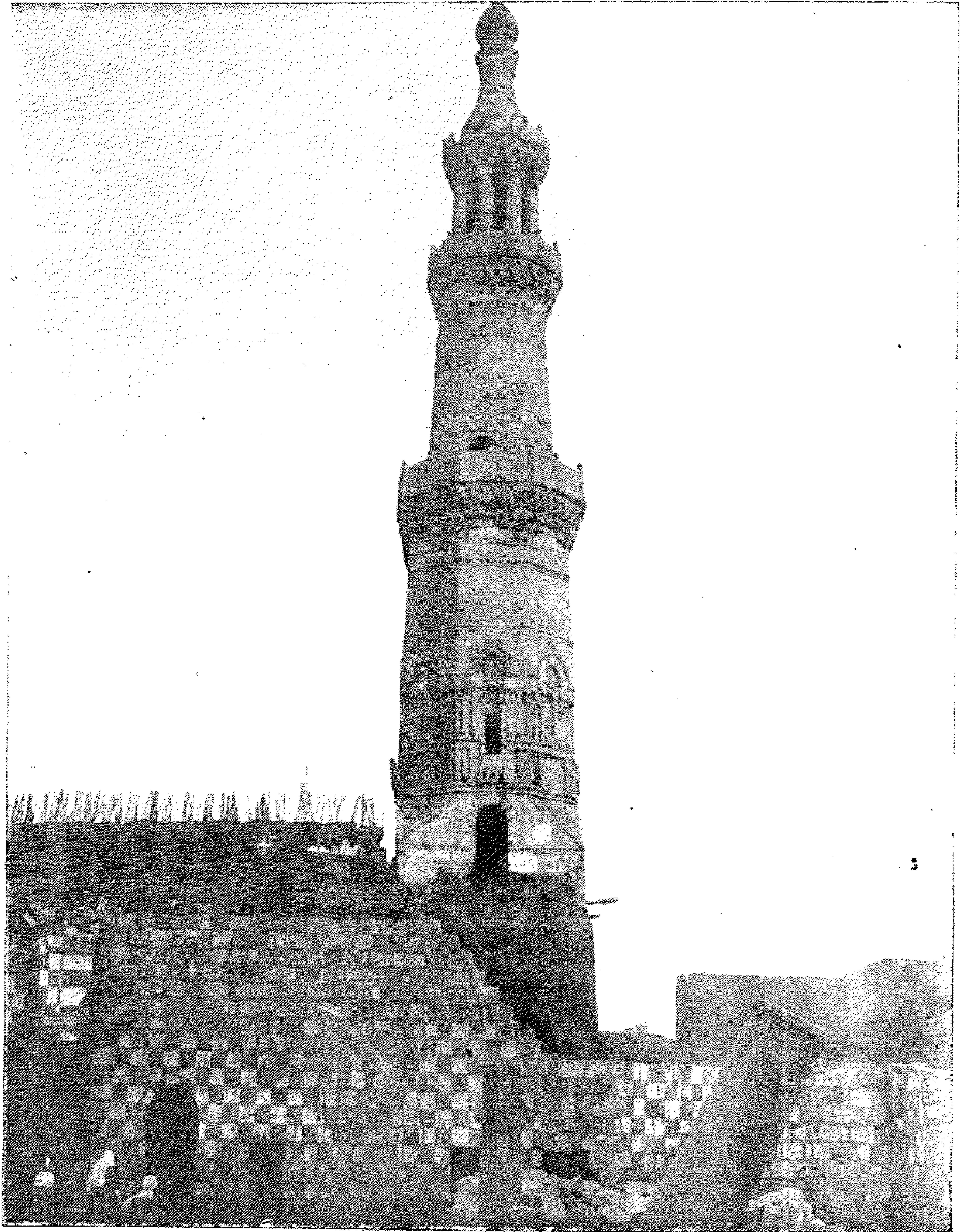
لوحة رقم (١٥) تبين المنظـر الخارجي للدير الابيض



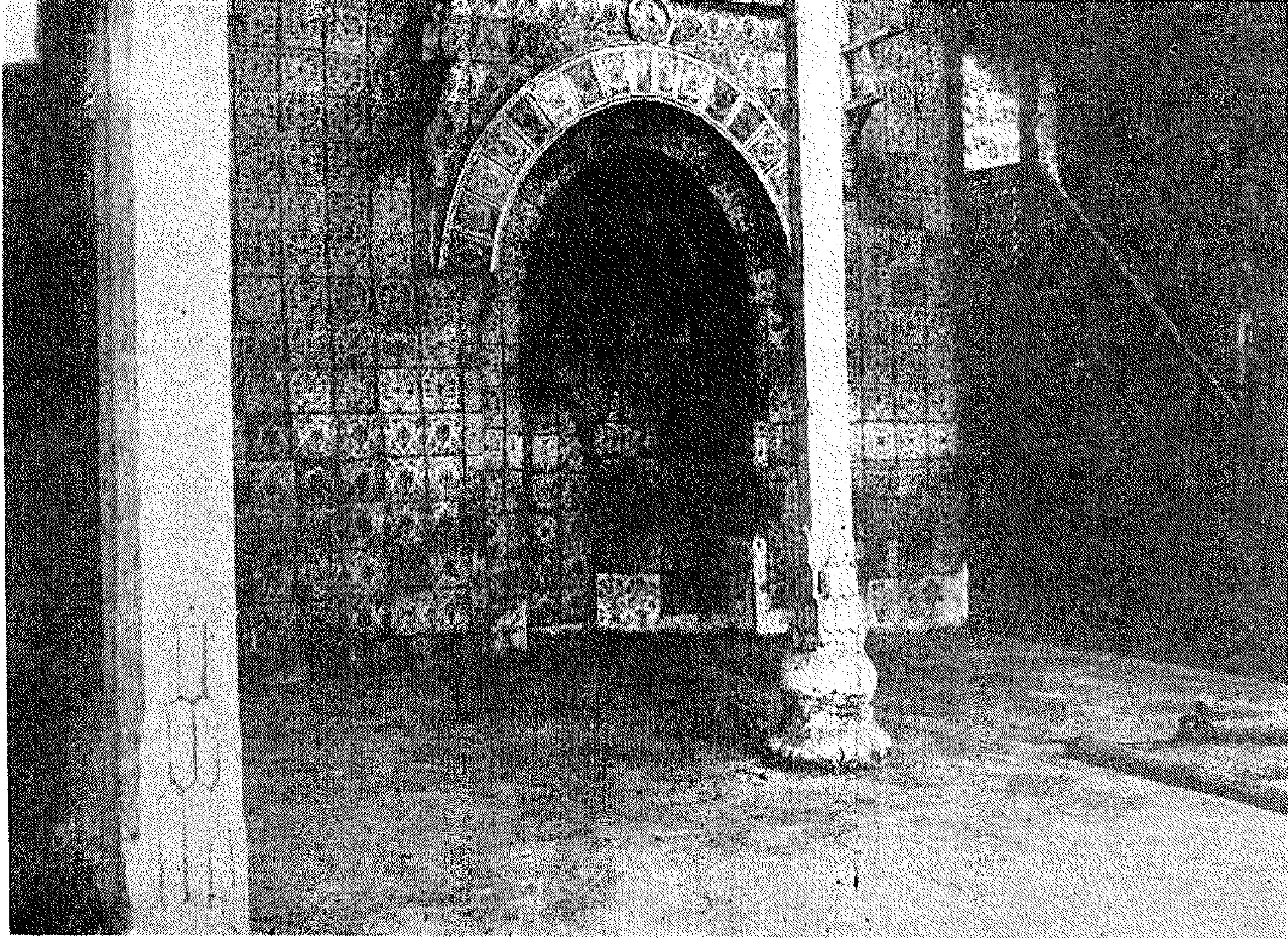
لوحة رقم (١٦) تبين صحن جامع الفرشوطى بمدينة سوهاج



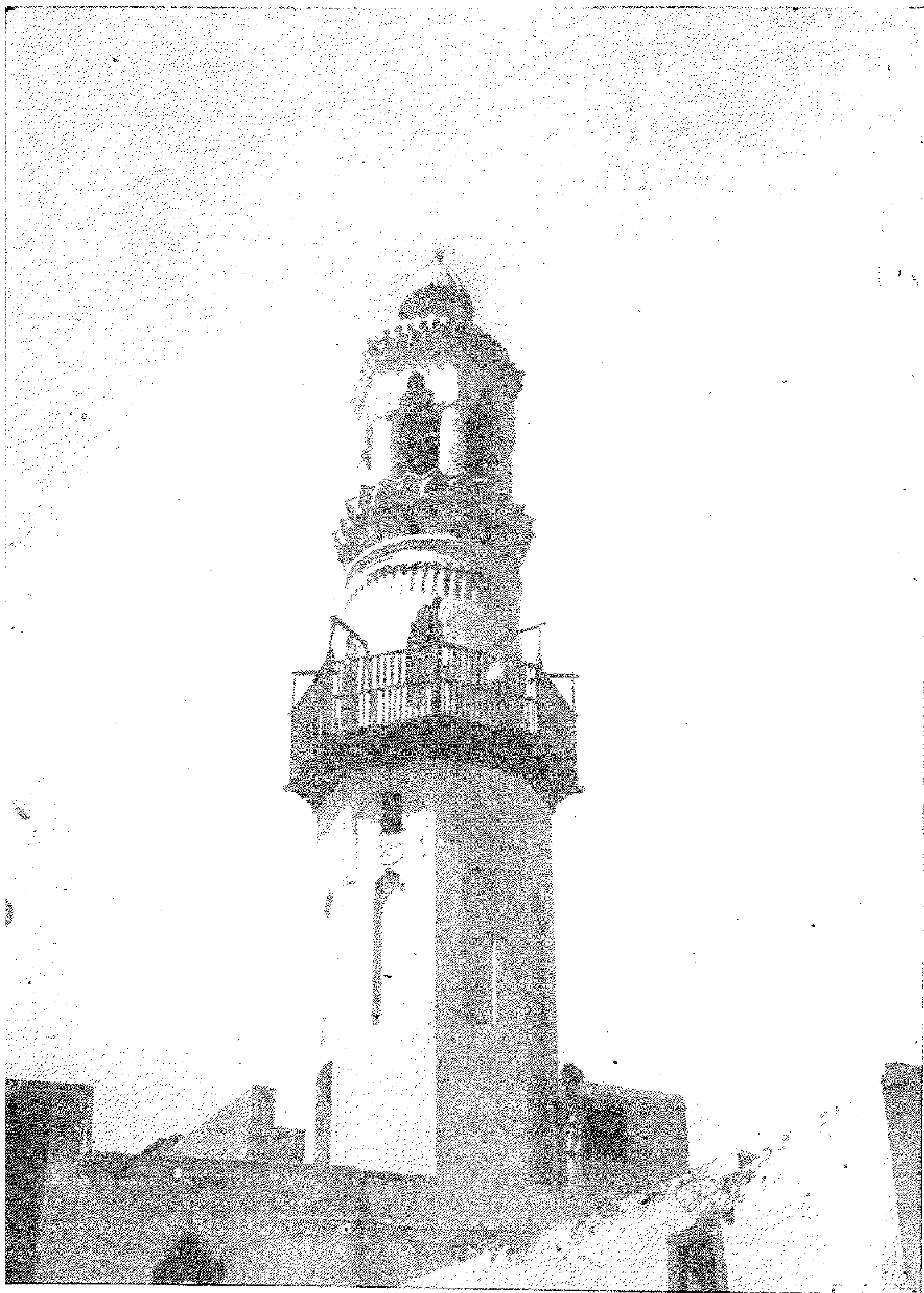
لوحة رقم (١٧) تبين رواق القبلة بمسجد سيدى جلال بمدينة جرجا . ونلاحظ ان الاعمــدة التى يرتكز عليهــا السقف من الخشــب وهو نادر فى مســاجد الوجه القبــلى



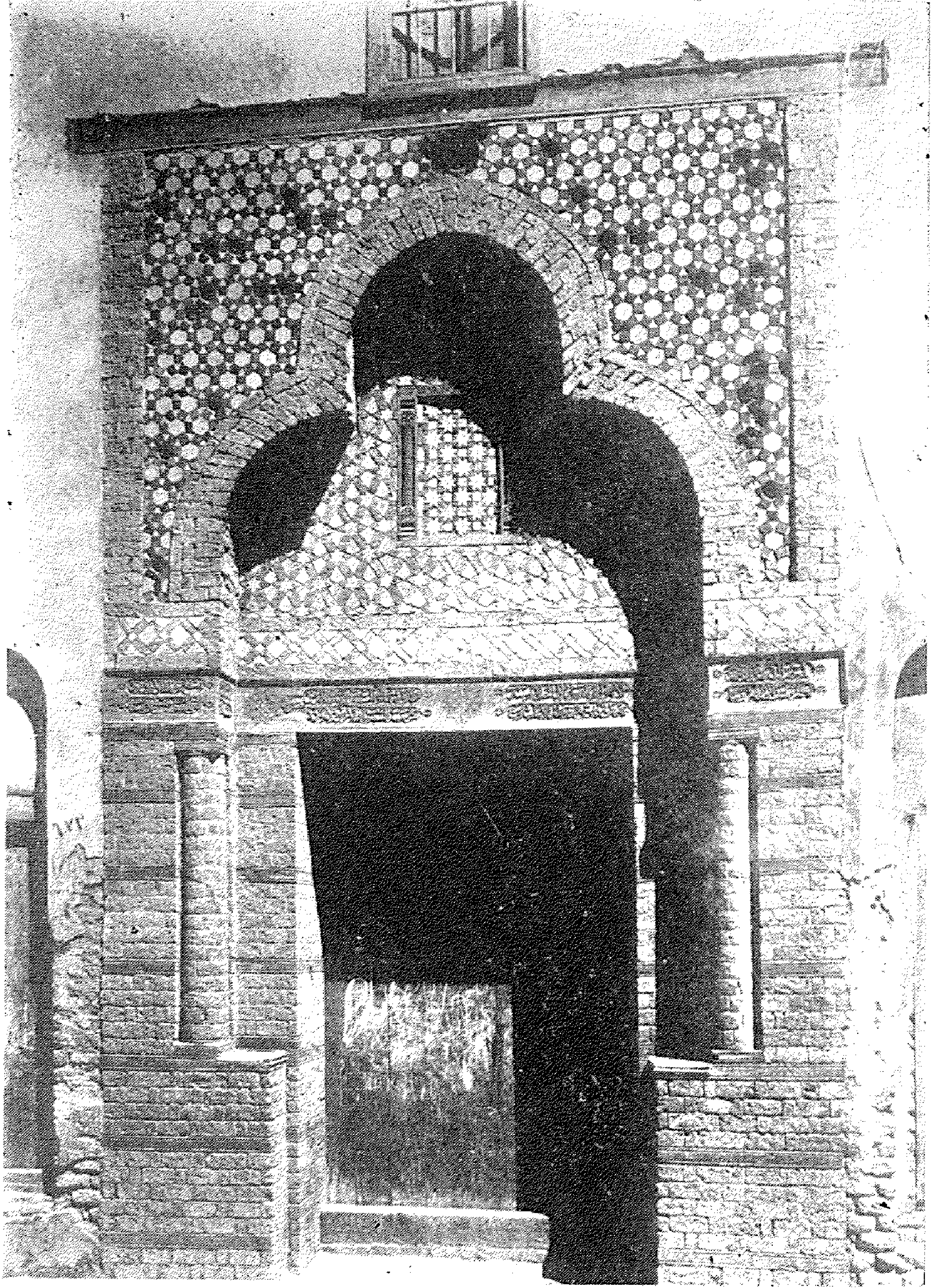
لوحة رقم (١٨) تبين منارة مسجد المتولى بمدينة جرجا



لوحة رقم (١٩) تبين رواق القبلة ومحراب الجامع الصينى بمدينة جرجا وقد
عرف بهذا الاسم لان جدرانه مغشاه ببلاطات القاشانى



لوحة رقم (٢٠) تبين مئذنة مسجد الكاشف بمحافظة سوهاج



لوحة رقم (٢١) تبين المدخل الرئيسى لمنزل البحيرى بمدينة أخميم

المحراب متأخر عن التاريخ المكتوب على الباب بنحو خمس سنوات ، وذلك يجعلنا نرجح أن بناء المسجد قد تم أولا سنة ١١١٦ هـ ثم استمر العمل فى الاعمال التكميلية الاخرى كالطلاء وتركيب الرخام والاخشاب والمنبر وغيرها حتى سنة ١١٢١ هـ .

وفى الجهة البحرية الغربية من المسجد نجد ضريح منشىء المسجد وقد كتب عليه : (هذا قبر المتوفى الى رحمة الله تعالى الأمير حسن بن الأمير محمد توفى ليلة الجمعة الغراء ٢٧ شهر جمادى الأولى سنة ١١٣٢ هـ) .

محافظة أسيوط

أسيوط بلدة مصرية قديمة على الشاطىء الغربى للنيل كانت طوال العصر الاسلامى حتى نهاية العصر المملوكى قاعدة لأعمال الأسيوطية ، وفى العهد العثمانى الغيت الأسيوطية وأضيفت الى ولايتى المنفلوطية وجرجا ، وفى سنة ١٨٢٦ أعيد انشـــاء مأمورية أسيوط ، وفى سنة ١٨٣٣ سميت مديرية وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت محافظة قاعدتها أسيوط .

عرفت أسيوط منذ أقدم العصـــور بخصـــوبة أرضها وكثرة خيراتها فقد ذكر الكندى (١) ، أن أحد عمال الخليفة هارون الرشيد وصف له بلاد الدنيا فما استحسن غير اسيوط ، وقال (٢) ياقوت ان كورة أسيوط كانت احدى منتزهات أبى الجيوش خمارويه . ويقول المقريزى (٣) ان أبا بكر الماردانى وزير هارون بن خمارويه حبس على الحرمين ضـــياعا تبلغ غلتها السنوية ما يقرب من مائة ألف دينار ، منها أسيوط وأعمالها . ويقول ياقوت ، ان خراج أسيوط ٣٦ ألف دينار أو زيادة ، ويضيف ، حدثنى بعض النصارى من أهلها ان فيها خمسا وسبعين كنيسة وهم بها كثير . وكانت أسيوط فى العصر المملوكى غاصة بالبضائع المحلية مثل الابزاز (التـــوابل) وقصب السكر والكتان والنيلة والأفيون ، والحبوب والبقول ، وكذا البضائع المستوردة ، ولعل السبب فى ازدحام مدينة أسيوط بالتجارة هو وقوعها عند نهاية درب الأربعين الذى يمتد من دارفور جنوبا واليها شمالا .

---

(١) النجوم الزاهرة — جـ ٥ ص ٢١٣ (الحاشية) .
(٢) ياقوت جـ ١ ص ٢٥١ .
(٣) المقريزى جـ ٢ ص ١١٧ .

ويقول المقريزى (١) ان فى اسيوط طائفة من أولاد اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد البـاقر بن الحسين بن على بن أبى طالب يعرفون باسم الشريف قاسم . وكانت أسيوط منبع العلماء وذوى الفضل ، ومن أجل علمائها أبو بكر كمال الدين السيوطى تولى منصب القضاء بها وتوفى سنة ٨٥٥ هـ ، وترك ابنه جلال الدين السيوطى وهو لم يولد بأسيوط ، وانما تنسب اليه من جهــة أبيه ، ويظن الكثيرون ان جــلال الدين دفن بأسيوط ولكنه توفى بالقاهرة ودفن بحــوش قوصون خارج باب القــرافة سنة ٩١١هـ . ومن النصارى نبغ أسعد بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن نينا شرف الدين مماتى، اتصل جده بأمير الجيوش بدر الجمالى وتولى استيفاء الديوان ، ولمـا مات تولى ابنه زكريا ديوان الجيش فى آخر دولة الفاطميين ، ثم خلفه ابنه أسعد بن مهذب على ديوان الجيش فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، وابنــه الملك العزيز عثمان ثم ولى النظارة وتوفى سنة ٦٠٦ هـ . ومن أبناء أسيوط البرره عمر مكرم ولد بها سنة ١٧٥٥ م وتعلم بالأزهر وقضى حياته الأخيرة فى خدمة القضايا الوطنية واستمر يناضل حتى توفى سنة ١٨٢٢م . وكأنما كانت الأقدار تحتفظ لأسيوط دائما حظها من المجد والذكر الحسن ، فلم تكد الأحداث تتوالى على مصر نتيجة خيانة الحاكم واغتصــاب المستعمر الدخيل لحقوق الشعب وأقواته حتى أشار التاريخ بأصبعه الى وليد من بنى مر احدى قرى أسيوط ، ألا وهو جمــال عبد الناصر الذى ولد فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨م وتولى قيادة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ المباركة ، كما تولى رياسة الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٩ .

واذا كان العالم العربى يفخر بالرئيس جمال عبد الناصر ويشيد بفضله الكثيرون من أقطاب السلام وأنصار التحرر فى العالم فان لأسيوط أن تتيه به تقديرا واكبارا .

وبأسيوط كثير من الآثار التى ترجع الى العصر الاســـلامى ، أهمها الجامع المعروف باسم سيد محمد البقلى وهو مهجور اليــوم ، ويتبين من

---

(١) البيان والاعراب ص ٣٤ .

الأجزاء الباقيـــة من أعمـــدته الجرانيتية وأرضية الفسقية الرخامية أنه من الكنائس التى تحولت الى جوامع فى أوائل العصر الاسلامى ، على أنه من المؤكد أنه عمر فى العصر المملوكى ، اذ وجد بجواره أحواض المياه التى كانت تشرب منها معسكرات المماليك (١) . ومن العمائر المدنية قنطرة تعرف باسم قنطرة المجذوب كانت توصـــل المياه الى بركة المجذوب ويرجع تاريخ هذه القنطرة على أقل تقدير الى العصر العثمانى ، اذ وجدت صورتها فى خرائط الحملة الفرنسية . ومن المساجد التى ترجع الى القرن ١٩ م مسجد سليم الكاشف الذى يقول عنه الجبرتى (٢) ، انه من المبانى العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر ، ويمتاز مسجد السنجق الذى يقع فى سوق الحمام ، بأنه مبنى بالطوب الأسود اللون الذى لاشبيه له بأسيوط ، أما من حيث التخطيط فهو يشبه مسجد محمد على بالقاهرة .

أبو تيج :

مدينة مصرية قديمة اسمها باشنا أى المخزن أو الشونة وترجمها الرومان الى بوتيكى ومنها اســـمها العربى أبو تيج (٣) . وفى سنة ١٨٣٣ م أنشىء قسم أبو تيج وجعلت أبو تيج قاعـــدة له ، وما زالت أبو تيج قاعدة لمركز أبو تيج أحـــد مراكز محافظة أســـيوط . ذكرها ياقوت (٤) فقال : بوتيج بلدة بالصعيد ، عامرة نزهة ذات نخيـــل وشـــجر وثير . وقال ابن دقمـــاق بوتيج من المـــدن المليحة بها جامع كبير قديم (اندثر الآن) وبها مـــدارس وحمام مليحة وقيسارية وفنادق ولها سوق أسبوعى كبير ويقوم بها قاض . ويقول المقريزى (٥) ، انه كان بالمدينة كنائس كثيرة تهدمت الآن (أى فى القرن ١٥ م) الا القليل . وكان بها دير يعـــرف باسم الحواريين فى مـــكان قفر ، وقد اختط الشيخ أبوبكر الشاذلى بجواره بلدة أسماها منشاة الشيخ .

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ١٠٨ .
(٢) الجبرتى جـ ١ ص ٩٢ .
(٣) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١٥٧ .
(٤) معجم البلدان جـ ٩ ص ١٠٩ .
(٥) المقريزى جـ ٣ ص ٤٠٩ .

وينسب الى هذه المدينة الشيخ عبد الرحمن عنبر البوتيجى الذى يقول عنه السخاوى (١) انه حضر دروسه بالمدرسة الفاضلية وتوفى سنة ٨٦٤ هـ .

منفلوط :

مدينة مصرية قديمة كانت تسمى منبالوط وهى كلمة قبطية معناها الحمر الوحشية ، وفى الروك الناصرى سنة ٣١٥ ١م أنشىء أقليم جديد فصلت قراه من أعمال الأشمونين ومن السيوطية وعرف بالأعمال المنفلوطية . وفى سنة ١٨٣١ م ضمت مأمورية منفلوط الى أسيوط وأصبحت من وقتها قسما من أسيوط (٢) . ويقول ابن جبير (٣) ان منفلوط ذات أسواق فيها سائر ما يحتاج اليه ، وفى نهاية من الطيب وليس فى صعيدمصر مثلها ، ويقول المقريزى (٤) ان عرب الجهات القبلية زاد تعديهم وافسادهم وفى سنة ٧٠١هـ فرضوا ضريبة على البياعين وأرباب الحرف والصنائع بمدينة منفلوط وأسيوط واحتقروا الحكام وعطلوهم عن جمع الأموال وجعلوا منهم رئيسين سموا أحدهم بيبرس والآخر سلار وجعلوا من تحت الرئيسين أمراء لبسوا السلاح على هيئة العساكر وأطلقوا المسجونين فاجتمع أولو الأمر وسيروا اليهم عدة جيوش فقضت عليهم قضاء مبرما ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك التاريخ .

ومن علماء منفلوط المشهورين (٥) محمد بن أبى بكر حريز ولد بها سنة ٨٠٤ هـ ثم انتقل الى القاهرة لطلب العلم ، ثم عاد الى منفلوط وولى القضاء بها ، ثم تولى القضاء بالديار المصرية .

ملوى :

تقع هذه المدينة على الجانب الغربى من النيل ويقول المقريزى انأرضها معروفة بزراعة قصب السكر وخاصة فى عصر الناصر محمد بن قلاوون .

---

(١) الضوء اللامع جـ ٧ ص ٦٣ .
(٢) القاموس الجغرافى .
(٣) ابن جبير .
(٤) السلوك ص ٩٥ .
(٥) الضوء اللامع جـ ٧ ص ١١٣ .

الآثار الباقية

١ — المسجد اليوسفي : (لوحة رقم ٢٦)

مسجد مربع الشكل يتكون من صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، ويتكون من أربعة صفوف من البوائك بكل منها ثمانية أعمدة تحمل عقودا مدببة من نوع العقود التي ظهرت فى أواخر العصر الفاطمي والتي عرفت باسم العقود الفارسية . وبايوان القبلة يوجد المحراب والمنبر ودكة المبلغ . وتوجد أمام المحراب قبة تشبه القباب الفاطمية . ويمتاز المنبر بأن جوانبه من الخشب الخرط كما تعلوه خوذة جميلة وقد كتب على لوحة على باب المنبر بخط ردىء النص الآتي :

١) تاريخ هذا المنبر المبـــارك .

٢) يوم الأحد المبارك سادس .

٣) عشر من شهر رمضان العظيم .

٤) قدره الذى (هو) من شهور سنه .

٥) سبعة وعشرين والف من

٦) الهجـــــرة .

ويوجد بالرواق القبلي صفان من البوائك بكل منها ثلاثة أعمدة تحمل أربعة عقود تشبهعقود رواق القبلة . أما الرواق الغربي فيحتوى على صفين من البوائك ، ويتكون الصف الأول المطل على صحن المسجد من ثمانيةأعمدة والصف الثاني من ستة أعمدة . وبالجهة الشمالية من هذا الرواق توجد قاعدة المئذنة وبابها . اما الرواق الشمالي فيحتوى على صفين من البوائك بكل منهما ثلاثة أعمدة .

ومما هو جدير بالملاحظة ان الأعمدة الكثيرة التي يزخر بها المســجد

والتى يبلغ عددها ٥٨ عمودا مختلفة التيجان فبعضها يونى والبعض كورنثى والبعض قبطى مما يدل على أنها جمعت من الآثار القديمة المتخربة المنتشرة بكثرة فى المنطقة .

ويوجد مدخل المسجد الرئيسى بالجهة الشمالية كما يوجد مدخل فى الجهة الجنوبية ، يجاوره مدخل ثالث صغير ، يوصل الى الميضأة ودور المياه المنشأة حديثا . كما فتح أحد نوافذ الواجهة الغربية وحول الى باب لدخول السيدات . وقد فتح فى جدران المسجد نوافذ كبيرة تعلوها أخرى صغيرة ، وقد اقفل الـكثير منها الآن بالآجر وحول جزء منها الى دواليب حائطية حديثة .

كما نلاحظ فى العقود التى تحيط بصحن المسجد انه تتخللها فتحات متعددة الاشكال بعضها مستديرة والبعض على شكل نجمة ذات ستة رؤوس ، وقد كان هذا الأسلوب سائدا فى العمائر الفاطمية ، كما سنراها فى مسجد العسقلانى . أما مئذنة المسجد فتتكون من دورتين وهى تشبه طراز المآذن السائد فى صعيد مصر .

وقد جاء فى الخطط التوفيقية ان هذا المسجد بنى مكان كنيسة بعد ان دخل بعض القسس فى الديانة الاسلامية قبل دخول الحملة الفرنسية بأربع عشرة سنة .

مسجد العسقلانى : (لوحة رقم ٢٧)

أنشأ هذا المسجد أمير اللواء ابراهيم قائمقام مصر فى محـرم سـنة ١١٩٣ هـ ٢٤ يناير سنة ١٧٧٩ م . وكان الساعى فى ذلك كماهو مدون على المدخل الشرقى للمسجد ، هو الأمير سليمان كاشف بنادر طوى ، ودفن بقبته الشيخ العسقلانى . وللمسجد مداخل ثلاثة يوصل الغربى منها الى المسجد مباشرة ، والشرقى يؤدى الى فضاء مسقوف يرتكز على عمود واحد ، ومنه الى باب آخر يؤدى الى داخل المسجد . وعلى يمين هذا الفضاء نجد القبة . أما المدخل البحـرى ، فتقع شرقيه المئذنة التى تعتبر نموذجا جميلا لمآذن الصعيد . أما داخل المسجد فيتكون من ثلاث بوائك ، البائكة الثانية والثالثة

تتكون كل منهما من أربعة أعمدة تحمل خمسة عقود مدببة تنتهى من أعلى بخط مستقيم . وبالواجهة الشرقية يوجد شـباكان من خشب الخرط على جانبى المدخل . والقبة تحتوى على ضريح الشيخ العسقلانى ، وقد استعيض عن المقرنصات التى تحمل القبة والتى تحول المربع الى دائرة أو شكل مثمن ، بأخشاب تحمل القبة ، وتحتوى القبة كذلك على مقصورة . وبالمسجد محراب حديث يعلوه زخارف جصية بديعة . وقد عثر فى هذا المسجد على اسم المعمار منقوشا فى لوحة أعلى مدخل القبة وهناك كتابات أخرى هى :

١) بسم الله الرحمن الرحيم . علمت به ما دمت حيا اما ترى ولما له نور علينا له فضلا .

٢) تباسما سمو السما قد علا محضره سلطان كراماته بنا . وفى خمسة مع واحد من محرم وضعنا اساسا والسور حلا به .

٣) هو العسقلانى الغيث لمن اتى على باب يرجو النوال ملاذه . وهذا البنا قد ارضوه ولى علا مقاما له المكروب يأتى بلا مهلا . ومن حساب العمل فى « ولى علا مقـــــاما له المكروب اتى بلا مهلا » يكون تاريخ التأسيس ١١٩٣ — ١٧٧٩ م أما اللوحة التى بداخل القبة فنصها كما يلى : « بسم الله الرحمن الرحيم الا ان أولياء الله .

٢) لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

٣) والمعمار فى هذا البناء المبارك (ابوا) زيد السراج غفر له .

اما الكتابة التى على المدخل الشرقى للمسجد : « انشأ هذا المكان امير اللواء ابراهيم قائمقام مصر حا لافى سنة ١١٩٣ هـ والساعى فى ذلك الأمير سليمان كاشف بنادر ملوى حالا » .

منفلوط :

مسجد على الكاشف جمال الدين

من بين البيوتات العريقة بمنفلوط بيت جمال الدين الذى كان تاجرا مشهورا ، اشتهر ابنه الأمير على كاشف جمال الدين وحسنت سيرته وكان خيرا بطبعه تقيا ورعا ، فقام ببناء كثير من المســاجد ، أشهرها مسجد على الكاشف . أنشأه سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٦٢ م) ويقع بشارع الكاشف .والمسجد

مربع الشكل ، ومدخله الرئيسى مبنى بالطوب (المنجور) أو (المكحل) ويقع فى الجهة الشمالية من المسجد وأمامه سلم دائرى من أربع درجات ويعلوه عتب من خشب مزخرف برسوم زيتية . ويعلو المدخل نافذة من الخشب الخرط الدقيق ، كما يحتوى على زخارف كتابية بالخشب الخرط (بالله يا محمد) . كذلك يوجد بواجهات المسجد الثلاث الأخرى شبابيك متعددة من الخشب الخرط فى أعلى الجدار ، وتوجد فتحات ونوافذ أخرى أسفلها . ويتكون سقف المسجد من (عروق) خشبية محمولة على (كمرات) خشبية تنتهى (بكرادى) ذات مقرنصات جميلة غاية فى الدقة والابداع . كما ترتكز بعض (الكمرات) الخشبية على أكتاف بنائية محمـــولة على أعمدة من الرخام . وبالواجهة القبلية باب يوصل الى فناء فسيح به دورة مياه حديثة فضلا عن مظلة محمولة على عمد رخامية وخشبية عليها زخارف زيتية بأسلوب الباروك والركوكو الذى كان سائدا فى العصر العثمانى . وكانت هذه المظلة مستعملة كميضأة قديما . وبالركن الجنوبى الغربى للمسجد يوجد باب يوصل الى حجرة خارجة عن سمت الواجهة ، وبهذه الغرفة ثلاثة دواليب . كما يوجد باب آخر يوصل الى دكة المبلغ ، والى حجرة أعلى الغرفة الســابقة والى مئذنة المسجد وسطحه . والمئــذنة خارجة عن سمت المســجد وتتكون من ثلاث دورات . وفى نهاية الواجهة البحرية من جهة الشرق يوجد باب يوصل الى حوض لسقى الدواب . تصـــل اليه المياه عن طريق الســاقية التى ما تزال موجودة .

وبالمسجد منبر خشبى من الخشب الخرط يمتاز ببابه الدائرى ، وهذا النوع من الأبواب الدائرية نادر فى المنابر الأثرية حيث لا يوجد منها سوى باب منبر خانقاه شيخو ومنبر مسجد بالهياتم . وبالمسجد كرسى للمصحف من الخشب الخرط كذلك . ومحراب المسجد مزخرف بالطوب (المنجـــــور أو المكحل) ويكتنفه عمودان من الرخام ، ويعلوه لوحة رخامية نقش عليها اسم المنشىء وتاريخ الانشاء ونصها كالآتى :

بسم الله الرحمن الرحيم وبشر المؤمنين يا محمد لا اله الا الله محمـــد رسول الله .

أسس هــذا المسـجد المعمــورا عبــد فقيــر مرتجى الأجـــورا
يسمى عــلى كاشف جمــال الدين عـــرف بلطف ربه الفغـــورا
وأعطى المأمـــــــول فى الدارين وفى الجنــان مســـكن مسرورا
فى ســـــتة وســـــبعين من مــع مائة والألف جــار مشــهورا

مدينة أسيوط :

مسجد المجاهدين : (لوحة رقم ٢٢)

أسس هذا المسجد أمير اللــواء السـلطانى محمــد سنة ١١٢٠ هـ — ١٧٠٨ م ، وقد تهدم معظم المسجد القديم ولم يبق منه غير مدخله المبنى من الطوب (المنجور) . ومبنى المئذنة مكون من أربعة طوابق وهو خارج عن سمت المسجد . وتوجد بأعلى المدخل لوحة متاسها ٥٠×٨٠ سم طليت باللون الأسود ونقش عليها النص الآتى :

١ — الله من على الصعيد وأهله ٢ — بمحمد أمير اللواء السلطانى ٣ — من جاز أوصــاف الكمال بأمرها ٤ — عين الأكابر عمــد الأعيــان ٥ — حرم بأسيوط بنا لربه ٦ — يرجو ثواب الواحد المنان ٧ — اكرم به من مسجد ارخته ٨ — تم الفتاح به وفاز البانى . سنة ١١٢٠ هـ . أما باقى المسجد فقد جدد حديثا .

وكالة بيت شلبى (لوحة رقم ٢٣) .

تعتبر هذه الوكالة من الوكالات الهامة بأسيوط ، لأنها على الرغم من صغر مساحتها فانها حوت جميع التفاصيل التى نجدها فى الوكالات الكبيرة التى كانت تزخر بها مدينة أسيوط واندثر معظمها الآن . وتتكون الوكالةمن طابقين كل منهما مكون من عــدة حواصل (أى غرف بدون نوافذ وسقفها مقبى) تشرف على فناء مكشوف يغطيه الآن سقف حادث . ومدخل الوكالة من الطوب (المنجور) يعلوه عتب من الخشب المزخــرف . وفوق المدخل نافذة من الخشب الخرط . ويؤدى المدخل الى ردهة معقودة باقباء متقاطعة .

قنطرة المجذوب : (لوحة رقم ٢٥)

جــاء فى محــاضر لجنــة حفظ الآثار ان هــذه القنطــرة ترجــع الى عهــد الســلطان الأشرف برســباى الذى حكم من ســنة ٨٢٥ هـ الى

سنة ٨٤١هـ لوجود رسم فهد على القنطرة وهو الشارة المميزة لرنك السلطان برسباى . كما يؤيد ذلك وجود أملاك لبرسباى فى زمام ناحيتى درنكه وربقة التى تقع الآن بحوض الزنار الذى يقع جنوب هذه القنطرة مباشرة . هذا فضلا عن وجود أراضى أخرى له فى جهة قريبة من المنطقة .

الدير المحرق : (لوحة رقم ٢٨)

يقع هذا الدير فى الصحراء الغربية ويمكن الوصول اليه من محطة نزالى جنوب . بناه الانبا باخموس فى أوائل القرن الخامس الميلادى فى المكان الذى قيل ان العائلة المقدسة اختفت فيه أثناء هربها الى مصر بصحراء قوسقام المحرقة . وكلمة قوسقام قبطية معناها كفن الحلفا ، لأن الفقراء من أهالى المنطقة كانوا يكفنون موتاهم بالحلفاء لكثرة وجودها بها ، كما يقول أبو صالح الأرمينى . أما تسمية المنطقة بالمحرقة فيرجع الى الحرائق التى كانت تحدث بصفة دائمة بالحلفاء التى كانت منتشرة بالمنطقة . وهناك رأى آخر يقول ان تسمية الدير بالمحرق يرجع الى حريقة حدثت له أثناء اغارة الأشمونين على والى القوصية وانتصاره عليهم . ورأى ثالث يقول سمى كذلك لوجوده بالقرب من حوض المحرق الذى سمى بهذا الاسم لتعرض الحوض لنضوب الماء قبل باقى الحياض .

وقد وضع الأستاذ مونوريه دى فيلار بحثا معماريا قيما باللغة الايطالية عن هذا الدير طبع فى ميلانو سنة ١٩٢٨ ، وألحق به عدة لوحات من الآثار القبطية والاسلامية التى اتبعت فيها طريقة التغطية بالقباب ، وكذلك الابراج الموجودة فى مختلف الاديرة كما بين عناصرها المعمارية المختلفة .

ومن أهم اجزاء الدير الكنيسة التى أطلق عليها اسم البيعة والبرج ، كما أطلق المؤرخون عليها فى العصور الوسطى اسم الجوسق . وتعتبر كنيسة الدير أقدم بيعة انشئت فى العصر المسيحى بمصر العليا ، وقد سبقتها بيعة الاسكندرية ، وتتكون الكنيسة من قسمين ، الأول مكون من فناء مسقوف بسقف خشبى يتوصل اليه من باب معقود مبنى من الطوب المنجور . والواجهة البحرية لهذا الفناء ، لها باب يوصل الى القسم الثانى المكون من صفين من الاعمدة التى تحمل عقودا تشبه عقود العصر الفاطمى والتى عرفت

(بالفارسية) . وتحمل هذه العقود بدورها القبـــاب التى تكون سقف الكنيسة . وقد تهدم منها قبتان بالواجهة الشمالية واستعيض عنهما بسقف خشبى . وكان يعلو هذه الكنيسة ، كنيسة أخرى باسم القديس تكلا هبتون الحبشى ، ازيلت فى سنة ١٩٢٨ ، للتخفيف على مبانى الكنيسة السفلى . كما ازيلت بعض الملحقات التى ورد ذكرها فى كتاب (مونوريه فيلادر) . ويوجد بالكنيسة ثلاثة هياكل فى القسم الشرقى أوسطها أوسعها ويتقدمه حجــاب حاجز من خشب الخرط الجميل الصنع .

أما الحصن وهو الذى يطلق عليه اســم (الجوسق) فيقال انه انشىء ســنة ٧٥٠ م ويقع فى الجهة الشــمالية من الكنيسة ويتكون من قسمين الأول عبارة عن برج صغير يصل بينه وبين القســـم الثانى كوبرى خشبى متحرك . ويتكون الحصـــن من ثلاثة ادوار ، يوصــــل الكوبرى الخشبى السابق الذكر الى الدور الأول ومن هــذا الدور يمكن الهبوط الى الدور الأرضى أو الصعود الى الدور الثانى عن طريق سلم يوجد فى الجهة الغربية . وبالدور الارضى ردهه على يمينها باب يوصل الى البئر والحوض ، كمــا يوجد به حجرة أخرى . وعلى اليسار توجد حجرتان كانتا تستعملان كمخازن، وقد استحدثت مبان جديدة غيرت من معالم فتحات هذه الحجرات ، ممـــا ترتب عليه وجود خلاف بين التخطيط الحالى وبين التخطيط الذى وضعه (مونوريه) . ويتكون الـــدور الأول من ممر مسقوف باقبـــاء متقاطعة (Cross - Vault) ، وبصدره صفة معقودة بقبتها بكرة يتصل بها حبل الكوبرى لرفعه فى حالة مهاجمة الحصن . وعلى يســار الدور الأول توجد قلايتان والى اليمن باب يوصل الى السلم . ويوجد بالدور العلوى للحصن كنيسة صغيرة حديثة وبعض حجرات ، ويصــل السلم الى سطح الحصن . كما يوجد بهذا الدور حجرتان لدفن الموتى فى حالة الحصار . كما توجد به كذلك خارجه (Machacoli) لالقاء النار على الاعداء أثناء الحصار .

وقد ذكر أبو صالح الأرمينى أن الخليفة الفاطمى الحافظ (سنة ١١٣١ هـ ــ سنة ١١٤٩م) جدد هــذا الجوسق ، وذلك على يد ابو ذكرى بن بونصر عامل الاشمونين .

دير أبو فانا : (لوحة رقم ٣٠)

يقع هذا الدير منعزلا فى الصحراء على بعد خمسة كيلو مترات من قصر (هور) مركز المحرس بمحافظة أسيوط . وقد غطت الرمال معظم حوائطه الخارجية . والدير عبارة عن مساحة مستطيلة تحيط بها أسوار مبنية بالطوب الآجر وبعض أجزاء منه بالطوب اللبن وبعضها متهدم تماما . ونلاحظ ان داخل الدير منخفض عن سطح الأرض . ويقع مدخل الدير فى نهاية الواجهة الشرقية من الجهة الشمالية . وفى الواجهة الشمالية ثلاث دعامات لسند الحائط ، وبالواجهة الجنوبية باب يوصل الى فضاء مكشوف يوجد به « بئر » وعلى يمين الفضاء بقايا مبان كانت تستعملها الرهبان وتكاد تكون متخربة تماما وبها زخارف بسيطة . وعلى يسار هذا الفضاء توجد الكنيسة ذات التخطيط المستطيل ، ويقسمها صفان من الأعمدة الى ثلاثة أروقة على نظام (البازليكا) وكل صف مكون من ثلاثة أعمدة ، والرواق الأوسط أوسعها ويفصله عن دركاه الهيكل حوائط مبنية وحجاب حاجز من الخشب الخرط . ويغطى دركاه الهيكل قباب يفصلها عن الهيكل الواقع بالجهة الشرقية حجاب آخر من الخشب الخرط ، والهيكل دائرى الشكل وقد زخرف برسوم جصيه وأخرى بالفرسكو ، ويكتنف الهيكل حجرتان سقط سقفهما . والحائط الغربى لسور الدير تسنده ثلاث دعامات ساندة . ونلاحظ فى هذا الحائط وجود أنابيب فخارية تخترق الحائط وفى وضع مائل ، وقد جاء فى محاضر لجنة حفظ الآثار أنها تشبه قواديس الحمام ، ولكنها فى الواقع تشبه الأنابيب الفخارية الموجودة فى اقباء ايوانات القصور الساسانية بقصد التهوية كما هو الحال فى طاق (١) كسرى بالقرب من مدينة بغداد ، وكما هو الحال فى قصور الدولة العباسية فى مدينة سمارا مثل قصر المعشوق (٢) وغيره من القصور التى بنيت فى القرن التاسع الميلادى بالعراق .

كنيسة دير أبو حنس : (لوحة رقم ٢٩)

يقع هذا الدير فى الضفة الشرقية للنيل بقرية (أبو حنس) ولم يبق منه غير الكنيسة التى أنشئت على النظام البازيليكى والتى ترجع الى القرن

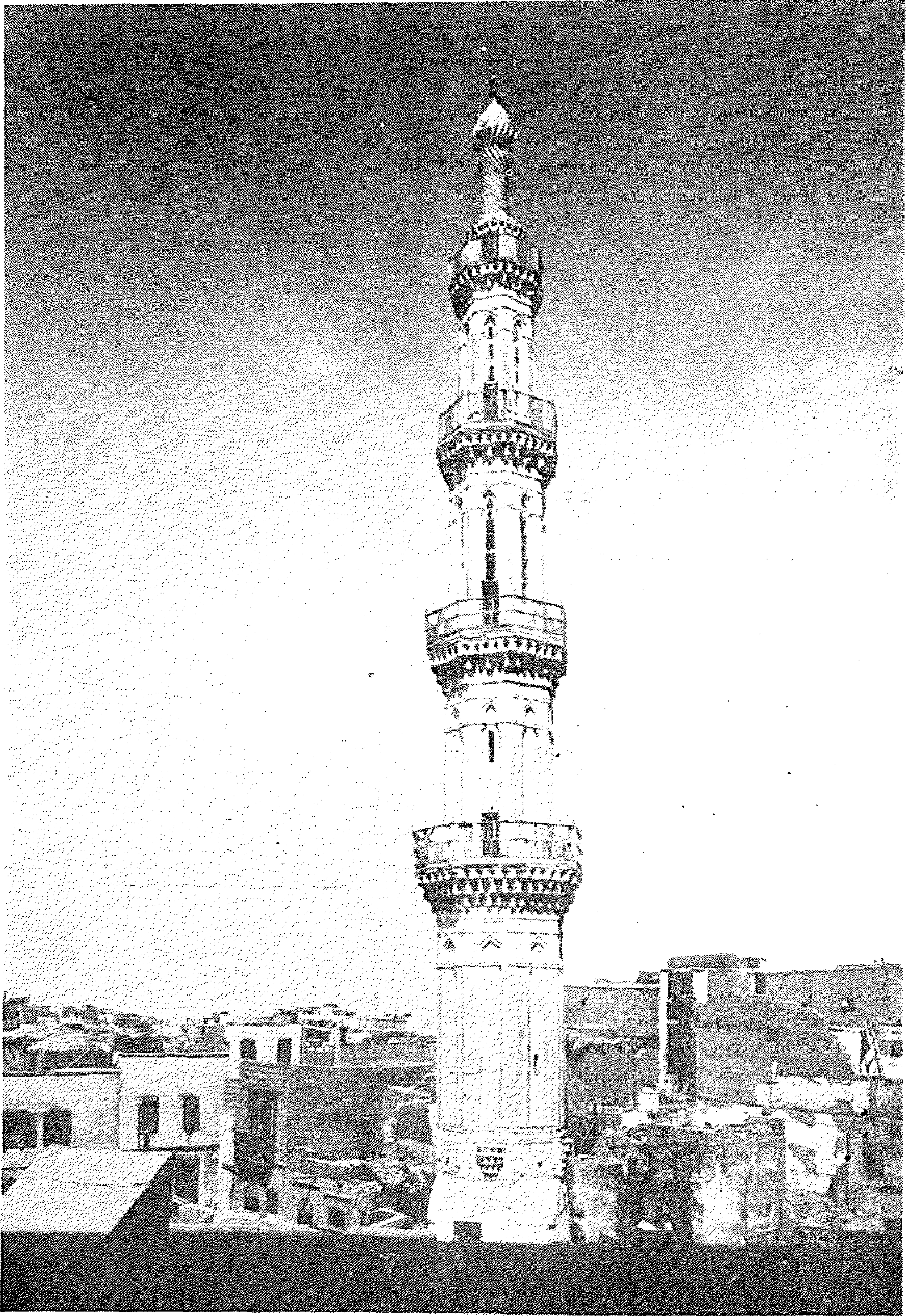
(1) Survey of Persian. Art : vol. 1 p. 215

(2) Creswell Muslim architecture. val. 11 p. 136.

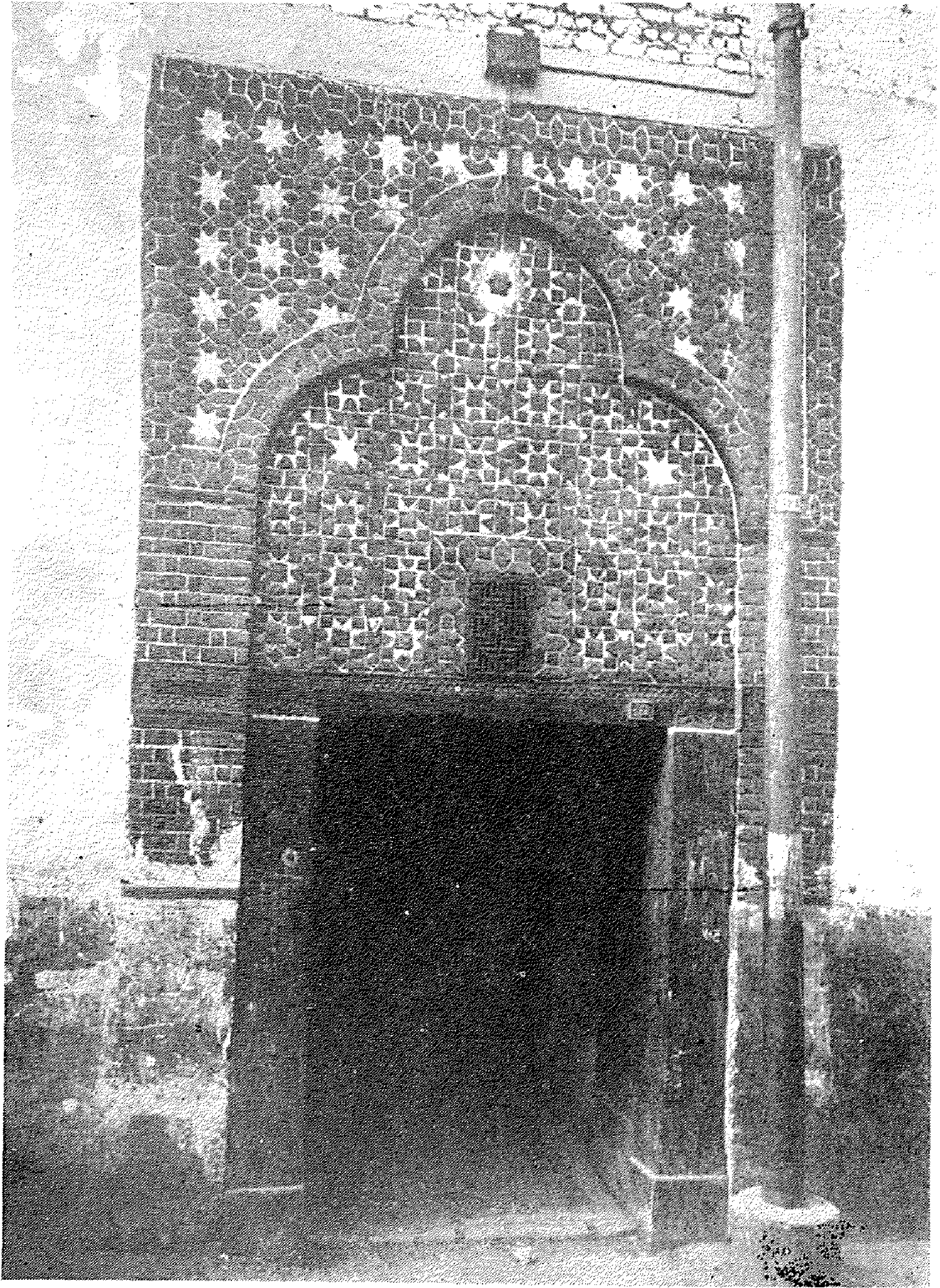
الخامس الميلادى . وهذه الكنيسة على جانب كبير من الأهمية رغم ما أدخل عليها من تعديلات كثيرة ، بسبب ما أصاب أخشاب الكنيسة من تآكل من حشرة (القرضة) كما ذكر أبو صالح الأرمينى . فقد كان سقفها من الخشب، فاستبدل به قباب من الطوب ، كما استعيض عن الأعمـدة الخشبية بأخرى مبنية لحمل عقود القباب . ويدل اتساع مساحة الكنيسة على كبر مساحة الدير الذى ألحقت به الكنيسة . وقد جاء وصف الكنيسة وافيا مفصلا فى كتاب الكنائس والأديرة (١) (Somer Clerk) .

---

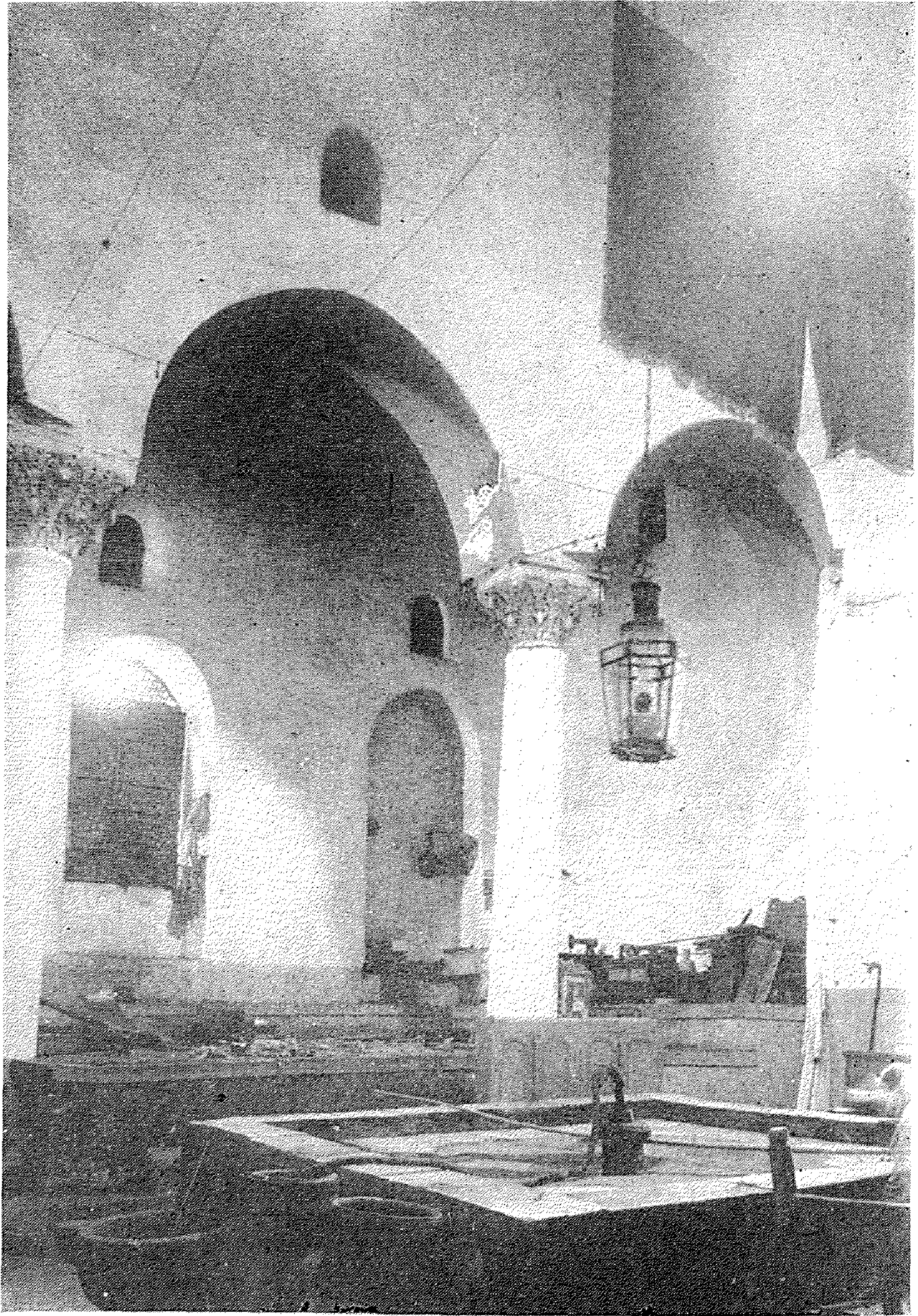
(1) Somer Clerk. p . 111 - 118 .



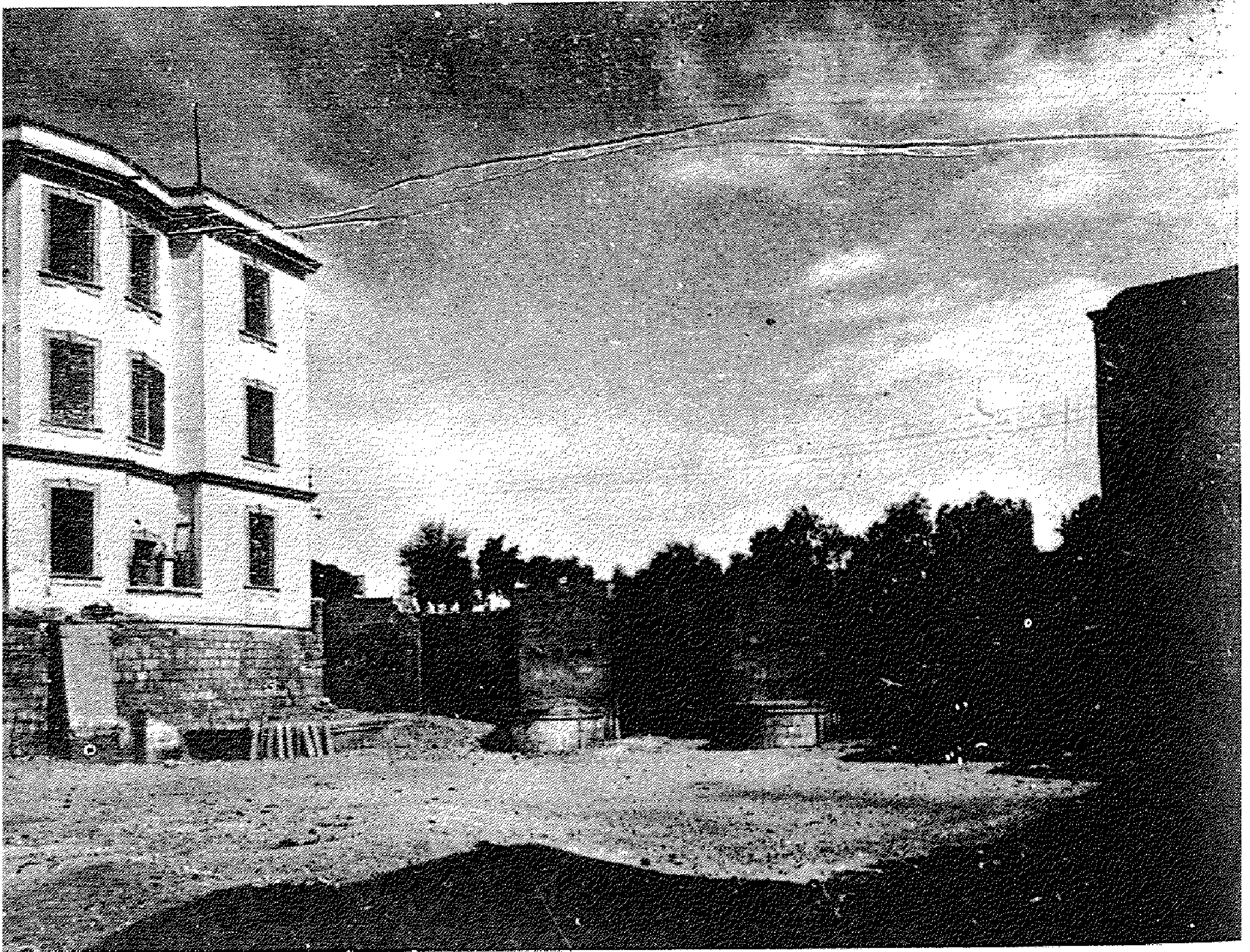
لوحة رقم (٢٢) تبين مئذنة مسجد المجاهدين بمدينة أسيوط • ويرجع تأسيسه
الى العصر العثمانى



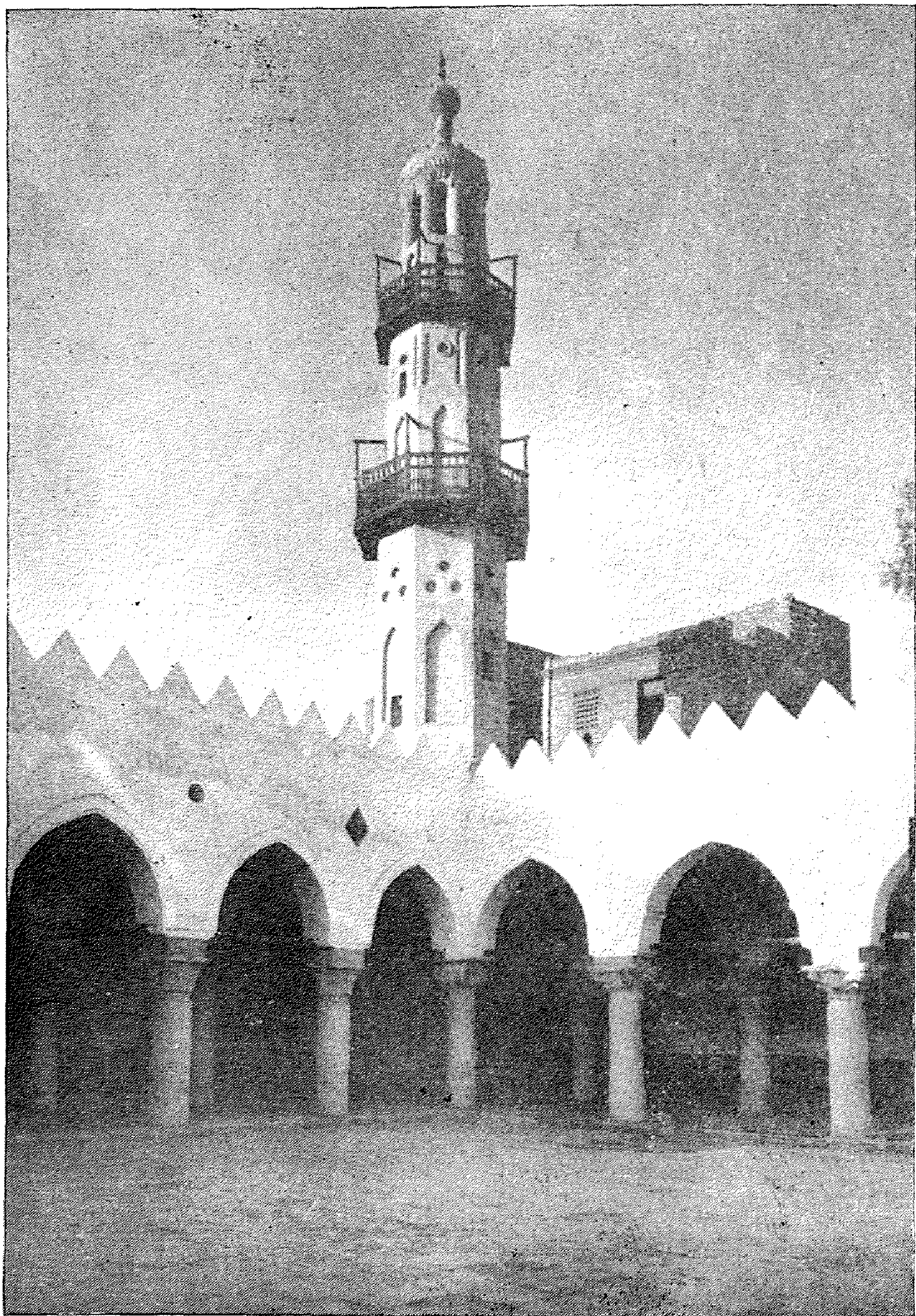
لوحة رقم (٢٣) تبين مدخل وكالة بيت شلبي بمدينة أسيوط ، وقد زخرفت
وجهته بالطوب المنجور



لوحة رقم (٢٤) تبين النافورة التى تتوسط حمام الدفتردار بمدينة أسيوط



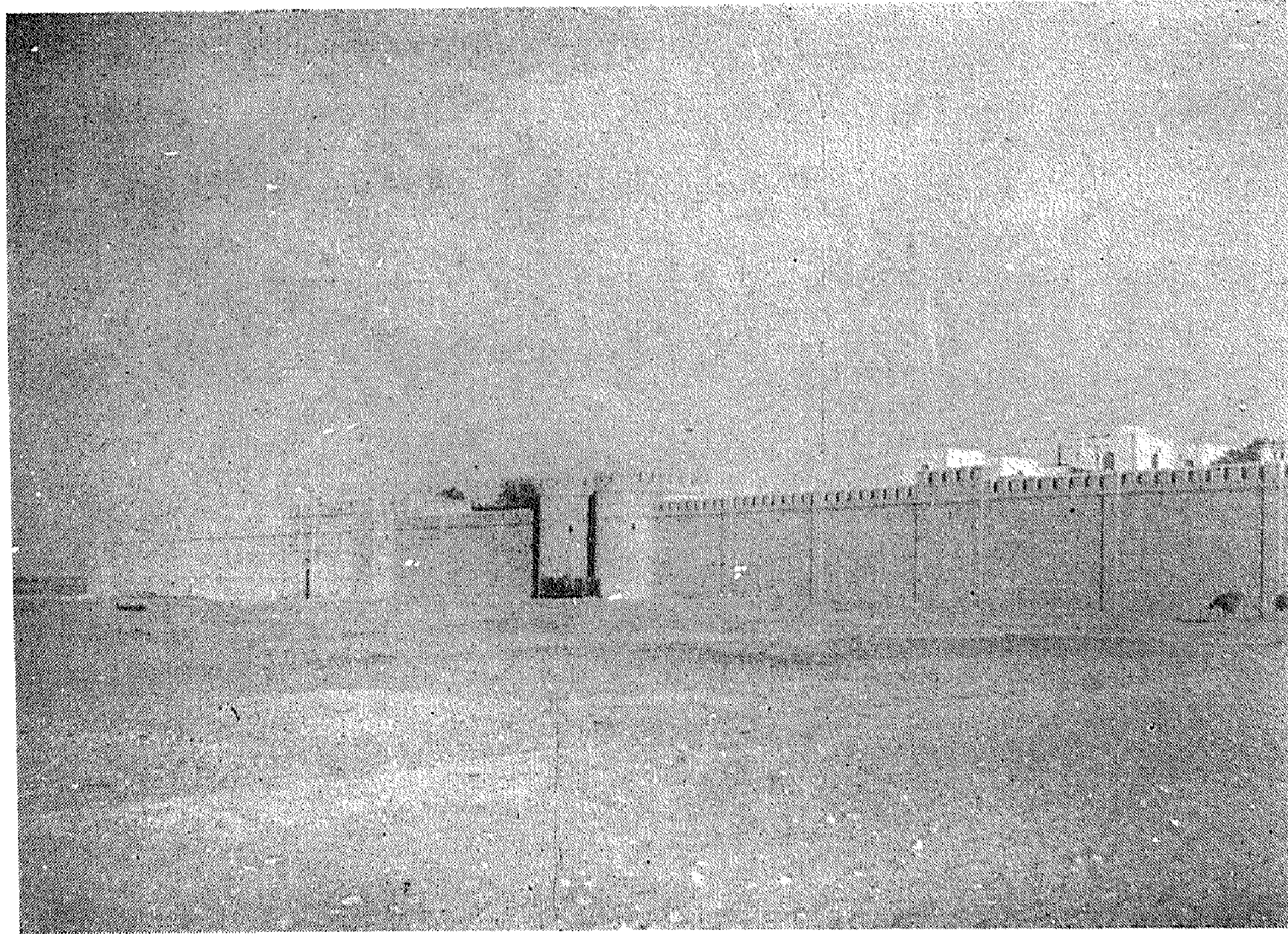
لوحة رقم (٢٥) تبين قناطر المجذوب بمدينة أسيوط التى ترجع الى عصر
السلطان برسباى فى القرن الخامس عشر



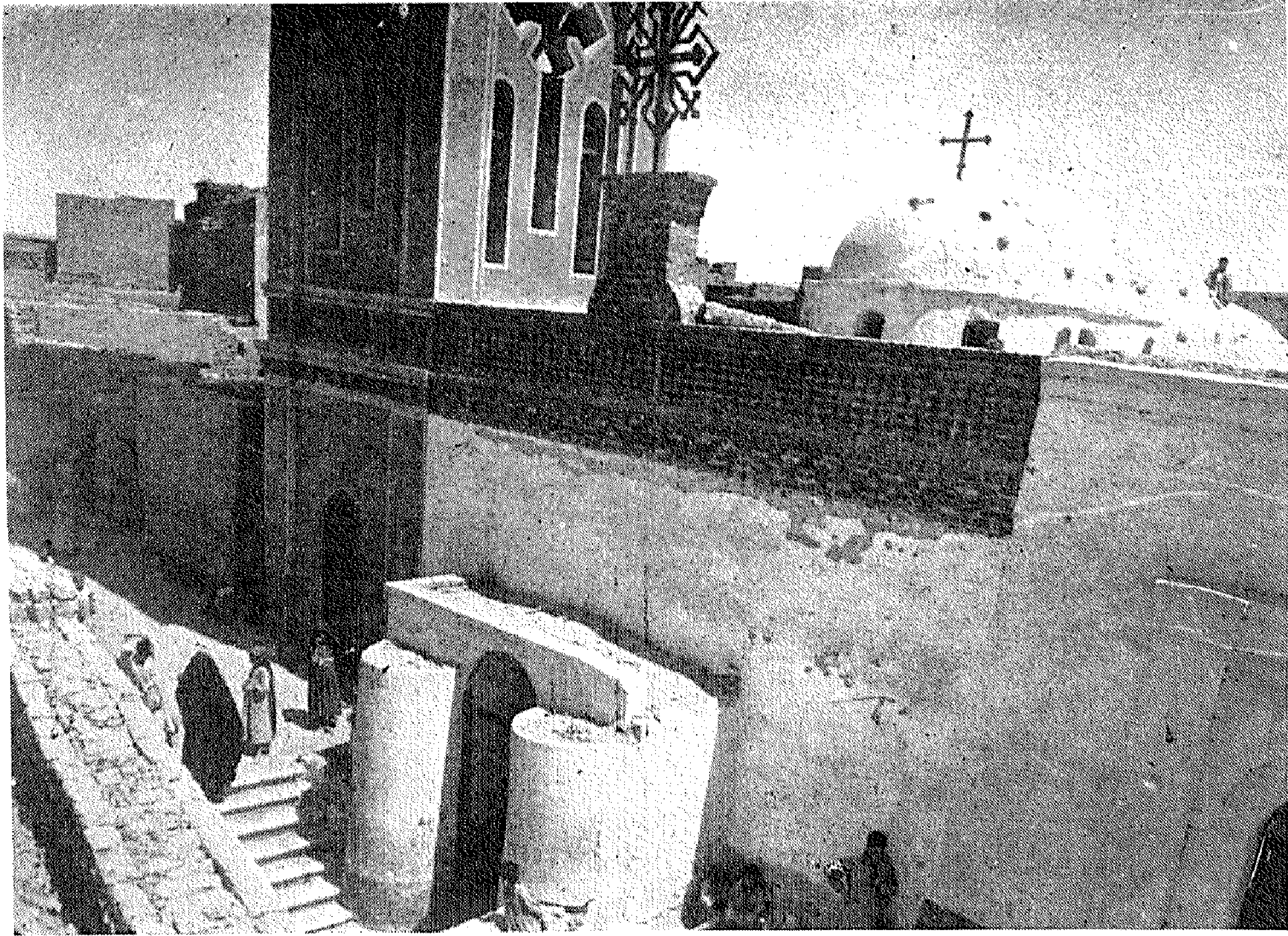
لوحة رقم (٢٦) تبين صــحن المسجد اليوسفى بمدينة ملوى ومئذنته • ويرجع
الى العصــر العثمانى



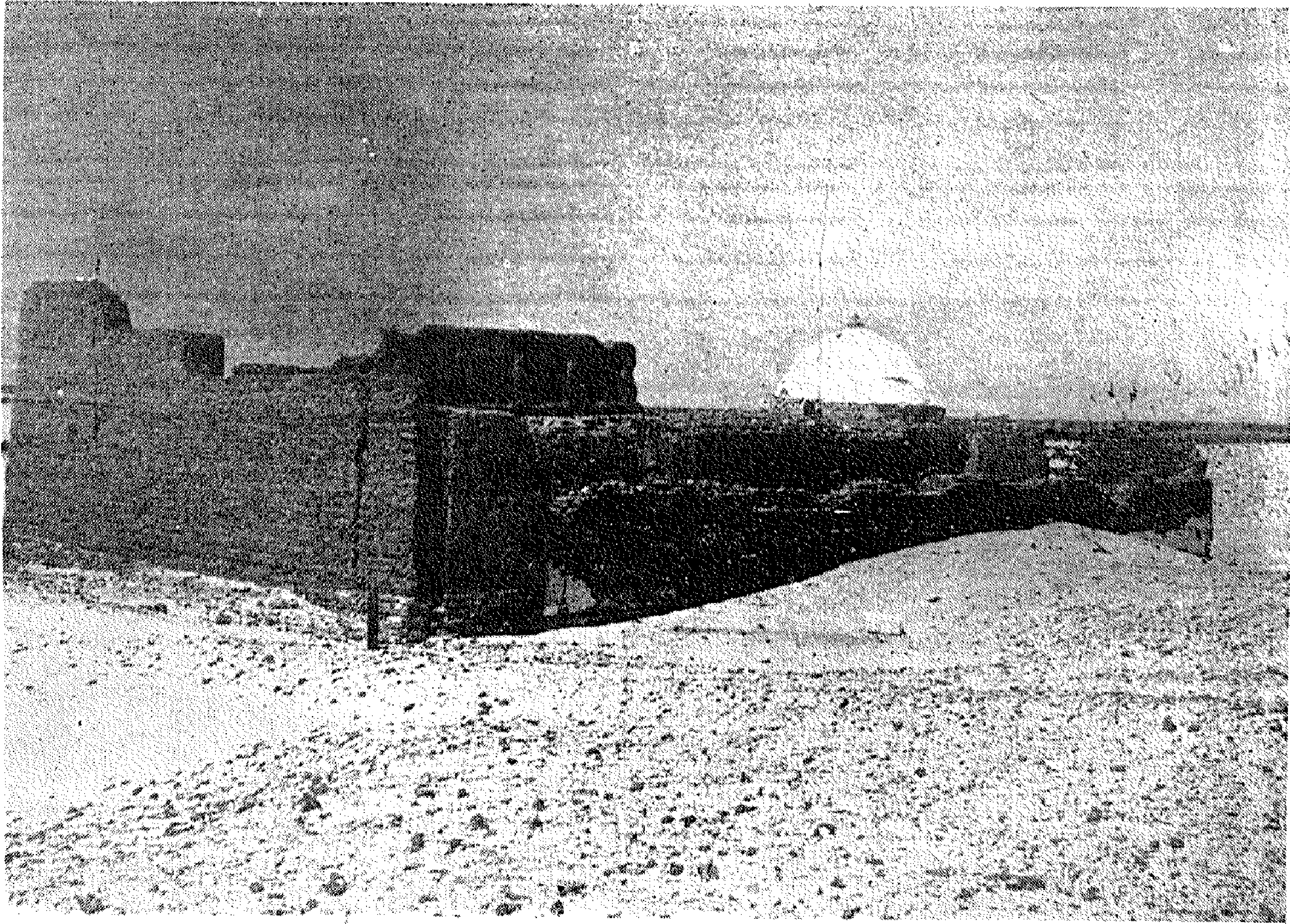
لوحة رقم (٢٧) تبين مسجد العسقلانى بمدينة ملوى ويرجع الى القرن الثامن عشر



لوحة رقم (٢٨) تبين المنظر العام للدير المحرق الذى يرجع الى القرن الرابع الميلادى



لوحة رقم (٢٩) تبين دير أبوحنس الذى يرجع الى القرن الخامس الميلادي



لوحة رقم (٣٠) تبين المنظر الخارجى لدير أبى فانا بأسيوط ويرجع الى القرن الخامس الميلادى

محافظة المنيـــا

المنيا مدينة مصرية قديمة قال اميلينو وجوتييه أن اسمها (Moone) ومعناها المرضعه وخالفهما فى ذلك ماسبيرو اذ قال ان كلمة المنيا اسم عربى وجاء فى خطط المقريزى (١) منية الخصيب نسبة الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل هارون الرشيد ، وجاء فى قوانين (٢) الدواوين ، منية بنى خصيب من أعمال الأشمونين . وجاءت(٣) فى نزهة المشتاق أنها قرية عامرة حولها جنات وأرض متصلة العمارات وقصب وأعناب كثيرة ومتنزهات ومبان حسان ، وقال ياقوت ، منية (٤) أبى الخصيب مدينة كبيرة على شاطىء غربى النيل فى الصعيد الأدنى بمصر ، وهى مدينة ذات مرائى جميلة وبهـا مدارس وحمامات وأسواق ، وأضاف ، ويقال أن الخصيب عمرها أيام ولايته وأنشأها لابنه وسماها باسمه فعرفت به . وفى ســـنة ١٨٢٢م قسمت ولاية الأشمونين الى قسمين سمى القسم البحرى منه المنيا ومقــره مدينة المنيـا ، وفى سنة ١٨٩٠ صارت قاعدة لمديرية المنيا وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت عاصمة محافظة المنيا . وذكر ابن بطوطة(٥) فى رحلته قصة طريفة عن مدينــة المنيا رأيت أن أذكرها على ما فيها من أحداث تشبه الأساطير : يقال أن بعض خلفاء بنى العباس تغير على أهل مصر فأراد أن يوليها أحقر عبيده اذلالا لهم وتنكيلا بهم ليسير فيهم سيرة سوء ، وكان أحقــر عبيده الخصيب ،اذ كان يتولى تسخين الحمام ، فخلع عليه وولاه مصر . فلما استقر خصيب بمصر سار فى

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٣٣١ .
(٢) قوانين الدواوين ص ١٢٢ .
(٣) ابن دقماق ص ٩٧ .
(٤) معجم البلدان جـ ٨ ص ١٨٨ .
(٥) رحلة ابن بطوطة ص ١٩٨ .

أهلها أحسن سيرة واشتهر بالكرم ، فكان أكابر أهل البلاد وأقارب الخلفاء يقصدونه فيجزل لهم العطايا . وافتقد الخليفة يوما بعض أقاربه وغاب عنه ثم حضر بعد مدة فسأله عن مغيبه فذكر أنه قصد خصيبا بمصر وذكر له ما أعطاه وكان قدرا عظيما وأثنى عليه ، فغضب الخليفة وأمر بسمل عيني خصيب واخراجه من مصر الى بغداد ، وأن يطرح فى أسواقها ، فلما أتاه الأمر بالقبض عليه حيل بينه وبين دخول منزله وكان معه ياقوتة عظيمة فخبأها عنده وخاطها فى قميصه ليلا . وسملت عيناه وطرح فى سوق بغداد ، فمر عليه بعض الشعراء وهو مطروح فقال له يا خصيب ، انى كنت قد قصدتك من بغداد الى مصر ممتدحا فوافقت انصرافك عنها وأحببت أن تسمع القصيدة ، فقال كيف لى بسماعها وأنا على ما تراه ، قال انما قصدى سماعك لها ، أما العطاء فقد أعطيت الناس وأجزلت لهم جزاك الله خيرا ، وأنشد :

أنت الخصيب وهـذه مصر فتدفقا فكلا كما بحر

فلما أتى على آخرها قال له افتق هذه الخياطة ففعل فقال خذ هذه الياقوتة فأبى ، فأقسم عليه فأخذها وذهب الى سوق الجوهريين ليبيعها فلما عرضها عليهم قالوا له هذه لا تصلح الا للخليفة فرفعوا أمرها اليه فأمر باحضار الشاعر واستفهم عن أمر الياقوتة فأخبره بخبرها فتأسف على ما فعله بخصيب وأمر باحضاره بين يديه وأجزل له العطاء وحكمه فيما يريد فرغب أن يعطيه هذه المنية ففعل فسكنها خصيب الى أن توفى وأورثها عقبه .

وقال المقريزى (١) انه كان بها ، ست كنائس منها كنيسة معلقة وهى كنيسة السيدة ، كما كان بها كثير من الأديرة أهمهـا دير الراهب ومشهور بدير سواده ، وسواده عرب نزلوا هناك (بالمنيا) فخربوا ذلك الدير . وبالمنيا كثير من الأضرحة ذات القباب أهمها ضريح الشيخ الفولى .

الفشن :

مدينـة مصرية قديمة اسـمها القبطى فنشى (٢) بتقـديم النون على الشين ويؤيد ذلك انها وردت فى كتاب المباهج باسم الفنش من الأعمـال

(١) المقريزى جـ ٤ ص ٤١٧ .
(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ٧٥ .

البهنساوية ثم حرفت الى الفشن ، وهو اسمها الحالى . وجاء فى معجم البلدان (١) ان الفشن قرية من أعمال البهنسى . وفى قوانين ابن مماتى (٢) الفشن من أعمال البهنساوية وفى العصر العثمانى أصبحت الفشن قاعدة ولاية البهنسا ، وذلك لأن مدينة البهنسا تقع على بحر يوسف وبعيدة عن النيل ، أما الفشن فتقع على النيل وتتوسط بلاد ولاية البهنسا . وفى سنة ١٨٢١ نقلت عاصمة الولاية من بلدة الفشن الى المنيا وصارت الفشن قاعدة لقسم الفشن ، وفى سنة ١٨٤٤ جعلت الفشن قاعدة لمديرية الواسطى ، وفى سنة ١٨٥١ قسمت المديرية الى قسمين وعادت الفشن قاعدة لقسم الفشن وفى سنة ١٨٩٠ سمى مركز الفشن . وبمدينة الفشن كثير من المساجد ذات المآذن الرشيقة (٣) أشهرها جامع الشيخ شمردن وبه ضريحه . وكانت أسواقها عامرة بالسلع فى العصور الوسطى (٤) .

البهنسا :

كانت البهنسا قاعدة لكوره البهنسا ثم قاعدة للأعمال البهنساوية فى العصر المملوكى ، ثم لولاية البهنسا فى العصر العثمانى ، ولما اضمحلت البهنسا لوقوعها على بحر يوسف وبعدها عن النيل نقلت القاعدة الى الفشن مع بقاء الولاية باسم البهنسا ، وفى سنة ١٨٣٠ اختفى اسم البهنساوية من الأقسام الادارية . وأصبحت البهنسا قرية من قرى مركز بنى مزار . ذكرها الادريسى البهنساوية عامرة بالناس جامعة لأمم شتى ، وهى واقعة على الضفة الغربية من خليج المنهى (بحر يوسف) وينسج بها للخاصة الستور المعروفة بالبهنسية ، والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المتخيرة . ويضيف المقدسى ويصنع بها الستور والانماط من مزارع بوصير . ويقول المقريزى (٥) ان الستر الواحد منه كان يبلغ طوله ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج منه مائتا مثقال ذهب ، ويضيف ، أنه كان باقليم البهنسا مائة وعشرون قرية غير الكفور . ويجمع قبط مصر على أن السيد المسيح والسيدة العذراء كانا بالبهنسا ثم

---

(١) ياقوت جـ ٦ ص ٣٨٥ .
(٢) ابن مماتى ص ٢٩٧ .
(٣) الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ٧٦ .
(٤) وتتبع مدينة الفشن الآن محافظة بنى سويف .
(٥) المقريزى جـ ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

تركاها ورجعا الى القدس . وقال بعض المفسرين عن الربوة فى قوله تعــالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » انهــا البهنسا ، وقيل أنها دمشق أو بيت المقـــدس . وكانت البهنسا حين فتحها العرب ، كما يقول ابن عبد الحكم ، عالية الجدران حصينة الأسوار والبنيان، منيعة الأبراج والأركان وكان لها أربعة أبواب ، ولكل باب ثلاثة أبراج وبين كل برجين شرافات وكان بها أربعون رباطا وكنائس وقصور ، فلمــا أخذت بالفتــح تغيرت معالمها واندثر كثير من آثارها . وقد أقيمت بهــا كثير من المساجد والعمائر الاســلامية وقد بقيت هـــذه الآثار حتى مجيء الحملة الفرنسية (١) . وكانت مدينة البهنسا تشتهر بزراعة أشــجار السنط التى كان يؤخذ أخشــابها لبناء سفن الأســطول المصرى ، وقد ورد فى قوانين ابن مماتى (٢) ان خراج البهنسا كان يدفع سنطا .

وقد ظهر بالبهنسا كثير من جهابذة العلماء منهم الامام القــرافى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ادريس الصــنهاجى البهنسى الذى انتهت اليه رياسة المالكية فى عصره توفى سنة ٦٨٤ هـ . وجاء فى تاريخ الجبرتى(٣) أن الامام الشيخ عبد الحى بن الحسن بن زين العابدين الحسينى البهنسى جاء الى مصر ونزل ببولاق وتتلمذ على علماء عصره ودرس بالجامع الخضيرى وتوفى سنة ١١٨١ هـ ودفن بمقابر الخلفاء .

القيس :

ورد فى كتاب البلدان (٤) والمســالك أن مدينــة قيس تقــع غربى النيل وهى حسنة البناء جميلة الجهات فيهــــا قصب السكر وأنواع التمور والخيرات الكثيرة . قال ابن عبد الحكم ان عمرو بن العاص بعث قيس بن الحرث الى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها فسميت به ، وقد وردت هذه الرواية فى كثير من المراجع العربية ، ويقول محمد رمزى (٥) ان هذه

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٠ ص ٢ .
(٢) ابن مماتى ص ٣٧ .
(٣) الجبرتى ص ٤٦ .
(٤) المسالك ص ٨١ .
(٥) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ٢١٤ .

الرواية غير صحيحة لأن القيس كانت معروفة بهذا الاسم قبل الفتح الاسلامى لمصر ، وانما يحتمل أن الذى فتحها بعد دخول العـــرب لمصر هو قيس بن الحارث المرادى ولمصادفة تشابه اسمه باسم القيس ظن مؤرخو العرب أنها نسبت اليه . وورد فى قوانين ابن مماتى (١) أن قيس من أعمال البهنساوية ، وهى الآن قرية بمحافظة المنيا بمركز بنى مزار . ويقــول الكندى عن أهل قيس ، ولهم ثياب صوف وأكســية مرعزية وليست هى بالدنيا الا بمصر ، ويضيف أن معاوية بن أبى سفيان لما كبر كان لا يدفأ فاجمعوا أن لا يدفئه الا أكسية تعمل بمصر صوفها المرعزى العسلى الغير مصبوغ فعمل له منها عدد بتيس فما احتاج منها الا الى واحدة ، ولهم طراز القيس فى الستور والمضارب يعرفون به .

ومن القصص (٢) التى تروى عن القيس أنه ظهــر بها فى عهــد الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبى سرب (٣) فأمر متولى البهنساوية بكشــفه فجمع ما ينيف عن مائتى رجــل فــلم يجــدوا له قرارا فأمر بعمــل مركب طويل دقيق وحملوا معهم ما يلزمهم من الآلات والزاد وغابوا فى السرب ستة أيام أربعة منها دخولاً الى جوفه ويومين رجوعا الى رأس السرب . ولم يقفوا فى هذه المدة على نهايته فكتب بذلك والى البهنسا الى الملك الكامل فتعجب عجبا كثيرا . ولما انتهى من محاربة الصليبيين فى دميــــاط خرج الى القيس وشاهد السرب المذكور .

---

(١) ابن مماتى ص ٧٨ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ٢٣٠ .
(٣) السرب بفتح السين وسكون الراء ومعناها الطريق فى الماء كأنه الكهف الممتد .

الآثار الباقيــة

مسجد الملطى : (لوحة رقم ٣٢)

يرجع هذا المسجد الى العصر الأيوبى ، فقد عثـر على نص على عتب المدخل الأعلى مؤرخ سنة ٥٧٨ هـ . والمسجد يشبه الى حد كبير من حيث التخطيط وكذا العقود والزخارف الجصية ، المساجد الفاطمية ، وخاصة مسجد الصالح طلائع بالقاهرة .

مسجد العمروى : (لوحة رقم ٣١)

يعتبر مسجد العمروى من أقدم مساجد المنيا ، ولكنه جدد عدة مرات وخاصة فى العصر العثمانى مما غير كثيرا من معالمه القديمة . ونجد فى هذا الجامع كثيرا من النصوص التذكارية التى تسجل الاصلاحات التى أجريت فيه ، فنجد لوحة عليها مرسوم سلطانى من العصر المملوكى باسم السلطان جقمق تاريخه « ذى القعدة سنة ٨٤٣ هـ » . كما نجـد فيه لوحة تذكارية مبينا عليها تاريخ تجديد المســجد فى العصر العثمانى ســنة ١١٤٩ هـ — سنة ١١٥٠ هـ .

قنطرة صليبة الطهنشاوى : تقـع هذه القنطرة على ترعـة منتهوت ، ولصعوبة النطق باسمها أصبحت تعرف باسم قنطرة الثلاثة ، لأنها تحتوى على ثلاثة عقود . وقد انشئت هذه القنطرة فى عهد محمد على .

مسجد الحسن بن صالح بن زين العابدين .

يرجع تاريخ انشاء هذا الجامع الى العصر الفاطمى ، وكان يوجد بجانبه وكالة وحمام ، ولكنهما اندثرا ولم يبق الا آثار الحمام . وقد نقلت حشوات منبر المسجد الى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

كنيسة العذراء بجبل الطير (لوحة رقم ٣٥) .

تقع هذه الكنيسة على صخور الضفة الشرقية للنيل بالقرب من دير العذراء القريب من طهنا . ويقال ان الملكة هيلانه والدة الامبراطور قسطنطين هى التى أنشأت الدير والكنيسة للسيدة العذراء عليها السلام . وقد جدد الكنيسة الانبا ساويرس مطران كرسى المنيا والاشمونين كما هو مدون على اللوحة التذكارية التى تعلو مدخل الكنيسة ، وكان هذا التجـديد فى سنة ١٦٥٤ للشهداء سنة ١٩٣٨ م . والكنيسة عبارة عن صالة تحتوى على أربعة أكتاف مربعة الشكل تحصر بينها أعمدة قديمة . ويحيط بالصالة أروقة من ثلاث جهات ، أما الجهة الغربية فيوجد بها حائط أعيد بناؤه بمواد قديمة ، وبه باب حجرى يرجع الى القرن الخامس أو السادس الميلادى ، ويحتوى الباب على زخارف محفورة فى الحجر على شكل أسماك وأوراق نباتية ورسوم آدمية تمثل القديسين وكذا زخارف هندسية .

مدينة سمالوط :

هى قاعدة مركز سـمالوط ، وكانت فى العصر الاسـلامى من قرى الاشمونين وتقع سمالوط على الجانب الغربى للنيل .

مسجد سمالوط : (لوحة رقم ٣٣)

من المناظر التى تسترعى النظر فى مدينة سمالوط منظر مئذنة شاهقة الارتفاع ، تتـكون من ثلاث دورات وسلمها حلزونى ابتـداء من الدرجة العاشرة ، والمئذنة مبنية من الطوب الأحمر وبها ميل طفيف . وهذه المئذنة هى الجزء الوحيد الباقى من الجامع القديم الذى أنشىء فى القرن السادس الهجرى أى فى العصر الأيوبى . وتوجد المئـذنة الآن خارج مبانى المسجد الجديد الذى أقيم مكان المسجد القديم .

قرية الشيخ زياد :

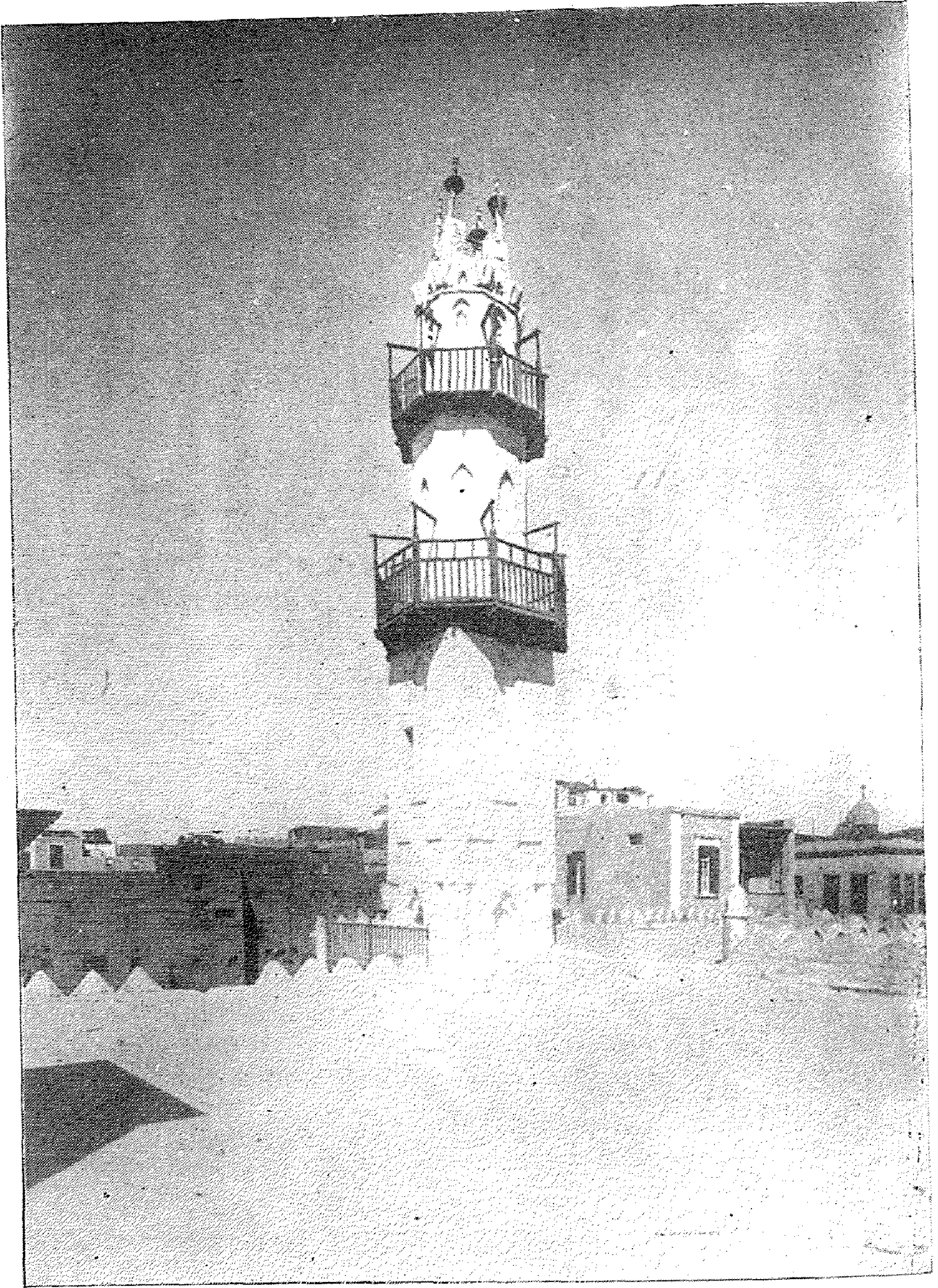
قرية تابعة لمركز مغاغة ، واسمها الأصلى ديروط بلهاسة وكانت تتبع كورة البهنسى . وهى رزقة ضريح الشيخ زيادة بن المغيرة . وقد جاء فى المقريزى ،

ان بها جامعا أنشأه زياد بن المغيرة بن عمرو العتكى ، الذى توفى فى المحرم سنة ١٩١ هـ فدفن به .

مسجد الأمير زياد : (لوحة رقم ٣٤)

يرجع تاريخ انشاء هذا المسجد الموجود حاليا على أقل تقدير الى العصر الفاطمى ، كما هو ثابت من الكتابة الموجودة على الأعمدة الرخامية التى عثرت عليها مصلحة الآثار فى احدى الحجرات المتخربة بالمسجد ، والكتابة مؤرخة سنة ٥١٧ هـ ، كما أن أسلوب الخط تظهر به بداية الخط النسخى الذى ظهر فى أواخر العصر الفاطمى فى القرن السادس الهجرى . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان كثيرا من الأعمدة الرخامية الموجودة الآن فى المسجد المجدد فاطمية الطراز ، ويشبه تلك التى عثر عليها فى الحجرة المتخربة سواء من ناحية المادة الخام أم طراز زخرفة تيجان الأعمدة .

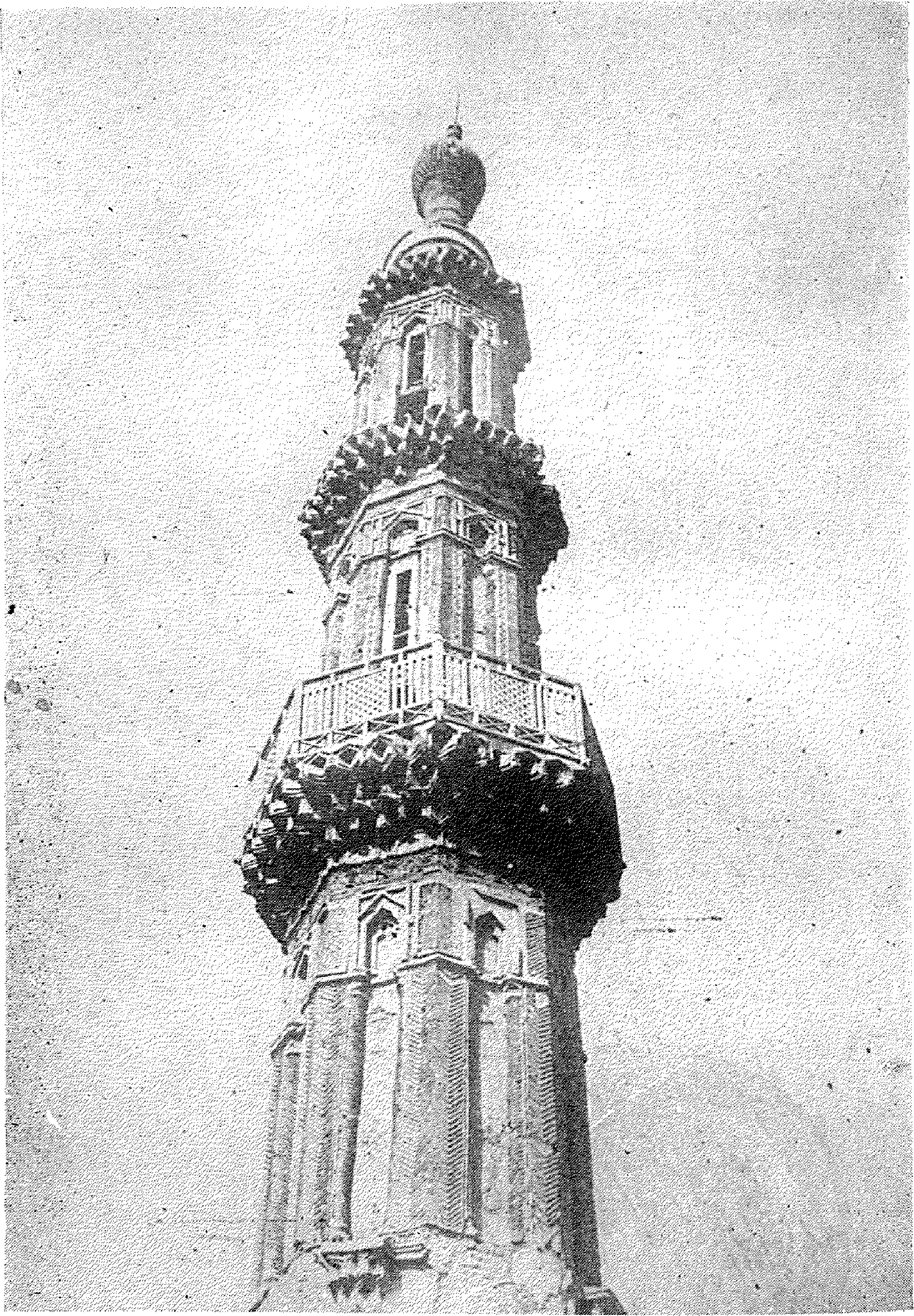
ومن الثابت ان السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى قد أعاد بناء هذا المسجد كما هو مدون على اللوحة المثبته بداخل الضريح المدفون به زياد ابن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكى . وللأسف فان معظم جدران الضريح قد تهدمت الا ان القبة المقامة عليها ما زالت حافظة لأصلها .



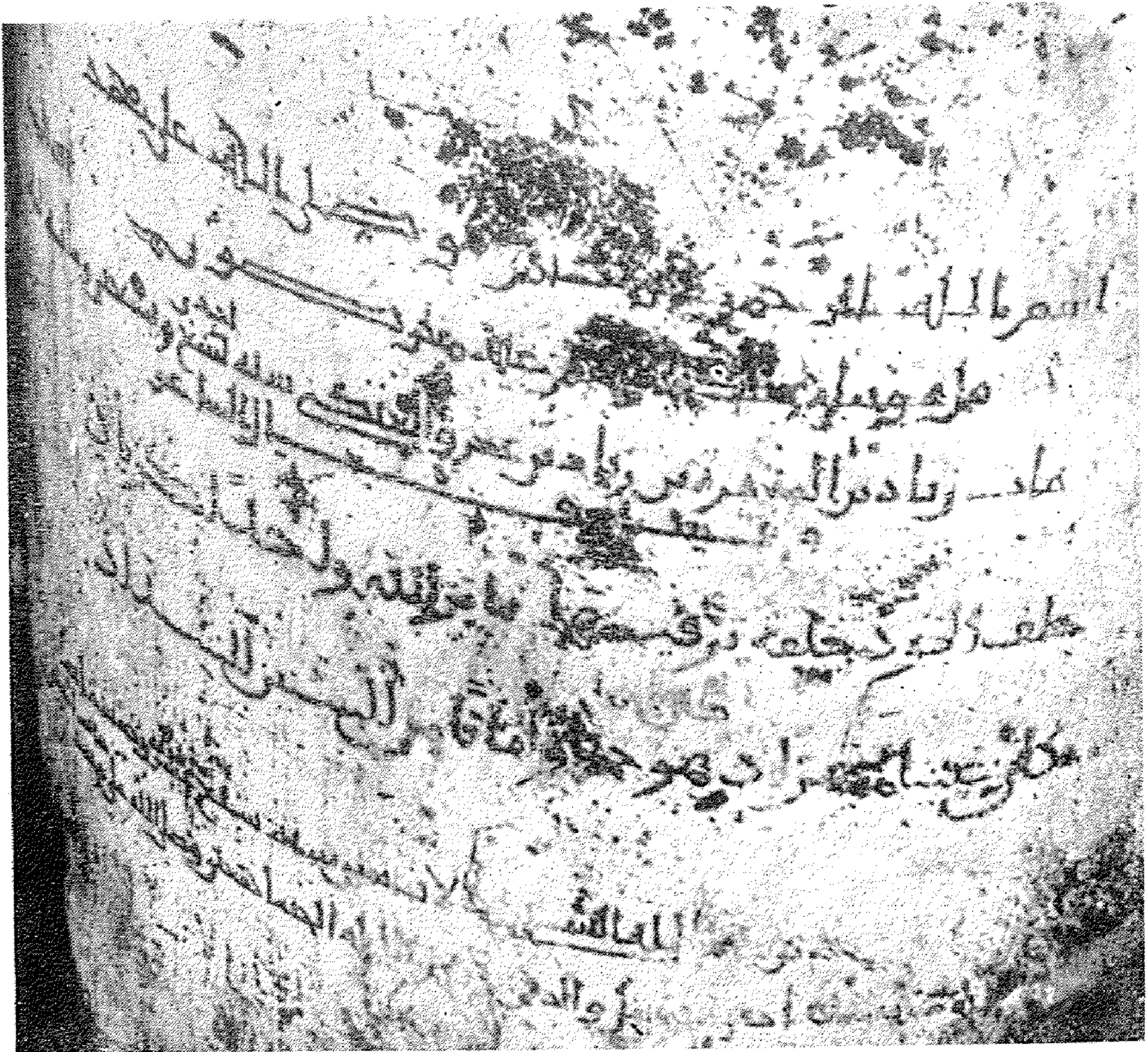
لوحة رقم (٣١) تبين مئذنة مسجد العمرى بمدينة المنيـا



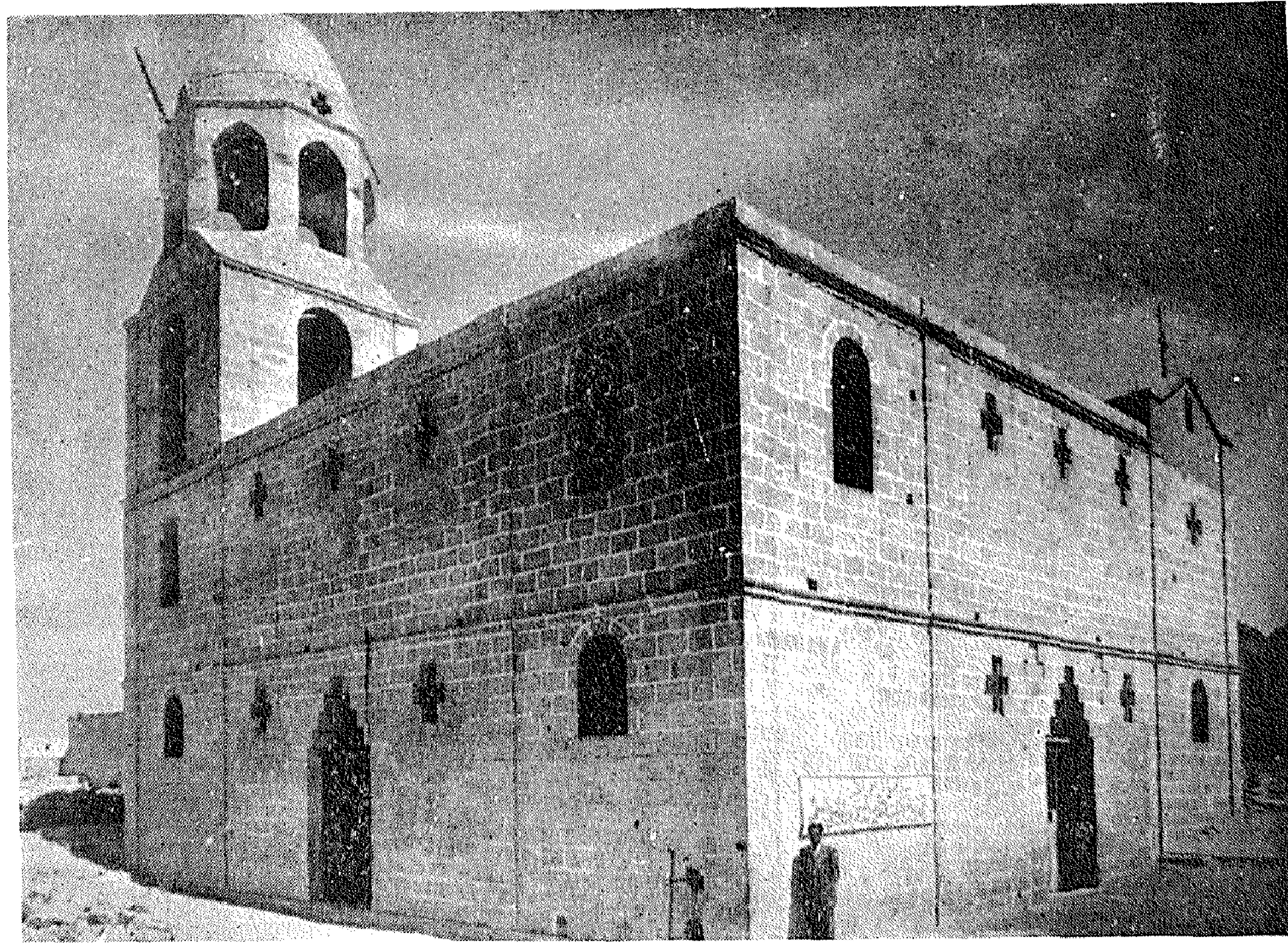
لوحة رقم (٣٢) تبين صحن مسجد الملطى بمدينة المنيا ويرجع الى العصر الايوبى



لوحة رقم (٣٣) تبين مئذنة مسجد مدينة سمالوط



لوحة رقم (٣٤) تبين عمودا بمسجد الامير زياد بمدينة مغاغة . أنشأ هذا المسجد السلطان الملك الاشرف أبوالنصر قايتباى للامير زياد بن المغيرة بن زياد بن عمرو العتكى كما هو مدون على العمود



لوحة رقم (٣٥) تبين دير العذراء بجبل الطير بالمنيا • ويرجع الى القرن الخامس الميلادى

محافظة بني سويف

بني سـويف مدينة مصرية قديمـة ذكرها أميلينو في جغرافيته باسم (Pouphisa) بوفيسا وقال انها منية بوش ، وبما أن بني سويف معروفة بالنسبة الى موقعها بأنها موردة قديمـة ولا تزال محتفظة بأهميتها التجارية ، فانه يرجح أن كلمة بوفيسا هي الاسم المصرى القديم لمدينة بنى سويف ، وأنها هي بذاتها التى سماها العرب منفسوية وهو الاسم الذى ورد فى قوانين ابن مماتى (١) وأنها من أعمال البهنساوية .

وكان اسمها على لسان العامة بنمسوية ، ثم حرفت فى القرن التاسع الهجرى الى بنى سويف للتخفيف ولتسهيل النطق ، دون مراعاة للأصل حتى ليتبادر الى ذهن من يسمع كلمة بنى سويف أنها عربية فى صدرها وعجزها ، ولكن الحقيقة ان اسمها مصرى قديم وحرف (٢) . وذكر السخاوى (٣) فى الضوء اللامع عند الكلام على ترجمة محمد بن عبد الكافى بن عبد الله بن أحمد بن على العبادى : قال : ويعرف بالبنمساوى بالنسبة الى قرية تعرف قديما باسم بنمسوية واشتهرت ببنى سويف حتى صار يقال فى النسبة اليها السويفى ومحمد بن الكافى هذا من فقهاء القرن الرابع عشر الميلادى .

ولما فك زمام القطر المصرى استسهل المساحون اسم بنى سويف وقيدوا طيانها بهـذا الاسم فعرفت به رسميا من ذلك الوقت . وفى سـنة ١٨٣٣ أصبحت بنى سويف مديرية وعاصمتها بنى سويف وفى سنة ١٩٦٠ صارت محافظة .

---

(١) ابن مماتى ص ٣٩ .
(٢) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١٥٥ .
(٣) الضوء اللامع : جـ ٦ ص ١١٧ .

وكانت مدينة بنى سويف تشتهر بمبانيها وعمائرها المبنية بالحجر الجيرى وأعمدتها المرمرية . وكانت كثيرة القيساريات والفنادق والحمامات ، وكانت مساجدها عامرة ، ومن أشهرها الآن جامع البحر . وبها عدة مزارات أهمهـا عند أهل بنى سويف مقام الشيخة حورية التى يحتفل بمولدها كل سنة (١) .

وفى الجبال القبلية لبنى سويف فى ناحية البياض توجد محاجر المرمر ، والمرمر المستخرج من هذه المنطقة متعدد الألوان ، وخاصة اللون المائل الى الصفرة والخضرة و (المعرق) وهو أقل جودة من المرمر المستخرج من محجر أسيوط .

ومن الفقهاء الذين ينتسبون الى بنى سويف الشيخ محمد عبد الكافى الأنصارى العبادى البهنساوى والمعروف بالسويفى وقد سبقت الاشارة اليه .

ومن أشهر رجالها فى القرن التاسع عشر الميلادى مصطفى بك السراج ، ولد بها سنة ١٨٢٤ ، وكان أبوه انكشاريا وأمه سويفية ، عين مترجما تحت رئاسة رفاعة الطهطاوى وتوفى سنة ١٨٦٨ م ودفن بالاسكندرية .

بيـــــا :

قاعدة مركز بيـــا ، ذكر اميلينو فى جغرافيته فقـــال ان اسمها القبطى بيا (Baba) بفتحتين . وكانت بيا قرية مصرية قديمـــة وردت فى معجم (٢) البلدان بيا بفتحتين مدينة بمصر من جهة الصعيد غربى النيل من كورة البهنسا ووردت فى قوانين (٣) ابن ممـــاتى وفى العصر العثمانى بيا الكبرى من الأعمال البهنساوية ، وقد حذف من اسمها كلمة الكبرى . ولما أنشىء قسم بيا سنة ١٨٥٧ م جعلت بيا مقرا له وفى سنة ١٨٩٠ م سمى مركز بيا .

وبمدينة بيا الآن كنيسة قبطية قديمة مشهورة باسم دير الشهيد كما يوجد بها مسجد أثرى يرجع تاريخ انشائه الى القرن السابع الهجرى ولا تزال واجهته تحتفظ ببعض النقوش التى ترجع الى ذلك التاريخ (٤) . وكانت

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ١١٧
(٢) ياقوت جـ ١ ص ١٩٢
(٣) ابن مماتى ص ٣٩
(٤) الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ٣

معظم مبانى المدينة من الآجر واللبن وأسواقها عامرة بأنواع الحبوب والمواشى والمنسوجات الصوفية والقطنية واللحم والعقاقير وحصر الحلفاء واللوف والحبال ، كما يكثر بها النخيل وزراعة الدخان البلدى وقصب السكر التى قامت عليه صناعة السكر .

الوسطى :

كانت قرية قديمة اسمها الأصلى جزيرة الواسطا ، وردت فى قوانين ابن مماتى (١) وغيرها من المراجع انها من أعمال الاطفيحية ، وبسبب قوة جريان ماء النيل بعدت هذه الجزيرة عن الشاطىء الشرقى للنيل واتصلت بالشاطىء الغربى منه . وقد وردت فى كتاب وقف السلطان الغورى ضمن أراضى الشاطىء الغربى باسم الواسطى من أعمال الجيزية لأنها كانت تابعة للجيزة فى ذلك الوقت (٢) . وفى سنة ١٨٨٦ أصبحت قاعدة مركز الواسطى وينطقها العامة الواسطة ، ومن القرى التابعة لمركز الواسطى أنفسط وبنو حبين . وبنو حبين جماعة من العرب المستوطنين بها نسبت اليهم ، وكذازاوية المطلوب وقد وردت فى وقف السلطان الغورى ، أنها كانت تسمى منية بنياس .

---

(١) ابن مماتى ص ١٥٩ .
(٢) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١٢٦ .

محافظة الفيوم

الفيوم قاعدة محافظة الفيوم ، وهى من المدن المصرية القديمة ويقول جوتيه واميلينو وغيرهما من المؤرخين الذين كتبوا عن الفيوم ، ان اسم الفيوم فى العصر الفرعونى كان (Chdat) أو (Chdit) ، ومعناها الجزيرة ، لأنها كانت وقت تكوينها واقعة فى بحيرة موريس ، ثم سماها القبط (piôm) ومعناه مركز أليم ، ومنها أخذ العرب كلمة فيوم وأضافوا اليها أداة التعريف فصارت الفيوم (١) . ويزعم المسعودى (٢) ان معنى الفيوم ألف يوم ، ويبدو أنه بنى هذا الزعم على القصة التى ذكرها المقريزى (٣) ، وتتلخص فى أن فرعون مصر طلب من سيدنا يوسف الصديق أن يستصلح أرض الفيوم لابنته ، فحفر يوسف خليجا يصل الفيوم بالنيل كى تصرف فيه المياه الزائدة وقت الفيضان ، مما أصلح أرض الفيوم ، وقد استغرقت تلك العملية من يوسف سبعين يوما ، فلما رأى فرعون تلك الأعمال التى أتمها يوسف قال لوزرائه « هذا عمل ألف يوم » فسميت الفيوم ، وقد غاب عنهم ان فرعون مصر لم يكن يعرف العربية . ومدينة الفيوم ظلت منذ نشأتها فى العصر الفرعونى حتى الآن قاعدة لاقليمها ، وردت فى معاجم (٤) البلدان أنها ضمن كور مصر ، وجاء فى أحسن (٥) التقاسيم ، الفيوم بلد جليل به مزارع الأرز الفائق ، والكتان الدون (٦) ولها قرية سرية تسمى الجوهريات . وقال الادريسى (٧) ، الفيوم مدينة كبيرة ذات بساتين وأشجار وفواكه وغلات ،

---

(١) القاموس الجغرافى جـ ٣ ص ٩٦ .
(٢) مروج الذهب جـ ٢ ص ١١٥ .
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٣٩٩ — ٤٠٢ .
(٤) المسالك لابن حرداذبه ص ٢٣٧ ، تقويم البلدان جـ ١ ص ١١٤ .
(٥) المقدسى : ص ١٦٩ .
(٦) الدون : الجيد .
(٧) نزهة المشتاق ص ١٧٣ .

وأكثر غلاتهـــا الأرز وهو أكثر من سائر حبـــوبها ، ولها جانبان على وادى اللاهون (بحر يوسف) . ويقول القضاعى « الفيوم وهى مدينة دبرها يوسف النبى عليه الصلاة والسلام بالوحى وكانت ثلثمائة وستين ضيعة تمد كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت تمد مصر السنة . وكانت تروى من اثنى عشر ذراعا (وهو أقل منسوب لمياه الفيضان) ولا يستبحر ما زاد عن ذلك لأن يوسف عليه السلام اتخذ لهم مجرى ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وبنى به اللاهون . ويضيف الكندى وليس فى الدنيا ما بنى بالوحى غير هذه الكورة ولا بالدنيا بلد أنفس منه ولا أخصب ولا أكثر خيرا ولا أغزر أنهارا ، ولو قايسنا بأنهار الفيوم أنهار بصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل . ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم وخيرها فاذا هى لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه ملك لأحد من مسلم ولا معاهد ، فاذا هو فوق السبعين صنفا » .

ولعل المراد بالوحى فى عبارتى القضاعى والكندى الالهـــام لأنه من معانى الكلمة لغة . وقال عبد الحكم (١) ان الفيوم أقامت سنة بعـــد الفتح لا يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكـــرها لهم فأرسل عمرو بن العاص جيشا ، (وقد اختلفت الروايات فى اسم قائد الجيش فقيل ربيعة بن حبيش بن عرفطة الصدفى ، وقيل مالك بن ناعمة الصدفى ، وذكر قيس بن الحارث الذى سار حتى أتى قرية قيس فنزل بها والتى تزعم المراجع العربية أنها سميت باسمه كما تقدم) ، ويقول ابن عبد الحكم فلما هجموا عليها لم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم .

أما عن خراج مدينة الفيوم ، فتجمع المراجع (٢) العربية على أنها كانت أغنى كور مصر ، قال ابن زولاق ، حدثنى أحمد بن محمد بن طرخان الكاتب قال ، عملت على الفيوم لكافور الأخشيد فى هذه السنة (يعنى سنة ٣٥٦ هـ) فعقدت بها ستمائة ألف دينار ، وعشرين ألف دينار ، ومنها المبـــاح الذى

---

(١) فضائل مصر ص ٢٧ ، معجم البلدان جـ ٦ ص ٤١٤ .

(٢) معجم البلدان جـ ٦ ص ٤١٦ ، تقويم البلدان ص ١١٤ ، المقريزى جـ ١ ص ٤٠٢ .

يعيش الناس فيه من آهل ما لا يضبط ولا يحاط بعلمه ، وذلك غير المرافق والخيرات التى تحت أيدى الملاك . وقال القاضى الفاضل فى كتاب متجددات الحوادث ، ان متحصلات الفيــوم بلغت فى سنة ٥٨٥ هـ مائة ألف واثنين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة دنانير . وقال البكرى ، والفيوم معروف هناك يغل فى كل يوم ألفى مثقال ذهبا . وقد أطنب كل من تكلم عن تاريخ مصر عن خيرات مدينة الفيوم حتى أصبح اسمها يقرن باسم مصر ، فيقول اليعقوبى مثلا (١) كان يقــال فى متقدم الأيام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة عمارتها ، وبها القمح الموصوف ، وبها يعمل الخيش ، ويقــول على مبارك (٢) ، ان صناعة الخيش ظلت قائمة بالفيوم حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وانها كانت تمون الميرى به . وورد فى الخطط التوفيقية ، أن بالفيوم سمكا كثيرا ، فقد ذكر مؤرخ بطارقة الاسكندرية فى تاريخ الشــهداء أنه انكشف فى الفيوم بركة متسعة بها كثير من البلطى ، ينقل منه الى الفسطاط فى كل يوم مقدار عظيم ، فكان ما ينقل اليها يحمل على عشرين جملا ، وكانت تعطى لمن يلتزمها فى السنة بستين دينارا ، وكان البلطى نوعين كبير وصغير ، فالذى تزن الواحدة منه أربعة أرطال تباع العشرة منه بتسعة دراهم ، وما فوق العشرة منه بعشرة دراهم ، والكبير تبــاع العشرة منه بخمســة عشر درهما ، وكانت الواحدة منه ربما تزن خمسة عشر رطلا أو أكثر . على أن شهرة الفيوم بالسمك ترجع الى ما قبل العصر الاسلامى . فقد تكلم هيردوت عن سمك الفيوم ، فقال أن السمك كان يملح ويبقى طوال السنة وأن الأهالى تستهلكه بكثرة فضلا عما يطعم به الحيوانات المقدسة . وقد بلغت مدينــة الفيوم من الأهمية فى القرنين السادس والسابع للهجرة أن عمل برج للحمام بالقاهرة خاص بها وسمى باسمها لتلقى البريد عن طريق الحمام الزاجل ، فقد ورد (٣) بالمقريزى أنه كان بالقاهرة فى موضع يعرف بالبرقية ، برج حمــام يسمى ببرج الفيوم ، وكان بناؤه بأمر الأمير فخر الدين عثمان الاستادار فى

---

(١) البلدان جـ ١٤٥ .

(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ٨٤ .

(٣) المقريزى جـ ١ ص ٤٠١ .

سلطنة الملك الكامل بن صلاح الدين وكانت الفيوم من اقطاعاته ، فكان حمام البريد يأتى بأخبار المديرية الى هذا الأمير فينزل بهذا البرج .

وذكر أبو صالح الأرمنى (١) ، أنه يوجد بالفيوم كثير من الأديرة والكنائس ومن أهمها دير بالقرب من حجر اللاهون باسم دير اسحق وهو على جبل فى جنوب الفيوم بموضع يعرف بأسم بيربنوده يحيط به ثلاثة أسوار من الحجر واليه يذهب الناس . ومن الكنائس الهامة بها كنيسة ميكائيل وتقع بالقرب من الباب المسمى بباب السور ، وهى عظيمة الاتساع، بوائكها محمولة على عمد غاية فى الدقة والجمال ، وهى نادرة المثال بصعيد مصر . ويشق مدينة الفيوم بحر يوسف اذ يمر بوسطها وعليه قنطرتان قديمتان احداهما فى أول المدينة توصل الى الأسواق والثانية عند نهايته وعلى هذه القنطرة جامع . ومبانى المدينة من الآجر وحاراتها ضيقة وغير مستقيمة ، وكان بها كثير من الخانات والحوانيت العامرة بأصناف البضائع . وبمدينة الفيوم كثير من المساجد الجامعة ، أشهرها جامع الروبى سمى باسم الشيخ الروبى المدفون بجواره وضريحه مزار مشهور ، ويزعم العامة أنه من نسل روبيل أخى يوسف عليه السلام ، وذكر المقريزى ، أن صلاح الدين الأيوبى ، أنعم على ابن أخيه المظفر تقى الدين ، بالفيوم وأعمالها ، وأن هذا الأخير أقام بها مدرستين احداهما للشافعية والثانية للمالكية .

وقد كان بمدينة الفيوم كثير من العلماء والفقهاء من مختلف النحل والأديان فقد جاء فى كتاب الفهرست لأبى الفرج ، أن من علماء اليهود وأفاضلهم ابن سعيد الفيومى كان متمكنا فى اللغة العربية وله كثير من المصنفات ، ومن العلماء المسلمين الشيخ شعبان الفيومى (٢) الأزهرى الامام الفقيه والشيخ سليمان الفيومى ومن شعرائها المطبوعين ، عبد البر بن عبد القادر وهو من أدباء الفيوم المعدودين .

---

(١) أبو صالح ص ٧٨ .
(٢) الطالع السعيد ص ٧٦ .

الآثار الباقية

تمتاز محافظة الفيوم بكثرة مجاريها المائية التى تنتهى الى بحيرة قارون أو التى تصل بين النيل والبحيرة ، لذلك كان أهم منشآتها المعمارية القناطر والعيون ، ومن أهم هذه القناطر ما يأتى :

قنطرة اللاهون : (لوحة رقم ٤٠)

أنشأ هذه القنطرة السلطان الظاهر بيبرس الذى عرف فى التاريخ باسم (بيبرس الأول) . والقنطرة عبارة عن قنطرتين منفصلتين طول واجهتهما من الدورة الأمامية الى الخلفية (٢١) مترا . وقد توالت عليها يد الاصلاح والتعمير طوال العصور الوسطى وحتى العصر الحديث وذلك لاهميتها البالغة لاقليم الفيوم فقد أمر باصلاحها السلطان الغورى عندما قام بزيارة اقليم الفيوم سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م) اذ وجدها فى حالة تصدع شديد وذلك نتيجة قطع جسر اللاهون وجسر بحر يوسف خلف هواره . وقد قام الأمير أرزمك الناشف آخر المقدمين ، باصلاحها ، ولكن القنطرة سرعان مادب اليها التلف والخراب نتيجة لتدهور الحالة السياسية والاقتصادية واهمال شأن الترع والجسور والقناطر والعيون فى العصر العثمانى ، فكان أن أرسل السلطان العثمانى رسولا يحمل مرسومين (سنة ١١٢١ هـ — سنة ١٧٠٩ م) ، أحدهما خاص بأمر بناء قنطرة اللاهون ، على أن يدفع ما يصرف عليها من مال الخزينة العامرة ولكن القنطرة تصدعت مرة أخرى على أثر الفوضى التى سادت البلاد أيام الحملة الفرنسية وتنازع المماليك على تولى السلطة ، فقد سار الألفى وجماعته الى الفيوم واستقروا بمنطقة اللاهون وكسروا القنطرة وأخذوا فى جباية الضرائب والأموال ، واستمر الحال على ذلك حتى أجلاهم عنها محمد على . وقد جاء ذكر هذه

القنطرة فى كتاب وصف مصر للحملة الفرنسيه (١) ، بأن الغرض من بناء هذه القنطرة كان للتحكم فى المياه ، وليس كما أشـاروا الى أن هناك احجـارا منزوعة من أماكنها ، وأن أهـالى المنطقة قالوا لهم ان تلك الأحجـار كان منقوشا عليها كتابات عربية .

وفى القرن التاسع عشر سنة ١٨٢٥ م أجريت للقنطرة عمارة كبيرة ، اذ قام المعمار (لينان دى بلفون) بانشاء قنطره أمام القنطره القديمه لتدعيمها وتقويتها ، وقد تكون من هاتين القنطرتين القنطره التى نراها اليوم .

قنطرة ومسجد خوند أصلباى : (لوحة رقم ٤١ ، ٤٢)

أنشأت هذه القنطرة السيده خوند أصلباى فى القرن الخامس عشر . والسيدة خوند أصلباى زوجة السلطان قايتباى وأخت السلطان الملك الظاهر قانصوه ، كما انها والدة السلطان محمد بن قايتباى الذى تم فى عهده انشاء هذه العمائر سنة ١٤٨٠ م . ويقال أن السيدة خوند أصلباى أقامت هـذه المنشآت بناء على اشارة من الشيخ الصالح الورع عبد القادر الدشطوطى . وتتكون القنطره من عقدين من الحجر ، وهى مقامة على بحر يوسف . وفى ١٨٩٤ م أعيـد بناء هذه القنطرة وقد عرفت منذ ذلك الوقت باسم قنطـرة الوداع ، وذلك لوقوعها عند أطراف المدينة وانها موصلة الى جبانتها .

أما المسجد (لوحة رقم ٤١) فقد بنى الجزء الأكبر منه علىهذهالقنطرة، ولكن لما تصدع بنيانه وسقط الجزء المقام على القنطرة فى بحر يوسف أعيد بناء واجهتـه البحرية ، واصبحت مساحته مقصورة على الجـزء المبنى على الأرض ويوجد على باب المسجد لوحة رخامية نقش عليها اسم المنشىءوتاريخ الانشاء ، وكان المسجد حافلا بكثير من التحف المنقولة التى ارسل بعضها الى مصلحة الآثار وما يزال بعضها الآخر موجـودا به ، مثل المنبر المطعم بالعاج والصدف والذى يشهد ببراعة الصانع العربى فى العصر المملوكى .

مسجد الأمير سليمان الشهير بالمعلق : (لوحة رقم ٣٧)

يرجع تاريخ انشاء هذا المسجد الى أوائل العصر العثمانى ، فقد بناه الأمير سليمان بن جانم بن قصروه ، كاشف (حاكم) البهنساوية والفيـوم

(١) الدولة الحديثة جـ ١٦ .

سنة ٩٦٦ هـ — ١٥٦٠ م . ويشبه هذا المسجد من حيث التخطيط والزخارف مساجد المماليك الجراكسه ، فقد حفل سقف المسجد بزخارف ونقوش كتابيه تشبه الى حد كبير نقوش وكتابات خانقاه الأشرف برسباى بالصحراء . وقد عرف المسجد باسم المعلق وذلك لارتفاعه عن سطح الأرض .

قبة مسجد الشيخ على الروبى : (لوحة رقم ٣٨)

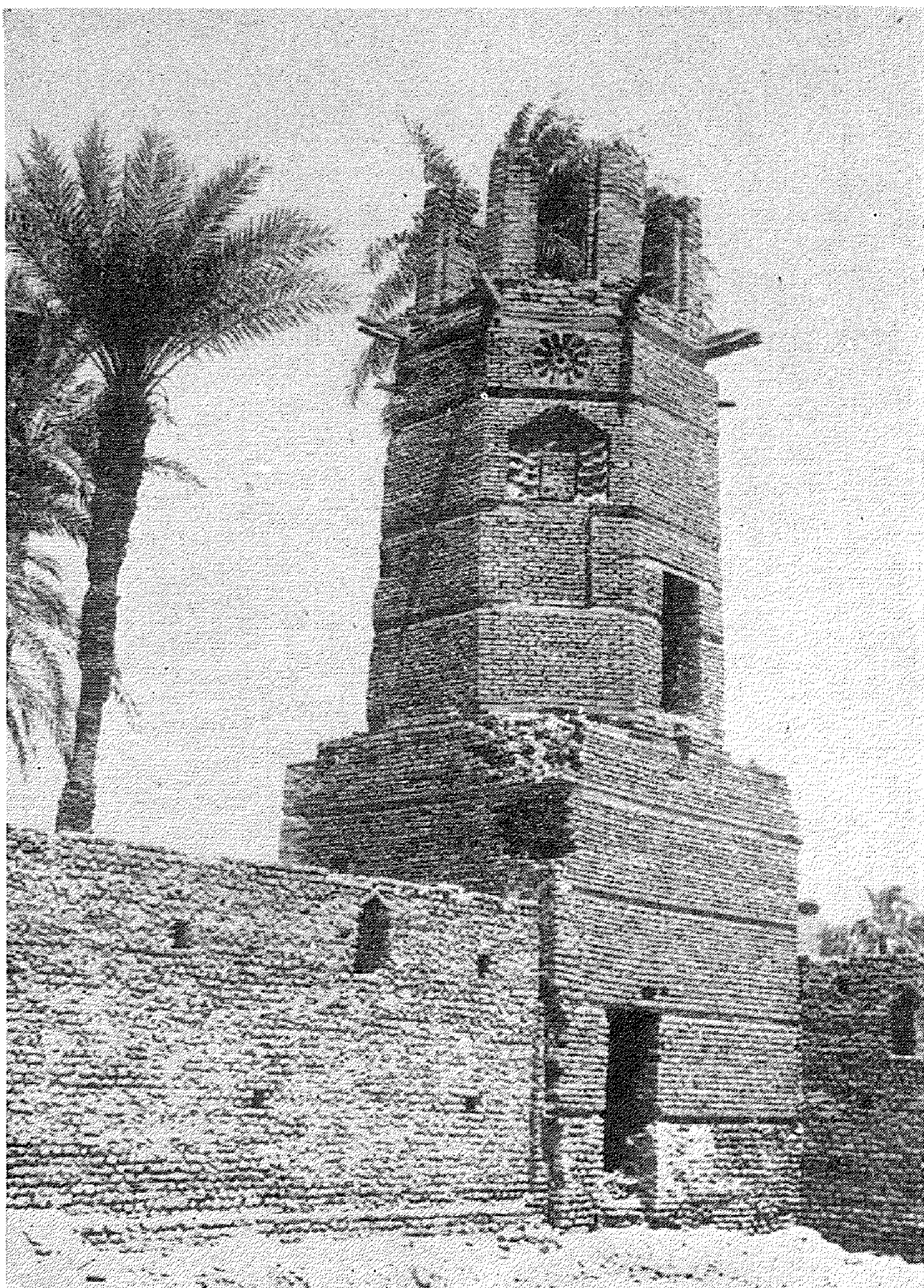
ينسب هذا المسجد الى الشيخ الصالح الورع على الروبى المتــوفى سنة ٧٩٣ هـ كما هو منقوش على اللوح الخشبى الموجود بداخــل القبه . على اننا نجد فى ترجمة الشيخ على الروبى فى كتاب ابن اياس (١) انه توفى سنة ٧٨٥ هـ ، ولذلك فانى ارجح ان يكون التاريخ المنقوش على الخشــب بالقبه ليس هو تاريخ الوفاه ولكنه تاريخ الانتهاء من بناء المسجد والقبه ، وذكر خطأ انه تاريخ الوفاة . اما القبة فعبارة عن قاعدة مربعة الشكل مبنية بالآجر ولها بابان ، ويتوسط كل ضلع من اضلاع المربع عمود من الرخــام يحمل كل منها عقدين . وقد حول المربع الى دائرة لاقامة القبة عليه،بواسطة طاقية مخوصة فى اركان المربع ، وتشبه هذه الطواقى الى حد كبير مثيلاتها فى القبة الفدويه وقبة مسجد سنان باشا . ويعلو هذه الطواقى مقرنصات من أربع خطات ، واستعمال الطواقى والمقرنصات معا فى منطقة الانتقال لتحويل المربع الى دائرة يعتبر من المميزات التى امتازت بها قبة الــروبى دون غيرها من قباب مصر . كذلك تمتاز القبــة باحتوائها على ايوانين ، وان كنــا نجد هذه الظاهرة فى قباب فارسكور .

ويجاور القبة مئذنة المسجد ، ومن المرجح ان يكون المسجد وكــذا القبة والمئذنة قد جددت فى القرن التاسع عشر على يد الأمير حسين بك .

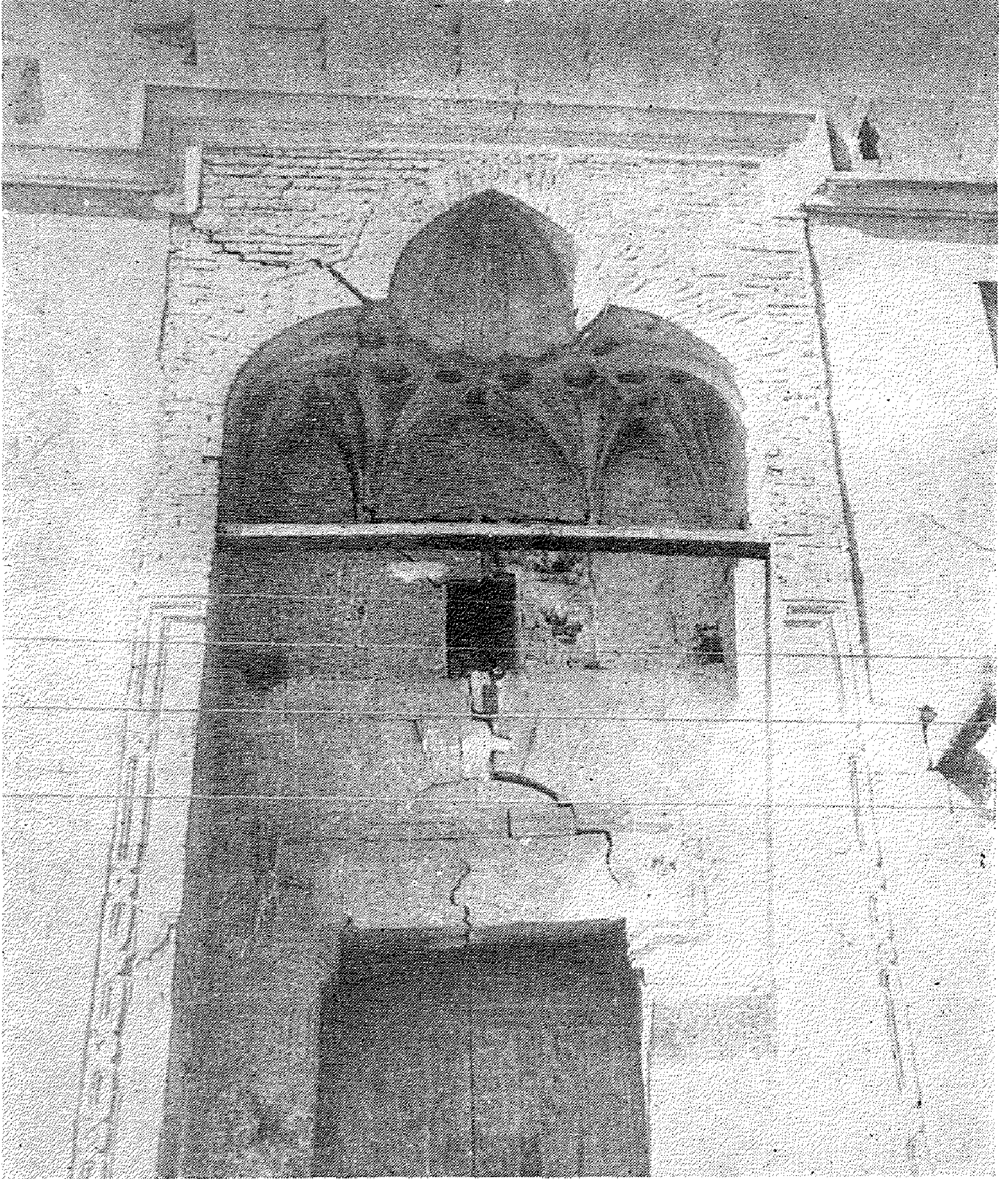
مرسوم سلطانى فى عهد الغورى

وقد عثرت مصلحة الآثار سنة ١٩٥٠ على لوح كبير من الرخام الأبيض طوله ٧٥ سم وعرضه ٢٢٫٥ سم فى مقبرة الشماشرجى المجــاورة لمســجد الشيخ على الروبى بمدينة الفيوم . ويحتوى هذا اللوح الرخامى على أحــد

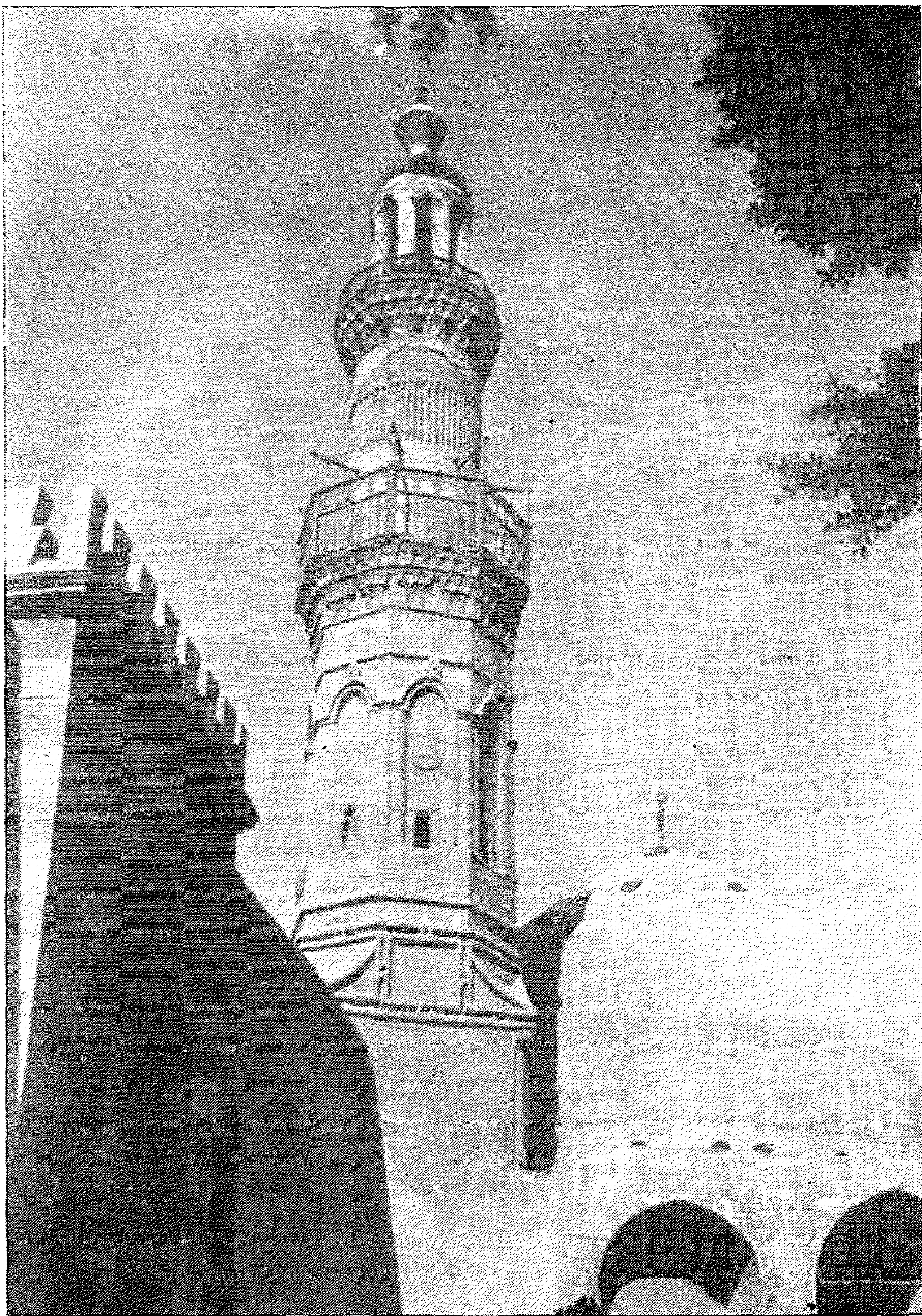
(١) ابن اياس جزء أول ص ٢٥٤ .



لوحة رقم (٣٦) تبين منارة مسجد دلاص بمحافظة بني سويف . وترجع الى العصر الفاطمى



لوحة رقم (٣٧) تبين واجهة مسجد الامير سليمان المعروف باسم المسجد المعلق
ويرجع الى القرن السادس عشر بمدينة الفيــوم

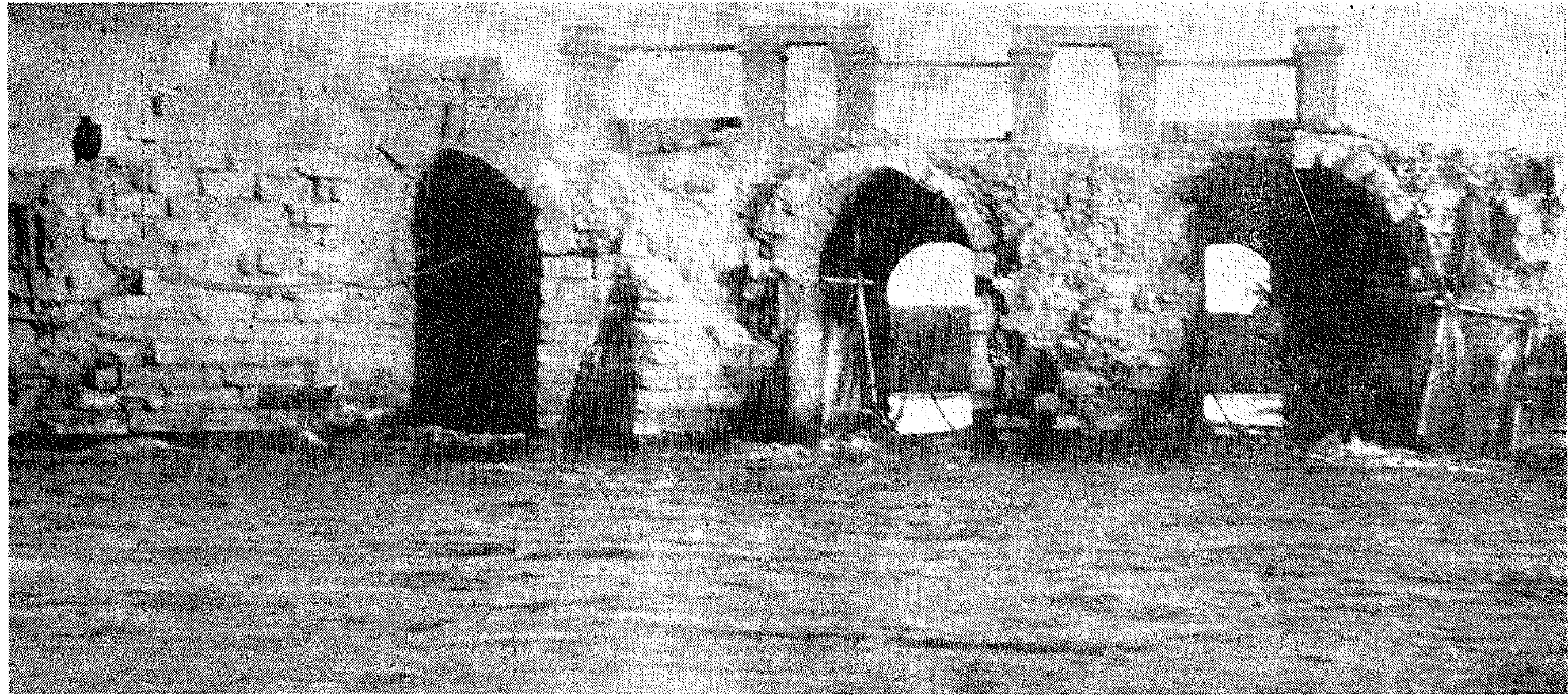


لوحة رقم (٣٨) تبين قبة ومئذنة مسجد الروبى المتوفى سنة ٧٩٣ هـ كما هو ثابت
فى لوحة خشبية بداخل القبة ، أما المسجد فقد أعيد بناؤه في القرن التاسع عشر

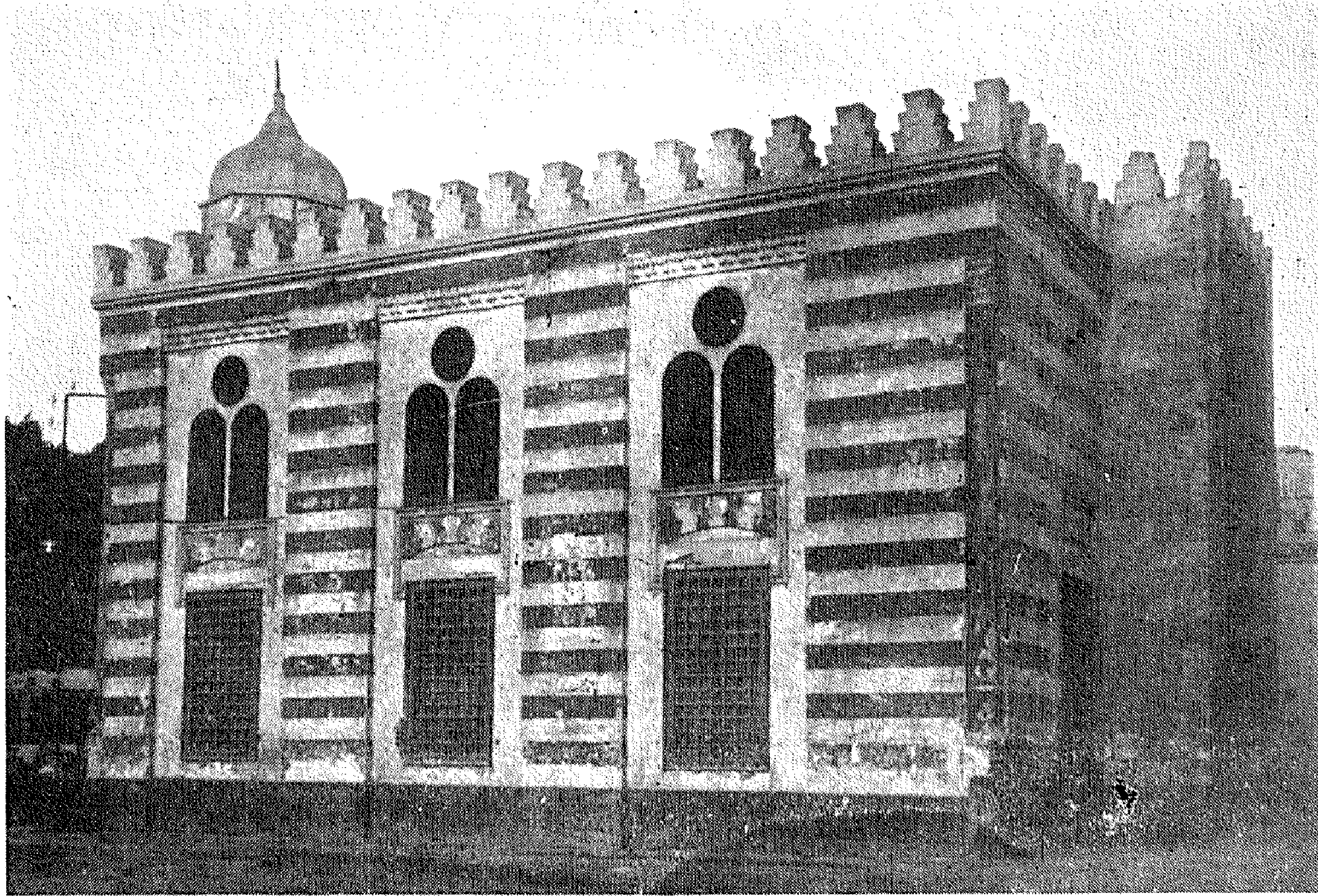


لوحة رقم (٣٩) تبين اللوح الخشبى الموجود بضريح الشيخ على الروبى وقد كتب النص الاتى :

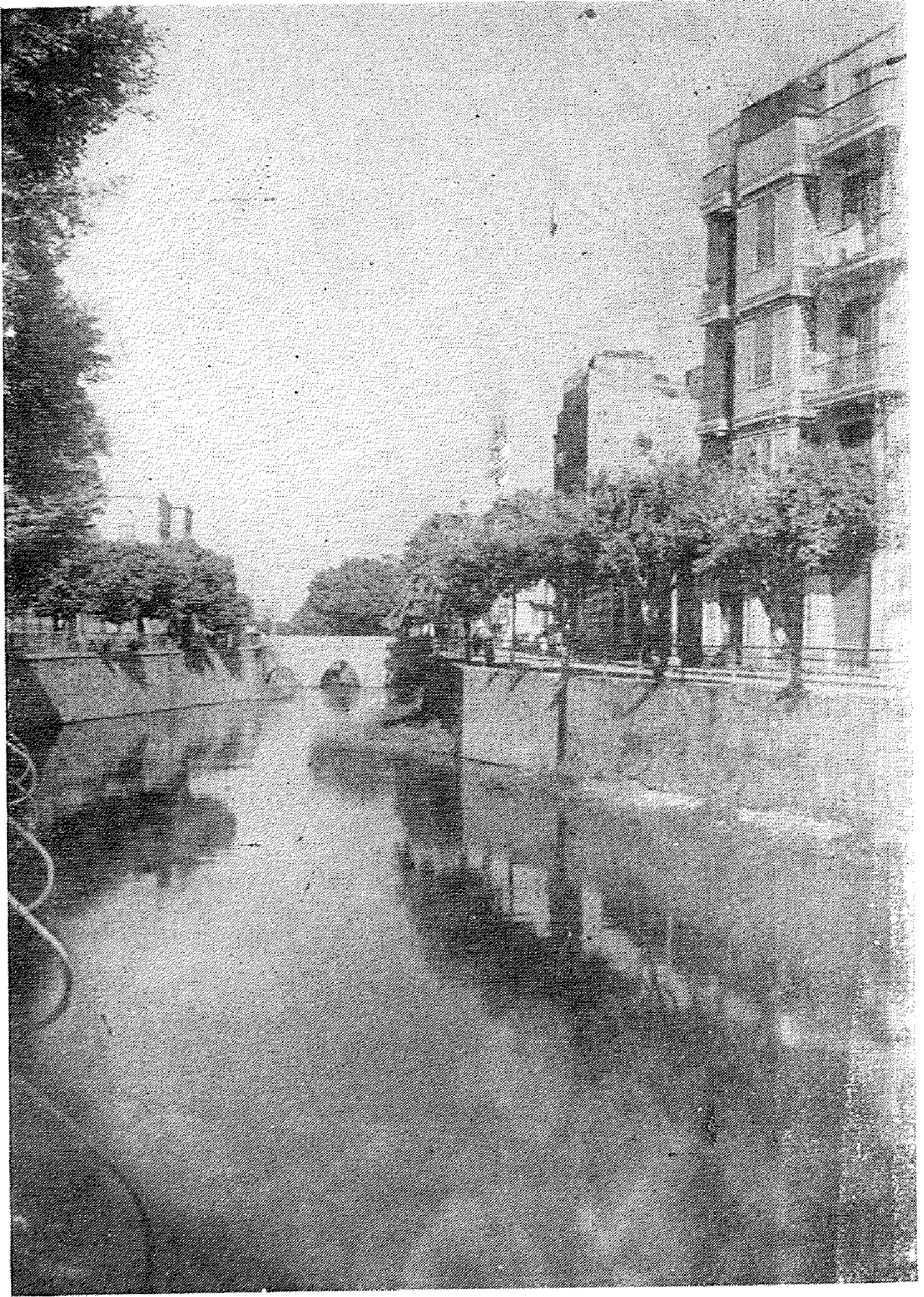
(١) بسم الله الرحمن الرحيم الا ان أولياء الله لاخوف عليهم
(٢) ولاهم يحزنون ، هذا ضريح الشيخ العابد الزاهد الشيخ على الروبى
(٣) انتقل الى رحمة الله فى السادس والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة



لوحة رقم (٤٠) تبين قنطرة اللاهون بمدينة الفيوم



لوحة رقم (٤١) تبين مسجد خوند اصلباى زوجة السلطان قايتباى يقع المسجد على قنطرة اللاهون



لوحة رقم (٤٢) تبين قنطرة الشيخ سالم على بحر يوسف بمدينة الفيوم

عشر سطرا بالخط النسخ المملوكى منقوشة باسلوب متشابك ومتـداخل . والواقع ان مصلحة الآثار قد عنيت بهذا المرسوم وامثاله عناية خاصة ، لأنه كما جاء فى محاضر جلساتها ، يوضح ناحية هامة من نواحى الأعلام والاعلان فى العصور الوسطى ، فقد أختير المسجد مكانا للاعلام والاعلان على اعتبار انه مكان اجتماع الناس ، كما ان قدسيته تمنع الناس من ان يمسوا الاعلان بسوء . وقد ورد فى هذا المرسوم انواع من مصـادر الثروة فى مصر الى جانب الثروة الزراعية ، فهو لذلك على جانب كبير من الأهمية من الناحية الاقتصادية وفيما يلى نص هذا المرسوم :

١) المرسوم بالأمر الشريف السلطانى الملكى الأشرفى أعزه الله
٢) وشرفه وأنفذه وصرفه أن يعفى ما هو جارى فى وقف جامع
٣) الفيوم المعمور بذكر الله تعالى المشمول ذلك بنظر سيدى الشيخ
٤) عبد القادر الدشطوطى نفعنا الله به وهو سرجه بمدينة الفيوم ذات
٥) حجرين وجفارات وطاحون ومصبغة وحوانيت كل ذلك بمـدينة
٦) الفيوم وقاعتين قزازه بخط بين الحارات قرب جامع الطواشى
٧) بها خمسة أنوال تعرف قديما بالملتوى من الرمايات والأطرون
٨) والخز وقطع المصابغه واحداث المظالم وتحديد ما
٩) اعفا دائما (أ) يستمر على الدوام والاستمرار ومنع من يتعرض
١٠) للجهات المذكورة ليسطر ثواب وذلك من الصحايف .
١١) الشريفه وذلك سادس ربيع الآخر سنة تسع وتسعمائه .

والمقصود هنا من مسجد الفيوم ، كما تقول مصلحة الآثار ، هو مسجد خوند آصـلباى الذى انشىء بمدينة الفيوم باشـارة الشيخ عبد القـادر الدشطوطى . أما الاعيان التى ذكرت فبعضها بمدينة الفيوم مثل السرجـه والطاحون والمصبغة ، اما قاعتا القزازة فبحارة بين الحارات قرب مسـجد الطواشى بحى باب الشعريه بالقاهرة .

محافظة الجيــزة

كانت محافظة الجيزة ، فى عهد الفراعنة والبطالمة والرومان ، ثلاثة أقسام منفصلة بعضها عن بعض . وهى قسم أوسيم وقسم منف وقســم أطفيح ، وبقى هذا التقسيم أيام العرب أيضا . وفى العصر الفاطمى ضم قسما أوسيم ومنف وتكون منهما قسم واحد باسم الجيزة وبقى قسم أطفيح قائما بذاته . واستمر هذا التقسيم طوال العصر الأيوبى والمملوكى وكان يقال لها الأعمال الجيزية ، وفى العصر العثمانى سميت ولاية الجيزة وفى سنة ١٨٥٩ م ألغيت مديرية الجيزة ، وأحيلت أعمالها الى مديريتى القليوبية وشرق أطفيــح وفى سنة ١٨٨٩ م أعيد تكوين مديرية الجيزة وفى سنة ١٩٦٠ أصبح اســمها محافظة الجيزة . (١)

والجيزة من المدن القديمة التى أنشئت وقت الفتــح العــربى ، قال ياقوت (٢) ، الجيزة بالكسر لغة العرب أى أفضل موضع فيه كله . والجيزة بليدة فى غربى الفسطاط مصر قبالتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل كور مصر . وجاء فى الخطط (٣) المقريزية ، الجيزة الناحية ، والجانب الجيز جانب الوادى وقد يقال فيه الجيزة ، ثم قال والجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل من جانبه الغربى تجاه مدينة الفسطاط . وورد فى الانتصار (٤) أن مدينة الجيزة هى مدينــة اسلامية بنيت سنة ٢١ هـ ، وفى احسن (٥) التقاسيم أن الجيــزة مدينة خلف العمود (مقياس النيــل بالروضة) كانت

---

(١) القاموس الجغرافى .

(٢) معجم البلدان جـ ٣ ص ١٩٢ .

(٣) المقريزى جـ ١ ص ٣٣٢ .

(٤) ابن دقماق ص ٥٧ .

(٥) المقدسى ص ١٩٣ .

الطريق اليها من الجيزيرة (جزيرة الروضة) على جسر الى أن قطعه الخليفة الفاطمى .

ويقول ياقوت (١) وكذا القضاعى عن السبب الذى من أجله أنشئت مدينة الجيزة ، ولما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم فى تلك الناحية . فلما استقر عمرو فى الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا اليه فكرهوا ذلك وقالوا هذا مقدم قدمناه فى سبيل الله وأقمنا به ما كنا بالذين نرغب عنه ونحن به منذ شهر . فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب يخبره بذلك فرد عليه عمر ، كيف رضيت أن تفرق عنك أصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدرى ما يفاجئهم فلعلك لاتقدر على غياثهم ، فاجمعهم اليك ولا تفرقهم ، فان أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من فىء المسلمين . فجمعهم عمرو وأخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم ، فكرهوا ذلك وقالوا لا حصن أحصن لنا من سيوفنا ، وكرهت ذلك همدان ويافع ، فأقرع عمرو بينهم فوقعت القرعة على يافع فبنى فيهم الحصن فى سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه فى سنة اثنتين وعشرين . وأمرهم عمرو بالخطط بها فاختطت كل قبيلة خطة لها

مما تقدم ، يتبين لنا أن مدينة الجيزة هى ثانية اثنتين اختطهما العرب بمصر بعد فتحهم لها . ومن القصص التى يرويها المقريزى (٢) عن الجيزة ، يقال أن مسجد التوبة الذى بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذى قذفته أمه فى النيل ، وبها النخلة التى أرضعت مريم تحتها عيسى عليه السلام . كما ورد فى المقريزى نقلا عن القضاعى ، سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة ، أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان (كذا) وفيه أثر نبيين أحدهما سجن يوسف ، وذكر أنه سجن به سبع سنين ، وكان الوحى ينزل عليه والنبى الآخر موسى عليه السلام ، وقد بنى على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى . (وهو مسجد التوبة) . ولا

---

(١) معجم البلدان جـ ٣ ص ١٩٣ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ٣٣٣ .

يعنينا فى هذا البحث أن نحقق ما جاء فى هذه القصص ، ولكن الذى نستطيع أن نقول به ان هذه المنطقة ظلت طوال العصر الاسلامى ينظـر اليها كمنطقة مباركة « يرجى أن يستجاب فيها الدعاء » ويقول القضـاعى فى ذلك ، ان كافور الاخشيدى سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف باجابة الدعاء ليدعو فيه ، فأشار عليه بالدعاء على سطح سجن يوسف ، ثم يضيف وكان لسجن يوسف وقت ، يمضى الناس اليه يتفرجون عليه . وذكر المسبحى (١) فى حوادث سنة ٤١٥ هـ أن الخليفة الفاطمى ، الظاهر لاعزاز دين الله ، خرج وعدى فى سائر عساكره الى الجيزة فى أربع عشاريات ، وأربع عشرة بغلة من بغال النقل ، وفى جميع من معه خاصته وحرمه الى سجن يوسف عليه السلام ، وأقام هناك يومين وليلتين ، ويقال ان كعب الأحبار الصحابى مدفون بالجيزة (٢) . ويقول المقريزى (٣) ان أول مسجد جامع بنى بالجيزة أنشأه محمد بن عبد الله الخازن سنة ٣٥٠ هـ بأمر الأمير على بن الأخشيد وأشرف عليه كافور ، وكان الناس قبل ذلك يصلون الجمعة فى مسجد همدان . ثم بنيت بعد ذلك عدة جوامع أشـهرها الجامع القديم المعروف بجـامع أمير الجيوش . وجاء فى الجبرتى (٤) ، أن بالجيزة جامعا يعرف بجامع أبى هريرة الذى جدد سنة ١١٨٨ هـ . وأبو هريرة هذا ليس هو الصحابى المعروف ، فقد ذكر ابن جبير (٥) ، وفى سنة ٧٢٤ هـ ، منع الناصر محمد بن قلاوون الوزير أن يتعرض الى شىء مما يتحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمـل اليه ، وأضاف ، وبخارج الجيزة موضع يعرف بأبى هريرة فيظن من لا علم له أنه أبو هريرة الصحابى وليس كذلك ، بل هو منسوب الى ابن ابنته . وجاء فى تحفة الأرباب (٦) وبغية الطلاب ، أن أبا هريرة الصحابى مات على بعد فراسخ من المدينة وحمل اليها ودفن بالبقيع . ويقول على مبارك (٧) ، ومدينة الجيزة كثيرة الأسواق والوكائل والخانات وحوانيت مملوءة بالتجارة والبضائع من

(١) تاريخ مصر ص ٢١٧ .
(٢) معجم البلدان جـ ٣ ص ١٩٤ .
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٣٣٤ ، النجوم الزاهرة .
(٤) الجبرتى ص ٦٣ .
(٥) ابن جبير ص ٢٢ .
(٦) السخاوى ص ٥٩ .
(٧) الخطط التوفيقية جـ ١٠ ص ٥٨ .

جميع الأصناف ، كما يوجد بها كثير من أرباب الحرف ، فيوجد بها تجار البز والحرير والنحاس والعقاقير والدخان ومعاصر الزيوت وطواحين بخارية ، ومعامل للفخار وأنوال لنسج القطن وغيره . وقد اتخذت سكنا للأمراء والمماليك وكبار رجال الدولة منذ العصر العثماني . ومن العلماء الأفاضل الذين ينتسبون الى الجيزة الربيع الجيزى صاحب الامام الشافعى ، وهو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الأزدى توفى سنة ٢٥٦ هـ بالجيزة ودفن بها . ومنهم بهاء الدين أبو الحسن على بن هبة الله خطيب مصر وأعلم اهل زمانه ، وقد مدحه كثير من المؤرخين فقال أبو المحاسن (١) انه كان كثير الصحبة بالملك الصالح نجم الدين أيوب . ولما سافر الى الحج أهدى اليه ملك اليمن هدية فقبلها فحنق عليه وفارق صحبته وتوفى سنة ٦٤٩ هـ . ومنهم أيضا الطبيب على بن رضوان (٢) بن على بن جعفر ، كان عالم مصر فى أوانه فى أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، وكان أول أمره منجما ، ثم قرأ شيئا من الطب وشيئا من المنطق ، وصنف كتبا بلغت اثنين بعد المائة كلها مبتكرة مستنبطة وتوفى سنة ٤٦٠هـ .

بولاق الدكرور :

قال المقريزى (٣) عند ذكر جامع التكرورى ، ان هذه الناحية من قرى الجيزة ، كانت تعرف بمنية بولاق ، ثم عرفت ببولاق التكرورى ، بعد أن نزل بها الشيخ أبو محمد يوسف بن عبد الله التكرورى فى عهد العزيز بالله الفاطمى ، وكان الناس يعتقدون فيه الخير والصلاح ، فلما مات بنى عليه قبة وعمل بجانبها جامع ، فاشتهرت هذه القرية من ذلك الوقت باسم بولاق التكرورى . ويقول محمد رمزى (٤) ، أن بولاق قرية مصرية قديمة اسمها بيلاق وهى كلمة مصرية قديمة معناها المرساة والموردة واطلق هذا الاسم على بيلاق هذه لأنها كانت الموردة قبل انشاء مدينة الجيزة ثم حرف اسمها الى بولاق . ولما أنشأ الملك الناصر محمد بن

(١) النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٩٢ .
(٢) عيون الانباء لابن أبى أصيبعة جـ ٢ ص ٩٩ ، تاريخ الحكماء لابن القفطى ص ٤٤٣ .
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٣٣٢ .
(٤) القاموس الجغرافى جـ ٣ ص ٩ .

قلاوون (١) سنة ٧١٣هـ مدينة جديدة على النيل تجاه القاهرة سماها بولاق لأنها موردة ترسو فيها السفن القادمة الى القاهرة والمسافرة منها . وذكر المقريزى أنه بعد سنة ٧٩٠ هـ طغى ماء النيل على بولاق التكرور ، فأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن ، فخاف أهل البلد أن يأخذ (النيل) ضريح الشيخ التكرورى والجامع لقربهما من النيل ، فنقلوا الضريح والجامع الى داخل البلد ، ولا يزال ضريح الشيخ التكرورى فى مكانه الذى نقل اليه بالبلد القديمة وليس فى بولاق الدكرورى كما يظن البعض . ويقول محمد رمزى انه فى سنة ١٨٦٣م حول مجرى النيل من الغرب الى الشرق لامكان توفر الماء اللازم لشرب سكان القاهرة ، وبذلك أصبحت مساكن قرية بولاق التكرور بعيدة عن شاطئ النيل ، وفى سنة ١٨٦٨م هدمت مساكن هذه القرية وعوض أهلها فانتقلوا الى مكانها الحالى بجوار محطة بولاق الدكرور ويتضح لنا من هذا ، أن قرية بولاق الدكرور هذه ليست فى مكانها الأصلى القديم ، وأن الجامع الذى جدده الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ قد اندثر ، وأن اللوح الرخام الذى كان مركبا على بابه نقل الى باب ضريح الشيخ يوسف التكرورى الموجود الآن مع أضرحة أخرى بين مبنى وزارة الزراعة ومبنى المتحف الزراعى .

المنـــــــاوات :

وهى قرية مصرية قديمة اسمها الأصلى منية أندونه ، ذكرها المقريزى (٢) فقال ، انها احدى قرى الجيزة ، عرفت بأندونة كاتب احمد المدائنى . كان يتقلد ضياع موسى ابن بغا التى بمصر فقبض أحمد بن طولون على أندونة هذا وأخذ منه خمسين ألف دينار . ووردت هذه القريةفى قوانين ابن مماتى (٣) مع منيةقادوس المجاورة لهاباسم منيتىقادوس وأندونه من أعمال الجيزة ، وفى الروك الناصرى ، فصلت من منية قادوس ، وذكرها ابن اياس (٤) باسم المناوات ، وفى تاريخ سنة ١٨٣٨ ميت اندونة وهى

(١) النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ٨٧ ، المقريزى جـ ١ ص ٣٣٤ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ٣٣٥ .
(٣) ابن مماتى ص ٢٣٧ .
(٤) ابن اياس جـ ٣ ص ١١٢ .

المناوات . ويقول محمد رمزى ان المناوات جمع منيــة وكانت تطلق على ثلاث قرى متجاورة فى السكن وكل قرية منها تسمى منية وهى منيةاندونة ، ومنية قادوس ومنية الشماس ، ولما اختفى اسم منية اندونة أصبح اســم المناوات خاصا بهذه الناحية .

العزيزية :

هى من القرى القديمــة وردت فى كتــاب احسن التقاسيم (١) قال ، ان العزيزية وهى من مدينة منف القديمة ، وقــد اختفت وخربت وكانت مصر فى القديم ، وبها كان ينــزل فرعون ، وفيها قصره ومسجد يعقوب ويوسف . وذكرهــا ياقوت (٢) ان العزيزية خمس قرى بمصر ، تنسب الى العزيز بالله الفاطمى ومنها قرية بالجيزة . وورد فى صبح (٣) الأعشى ، انه يوجد فى شمال منف بلدة صغيرة تعرف بالعزيزية يقال أنها كانت منزلة العزيز وزير الملك ، وهناك مكان على القرب يعرف بزليخا ، ويقول محمد (٤) رمزى انه لما خربت مدينة منف منذ آخر أيام الحكم الرومانى بمصر ، أقيم على أطلالها وفى أراضيها قرى العزيزية ومنية رهينة والبدرشين وصقارة ، ثــم يضيف ، والظاهر أنه لما تولى العزيز بالله الفاطمى اختاروا له خمــس مدن قديمة وأطلقوا عليها اسمه تخليدا لذكره وكانت احداها العزيزية هــذه . ووردت العزيزية فى دواوين ابن مماتى (٥) ، العزيزية من أعمال الجيزة .

ســـــاقية مكى :

هى من النواحى القديمة ، اسمها الأصلى ساقية مكى(٦) سميت بهذا الاسم لأن أراضيها كانت وقفــا على اشراف مكة المكرمة . وفى بدء تكوين هذه الناحية كان عليها ساقية فعرفت بساقية مكة ، وحرفت الى مكى فى العصر العثمانى ، ووردت باسمها الحــالى فى وصف الحملة الفرنسية لمصر .

---

(١) المقدسى ص ١٩٤ .
(٢) معجم البلدان جـ ٦ ص ١٧١ .
(٣) صبح الأعشى جـ ٦ ص ١٤٧ .
(٤) القاموس الجغرافى جـ ٣ ص ٦ .
(٥) ابن مماتى ص ٩٧ .
(٦) القاموس الجغرافى جـ ٣ ص ١٥ .

ميت القـــــايد :

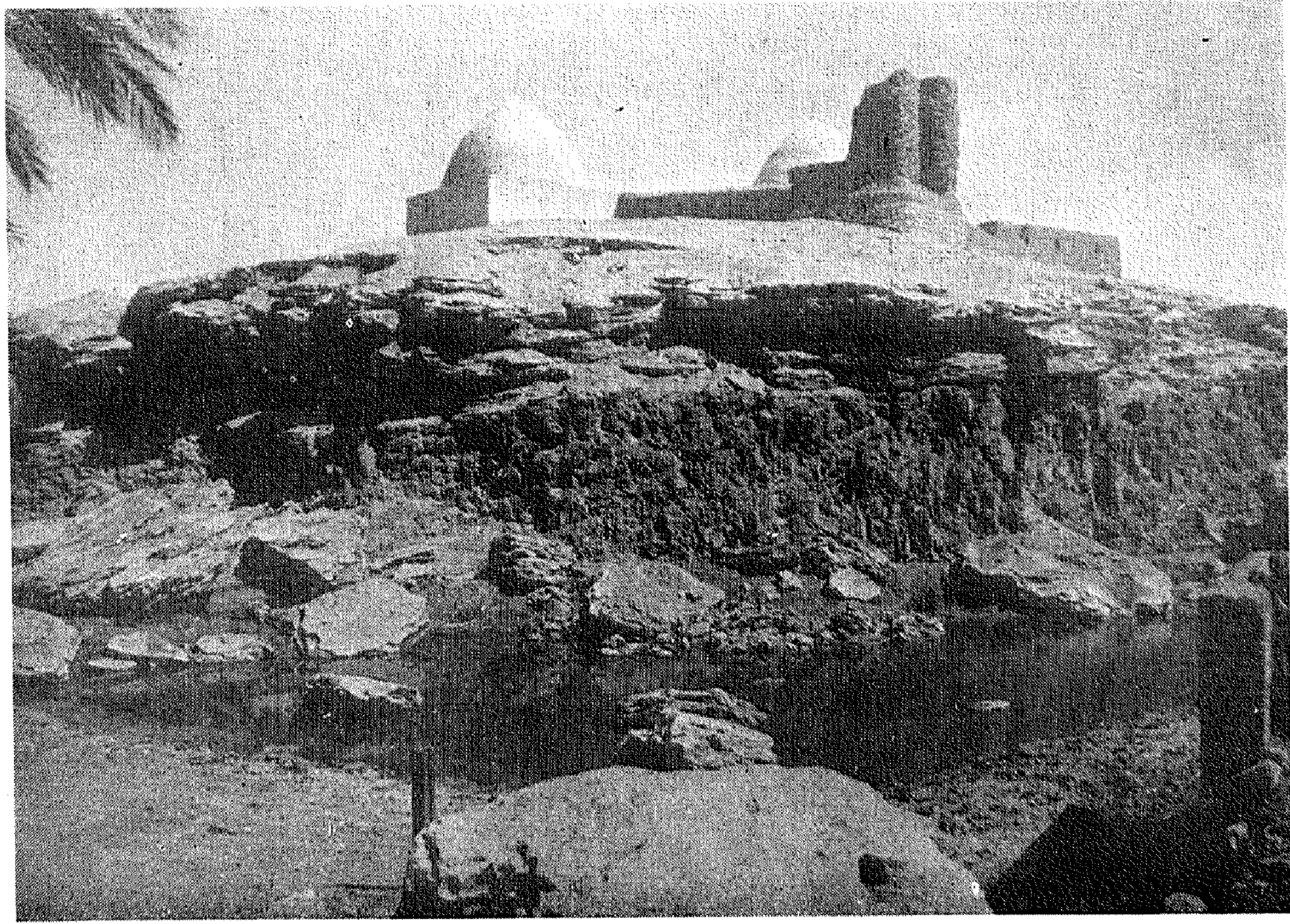
وهى من القرى القديمة اسمها الأصلى منية القائد ، أنشأها القائد فضل ابن صالح (١) أحد قواد جيش الخليفة العزيز بالله الفاطمى . وردت فى قوانين ابن مماتى (٢) منية القائد من الأعمال الجيزية وفى تاريع سنة ١٨١٣م حرف اسمها من منية الى ميت ومن القائد الى القايد .

ميت عقبة :

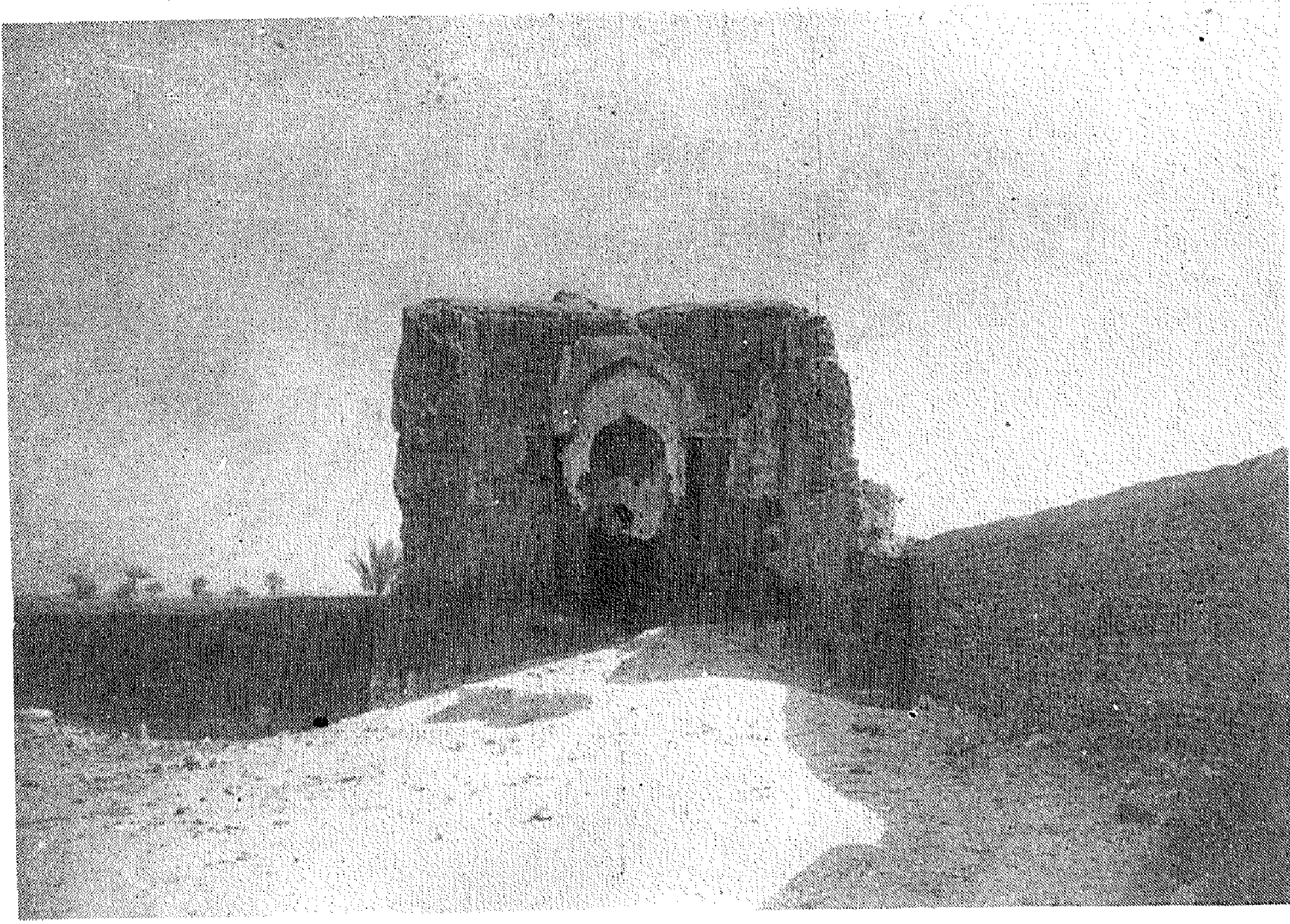
هى من القرى القديمـــة اسمها الأصلى منية عقبة ، ذكرها المقريزى (٣) ان الذى أنشأها هو عقبة بن عامر الجهنى والى مصر من قبل الخليفة معاوية ابن أبى سفيان سنة ٤٥هـ ، ولأنها كانت واقعة فى ذلك الوقت عـلى الشاطىء الغربى للنيل قبل تحويله الى الشرق ، عرفت باسم منية عقبة . وردت فى قوانين ابن مماتى (٤) منية عقبة من أعمال الجيزة ، وفى تاريع سنة ١٨١٣ حرف اسمها الى ميت عقبة .

---

(١) ياقوت جـ ٦ ص ١٧٢ .
(٢) ابن مماتى .
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٣٣٤ .
(٤) ابن مماتى ص ٩٧ .



لوحة رقم (٤٣) منظر عام يبين مسجد موسى بسفح الجبل الشرقى بمركز الصف



لوحة رقم (٤٤) تبين محراب مسجد موسى الذى يرجع تاريخ انشائه الى العصر الفاطمى



لوحة رقم (٤٥) تبين مسجد موسى المجدد ، والمعروف باسم مسجد التوبة



لوحة رقم (٤٦) تبيـن المنظر العام لدير انبا بشواى بالجيزة

الآثار الباقيـة

مسجد موسى : (لوحة رقم ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥)

يقع هذا المسجد على هضبه عاليه بسفح الجبل الشرقى بقرية مسجد الشيخ موسى بمركز الصف ، ويرجع تاريخ انشاء هذا المسجد الى العصر الفاطمى ، وقد تهدم الآن ولم يبق منه الا محرابه . والمسجد مبنى من الطوب اللبن ، ويبدو من بقايا الجـــدار القبلى ان المسجد كان له دور ثان بدليل وجود تجويف فى أعلى الجدار . وتقول مصلحة الآثار ان ظاهرة وجود دور ثان به محراب ، قد وجد كذلك فى مقبرة بنت المقوقس الذى انشىء قبـل العصر الفاطمى . وقد عثرت مصلحة الآثار على اجزاء من لوحة تذكارية كانت موجودة بهذا المسجد وهذه اللوحة خاصة بالتجديد وليس بالتأسيس وقد أمكن قراءة الآتى منها : ـ

« واقام الصلاة » وهى نهاية السطر الأول ويمكن قراءة أول السطر الثانى من الوجه الثانى . وقد قام الأهالى الآن بعمل دعامه خلف المحـراب للمحافظة عليه .

محافظة المنوفيـــة

تكونت كورة المنوفية فى العصر الفاطمى نسبة الى مدينة منوف التى كانت قاعدة لها ، وفى ســنة ٧١٥ هـ سميت الأعمــال المنــوفية وفى العصر العثمانى أطلق عليها ولاية المنــوفية ، وفى ســنة ١٨٣٣ م سميت مــديرية المنوفية وأصبحت قاعدتها شبين الكوم بعد أن كانت منوف (١) وفى ســنة ١٩٦٠ أصبحت تعرف باسم محافظة المنوفية .

منـــوف :

مدينــة قديمــة ذكر جوتييــه وكذا أميلينــون أن اسمها القبطى (Banoufis) وهى منــوف العليــا ، وقال ابن حــوقل (٢) ، ان منــوف مدينة كبيرة بها حمامات وأسواق وأهلها أهل تناية (٣) ويسار ، وفيهم من وجوه الناس ولها اقليم عظيم وعمل ، يليه عامل كبير وقاض . ووردت فى ابن مماتى (٤) ، منوف من أعمال المنوفية ، وفى معجم (٥) البلدان منوف من قرى مصر القديمة بأسفل الأرض من بطن الريف ويقال لــكورتها المنوفية . وذكرها القلقشندى (٦) فقال : عمل المنوفية أوله من الجنوب القرية المعروفة بشطنوف ، على أول الفرقة الغربية من النيل ، ومقــر ولايته مدينة منوف ، وهى مدينة اسلامية بنيت بدلا من مدينــة قديمة كانت قــد خربت ، وبقيت آثارها كيمانا ، وولايتها من أنفس الولايات وقــد أضيف اليها عمل ابيار وهى جزيرة بنى نصر ، ثم أضاف ، ومنوف مدينة حســنة ذات أســواق

(١) القاموس الجغرافى ج ٢ ص ٢٢٢ .
(٢) ابن حوقل ص ٢٣٧ .
(٣) تنايه أى أهل فلاحة وزراعة .
(٤) ابن مماتى ص ٢٧٨ .
(٥) ياقوت ج ٨ ص ١٧٨ .
(٦) صبح الاعشى ج ٩ ص ١٢٧ .

ومساجد ، ومسجد جليل للخطبة وحمام وخانات فى تاريع (١) سنة ١٨١٣ باسم منوف العلا ، لأنها تقع بالقرب من رأس الدلتا فى مكان أعلى مما تقع فيه منوف السفلى التى تعرف اليوم باسم محلة منوف بمركز طنطا . وكانت منوف قاعدة الاقليم من الفتح العربى حتى سنة ١٨٢٦ ثم صارت قاعدته شبين الكوم لتوسطها بين بلاد الاقليم .

شبين الكوم :

من القرى المصرية القديمة اسمها الأصلى شبين السرى ، وردت فى قوانين ابن مماتى (٢) شبين السرى من أعمال المنوفية ، وفى تاريع سنة ١٨١٣ م باسمها الحالى ، وفى سنة ١٨٢٦ ، أصبحت شبين الكوم قاعدة المديرية ثم قاعدة المحافظة فى سنة ١٩٦٠ .

وجاء فى الخطط التوفيقية (٣) عن شبين الكوم ، أن الجغرافيين اتفقوا على أن هذه المدينة هى محل قرية قديمة سماها هيرودوت (أتريبش) وأنها فى جزيرة اسمها (بروزيتيس) ويعارض محمد رمزى (٤) هذا الرأى فيقول ، ان ما جاء فى الخطط التوفيقية خاصا بشبين غير صحيح لأن جزيرة (بروزيتيس) هى التى تسمى جزيرة نصر وأن شبين الكوم لم تكن من قرى تلك الجزيرة .

الشهداء :

جاء فى معجم البلدان (٥) ، مقابر الشهداء موضع بأرض مصر وقعت فيه حروب بين مروان بن الحكم وجنوده وبين الزبيرية من أهل مصر سنة ٦٥ هـ وقتل من الفريقين عدد عظيم ، فدفن المصريون قتلاهم فى هذا الموضع وسموه مقابر الشهداء .

واذا تتبعنا الأحداث التاريخية وجدنا ان مصر كانت فى القرن الأول الهجرى تحت حكم الدولة الأموية ، ولما مات الخليفة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة فصار أنصاره بمصر وأظهروا

---

(١) القاموس جـ ٢ ص ٢٢٢ .
(٢) ابن مماتى ص ٢٧٩ .
(٣) الخطط التوفيقية جـ ١٦ ص ٤٧ .
(٤) القاموس الجغرافى حـ ٢ ص ١٨٢
(٥) ياقوت جـ ٥ ص ٢٥٨ .

دعوته وسار اليه جماعة منهم ، فأرسل الى مصر عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم واليا عليها فوصلها فى شعبان سنة ٦٤ هـ فى جمع كبير من أنصار عبد الله بن الزبير الذين يسمونهم الخوارج . ولما بويع مروان بن الحكم الأموى بالخلافة جهز جيشا أمر عليه ابنه عبد العزيز بن مروان وأرسله الى مصر ، فأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه من دخول مصر ، ثم جاء الخليفة بنفسه الى مصر وحارب ابن جحدم فى عدة مواضع ، كان من بينها موضع بالمنوفية (١) سنة ٦٥ هـ قتل فيه من الفريقين عدد عظيم ، وانتهت المعركة بانتصار مروان بن الحكم ودخوله الفسطاط سنة ٦٥ هـ . وبعد انتهاء المعركة دفن أنصار ابن الزبير قتلاهم ، فى ذلك الموضع بجوار قرية سرسنا ، فاشتهر بين أهلها باسم مقابر الشهداء . وكان يوجد بجوار تلك المقابر كفر صغير عرف من ذلك الوقت باسم الشهداء وكان من توابع سرسنا ثم أخذ هذا الكفر يتسع بزيادة مبانيه ، وعدد سكانه الى أن أصبح قرية ورد ذكرها فى تاريخ سنة ١٨١٣ باسم سرسنا والشهداء ثم فصلت الشهداء عن سرسنا وأصبحت ناحية قائمة بذاتها .

أشمون :

قرية مصرية قديمة اسمها القبطى ، كما ذكرها ميلينو (Gemouni) ثم حرف الى أشموم . وردت فى نزهة المشتاق (٢) باسم اشمن جريس، وبين الدينار ، والجريس ، وهى مدينة صغيرة فى الغرب كثيرة العمارات والبساتين والجنات ، وذكرها ياقوت (٣) باسم أشموم قال ، وهى أشموم الجريسات بالمنوفية بمصر . وفى تاريخ ١٨١٣ (٤) وردت باسم أشمون جريس لمجاورتها لناحية جريس تمييزا لها من أشمون الرمان التى بمركز دكرنس .

وقد أنجبت محافظة المنوفية كثيرا من العلماء والأعلام فى الطب والسياسة والاجتماع والقانون ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

---

(١) النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٩٥ .
(٢) الادريسى ص ٢٧٩ .
(٣) معجم البلدان جـ ١ ص ٢٦٠ .
(٤) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١٥٧ .

الشيخ محمد موسى البجيرمي ولد فى بلدة بجيرم احدى قرى مركز قويسنا ، ونشأ نشأة دينية فحفظ القرآن ثم التحق بالأزهر وتخرج فيه وانكب على البحث والاطلاع فى العلوم الدينية واللغـوية حتى عين عضوا بهيئة كبـار العلماء وشيخا للمذهب الشافعي وتوفى سنة ١٣٢٩ هـ . ومن علمائها الفقهاء كذلك الشيخ محمد الخضرى الذى تولى القضاء فى السودان ، كما تولى تدريس التاريخ الاسلامى فى الجامعة المصرية وتوفى سنة ١٩٢٧ م . ومن أبناء المنوفية المناضلين البررة عبد العزيز حجازى عمر ، الذى لقبه ناظر المدرسة الخديوية بلقب فهمى لذكائه . وفطنته فعرف بعبد العزيز فهمى ، ولد بقرية كفر المصيلحة سنة ١٨٨٢ ، وتخرج فى كلية الحقوق وعين بوظائف الحكومة ولكنه استقال وآثر المحاماة ، فاستطاع أن يؤدى واجبه نحو وطنه بالاشتراك مع الوفد المصرى فى المطالبة بحقوق البلاد ، كما اشترك فى وضع الدستور الأول للدولة . ومن أقواله المأثورة ، منيت البلاد باستعمارين ، الاستعمار الانجليزى واستعمار أسرة محمد على ، وان الاستعمار الأخير أشد خطرا على البلاد من الاستعمار الأول .

الآثار الباقية

دروه :

من القرى القديمة وردت فى نزهة المشتاق انها بين ناحيتى الاخصاص وشطنوف ، وتتبع الآن مركز أشمون بمحافظة المنوفية ؛ وجاء فى قوانين الدواوين ان دروه من أعمال الجيزية ، لأنها كانت واقعة فى جزيرة يفصل النيل بينها وبين اقليم المنوفية ، وفى القرن السادس عشر اتصلت تلك الجزيرة بأرض المنوفية فأصبحت دروه من نواحيها ؛ وبذلك انتقل رأس الدلتا من شطنوف التى كان النيل يتفرع عندها الى الجهة التى ينتهى عندها أرض قرية دروه . وعندما أراد محمد على الاستفادة من الأراضى الزراعية الموجودة بالدلتا فكر فى أن يوفر لها مياه الفيضان التى تذهب سدى فى البحر الأبيض وذلك بتخزين هذه المياه وضبطها وراء سد أو قناطر ، ومن ثم وقع اختياره على رأس الدلتا عند قرية دروة لاقامة هذه القناطر التى عرفت باسم القناطر الخيرية .

القناطر الخيرية : أنشئت هذه القناطر سنة ١٨٤٧ م وتتكون من (٦٢) عقد أو فتحة على فرع رشيد و (٧٢) فتحة على فرع دمياط وعلى كل قنطرة (هاويس) وعرض الفتحات خمسة أمتار . واستمر العمل فى القناطر فى عهد محمد على ، ببطء شديد بسبب اختلال الجهاز الحكومى فى آخر أيامه؛ ثم توقف العمل فى عهد عباس الأول ، وفى عهد سعيد تم بناء القناطر وأنشىء رياح المنوفية كذلك . ويجدر بنا أن نشير هنا الى أنه قد وضعت ثلاثة مشروعات لبناء القناطر ، مشروع لينان . ومشروع موجيل ؛ وهو الذى نفذ ؛ أما المشروع الثالث فهو مشروع كوردنيه . وعلى الرغم من ان مشروع موجيل قدر لتنفيذه ستة ملايين فرنك ، الا أن نفقات اقامة القناطر بلغت ٤٧ مليون فرنك عدا أعمال السخرة التى لم تدخل فى حساب النفقات . وقد أخذ

على مشروع موجيل مآخذ كثيرة أهمها أن دعائم القناطر أقيمت على (فرشة) ضعيفة ، ومن ثم فقد كانت القناطر فى حاجة مستمرة للصيانة والاصلاح حتى تتمكن من القيام بوظيفتها .

كذلك أدى اقامة سد أسوان وتعليته ، وانشاء خزان جبل الأولياء ، وزيادة مناسيب المياه أمام القناطر ، الى ازدياد الخطورة ، مما حمل أولى الأمر الى سرعة البت فى مسألة القناطر ، فتكونت لجنة سنة ١٩٣٣ لبحث الموضوع . وقد أشارت اللجنة الى ضرورة بناء قناطر جديدة تحل محل القديمة ، وقد تم بناؤها وافتتحت سنة ١٩٤٠ م .

محافظة الغربية

تكونت كورة الغربية فى العصر الفاطمى ، وأطلق عليها اسم الغربية لوقوعها غربى فرع النيل ، وعرفت بأعمال الغربية فى العصر المملوكى ثم ولاية الغربية فى العصر العثمانى . ثم فى سنة ١٨٣٣ سميت مديرية الغربية ثم أصبحت محافظة الغربية سنة ١٩٦٠ . وكانت المحلة الكبرى قاعدة لاقليم الغربية من عهد الدولة الفاطمية حتى سنة ١٨٣٦ التى نقل فيها ديوان المديرية من المحلة الى طنطا ، وكان يشرف فى ذلك الوقت على مديريتى المنوفية والغربية مدير واحد باسم مدير روضة البحرين (١) . وقد اضمحلت بعد ذلك شهرة المحلة واعتبرت قرية صغيرة من توابع قسم سمنود ، ثم عادت اليها شهرتها وزاد عدد سكانها بسبب المحالج والمصانع الكبيرة التى أنشأتها فيها شركة مصر سنة ١٩٢٠ ، فأصبحت المحلة الآن من أكبر المدن المصرية وأشهرها.

المحلة الكبرى :

من المدن المصرية القديمة اسمها القبطى دقلا ، ولما فتحها العرب سموها محلة دقلا ، وعرفت بمحلة شرقيون ثم سميت المحلة الكبرى لأنها أكبر البلاد المسماة باسم المحلة (٢) بمصر . وذكرها المقدسى (٣) باسم المحلة الكبرى وقال انها مدينة على نهر الاسكندرية (أى فرع رشيد) بها جامع لطيف وليس بها أسواق كثيرة غير أنها عامرة نزيهة الشط حسنة النهر يقابلها صندفا عامرة كذلك وبها جامع ، شبيها بمدينة واسط الا أنه ليس بينهما جسر بل يعبرون فى المراكب . ووصفها الادريسى (٤) قال ، المحلة مدينة ذات أسواق عامرة وتجارات شاملة ، وذكرها ياقوت (٥) المحلة عدة

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ٥٨ .
(٢) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ٨
(٣) المقدسى ص ١٩٨ .
(٤) الادريسى ص ١٧٥ .
(٥) ياقوت جـ ٦ ص ١٦٩ .

مواضــع بمصر منها محلة دقلا وهى أكبرها وأشــهرها تقع بين القاهرة ودمياط ، ثم ذكر بعدها محلة أبى الهثيم ، ثم محلة شرقيون بمصر أيضا وهى المحلة الكبرى مدينة مشــهورة بالديار المصرية وهى ذات جنبين أحدهما سندفا والآخر شرقيون . ويعلق محمد رمزى على ياقوت فيقول ، يفهم من عبارة ياقوت ان محلة دقلا هى بلدة أخرى غير المحلة الكبرى فى حين أنهما بلدة واحدة . والظاهر ان ياقوت لم يتنبه لذلك وقت وضع معجمه . ووصفها ابن دقماق (١) وصفا شاملا ، قال ، وتعرف بمدينة المحلة وهى قصبة اقليم الغربية من الديار المصرية ، وولايتها قديمــا تعرف بالوزارة الصغيرة . ثم يضيف وفى بلاد مصر نحو المائة قرية تعرف كل منها بالمحــلة تتميز بلقب تعرف به أو بنسبة تعرف بها . والمحلة هذه مدينة كبيرة ذات أسواق وبها جامع ومدارس وقياسر وبزازين وفنادق ، ومنارة ويشقها نهر من النيل .

طنطــا :

هى قاعدة محــافظة الغــربية اســمها القــديم (Tantant) ويقــول محمد رمزى (٢) اذا قارنا اسمها القديم بالأســماء التى جاءت فى المعاجم وكتب المؤرخين تبين لنــا ان اسم طنطا هو الاسم المصرى القديم لهذه المدينة . وجاءت فى كتاب (٣) المسالك باسم طندتا بين فيشة بنى سليم وبين محلة المرحوم . وأضاف وهى ضيعة حســنة عظيمة بها جامع لطيف وحمام ولها ضياع وأســواق . ووردت فى نزهة المشتاق (٤) باسم طنطنه ، وهى مدينة متحضرة صغيرة ذات أسواق ورزق داره وأحوال صالحه وأهلها فى رفاهة وخصب . وجاءت فى قوانين (٥) ابن مماتى طندتا من أعمال الغربية ، وفى الضوء اللامع (٦) الجبرتى طنتداء والنسبة اليها (٧) طنتدا ، وفى تاريخ طنتدائى . وفى العصر العثمانى حذفت الدال من طندتا لتسهيل النطق فصارت طنتا ، ثم فخمت التاء لتوافق ذوق العامة فصارت طنطا وهو اسمها الحالى

(١) ابن دقماق ص ٥٧ .
(٢) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١٠٢ .
(٣) المسالك لابن حوقل ص ٢٢١ .
(٤) الادريسى ص ١٩٧ .
(٥) ابن مماتى ص ١٢٧ .
(٦) السخاوى جـ ٧ ص ١٧٣ .
(٧) الجبرتى جـ ٢ ص ٧٧ .

الذى وردت به فى تاريع (١) ١٨١٣ . وقد زادت شهرة مدينة طنطا وارتفع شأنها من يوم أن دفن بها ولى الله السيد أحمد البدوى المتوفى سنة ٦٧٥هـ ؛ وقبره مزار ويحتفل سنويا باحياء ذكرى مولده فيقصدها خلق كثير ؛وضريح السيد البدوى تعلوه قبة وله جامع كبير واليه ينسب المعهد الدينى الأحمدى (لوحة رقم ٥٣ ، ٥٤) .

كفر الزيات :

كان فى اقليم الغربية قرية قديمة تسمى جريسا (٢) وردت فى قوانين ابن مماتى أنها من أعمال جزيرة بنى نصر ، وفى القرن الحادى عشر الهجرى طغى النيل على بلدة جريسان فأكل مساكنها عن آخرها ، فاضطر أهلها الى السكنى فى أراضيها الزراعية الواقعة فى الجهة الشرقية من جريسان المندثرة ، وأنشأوا بدلها قرية جديدة عرفت باسم كفر الزيات نسبة الى الحاج على الزيات صاحب مصانع الزيت الموجودة بها فى ذلك الوقت . وكانت كفر الزيات تابعة لمركز بسيون وفى سنة ١٨٧١ م نقل المركز من بسيون الى كفر الزيات وذلك لوقوعها على السكة الحديدية الرئيسية . وكفر الزيات اليوم من أشهر مدن مصر ، اذ يوجد بها معامل لاستخراج الزيت والسمن الصناعى من بذرة القطن وبها مصانع الصابون ومحالج القطن .

النحارية :

من القرى القديمة اسمها الأصلى التحريرية (٣) وكانت فى بدء تكوينها ضيعة أنشأها تحرير الأرغلى الأخشيدى المعروف باسم الشوبزانى وذلك فى القرن الرابع الهجرى ، فعرفت بالتحريرية نسبة اليه . ثم صارت أرضها تنتقل فى أيدى المقطعين الى أن صارت فى اقطاع الأمير شمس الدين سنقر السعدى . ذكرها ابن اياس (٤) قال ، وفى سنة ٧٢٦ هـ عمرت القرية المعروفة بالتحريرية من أعمال الغربية ، وكان سبب انشائها أن

---

(١) القاموس الجغرافى ج ٢ ص ١٠٢ .
(٢) القاموس الجغرافى ج ٢ ص ١٠٢ .
(٣) المقريزى ج ١ ص ٤٠٣ ، التحفة السنية ص ٧٠ .
(٤) ابن أياس ج ٣ ص ١٦١ .

أرض الضيعة كانت جارية فى اقطاع الأمير شمس الدين سنقر السعدى نقيب الجيوش المنصورى فبنى بها جامعا وطاحونا وخانا وتزايدت العمائر حتى صارت بلدا كرسيا ، وسكن بها جماعة كبيرة من الفلاحين فبلغ خراجها فى كل سنة خمسة عشر ألف دينار فبلغ ذلك الملك الناصر محمد بن قلاوون ؛ فأخذها من الأمير سنقر السعدى وصارت من جملة بلاد السلطان . وجاءت فى الخطط المقريزية ، النحريرية قرية من الأعمال الغربية أسس حكرها الأمير شمس الدين سنقر السعدى نقيب الجيش فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون وبالغ فى عمارتها فبلغت فى أيامه عشرة آلاف درهم فضة . ثم خرج عنها للسلطان الناصر محمد فعمرت واتسعت رقعتها ؛ فقد أنشىء فيها مايزيد على ثلاثين بستانا ووصل حكرها لكثرة سكانها الى ألف درهم فضة لكل فدان . وصارت بلدا كبير العمل يبلـغ فى السنة ما بين خراجى وهلالى ثلاثمائة ألف درهم فضة ، وخمسة عشر ألف دينار ذهبا ومات سنقر السعدى سنة ٧٢٨ هـ . ذكرها ابن دقماق قال : النحريرية مساحتها (١٢٧٠) فدانا وعبرتها ثلاثون ألف دينار ، وهى مدينة كبيرة ذات أسواق وقياسر وفنادق وجوامع وبها تجار مياسير . ويضيف على مبارك(١) على ذلك فيقول: وبنى بها السلطان الناصر محمد جامعا سماه المحمودية وكان به ٣٥٠ عمودا ورتب فيه عشرين درسا وبنى حول المسجد الدكاكين والفنادق ووقفها عليه . وجعل له كذلك مائة فدان طينا يؤخذ خراجها ويصرف على العلماء والمدرسين . وكان بها ١٢٠ مسجدا كبارا وصغارا وعشرون حماما وستون معصرة للزيت وغير ذلك من الأسواق والدكاكين وكانت من أجمل المدائن الاسلامية وهى آخر ما بنى فى مصر من المدائن . والآن اسـتولى عليها الخراب من ظلم الولاة والـكشوفية . وقد حرف اسم هذه البلدة من النحريرية الى النحارية فى العصر العثمانى (٢) . وهى تتبع الآن مركز كفر الزيات .

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٧ ص ٥ .

(٢) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١٢٢ .

الآثار الباقيــة

الواقع ان الآثار الاسلامية الباقية فى محافظات الوجه البحرى قليلة نسبيا عن تلك الموجودة بمصر العليا ، وليس معنى ذلك أن هذا الاقليم كان قليل الأهمية فى العصر الاســلامى ، بل يرجع الى اندثار وزوال الكثير من الآثار الاسلامية بالدلتا ، حيث انها منطقة زراعية تتناولها عمليات الاصلاح المستمرة لشق الترع واقامة الجسور ، مما يتبعه بطبيعة الحال تغيير تخطيط المدن والقرى .

المحلة الكبرى :

تحتفظ هذه المدينة ، لحسن الحظ ، بالكثير من آثارها الاســلامية ، بعضها دينى كالمساجد ، وتبلغ نحــو أربعين مسجدا غيــر الزوايا الصغيرة وأكثرها عامر تقام به الشعائر والجمعة والجماعة ، والآخر مدنى كالوكالات والحمامات والخانات والقيساريات وما شابه ذلك وأهم آثارها الباقية هى :

مسجد الغمرى : (لوحة رقم ٤٧)

يعتبر هــذا المسجد أقدم الآثار الباقيــة بالمدينــة ، اذ انه يرجع الى العصر الفاطمى فى القرن الســادس الهجرى . وقد أعيد بنــاؤه عــدة مرات فتغيرت معالمه الأصيلة ، والمسجد الحالى بحالة سيئة ولم يبق من المسجد الأصيل غير لوحته التأسيسية وهى مثبته الآن بجوار المحراب . واللوحة من الرخام مقاسها ١×٥ر متر ونقش عليها بالخط الكوفى المزهر ، تاريخ الانشاء واسم المنشىء ، والنص كما يأتى : بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليــوم الآخر الى — المهتدين — مما أمر بعمله الســيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ، عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وأنفذ فى البسيطة أوامره وأحكامه على يد عبده

ومملوكه القاضي .. أبو الفتح المسلم بن علي بن الحسن الرصعني متـولي الحكم الشريف .. الغربية في المحرم سنة ثمان وخمس مائة » .

وهناك لوحة رخامية أخرى مثبتة على واجهة المسجد مقاسها ٦ر×٦ر مترا نقش عليها كذلك بالخط الكوفي الجميل آيات من القرآن الكريم وبعض الألقاب والأسماء الفاطمية وقد محيت هذه الأسماء عن عمد ، منها .

مسجد أبو الفضل الوزيري :

بني هذا المسجد في العصر المملوكي وقد تغيرت معالمه الأصيلة ولم يبق منها غير المئذنةوهي شاهقة الارتفاع وتمثل طراز المآذن المملوكيةأحسن تمثيل .

وقد أنشأ هذا المسجد الشيخ محمد أبو الفضـل الوزيري بسويقة النصارى وكان ذلك في القرن الثامن الهجري . وأهم ما يحتوي عليه هذا المسجد من آثار قديمة ، عمود من الرخام مقاسه ١٫٦×٣ر مترا ، نقشت عليه كتابات بالخط النسخ البسيط ، تثبت أن المسـجد قد بني على ضريح (أبو عبد الله النفيسي بن الأسعد فضائل) من أولياء القرن السابعالهجري أي في العصر المملوكي ، وفيما يلي النص :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من المؤمنين رجال صـدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . هـذا قبر الفقير الى الله تعالى الراجي عفو الله أبي عبد الله النفيس بن الأسعد فضائل توفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وستمائة رحمه الله ورحم من ترحم عليه .

وعلى الوجه الآخر من العمود نقش ما يأتي :

(هذا عمل الحكم علي بن أبي العز المرخم رحم الله من دعىلهبالتوبة) وقد رمم المسـجد سنة ثمان وسـبعين ومائتين وألف عـلى يدي محمود الشعار .

مسجد الطريني الكبير (أو المتولي) : (لوحة رقم ٤٨)

أنشأ هذا المسجد وكذا مدرسة مجاورة له الشيخ أحمـد بن علي بن يوسف الشهاب أبو العباس المحلي ويعرف بالطريني وقـد جاء في الضوء

اللامع للسخاوى أنه توفى فى ربيع الأول سنة ٨٣١هـ (١٤١٠م) . وجاء فى الخطط التوفيقية ان مسجد المتولى أعيد بناء معظم أجزائه ورمم فى القرن التاسع عشر وكان ذلك بمعرفة شرفى بيك والشيخ محمد الجمل ناظـر مدرسته .

وتبلغ مساحة المسجد نحو فدانين وهو بذلك أكبر مساجد المحلة بل مساجد المحافظة كلها ، ويتكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جهاته الأربع ، وتعتمد عقود الايوانات على أعمدة بعضها من الجـرانيت والبعض الآخر من الرخام ، مما يدل على أنها أخذت من عمائر أخرى قديمة بالمنطقة . وبالمســجد منبر خشبى طعمت بعض حشواته المجمعة بالعــاج والصدف ، كما نقش عليه اسم منشئه ، وقد كتب عليه ما نصه : أنشأ هذا المنبر الشريف الفقير الى الله تعالى ابراهيم مرواح فى شهر جماد الآخر سنة ١١٢٧ م . كما يوجد بالمسجد منارة فى الركن الشمالى الشرقى منه ،ويتكون من قاعدة مربعة تعلوها طبقة ثانية مثمنة الشكل ثم مثمن ثانى تعلوها خوذة مقوصة ، وتعد هذه المئذنة من أجمل المآذن التى ترجع الى العصر المملوكى.

مسجد الحاج عبد الله عاصى : (لوحة رقم ٤٩)

أنشأ هذا المسجد الحاج عبد الله عاصى سنة ١١٣٥ هـ — سنة ١٧٢٢م وقد زالت الآن معظم معالم المسجد القديم ولم يبق منه غير مئذنته . وتعد هذه المئذنة من المآذن النادرة التى تعلو المدخل الرئيسى للمسجد . وتتكون من قاعدة مثمنة تعلوها طبقة اسطوانية وتنتهى بخوذة مخوصة وهىتشبهالى حد كبير مئذنة خانقاه الجاشنكير . وقد ثبتعلى باب المنبر المجدد لوحقديم كتب عليــه : أنشأ هــذا المســجد بفضل الله تعالى الحاج عبد الله عاصى سنة ١١٣٥ هـ .

وكالة الغورى : (لوحة رقم ٥٠)

ومن العمائر المدنية الهامة فى مدينة المحلة الوكالة التى أقامهاالسلطان الغورى سنة ١٥١٠ م وأوقف عليها كثيرا من الأراضى الزراعية الموجودة بأعمال الغربية . وقد تهدمت أجزاء كثيرة من الوكالة وتقوموزارة الأوقاف بترميمها الآن واعادتها الى حالتها الأولى .

حمام حسن ابراهيم العزب :

ومن العمائر المدنية الكثيرة الانتشار بالمحلة الحمامات ، اذ يبلغ عدد الباقى منها خمسة . ويشتمل الحمام على مدخل مربع الشكل تقريبا تتوسطه فسقية مغطاة بسقف محمول على أربعة أعمدة من الرخام كمايحيط بهامنطقة من الفسيفساء الرخامية . ويحيط بالفسقية أربعة أيوانات مفروش أرضياتها بالرخام الملون وبجوانبها مصاطب معدة لاستراحة المستحمين .

وفى الركن الشمالى الشرقى توجد خلوة المغطس ، وجميع أرضيات الحمام من الرخام الملون الدقيق التركيب .

وهناك حمام جاويش ، وحمام عليش ، وحمام المتولى وجميعها تشبه فى تصميمها الحمام الأول ، وكلها ترجع الى العصر العثمانى .

سمنود :

اسمها المصرى سبنترت وهى مكونة من مقطعين سب ومعناها الأرض وترت ومعناها المقدسة ثم حرفها الرومان الى سبنوتس ثم الى سمنود العربية . ويقول الادريسى انها كانت مدينة حسنة كثيرة الداخل والخارج عامرة آهلة ، وبها مرافق وأسعار رخيصة . ومن آثارها الهامة التى ماتزال باقية ، حمام سمنود الذى يقع بالقرب من مسجد الشيخ سلامة ، وقدأنشأه ابراهيم بك سراج سنة ١١٦٢ — ١٧٤٨ م (لوحة رقم ٥١) . ويحتفظ الحمام بكل تفاصيله المعمارية بحالة جيدة . فيؤدى مدخله ذو العقد المدبب الى مدخل مربع ومنه الى استطراق طويل ينتهى الى فناء مربع والجميع مفروش بالرخام الملون الدقيق الصنع . ويتوسط المربع فسقية مرتفعة ويعلوها أربعة أعمدة تحمل اكتافا تعلوها قبة خشبية ، ويحيط بالفسقية أربعة ايوانات وبالايوان البحرى دكة صغيره زخرفت جوانبها بالخشب الخرط ، وبصدر الايوان دولاب صغير مكتوب عليه تاريخ انشاء الحمام سنة ١١٦٢ هـ ويلحق بالحمام ساقية تتكون من طابقين تجلب المياه له .

ابيار :

هى من مدن مركز كفر الزيات الآن ، وجاءت فى معجم البلدان ، انها قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والاسكندرية . وذكرها ابن دقماق ،

انها مدينة كبيرة فى طرف جزيرة بنى نصر ، بها أسواق وقياسرةوحمامات وجامع ، ويعمل بها القماش الابيارى والأبراد الغربية الغالية الثمن ، ومن الآثار الباقية بها مسجد البجم .

مسجد البجم :

هو أقدم مساجد المدينة الباقية حتى الآن ، وكانت ملحقة به مدرسة زالت الآن ولم يبق منها الا لوحتها التأسيسية المثبتة على واجهة المسجد ، والمؤرخة سنة تسع وعشرين وستمائة — ١٢٣١ م .

محلة مرحوم :

قرية قديمة من قرى الغربية مركز طنطا ، وجاءت فى الخطط التوفيقية من مركز ابيار . وتنسب القرية الى ابن المرحوم ومن أحفاده أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن المرحوم ، وجاء فى خلاصة الأثر أن منها الشيخ ابراهيم بن عطاء على بن محمد الشافعى المرحومى امام الجامع الأزهر وكان من العلماء الورعين أصحاب الكرامات. وفى بعض الأحيان يقال لمحلة مرحوم الجوهرية لمجاورتها لسكن قرية الجوهرية التى نسبت الى ولى الله الجوهرى المدفون فى المسجد المعروف باسمه (لوحة رقم ٥٢) . ويحتوى المسجد على عمود من الرخام يقول على مبارك ان العامة تعتقد أن المرضى اذا لحست هذا العمود يسيل من ألسنتهم دم فيجدون فى ذلك راحة وشفاء .

ويقول ابن حوقل ان محلة مرحوم مدينة بها حاكم وقاض وفيها شحنة من خيل راجل وبها جامع وأسواق . وما زالت هذه المدينة تحتفظ ببعض آثارها الاسلامية وهى :

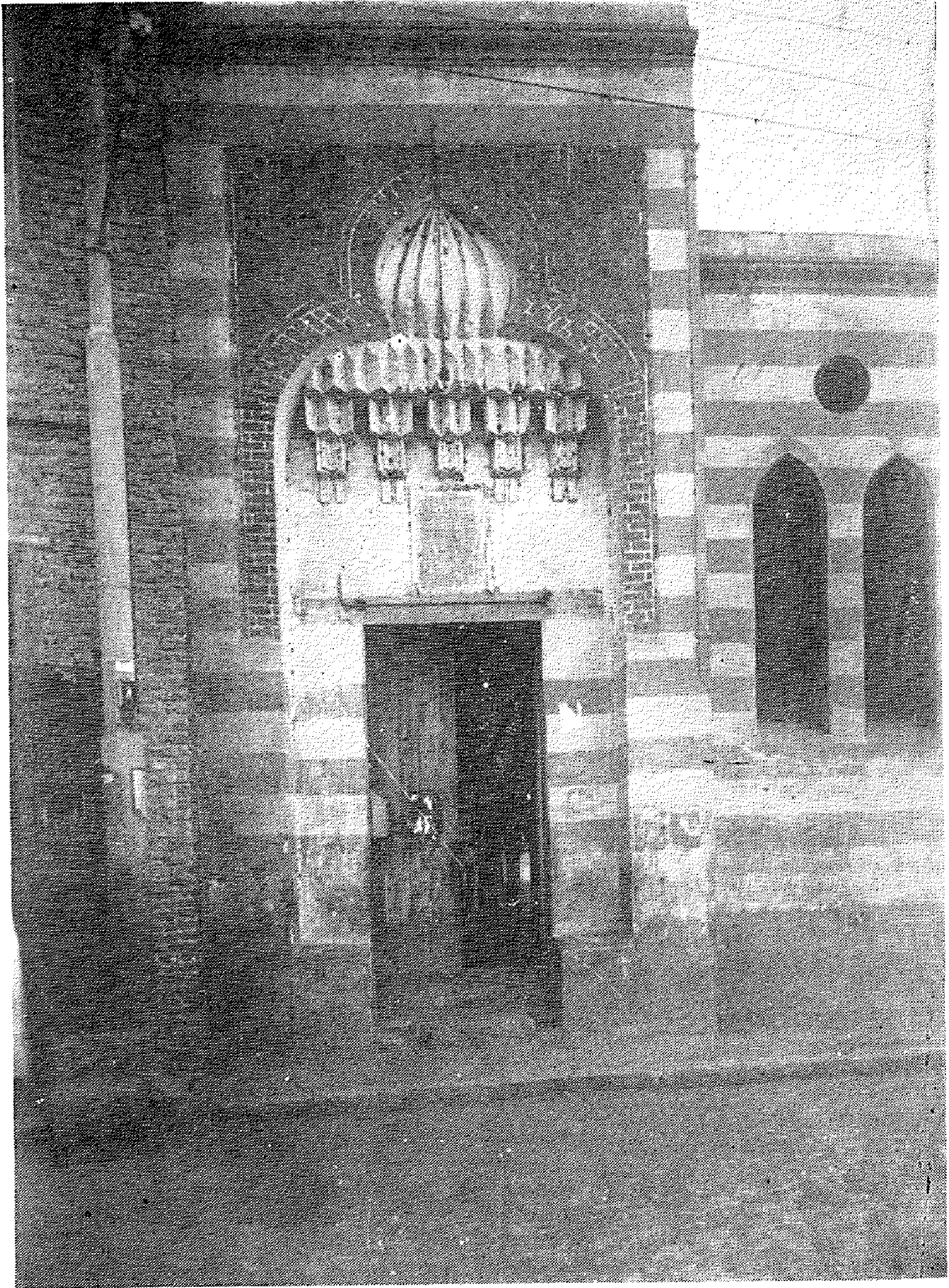
مسجد الشيخ علام :

يرجع تاريخ انشاء هذا المسجد الى القرن التاسع عشر ، وهو مبنى بالطوب المنحور . ومحلق بالمسجد ثلاث قباب،واثنان منها ملتصقتان ببعضها عن طريق عقد يسمح للمرور بينهما . وقد أعيد بناء المسجد من الداخل فضاعت معالمه القديمة .

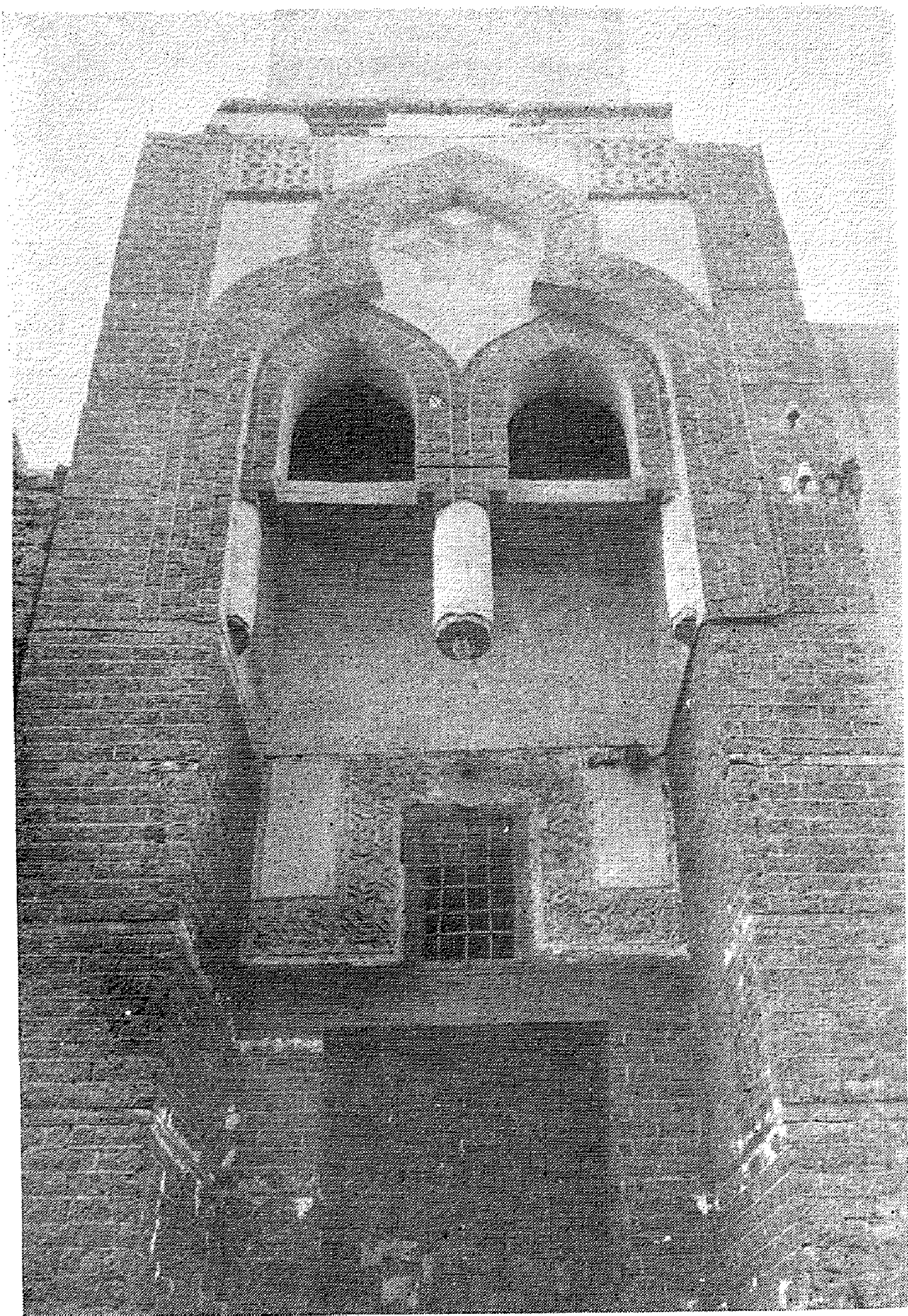


لوحة رقم (٤٧) تبين لوح من الرخام مثبت على يمين محراب مسجد الغمرى بمدينة المحلة الكبرى تبين تاريخ تأسيسه واسـم منشئه وفيما يلي نصه :

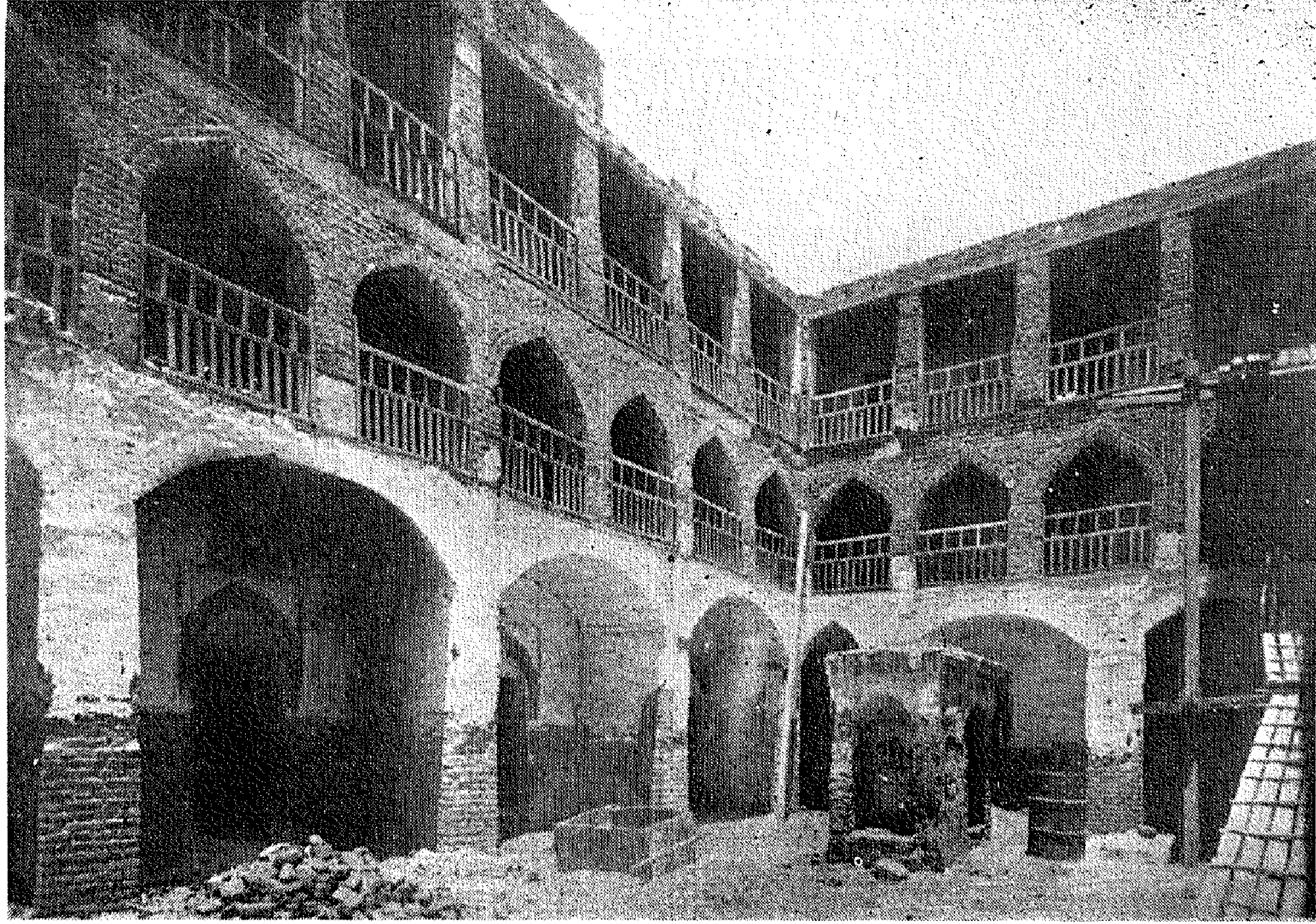
بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصـلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا ألله فعسى أولئـك أن يكونوا من المهتدين . مما أمر بعمله السيد الاجـل الافضل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الامام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائـه أمير المؤمنين وأدام قدرتـه وأعلا كلمته وأنفـذ في البسيطة أوامره وأحكامه على يد عبده ومملوكه القاضي .. أبوالفتح المسـلم بن على بن الحسن الرصفى متولى الحكم الشريف .. الغربية في المحـرم سنة ثمان وخمسة مائة .



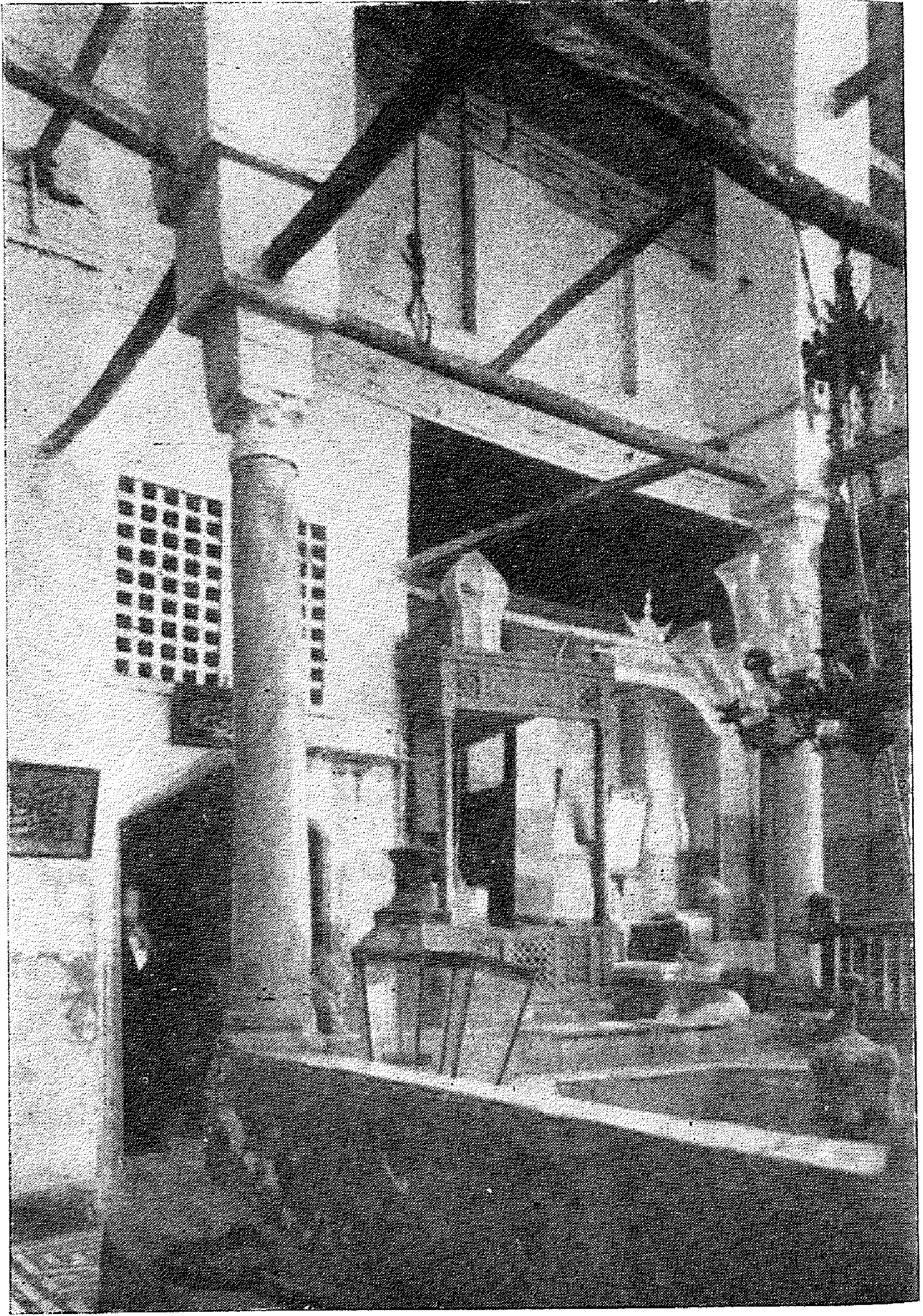
لوحة رقم (٤٨) تبين واجهة مسجد الطرينى المعروف باسم المتولى . يرجع تاريخ
تأسيس المسجد الى القرن الخامس عشر بمدينة المحلة الكبرى



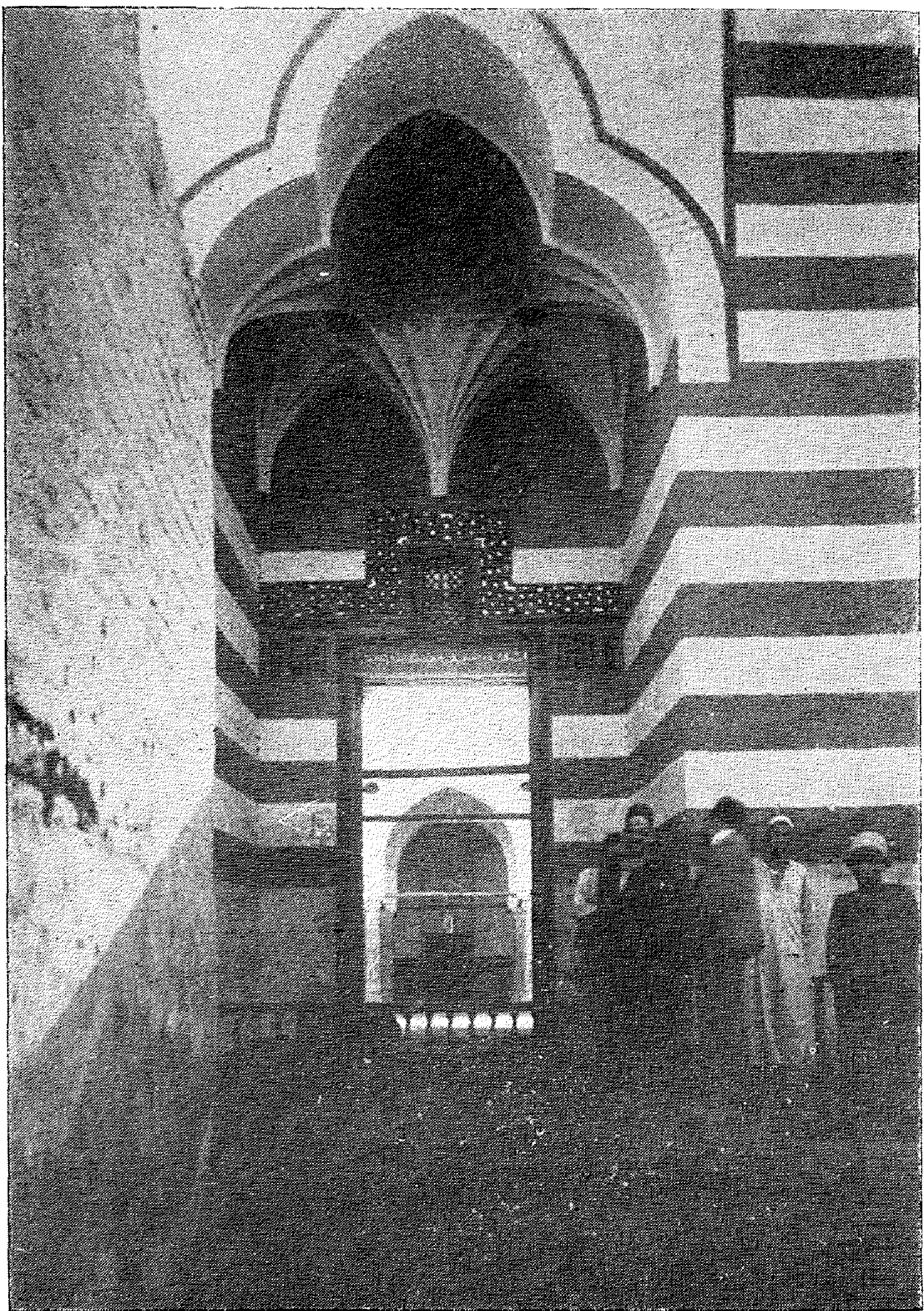
لوحة رقم (٤٩) تبين واجهة مسجد الحاج عبد الله عاصى بمدينة المحلة الكبرى
ويرجع الى القرن الثامن عشر



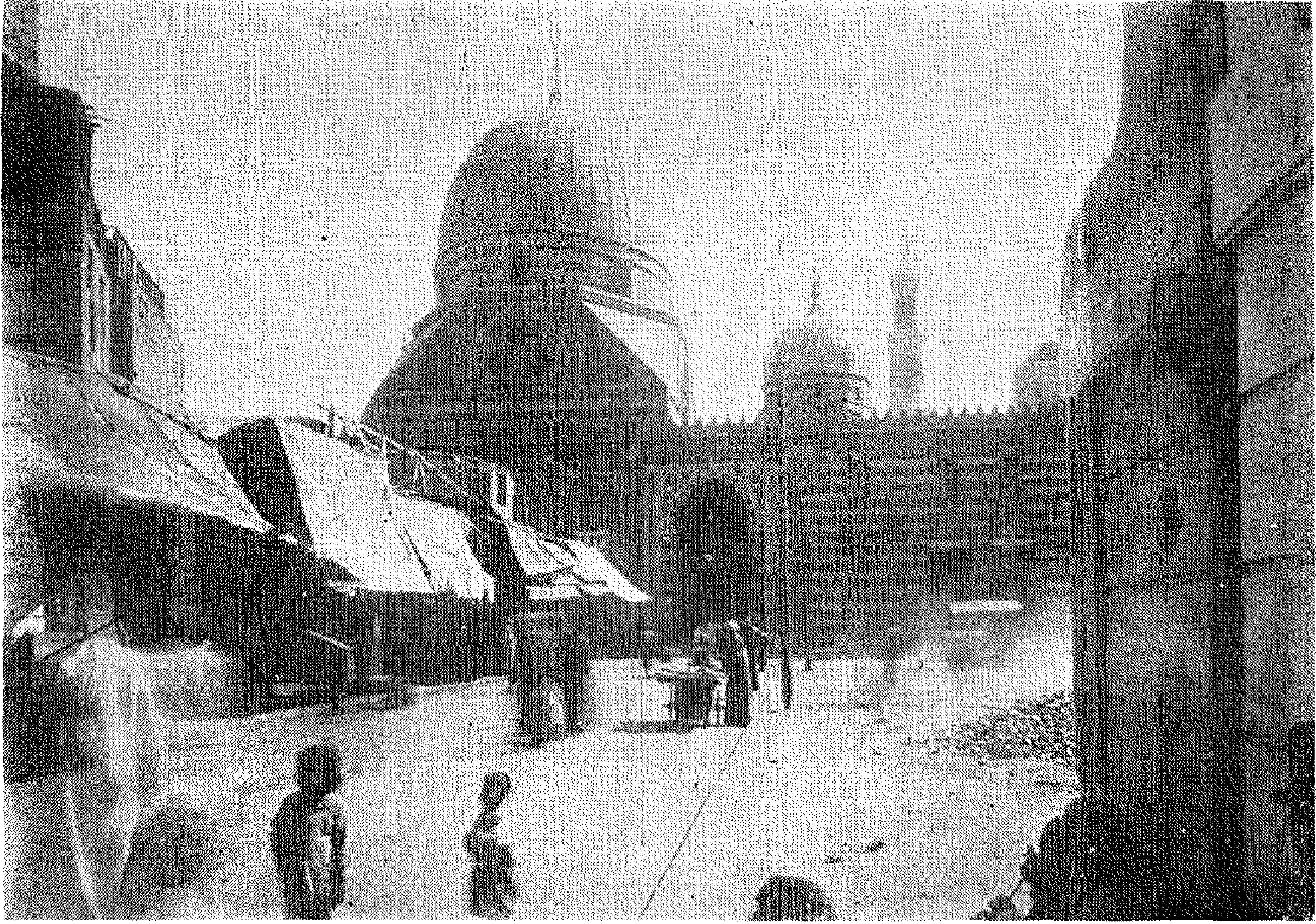
لوحة رقم (٥٠) تبين فناء وكالة الغورى بمدينة المحلة الكبرى



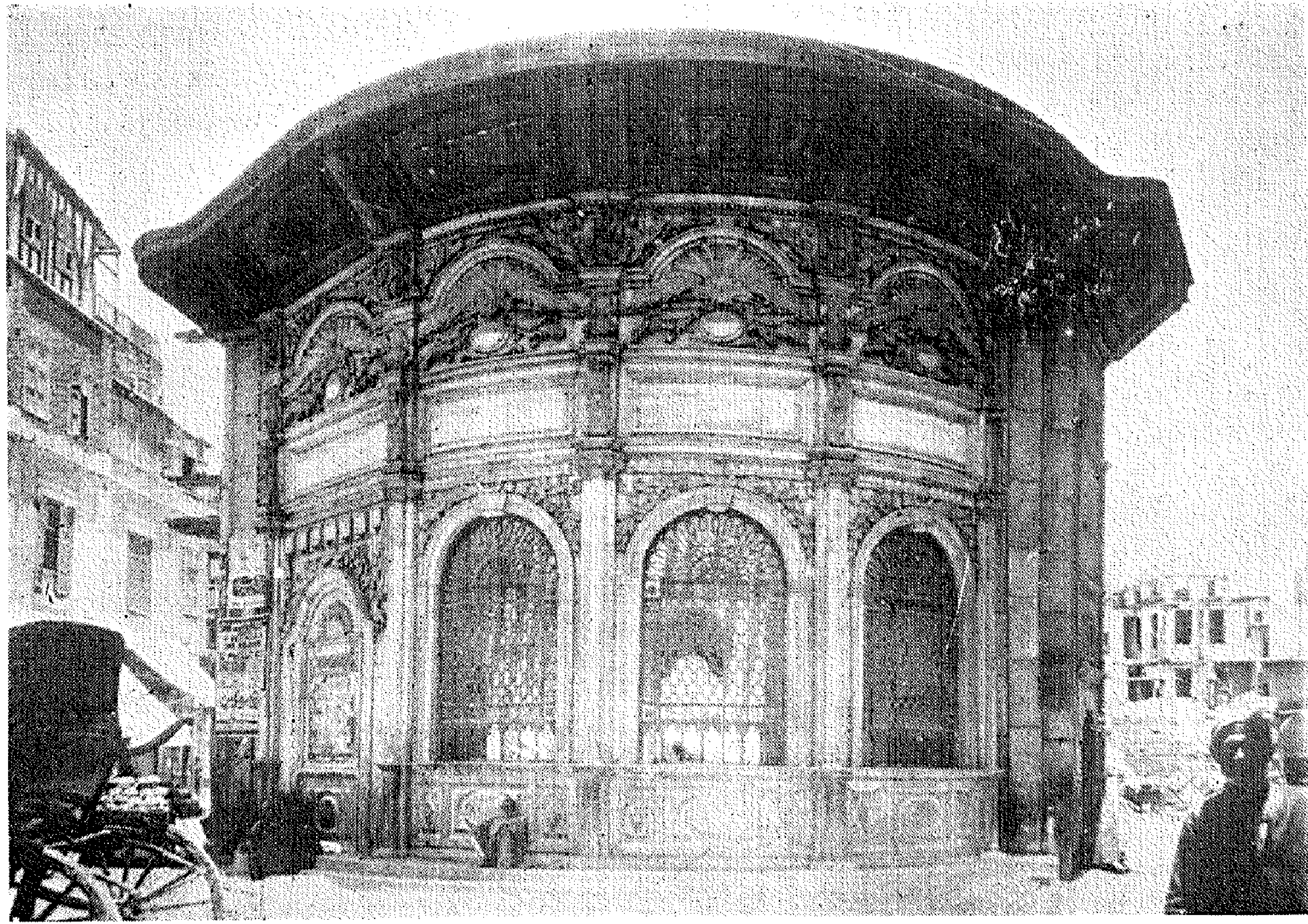
لوحة رقم (٥١) تبين داخـــل حمام ابراهيم سراح بمدينة سمنود ويرجع تاريخ
انشائه ألى القرن الثامن عشر



لوحة رقم (٥٢) تبين واجهة مسـجد العمرى بمحلة مرحوم بمركز طنطا ويرجع الى القرن السابع عشر



لوحة رقم (٥٣) تبين ضريح وقبة ولى الله السيد احمد البدوى المتوفى سنة ٦٧٥هـ
بمدينة طنـطا



لوحة رقم (٥٤) تبين سبيل السيد احمد البدوى ويرجع الى القرن التاسع عشر بمدينة طنطا

الجامع العمرى :

أنشىء هذا المسجد فى القرن السابع عشر ، وكان مسجدا جامعا ، له صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جهاته الأربع.وقد بنيت واجهة المسجد بالطوب المنحور . ومحلق بالمسجد ثلاث قباب ، اثنان منهاملتصقتان ببعضهما

مدرسة محمد بن بغداد :

أنشأ هذه المدرسة الشيخ على عبد الفتاح البغدادى فى القرن العاشر الهجرى وأوقف عليها وعلى المسجد أوقافا كثيرة . وتتكون المدرسة ، كما هو الحال فى مدارس القرن التاسع والعاشر الهجرى من صحن مكشوف تحيط به أربعة ايوانات الشرقى والغربى منها كبيرة والبحرى والقبلى صغيرة . وكانت المذاهب الأربعة تدرس فى هذه الايوانات ، فيختص كل ايوان بمذهب منها . وقد احتفظ منبر المدرسة الجديد بتاريخ انشاء المدرسة والمسجد القديم ، فقد جاء فيه مانصه : أمر بانشاء هذا المنبر المبارك الأمير عبد الله بن بغداد بتاريخ عام سبع وستين وتسعماية .

محافظة القليوبية

هى من أقاليم الوجه البحرى بمصر استحدثت فى سنة ٧١٥ هـ بمرسوم من الملك الناصر محمد بن قلاوون حين أمر بعمل الروك الناصرى ، وكانت نواحيها قبل ذلك تابعة لاقليم الشرقية ، ثم فصلت عنها باسم أعمال القليوبية نسبة الى مدينة قليوب التى كانت قاعدة لها . وفى العصر العثمانى أطلق عليها ولاية القليوبية ثم مأمورية القليوبية وفى سنة ١٨٣٣ سميت مديرية القليوبية وقاعدتها بنها وفى سنة ١٩٦٠ سميت محافظة القليوبية وظلت قاعدتها بنها .

بنهـا :

من القرى المصرية القديمة اسمها القبطى (Banaho) ومنها اسمها العربى بنها . وردت فى كتاب البلدان (١) أنها ضمن مدن أسفل الأرض . وذكرها الادريسى (٢) منية العسل وهى جليلة كثيرة الأشجار وتتصل بها العمارات . وجاءت فى قوانين ابن مماتى (٣) ، بنها العسل من أعمال الشرقية ويقول محمد رمزى (٤) فى معنى كلمة بنها ، يتكون اسم بنها المصرى من مقطعين بى ومعناها بيت أو حظيرة ونها ومعناها شجر الجميز ، فكأن بنها معناها حظيرة شجر الجميز ، ولا يخفى أن شجر الجميز كان له شأن يذكر عند قدماء المصريين فكانوا يصنعون منه التوابيت والأثاثات والتماثيل . ثم يضيف ويحتمل أن تكون بى أداة التعريف ونهاجميز فيكون بنها الجميزة . ولها مثيل وهى الجميزة التى بمركز السنطة بمديرية الغربية .

---

(١) اليعقوبى ص ٥٧ .
(٢) الادريسى ص ٦٩ .
(٣) ابن مماتى ص ٤٧ .
(٤) القاموس الجغرافى ج ٢ ص ١٢٨ .

أتريب :

مدينة قديمة اسمها (Atrebi) ومنه اسمها العربى . وكانت أتريب قاعدة أبرشية فى القرن الثامن الميلادى ، وقد بدأ الخراب يدب فى مساكنها منذ القرن الثالث عشر الميلادى . ثم اندثرت بعد ذلك الا أن اسمها ظل باقيا بين البلاد المصرية على اعتبارها ناحية قديمة ذات وحدة مالية . وردت فى الانتصار ، أتريب من التلال المجموعة ، مساحتها ٧٥٨ فدانا من أعمال الشرقية . وفى تاريخ ١٨١٣ اختفى اسمها فلم يرد فى عدد النواحى المصرية ولكنه ظهر بعد ذلك ، ففى سنة ١٩٤٢ فصلت عن بندربنها من الوجهة الادارية وعادت بلدة باسمها أتريب .

شبين القناطر :

قرية قديمة اسمها الأصلى شبين ذكرها ياقوت (١) شبين من قرى الحوف بمصر بين بلبيس والقاهرة ، ولأجل تميزها عن شبين التى بالمنوفية ذكرها ابن مماتى(٢) باسم شبين القصر من أعمال الشرقية، وتكلم ابن أياس(٣) عن شبين القناطر فقال : أنها سميت شبين القناطر لأنها اشتهرت بالقناطر التى أنشأها عندها على بحر أبى المنجا الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٣٥ هـ .

قليوب :

من القرى القديمة وردت فى كتب معاجم البلدان أنها من أعمال الشرقية وجاءت فى الانتصار   قليوب مدينة عظيمة حسنة يقال أنه كان بها ١٧٠٠ بستان وقد خرب أكثرها وهى كرسى الاقليم ، وبها يقيم متولى الحرب السعيد ، وبها من أنواع الفواكه شىء كثير رخيص ، وبها خليج السردوس وهو أحد نزهات الدنيا لأنه يسار فيه بين بساتين متشابكة وأشجار ملتفة وفواكه دانية . وجاء فى الخطط التوفيقية (٥) ، أن محمد الشواربى من

---

(١) ياقوت جـ ٥ ص ٢٦٠ .
(٢) ابن مماتى ص ١٤٧ .
(٣) ابن اياس جـ ١ ص ١٧٥ ، جـ ٣ ص ٢١٠ .
(٤) ابن دقماق ص ٢٣٧ .
(٥) الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ١٤٧ .

أهالى قليوب كان عنده وثيقة عليها علامة قاضى مصر ومؤرخة سنة ٨٩١ هـ وكذا وثيقة أخرى مؤرخة سنة ١٠٦١ هـ تشيران الى وجود البحر السردوسى بمدينة قليوب . ويضيف على مبارك ، ولا يعلم هل كان الماء اذ ذاك يجرى فيه أو كان يدخله وقت الفيضان ، وأن محله الآن ترعة صغيرة تسمى الردوسية . وقال ابن جبير ، من أحسن البلاد التى مررنا عليها موضع يعرف بقليوب على بعد ستة أميال من القاهرة فيه الأسواق الجميلة ، ومسجد جامع كبير حافل مشيد البنيان . وقال النابلسى صاحب دواوين الديار المصرية ان قليوب كانت ذات بساتين وسنط وأشجار كثيرة وانها كانت كأنها ذخيرة لهم (لملوك الدولة الأيوبية) وحكمها حكم المعادن (يعنى أشجار السنط) وهى لبيت مال المسلمين ليس لأحد فيها اختصاص ، وكان لها ديوان وقد أهملها أولو الأمر وصار الناس يقطعون منها ما يختارونه ويحضرونه الى ساحل السنط عن الثلث المقرر للديوان بشىء يسير ويبيعونه بالأموال الكثيرة . ويقول انه كان بقليوب وضواحيها سنط يساوى ما يقرب من مائة ألف دينار .

ويقول ابن أياس (١) ان أكثر أهل قليوب مسلمون ، ومنهم عائلة مشهورة من عدة أجيال تعرف بعائلة الشواربية ، يقولون انهم من قبيلة تسمى بهذا الاسم من عرب الحجاز القاطنين الصفراء والجديدة ، تنقل جدهم الأعلى الى الشام ثم الى مصر وكان دخوله بلاد مصر بذريته وأتباعه فى القرن السابع للهجرة ، فنزل أولا على بحر أبى المنجى وأقام هناك ثم انتقل الى قليوب . ويضيف أن السبب فى توطنهم تلك الجهة أنه لما شرع السلطان الملك بيبرس البندقدارى فى بناء قناطر أبى المنجى جعل دركها عليهم وأنعم عليهم بأطيان رزقة هى الى الآن (القرن السادس عشر) تحت أيدى ذريتهم وتسمى رزقة الشواربية من أطيان ناحية البرادعة ورتب لهم فى مقابلة ذلك بالروزنامة مبلغا من النقود يصرف لهم كل سنة .

وينسب الى قليوب جماعة من أهل العلم والفضل نذكر منهم الشيخ محمد بن الشمس القليوبى ثم القاهرى الشافعى وجاء فى الضوء (٢)

---

(١) ابن أياس جـ ٢ ص ٥٤ .
(٢) السخاوى جـ ٩ ص ٢٥٩ .

اللامع أنه كان يعرف بالحجازى ، وكان اماما عالما فاضلا ماهرا فى الفرائض والحساب والعربية توفى سنة ٨٤٩ هـ ودفن بالقاهرة . ومنهم الشيخ أحمد القليوبى العـالم الفقيه المحدث كان جامعا للعلوم الشرعية متضلعا فىالعلوم العقلية ، وكان خبيرا بشئون الطب ، وله مصنفات كثيرة منها حاشية على شرح المنهاج وكتب فى الطب ومناسك الحج . توفى سنة ٨٦٩ هـ .

الآثار الباقيـة

قناطر أبو المنجا : (لوحة رقم ٥٧)

تقع هذه القناطر على ترعة تتفرع من الضفة اليمنى للنيـل على بعد (١٥٠٠) متر شـمال شبرا البلد بمحافظة القليوبية ، ويقول المقريزى فى سبب انشائها ما يأتى :

ان بلاد الشرقية كان لا يصل اليها الماء الا من الردوسى ومن الصماصم ومن المواضع البعيدة ، فكان أكثرها يشرق فى أكثر السنين فتضرر المزارعون الى أبى المنجى اليهودى ، وكان مشارفا لأعمال تلك الجهات وسألوه فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه اليهم فابتدأ فى حفر خليج أبى المنجى فى يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة ست وخمسمائة . وقبل الشروع فى حفـرة ركب الأفضل بن أمير الجيوش ضحى وصحبته القائد أبو عبد الله البطائحى وجميع اخوته والعساكر تحاذيه فى البر وجمعت شيوخ البلدان وأولادهم . وركبوا فى البحر ومعهم حزم البوص فسيروها فى البحر وتبعوها فى المواكب الى أن رماها الموج الى الموضع الذى حفروا فيه ذلك الخليج . وأقام الحفر فيه سنتين وكلما تتبين الفائدة منه وما يترتب عليه من تضاعف وارتفاع خصوبة الأراضى ماهون عليه الغرامة . ولما عرض على الأفضل جملة ما أنفق فيه استعظمه وقال ، غرمنا هذا المال جميعه والاسم لأبى المنجى ، فغير الاسم ودعى بالبحر الأفضلى ، فلم يتم ذلك ولم يعرف الا بأبى المنجى . ثم يقص علينا المقريزى مالاقاه أبو المنجى من العذاب والاضطهاد بسبب كثرة ما انفقه على هـذا الخليج من أمـوال فيقول : ثم جرت بين أبى المنجى وأبى الليث صاحب الديوان بسبب ما انفق ، خطوب أدت الى سجن أبى المنجى عدة سنين ثم نفى الى الاسكندرية بعد ان كادت نفسه تتلف، ولما طال اعتقاله بالاسكندرية

فى مكان بمفرده مضيقا عليه ، تحيل بكتب مصحف بخطه ووضع عليه اسمه وبعث به الى السوق ليبيعه فبلغ الأمر الخليفة فاحضره وقال له ماحملك على هذا قال طلب الخلاص بالقتل فاخلى سبيله . وفى خلافة الآمر باحكام الله جعل لفتحه يوما كيوم فتح خليج القاهرة ، وأمر ببناء قنطرة متسعة تكون من بحرى السد ، وما زال فتح هذا البحر يوما مشهودا الى أن زالت الدولة الفاطمية ، فلما استولى بنو أيوب من بعدهم أجروا الحال فيه على ما كان عليـه .

ويبلغ طول القناطر الآن ٧٩٫٦ من الأمتار وعرضها ١٠٫٤ من الأمتار، أما ارتفاعها فمتغير فى كثير من أجزائها وغير ثابت . وقد تصدع بنيـانها فرممت وجددت عدة مرات ، كان أولها فى عهد السلطان بيبرس البندقدارى على يد الأمير عز الدين أيبك الأفرم سنة ٦٦٥هـ ، ويثبت ذلك الرنوك التى تزخرف الواجهة الشمالية وهى على شكل (فهود) ، ويبلغ عدد الباقى منها الآن اثنا وعشرون ، والفهد هو الترجمة العربية لكلمة بيبرس التركية . ثم أعيد ترميمها مرة ثانية كما جاء فى ابن أياس (١) فى عهد السلطان قايتباى سنة ٨٩٢ هـ — ١٤٨٧ م تحت اشراف الأمير بدر الدين حسن بن الطولونى، وانفق على هذه العملية سبعة آلاف دينار . ونجد على الواجهة الجنوبية للقناطر أربعة رنوك للسلطان قايتباى (لوحة رقم ٥٨) .

الخانـكة :

كلمة فارسية استعملت فى العـربية للدلالة على الأماكن أو المبـانى التى ينقطع فيها المتصـوفون للعبـادة . وقد جاء فى المقريزى أن الملك الناصر محمد بن قلاوون انشأ خانقاه بصحراء سرياقوس ، وبنى بجوارها مسجدا وحماما وعمر قصورا وبيوتا وكان ذلك سنة ٧٢٥ هـ . وبذلك أقبل الناس على البناء والسكنى والتعمير حول الخانقاه حتى صارت بلدة كبيرة عرفت باسم خانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس . وقد بقيت الخانقاه تابعة لناحية سرياقوس حتى تاريخ سنة ٩٢٣ هـ ، ثم فصلت وأصبحت ناحية قائمة

(١) ابن اياس جـ ٣ ص ٢٣٥ .

بذاتها تتبع مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية . وقد حرفت القاف فى خانقاهالى كاف فأصبحت تعرف بالخانكة ، كما أن الزمن لم يبق على الخانقاه التى أخذت المنطقة منها اسمها ، وان كانت ما تزال تحتفظ ببعض الآثار أهمها مسجد الأشرف برسباى .

مسجد الأشرف برسباى : (لوحة رقم ٥٥)

أنشأ هـذا المسجد السلطان الأشرف برسباى سنة (٨٣١ هـ — سنة ١٤٢٧ م) ويقال (١) ان السبب فى بنائه المسجد أنه عند خروجه لفتح قبرص سنة ٨٢٩هـ نزل بالخانقاه السرياقوسية ونذر ان أحياه الله تعالى وظفر بعدوه، الملك جان دى لوزنيان ، ورجع سالما، ليعمرن فى هـذا المكان مدرسـة وسبيلا . فلما نصره الله وفتح قبرص وأسر ملكها وجىء به الى القاهرة أسيرا، وفى بنذره وأنشأ المسجد وألحق به سبيلا ، كما أنشأ بجواره مقعدا وخانا وحوضا لشرب الدواب (٢) . وقد صادف وقت وصوله مصر الفراغ من بناء مدرسته بالاشرفية (شارع المعز حاليا) فأمر بتعليق خوذته على باب المدرسة وبقيت هناك حتى القرن السادس عشر على أقل تقدير .

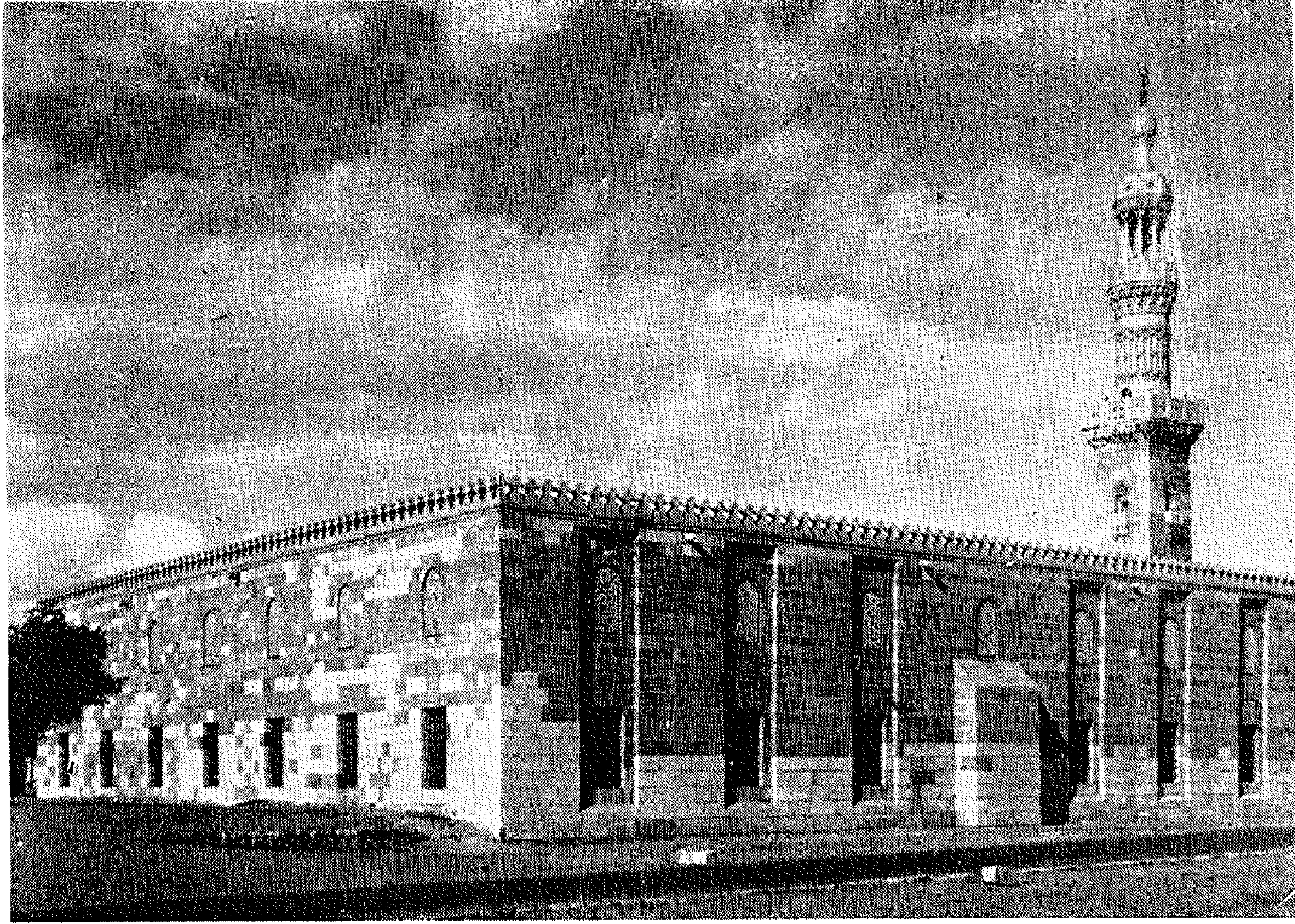
والمسجد مربع الشكل تبلغ مسـاحته (١٤٧٤) مترا ، ويتكون من صحن مكشوف تحيط به أربعة ايوانات أكبرها الايوان الشرقى . وقد زين صدر هذا الايوان وجانباه بفسيفساء رخامية متعددة الألوان ، ويتوسطه محراب يقال انه كان به تسع شعرات من شعر النبى (٣) صلى الله عليه وسلم . ويتكون الايوان الشرقي من ثلاثة أروقة (لوحة رقم ٥٦) وبكل من الايوانين البحرى والقبلى رواقان ، أما الايوان الغربى فمن رواق واحد . ويوجد على واجهة الباب الرئيسى للمسجد دائرتان ومكتوب عليها اسم المنشىء وتاريخ الفراغ من البناء : لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر برسباى عز نصره ويعلو الدائرتين شريط من الكتابة جاء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم فى بيوت

---

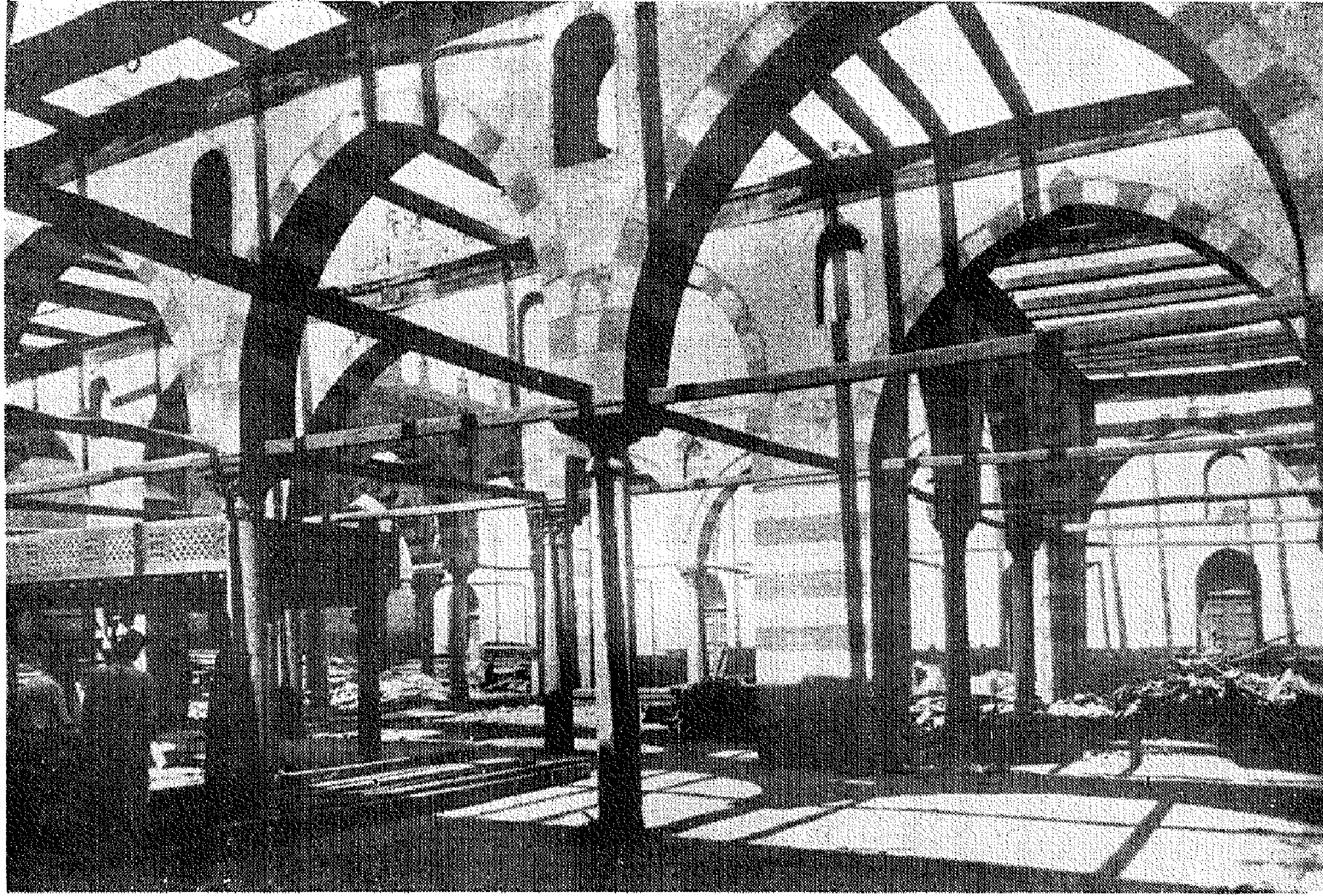
(١) حسن عبد الوهاب ص ٢٢٩ نقلا عن (اخبار الاول اللاسحاقى وصفوة الزمان للصفوى)

(٢) مساجد القاهرة ص ٢٢٩ .

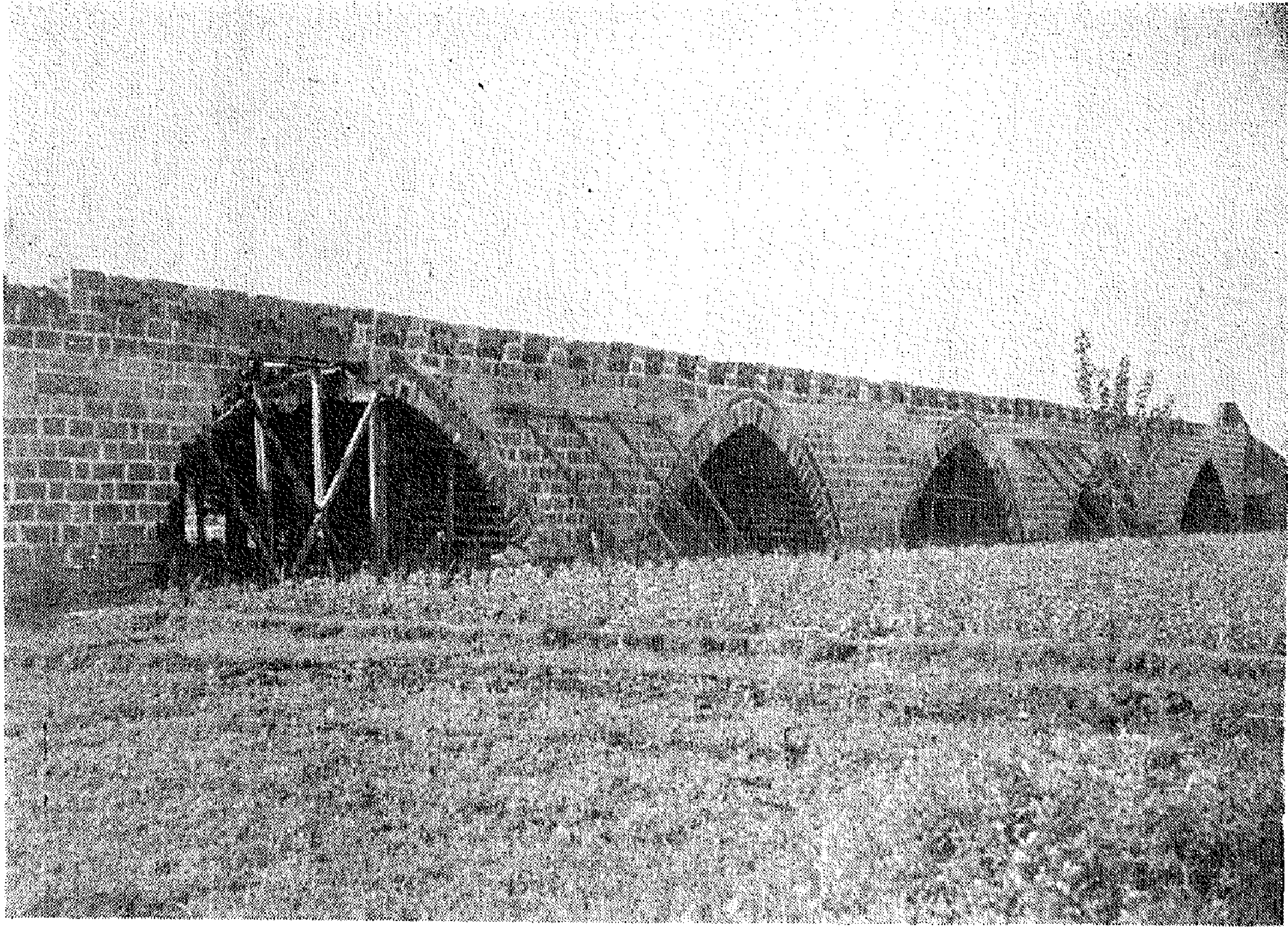
(٣) أخبار الدول للاسحاقى وصفوه الزمان للصفوى . نقلا عن حسن عبد الوهاب ص ٢٢٩ .



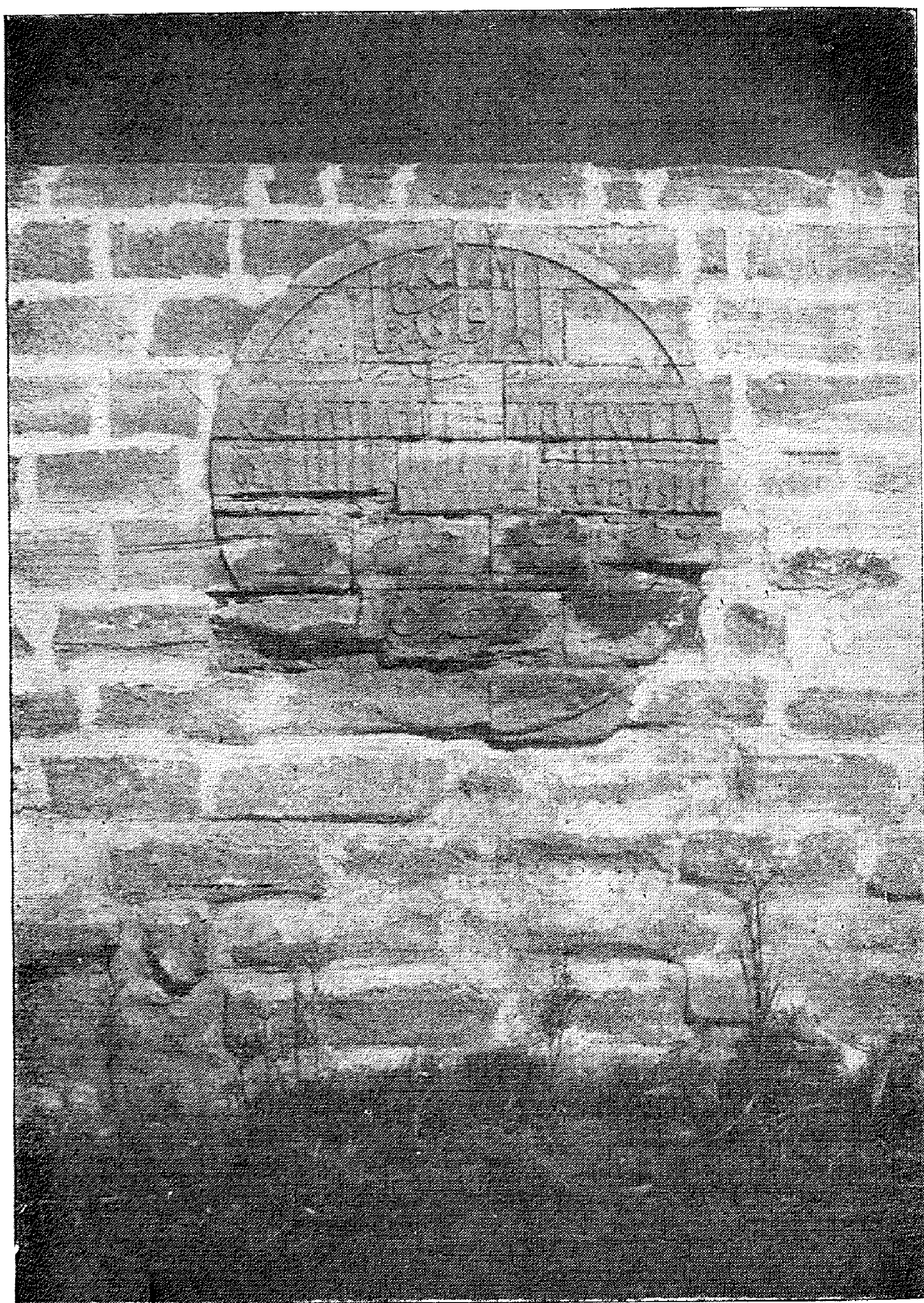
لوحة رقم (٥٥) تبين مسجد السلطان الاشرف برسباى بالخانكة بمحافظة القليوبية



لوحة رقم (٥٦) تبين رواق القبلة بمسجد الاشرف برسباى بالخانكة



لوحة رقم (٥٧) تبين منظر عام لقناطر أبو المنجا بالقليوبية وقد ظهر على عقود
القناطر (رنك) برسباى وهو (الفهد)



لوحة رقم (٥٨) تبين الوجه الاخر من قنـاطر أبوالنجا وقد ظهر عليها (رنك)
السلطان قايتبـــاى

أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وكان الفراغ من ذلك فى مستهل جمادى الأولى سنة أحـد وأربعين وثمانمائة من الهجرة النبوية .

وعلى الباب الرئيسى مئـذنة جميلة مكونة من ثلاث دورات ، الأولى مربعة والدورة الثانية مستديرة ، والدورة الثالثة مثمنة وقائمة على ثمانية أعمدة رخامية يعلوها مقرنص من دورين . والمئذنة هى الجزء الوحيد الباقى على حاله منذ انشائه .

زاوية المرج :

المرج قرية قديمـة ، وردت فى قـوانين ابن ممـاتى أن اسـمها الأصلى مرج مخلف ، من كفور عين شمس من أعمال الشرقية ، وردت باسمها الحالى فى تاريع سنة ١٢٢٨ هـ . وجاء فى الخطط التوفيقية ، المرج قرية من مديرية القليـوبية بمركز الخانكاه فى شرقى الخصـوص ، وفى الجنوب الشرقى لسرياقوس ، ثم يضيف وبها جامع بمئذنة قصيرة . ويقول ابن أياس (١) وفى شوال سنة ٨٩١ هـ توفى الشيخ قلج الرومى الأدهمى شيخ زاوية السـلطان بالمرج ، ويقصد بذلك المسجد الذى بناه السـلطان قايتباى ، ومما هو جدير بالذكر ، انه لما توفى شيخ الزاوية ، قرر فى مشيخة الزاوية امرأة ، هى زوجة قلج المذكور ، ويعلق على ذلك ابن أياس فيقول « فعد ذلك من النوادر وكانت المرأة تقرب لجهان شاه » .

(١) ابن أياس جـ ٣ ص ٢٢٧ .

محافظة كفر الشيخ

كفر الشيخ من القرى القديمة اسمها الأصلى دمينقون ، وردت فى قوانين ابن مماتى (١) باسم دمنيقون وورد فى تاريخ ١٨١٣ م دميلاقون وهى كفر الشيخ طلحة نسبة الى الشيخ طلحة الشاذلى صاحب المقام الموجود بها . ويقول محمد رمزى أنه لاحظ أن الكثير من القرى المصرية القديمة قد تغيرت أسماؤها فى العصر العثمانى وسميت بأسماء المشايخ أصحاب المقامات الموجودة بها ، مثال ذلك دمينقون هذه التى سميت كفر الشيخ ، والطا التى سميت أبو العز بمركز كفر الزيات نسبة الى الشيخ أبو العز المدفون بها ، وديروط بلهاسة التى سميت الشيخ زياد بمركز مغاغة نسبة الى الشيخ زياد بن مغيرة المدفون بها ، وأهريت التى سميت الشيخ فضل بمركز بنى مزار نسبة الى الشيخ فضل المدفون بها . ويعلل محمد (٢) رمزى السبب فى هذا التغير هو رغبة أهالى هذه البلاد فى احياء ذكرى أصحاب هذه المقامات ولفت نظر الناس اليهم لزيارتهم والتبرك بهم فى الموالد التى تقام سنويا . ولا يخفى ما يعود على خدمة هذه المقامات من فائدة وما يكسبه أهل البلد من رواج لمحاصيلهم وتجارتهم . هذا بالاضافة الى رغبة الأهالى فى التخلص من الأسماء المستهجنة التى لا يعرفون لها معنى . وفى سنة ١٨٣٣ م ضمت كفر الشيخ لمديرية الغربية وفى سنة ١٩٣١ انفصلت عن مديرية الغربية ثم

---

(١) ابن مماتى ص ٢٨٣ .

(٢) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١٤٣ .

أصبحت فيما بعد مديرية مستقلة تماما عن الغربية وفى سنة ١٩٦٠ تغير اسمها الى محافظة .

بلقـــاس :

يستفاد ممـا ورد فى كتـاب الضـوء (١) اللامع عنـد الكلام على ترجمة الشيخ أحمد بن سليمان بن نصر الله ابراهيم الشهاب البلقاسى أن هذه المدينة قديمة وأنها كانت موجودة قبل القرن التاسع الهجرى ، ويقول محمد رمزى أنها كانت من كفور ناحيتى الميما والعســكر قيد زمامهما فى العصر العثمانى باسم بلقاس لشهرتها بين القرى فى ذلك الوقت . وفى سنة ١٨٩٢ نقل ديوان مركز بلاد الأرز شرقا الى بلقاس ثم نقل المركز الى شربين . وفى سنة ١٩٤٣ فصلت بلقاس عن شربين وأصبحت قاعدة المركز وهى تتبع الآن محافظة كفر الشيخ .

فـوة : (لوحة رقم ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢)

ذكـرها أميلينـو باسـم (Poei) ثم قلبت الباء المثلثة فاء كما قلبت فى الفيوم وفاو وغيرهما من المدن المصرية القديمة (٢) . وردت فى معجم (٣) البلدان ، فوة بليدة على شاطىء النيل من نواحى مصر قرب رشيد بينها وبين البحر ستة فراسخ وهى ذات أسواق ونخيـل كثير . ثم أضاف فى تفسير معنى كلمة فوة قال ، والفوة العروق التى تصبغ بها الثياب الحمر . ووردت فى نزهة (٤) المشتاق أنها على فرع النيل الغربى وهى مدينة حسنة كثيـرة الفواكه والخصب بها أسواق وتجارات ، ولما أنشىء قسم بلاد الأرز غرب ، جعلت مدينة فوة مقرا له .

---

(١) السخاوى جـ ٣ ص ١٤٧ .
(٢) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ١١٣ .
(٣) ياقوت جـ ٦ ص ٤٠٦ .
(٤) الادريسى ص ١٥٦ .

البـــرج : (لوحة رقم ٦٣)

كانت هذه القرية تسمى البرلس ، وهى من الثغور المصرية القديمة التى تقع عـلى شاطىء البحـر الأبيض المتوسط بين دميـاط ورشـيد ، واليها تنسب بحيرة البرلس وكان(١) اسمها القديم (Panalos) ومنه اسمها العربى . ويطلق اسم البرلس أيضا على المنطقة الساحلية المعروفة باسم اقليم البرلس الممتد على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، بينه وبين بحيرة البرلس ، التى كانت تسمى قديما بحيرة نسترو ، وهى التى كان العرب يسميها نستراوه وكان لها اقليم منسوب اليها .

وفى العصر الأيوبى أنشأ صلاح الدين ببلدة البرلس هذه حصنا على ساحل البحر الأبيض للمحافظة على الشواطىء المصرية من غارات الصليبيين عليها ، وقد عرف هذا الحصن باسم البرج . ومنذ ذلك الوقت عرفت بلدة البرلس باسم البرج واختفى اسمها الأصلى .

دســـوق :

من القــرى القديمـة وردت فى قوانين ابن ممــاتى (٢) أنهــا من أعمال الغربية ، وهى قرية كبيرة عامرة من أعمال مصر ، واليها ينسب سيدى ابراهيم الدسوقى صاحب المقام العظيم الكائن بها . وفى سنة ١٨٤١ أنشىء بمديرية الغربية قسم ادارى باسم قسم المندورة وجعل مقره بلدة دسوق لأنها أكبر بلاده وفى سنة ١٨٩٦ سمى بمركز دسوق بدلا من المندورة .

سخا : قرية قديمة اسمها القبطى (Sekhôeu) ومنها اسمها العربى . وردت فى كتاب المسالك (٣) والبلدان ، سخا من كور مصر القديمة وذكرها ابن حوقل (٤) صخا (بالصاد) مدينة كبيرة ذات حمامات وأســواق وعمل

---

(١) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٣٣٠ .
(٢) ابن مماتى ص ١٤٧ .
(٣) اليعقوبى ص ٧٨ ، ابن خرداذبه ص ٨٦ .
(٤) ابن حوقل ص ٦٩ .

واسع ، واقليم جليل له عامل بعسكر وجند وغلات وبها الكتان الكثير وزيت الفجل وقموح عظيمة .

وفى قوانين (١) ابن مماتى وفى التحفة ، سخا كورة بمصر وقصبتها سخا بأسفل مصر وهى الآن (القرن الثالث عشر) قصبة كورة الغربية ودار الوالى بها . وفى تاريخ ١٨١٣ م وردت باسمها الحالى وهى تتبع الآن مركز كفر الشيخ .

---

(١) ابن مماتى ص ٥٩ ، التحفة السنية ص ١٦٠ .

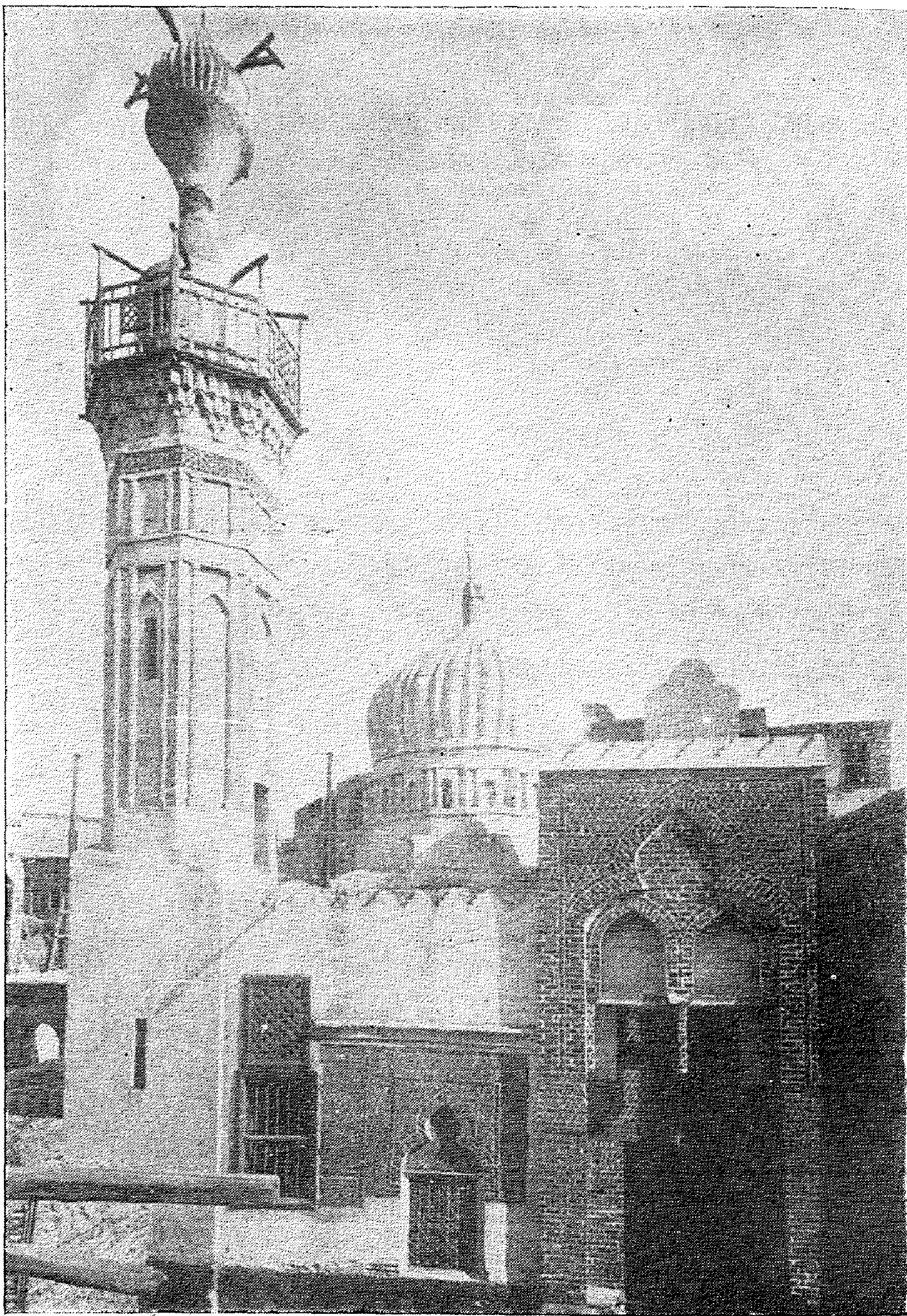
الآثار الباقية

محلة أبو على

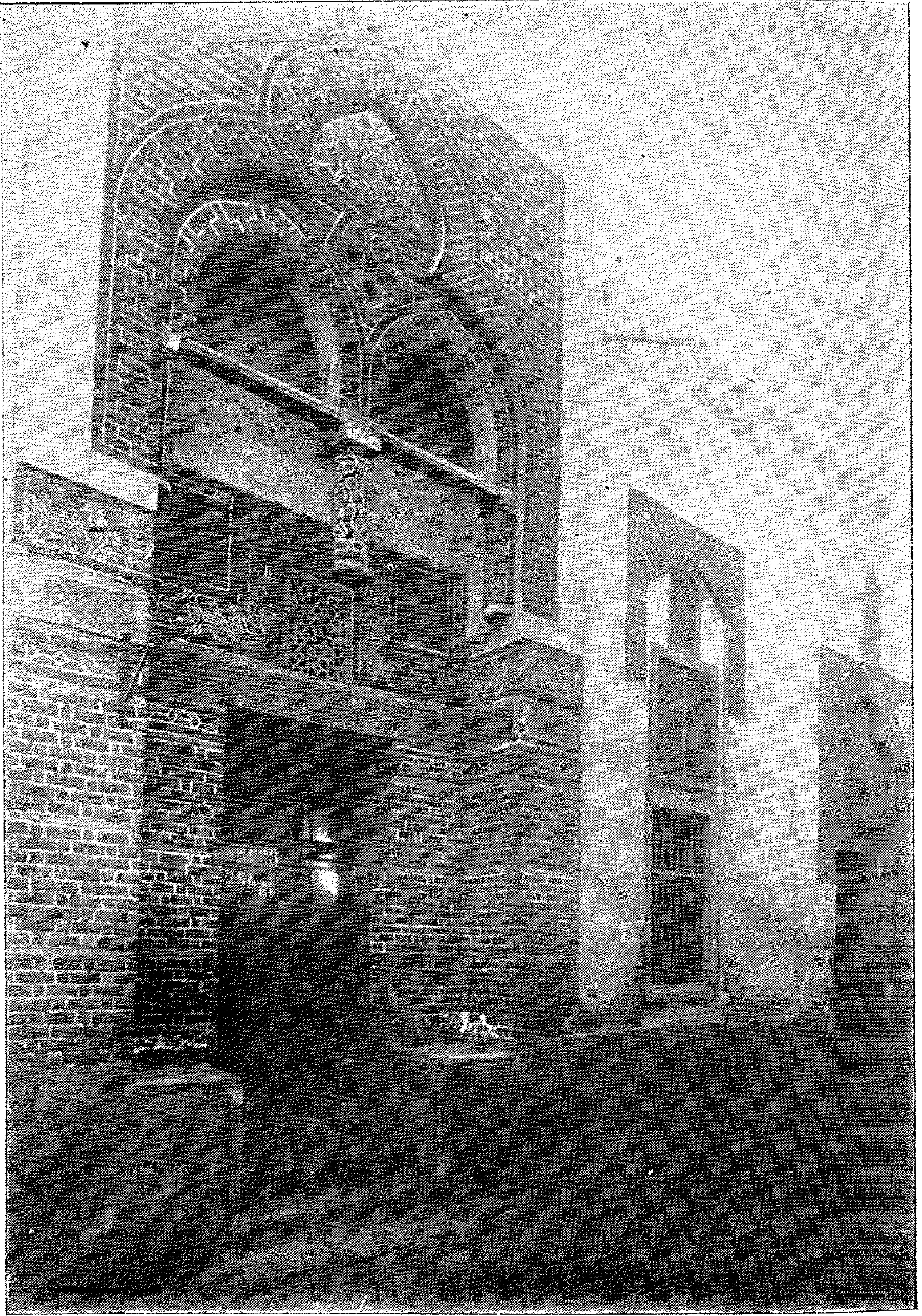
هى من قرى مركـــز دسوق بمحافظة كفر الشيخ ، وتقع على الشاطىء الشرقى لفرع رشيد . وجاء فى الخطط التوفيقية ، انهـــا كانت مدينة متسعة ومبانيها من الأجر وبها جامع بمنارتين وقيسارية على البحر . ومن أهم آثار محلة أبو على الباقية جامع الخطباء .

جامع الخطباء : أنشأ هذا المسجد الأمير خليل أغا سنة ١١٣٦ هـ ، ثم أعيد بناؤه عدة مرات أهمها العمارة التى قام بها ابراهيم بك الدفتردار . ولم يبق من المسجد الأصلى غير المئـــذنة التى تشرف على النيل ، لقرب المسجد منه ، فتبدو ليلا وهى مضاءة وكأنها منارة لهداية السفن المارة بالنهر . وقد كتب على المنارة ما نصه : (جدد هذا المنار الشريف المصون مدوة الأكابر والأعيان الأمير خليل أغا ، وكان المباشر بالنيابة الأمير سليمان غفر الله لهم وأسكنهم فسيح الجنان ، فى ربيع الأول سنة ١١٣٦ هـ ـــ سنة ١٧٢٣ م) . أما تاريخ تجديد المسجد فقد دون ، على لوحة رخامية مثبتة على الباب القبلى ما نصه : (جدد هذا المسجد المبارك ابراهيم بك دفتردار مصر حالا نجل حضرة افندينا محمد على والى مصر حالا غفر الله لهم آمين سنة ١٢٢٢ هـ ـ سنة ١٨٠٧ م) .

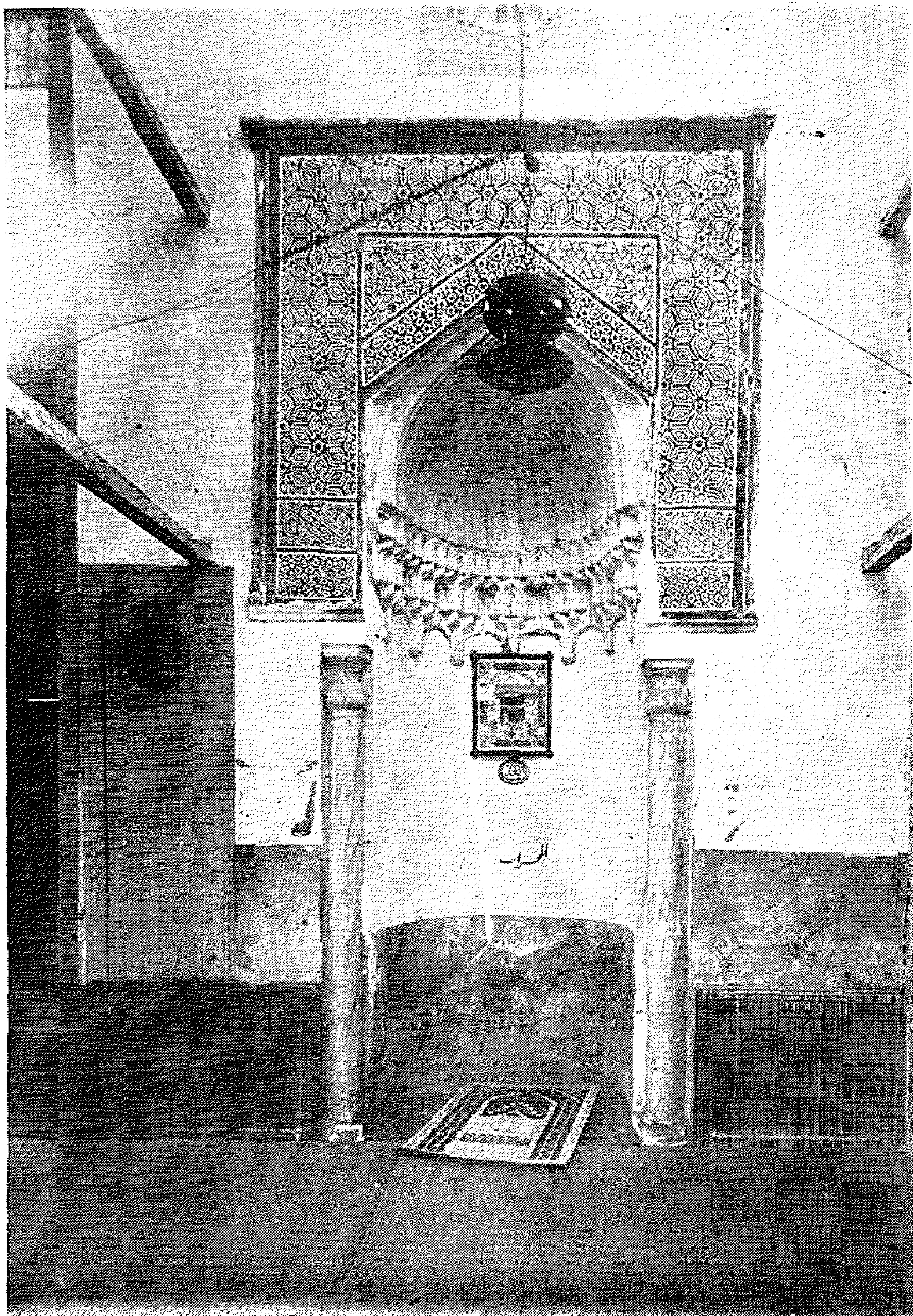
وقد ثبت على المدخل الرئيسى للمسجد لوحة رخامية كتب عليها مرسوم صدر فى عهد السلطان الناصر أبى السعادات فرج من ملوك دولة المماليك الجراكسة . وهذا المرســـوم على جانب عظيم من الأهمية ، لأنه أولا يعطينا فكرة عن طريقة الاعلان عن المراسيم التى تصدرها الدولة واختيار المسجد مكانا للاعلان على اعتبار انه مكان اجتماع الناس للصلاة ، ولأنه مكان له



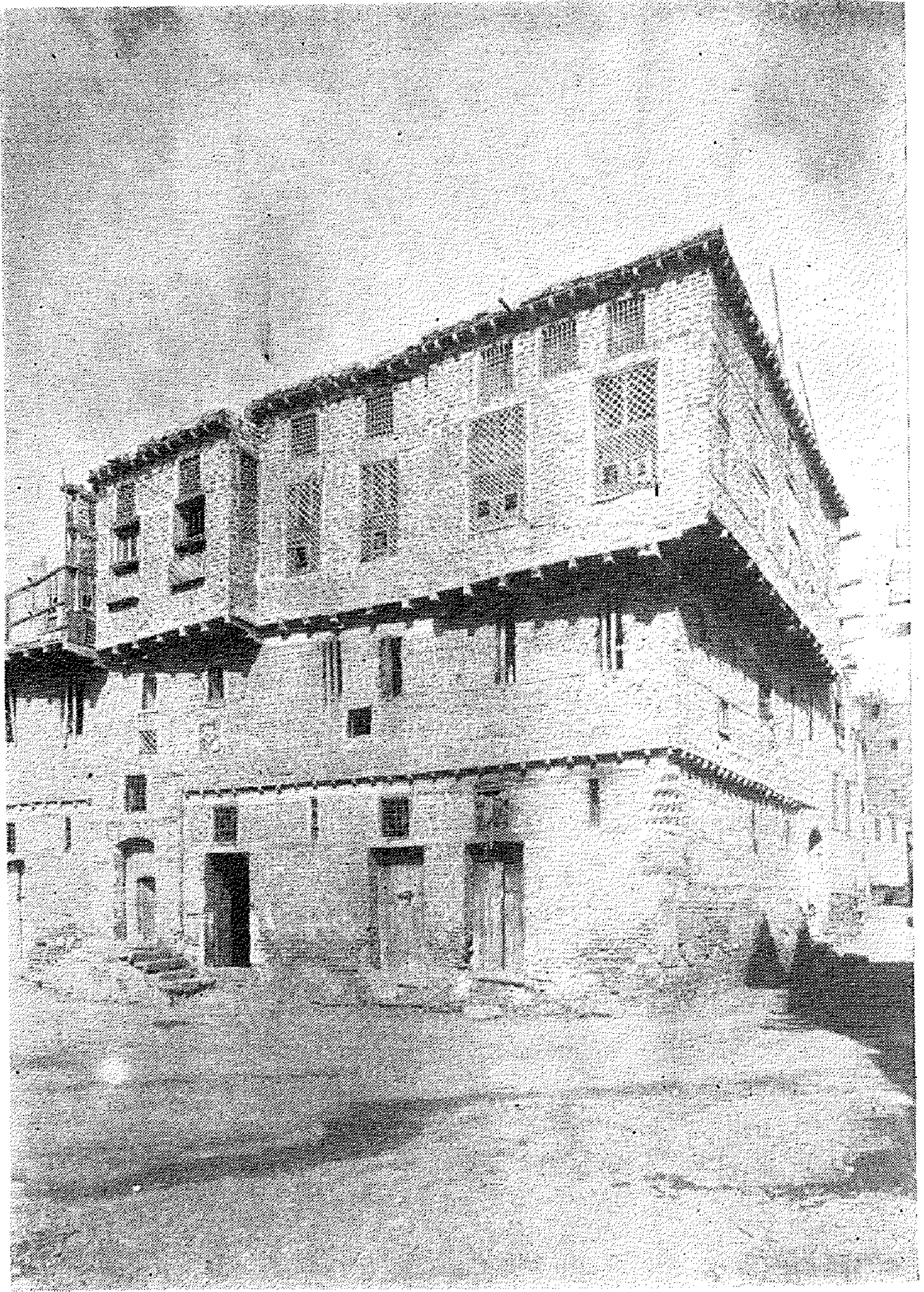
لوحة رقم (٥٩) تبين واجهة ومئذنة مسجد ضياء الدين بمدينة فوه
بمحافظة كفر الشيخ



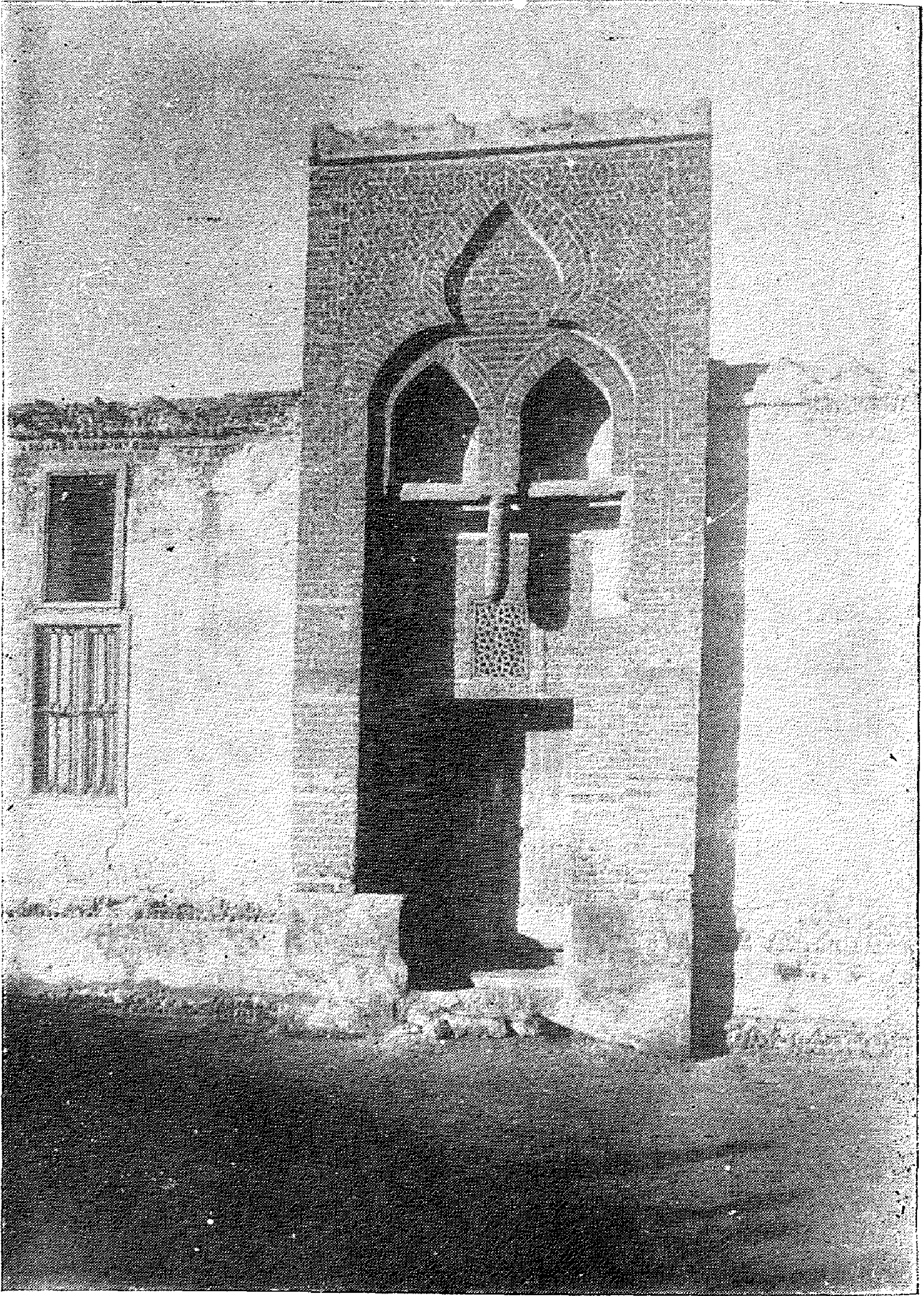
لوحة رقم (٦٠) تبين مسجد حسن نصر الله بمدينة فوه



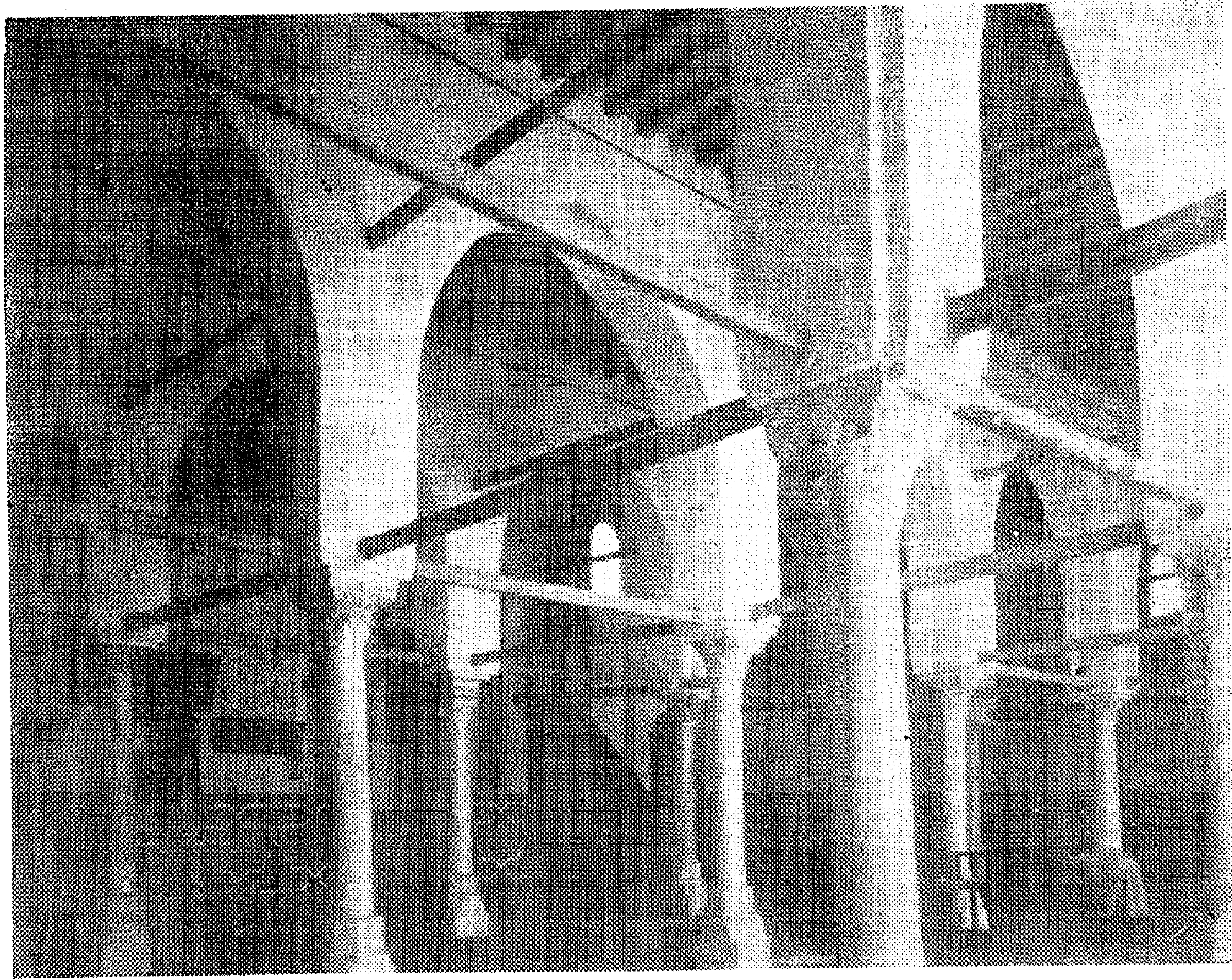
لوحة رقم (٦١) تبين محراب مسجد ابوالمكارم بفوه



لوحة رقم (٦٢) تبين ربع الخطابية بمدينة فوه



لوحة رقم (٦٣) تبين واجهة مسجد العمـــرى بمدينة البرج (البرلس سابقا)
محافظـــة كفـر الشيخ



لوحة رقم (٦٤) تمثل داخل مسجد الخطباء بمحلة أبوعلي

حرمته يجب معها تنفيذ الأوامر التى يكتبها ولى الأمر على بابه — وثانيا لما ورد فيه من أن السلطان أبطل ضمان الهــلالى ، وبذلك أعطانا فكرة عن الضرائب التى كانت تجبيها الدولة طوال العصر الاسلامى . ويقول المقريزى فى ذلك ، ان الدولة كانت تجبى نوعين من الضرائب أو الجزية أو الخراج ، الأول ويسمى بالمال الخراجى وهو ما يفرض على الأراضى الزراعيــة ، وكان يعرف فى زمن المقريزى (القرن التاسع الهجرى) كذلك باسم الجوالى ، وكان يؤخذ سلفا وتعجيلا فى غرة السنة .

والضريبة الثانية وتعرف بالمال الهلالى ويعرفها المقريزى بما يأتى : هى عبارة عما يســتأدى مشاهرة كأجر الأملاك المســقفة من الدور والحوانيت والحمامات والأفران والطواحين ، وعــداد الغنم والجهة الهوائية المضمونة والمحلولة ، واحكار البيوت وريع البساتين التى تستخرج أرضها مشــاهرة ومصايد السمك ومعاصر الزيت . ويضيف المقريزى ، وكان من أبواب الهلالى جهات تسمى المعاملات وهى الزكاة والمكوس .

أما المرسوم فيتكون من عشرة سطور وفيما يلى نصه :

١ — بسم الله الرحمن الرحيم .
٢ — برسم المقر العالى السيفى سودون النظامى .
٣ — نائب القلعة الشريفة أعزه الله تعالى آمين .
٤ — يبطل ضمان الهلالى والساحل بناحية محلة أبو على الغربية .
٥ — وناحية جملجون فى البلاد المجاورة اليها وذلك ابتغاء وجه .
٦ — الله تعالى وطلبنا لرضوانه وملعــون ابن ملعون من يعيره أو يبدله .
٧ — أو يجدده أو يتعرض اليه أو يغشه وما تفعلو من خير يعلمه الله تعالى .
٨ — ورسم أن يكتب بباب الجامع بناحية البلد حسب المرسوم العالى .
٩ — بتاريخ مستهل شهر جمادى الأولى .
١٠ — سنة اثنين وثمانمائة والحمد لله اللطيف بعباده .

محافظة الدقهلية

تكون اقليم الدقهلية باسمه الحالى فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان قبل ذلك مقسما الى كور صغيرة كل كورة قائمة بذاتها ثم ضم بعضها الى بعض وسميت الدقهلية نسبة الى قاعدتها دقهلة . وكان يجـاور اقليم الدقهلية من الجهة الشمالية كورة الابوانية ، وهى اقليم المنزلة الحالى وسميت بالأبوانية نسبة الى قاعدتها أبوان التى خربت بسبب طغيان بحيرة المنزلة عليها ، وكانت منطقة صناعية آهلة بالسكان ، وقد اختفت هذه الكورة من الأقسام الادارية المصرية فى الروك الناصرى سنة ٧١٥ هـ وضمت بلادها الى اقليم الدقهلية . وكان يجاور اقليم الدقهلية من الجهة الجنـوبية كورة المرتاحية وكانت فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركزى المنصورة وأجا وقاعدتها بلدة نوسا الغيط . وسميت المرتاحية نسبة الى الطائفة من الجنود المغاربة الذين دخـلوا مع جيش جوهر الصـقلى ، قائد الدولة الفـاطمية ، ورغبوا فى الاشتغال بالزراعة فأنزلهم ببلاد تلك الـكورة فعرفت بهم منـذ ذلك الوقت . وقد ضمت هـذه الكورة الى اقليم الدقهلية الذى كان يشمل مراكـز فارسكور ودكرنس والمنزلة فى الروك الناصرى ، وصار الجميع اقليما واحدا باسم كورة المرتاحية والدقهلية وكانت قاعدته أشمون الرمان الى آخر دولة المماليك . وفى العصر العثمانى أطلق عليها ولاية الدقهلية ونقلت قاعدتها من أشمون الرمان الى المنصورة (١) . وفى سنة ١٨٣٣ عرفت باسم مديرية الدقهلية وفى سنة ١٩٦٠ أصبح اسمها محافظة الدقهلية .

المنـــزلة :

قرية من القرى المصرية القديمة اسمها القبطى (Mendjûili) ومعناها دار الضيافة ، ويقول محمـد رمزى (٢) ، أن كلمـة المنزلة العـربية تؤدى

(١) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٢٦ .
(٢) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٢٠٣

انى شيء من هذا المعنى ، وهى بذلك قريبة الشـبه لفظا ومعنى من الاسم القبطى . وقد ذكرها المقريزى (١) عند الكلام عن تطهير الملك الظاهر بيبرس لبحر أشموم الذى يعرف اليوم بالبحر الصغير ، باسم منزلة ابن حسون ، ووردت فى التحفة السنية (٢) باسم منيتى راضى وعصفور وهى المنزلة من أعمال الدقهلية . ولا تزال هذه البلدة الى اليوم تتكون من قريتين متجاورتين واقعتين على الشاطىء الشرقى للبحر الصغير وبينهما فضاء ، وتقع المنزلة فى نهاية البحر الصغير من جهة بحيرة المنزلة ، وكانت تابعة لمركز دكرنس ، وفى سنة ١٩٢٩ أنشىء مركز سابع بمديرية الدقهلية سمى بمركز المنزلة .

أشمون الرمان :

اسمها القبطى شمون أرمان ومنه اسـمها العـربى أشمون الرمان ، وقد عـرفت فى العصر الاسـلامى باسم أشمون طنـاح ، وردت فى معجم البلدان (٣) ، أشموم طناح مدينة فى الدقهلية قرب دميـاط بمصر ، كذلك وردت فى قوانين ابن مماتى وفى التحفة السنية (٤) ، أشـموم طناح مدينة من أعمال الدقهلية والمرتاحية . ولما تكلم عليها ابن دقماق (٥) قال : أشموم طناح وتعرف بأشموم الرمان قصبة كورة الدقهلية وهى مدينة ذات حمامات وأسواق وجامع وفنادق . وقد أعيد اليها اسمها القبطى أشمون الرمان فى العصر العثمانى .

وكانت أشمون الرمان من أشهر المدن المصرية وظلت كذلك حتى أوائل العصر العثمانى ثم أخذت تضمحل عندما أصبحت المنصورة قاعدة الاقليم ، وأصبحت أشمون الرمان قرية تابعة لمركز دكرنس .

شـطا :

من القرى القديمة جاءت فى كتب البـلدان والمعـاجم (٦) ، شـطا بقرب دمياط على البحيرة يسكنها القبط واليها ينسب الجنس الشطوى . وجاء فى المقريزى (٦) ، أن شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليها تنسب الثياب

(١) السلوك ص ١٩٥ .
(٢) ياقوت جـ ١ ص ٢٦٣ .
(٣) التحفة السنية ص ١٠٠ .
(٤) الانتصار ص ٢٧ .
(٥) ياقـوت جـ ٥ ص ٢٦٤ ، التحفة السنية ص ٣٠ .
(٦) المقريزى جـ ١ ص ٣٦٤ .

الشطوية . ويقال أنها عرفت بشطا ابن الهاموك ، وكان أبوه خال المقوقس ، وكان وقتها على دمياط (أى حاكما عليها) فلما ملكها المسلمون انضم اليهم ثم اشترك معهم فى موقعة ضد أهـــل تنيس فاستشهد فى سنة ٢١هـ ودفن حيث هو الآن (القرن الخامس عشر) خارج دمياط وبنى على قبره ، ولا يزال قبره يزار حتى اليوم ، واليه تنسب هذه القرية ، ويقـــال له الشيخ شطا أو سيدى شطا ، وهى تتبع الآن مركز فارسكور .

ميت غمر :

قرية قديمة اسمها الأصلى منية غمر ، ورد تفى نزهة المشتاق (١) ، منية غمر قرية لها سوق ومتاجـر ودخل وخـرج قائم . ووردت فى التحفة السنية (٢) ، منيتا غمر وحماد من أعمال الشرقية ، ويقول محمد رمزى ، وأما منية حماد التى ذكرت مع منية غمر فقد اشتركت معها بسبب اشتراكهما معا فى السكن والزمام ، وفى الروك الناصرى ألغيت منية حمـاد وأضيفت الى زمام منية غمر ، وفى العصر العثمانى حرفت منية الى ميت ، فأصبحت ميت غمر .

المنصـورة :

أنشـأ هـذه المدينـة الملك الكامل محمـد بن الملك العـادل أبى بكر بن أيوب من ملوك الدولة الأيوبية سنة ٦١٦ هـ ، عندما احتل الصليبيون مدينة دمياط ، وقد جعلها ثكنات لعسكره وسماها المنصورة تفاؤلا بانتصاره على الصليبيين . ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط . وقد صـارت المنصورة بعد ذلك مدينة كبيرة بها المساجد والحمامات والفنادق والأسواق .

وأول من كتب من الجغرافيين عن المنصورة هو ياقوت الحموى (٣) فقد ذكرها فى معجمه الذى كتبه بعد انشائها بست سنوات ، المنصـورة بلدة أنشأها الملك الكامل ابن العادل أيوب بين دمياط والقاهرة ، ورابط بهـا فى وجه الأفرنج لما ملكوا دمياط وذلك سنة ٦١٦ هـ . وقال ابن دقماق (٤) ،

(١) الادريسى ص ٨٩ .
(٢) التحفة السنية ص ٧٣ .
(٣) ياقوت جـ ٨ ص ١٧٧ .
(٤) ابن دقماق ص ٢٦٥ .

ان المنصورة بناها الملك الكامل بن العادل قبالة جوجر عند مفترق النيل الى دمياط وأشموم وبينهما جزيرة تسمى البشور ، بناها فى وجه العدو لما حاصرت الفرنج دمياط ، وهى مدينة بها حمامات وأسواق وفنادق وهى على ضفة النيل الشرقية .

وذكرها المقريزى (١) فقال : ان هـذه البلدة على رأس بحر أشموم ، تجاه ناحية طلخا ، بناها الملك الكامل بن الملك العادل سنة ٦١٦هـ عندما ملك الفرنج مدينة دمياط ، فنزل فى موضع هذه المدينة وخيم به وبنى قصرا لسكناه وأمر من معه من الأمراء والعساكر بالبناء فبنيت هناك عدة دور ونصبت الأسواق ، وأدار عليها سورا مما يلى البحر (فرع النيل الشرقى) وستره بالآلات الحربية والستائر ، وسميت هذه المنزلة المدينة المنصورة تفاؤلا بالنصر ، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط ثم صارت مدينة كبيرة بها المساجد والفنادق والحمامات والأسواق .

وقد شهدت مدينة المنصورة معارك أخرى للصليبيين ، عندما جاءت الحملة الصليبية السابعة لغزو مصر بعد مضى ثلاثين عاما من انهزامهم فى دمياط ، فقد جاءت الحملة سنة ١٢٤٩ م بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا واستولت على دمياط ، ثم تقابل الجيش الصليبى مع الجيش المصرى فى المنصورة حيث دارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس انهزم فيها الصليبيون هزيمة منكرة ، لم تقم لهم بعدها قائمة ، ولذلك اعتبر المؤرخون معركة المنصورة فى سنة ١٢٥٠ م بداية نهاية الصليبيين فى الشرق ، وأنها كانت سببا فى خروجهم من آخر معاقلهم فى عكا سنة ١٢٩٢م . ولا تزال دار ابراهيم بن لقمان كاتم سر السلطان ، التى أسر فيها لويس التاسع باقية بالمنصورة بجوار مسجد الشيخ الموافى ، ويقوم فيها اليوم متحف تاريخى تخليدا لآثار تلك المعركة (لوحة رقم ٦٩) .

وجاء فى الخطط التوفيقية (٢) . أنه كان بمدينة المنصورة نحو عشرين مسجدا عامرة بالجمعة والجماعة ومن أقدمها مسجد عبد الله الموافى ، ويقال

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٣٧٣ .
(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٦ ص ٥١ .

أن الملك الصالح أيوب هو الذى بنى هــذا المسجد ، ثم جـــدد فى العصر العثمانى سنة ٩٩٨هـ ، ومن المساجد الهامة أيضا مسجد الشيخ يسن المشهور بصنحق الأولياء ، وهناك مسجد المحمودية الذى أنشأه محمود بيك أحـد أتباع الملك الصالح نجم الدين ، وغيرها من المساجد التى تزخر بها المدينة كما يوجد بها كثير من الزوايا والمزارات .

وينسب الى المنصورة كثير من العلماء والفقهاء منهم محمد بن محمد بن أحمد بن عمر ابن كميل المنصورى الشافعى ويعرف بابن كميل ولـــد سنة ٨٢٠ هـ بالمنصورة ، وتولى القضاء ببلده وبمنية سليل ودمياط ، ومنهم الشيخ رمضان بن محمد المنصورى الأحمدى المشهور بالحمامى ، وكان شـــاعرا مطبوعا ينشد فى الجموع ، ولد بالمنصورة وتوفى سنة ١١٩١هـ .

الآثار الباقية

المنزلة :

مما ستر عى النظر فى مدينة المنزلة احتفاظها بكثير من منازلها القديمة فى حالة لا بأس بها ، وخاصة تلك التى تقع على البحر الصغير ، وبذلك استطعنا ان نعرف تخطيط المنازل فى العصر العثمانى فى تلك المنطقة . ومن أهم هذه المنازل منزل الشيخ عباس زين الدين والشيخ حسن زين الدين ومنزل الحاج شلبى طوبار (لوحة رقم ٦٨) .

وتمتاز هذه المنازل بواجهاتها الجميلة المتناسقة الأجزاء والتى تنتهى بكرانيش مكونة من الخشب والآجر بأسلوب تنفرد به منطقة المنزلة وما حولها عن باقى منازل الوجه البحرى . كما تمتاز الواجهات باحتوائها على نوافذ ذات ضلف خشبية وليست مشربيات أو خشب خرط مما كان شائعا فى العصر المملوكى والعثمانى فى مصر ، والذى ما زالت منازل رشيد القديمة تحتفظ بالكثير منه .

قبة الشيخ عنبر :

ومن العمائر الدينية الهامة والجديرة بالذكر بمدينة المنزلة قبة الشيخ عنبر ، وتحتوى القبة على قاعدة مربعة الشكل يعلوه رقبة مثمنة ثم تأتى القبة فوق ذلك . والقبة مبنية من الآجر . وكسيت رقبتها بالجص المزخرف على شكل احجبة يعلوها غطاء القبة المنقوش بزخارف دالية تنتهى بقطع من القاشانى الأزرق . وهكذا نرى أن هذه القبة تمثل اسلوبا انفردت به مدينة المنزله دون غيرها من مدن الوجه البحرى . وهناك قبة اخرى مماثلة لقبة الشيخ عنبر ، هى قبة ابو النصر بجوار منزل الشيخ شلبى طوبار يقال انه انشأها مع منزله سنة ١٢٢٧هـ .

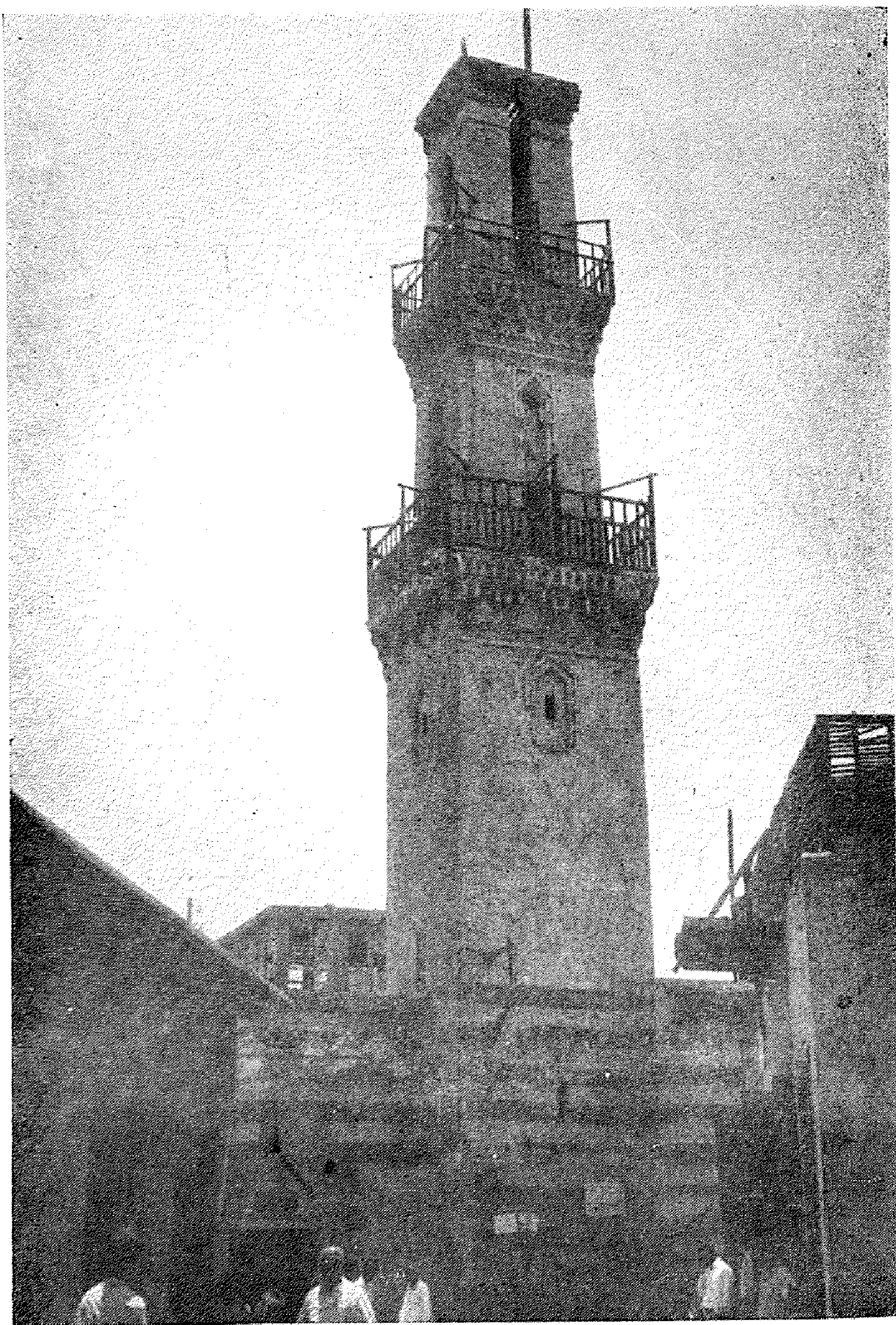
مسجد الغمرى بمت غمر : (لوحة رقم ٦٥)

يرجع تاريخ هذا المسجد الى عصر السلطان الغورى فى القرن العاشر الهجرى ، وقد اجريت له عدة ترميمات غيرت من معالمه الأولى ولم يبق منه غيـر مئذنتان ما تزالان تحتفظان بمعالمهما الأصيلة . وتتكون كل منهمـا من دورتين تعلوهما خوذة وهما بذلك يشبهان منارة قانى باى الرماح بميـدان صلاح الدين بالقلعة بالقاهرة . وقد سـجل تاريخ انشاء المسجد على باب المسجد وفيما يلى نص الكتابة :

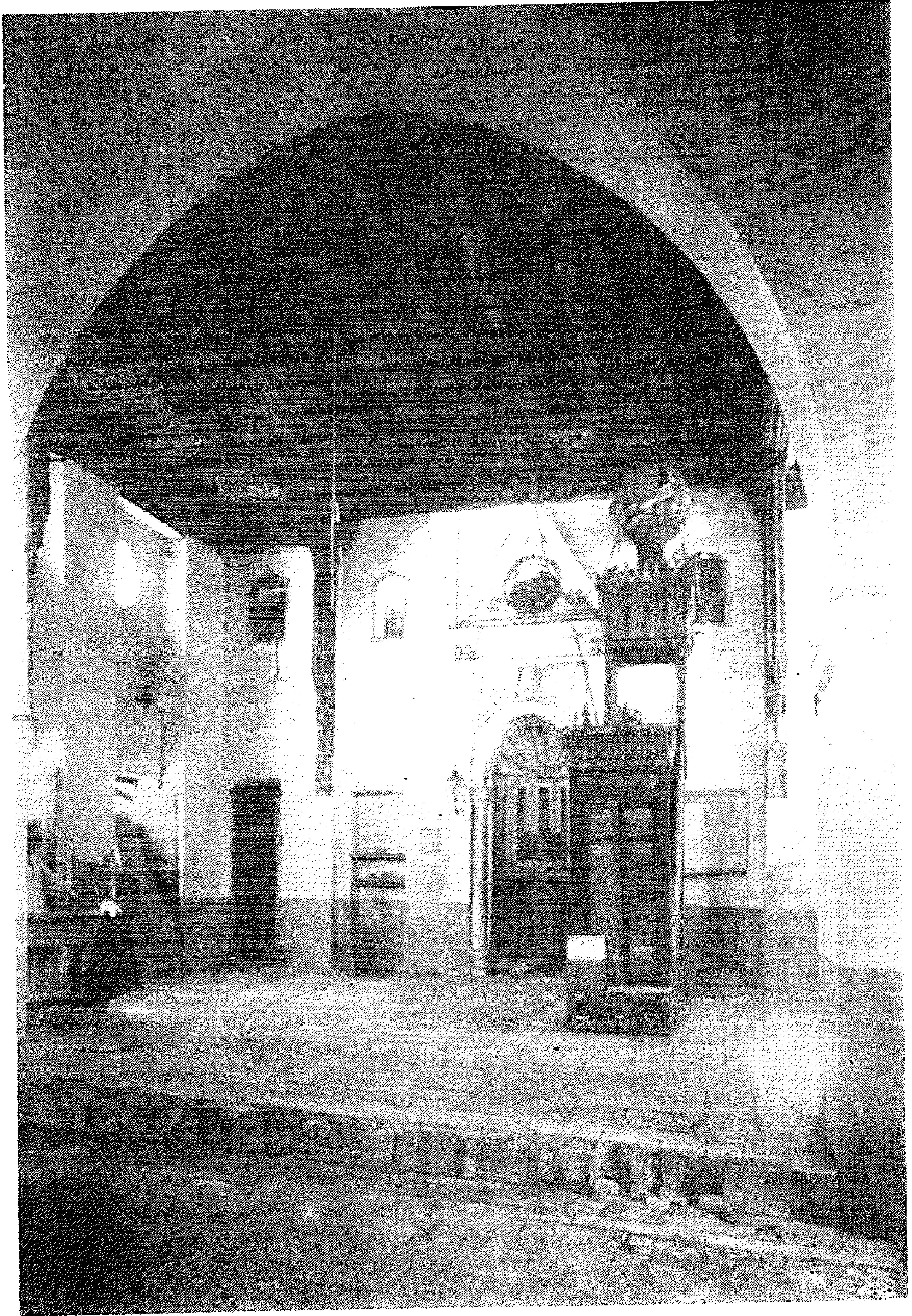
بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمـر مسـاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله . مما أمر بتجديد هـذا المصلى الفقير الى رحمة الله الراجى عفو الله الشيخ عبد المحسن بن الشيخ ــ المحلى فى جمادى الأولى سنة تسع عشر وتسعمائة ، وذلك رجاء ثواب الله وابتغاء رضائه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من لقى الله بقلب سليم .

مسجد الأمير حماد : (لوحة رقم ٦٦)

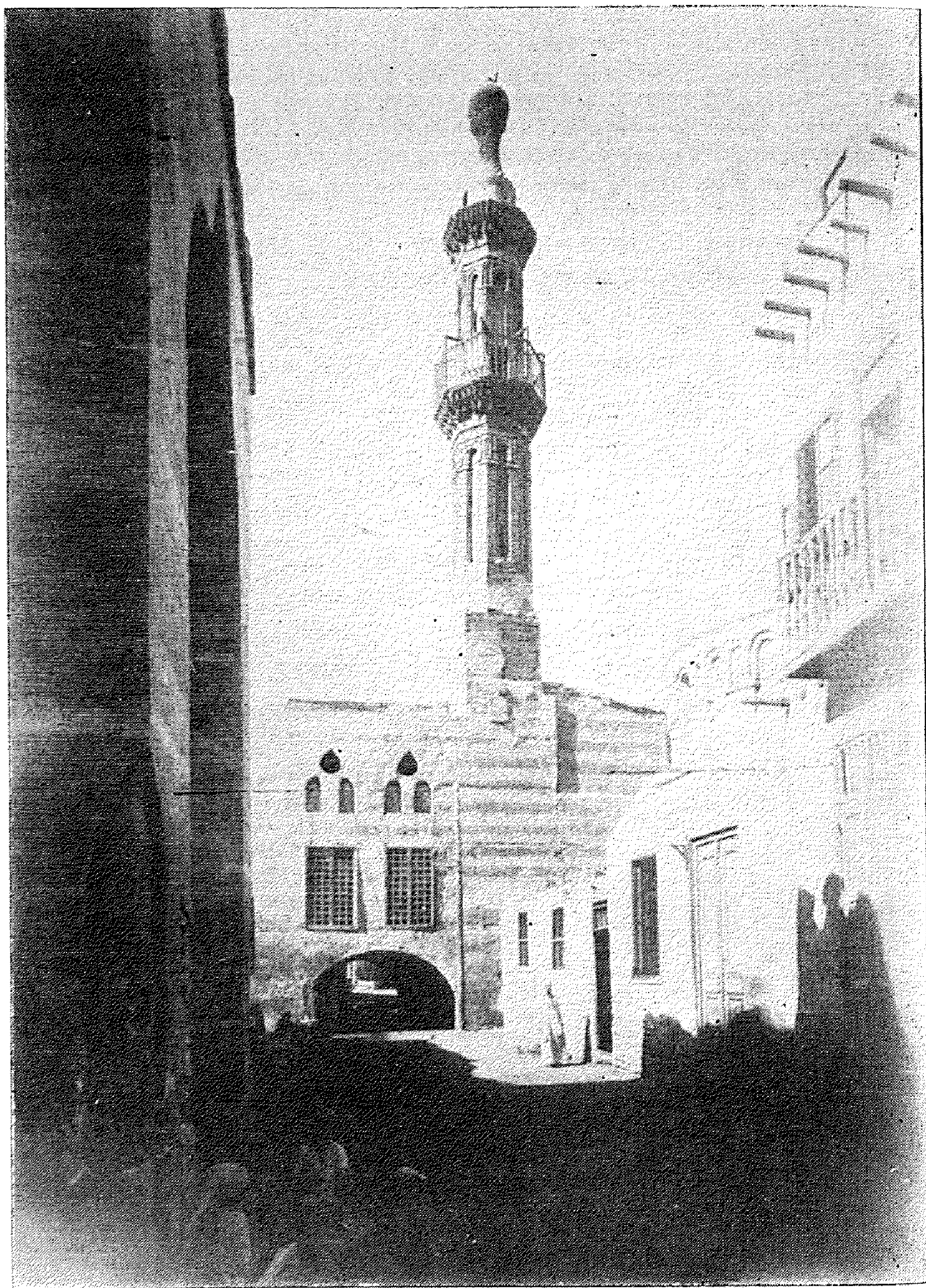
يشبه هـذا المسـجد فى تخطيطه المـدارس المتعـامدة التى ترجع الى العصر المملـوكى . ويتكون المسـجد من صـحن تحيط بـه أربعـة ايوانات متعامدة ، مغطـاه بسقوف خشبية مزخرف بنقوش مدهونة متعددة الألوان ومذهبة . وبالمسجد منبر خشبى دقيق الصنع وقد سجل عليه تاريخ انشاء المسجد وهو سنة ١٠٢٤ هـ . ومسجد الأمير حماد من المساجد المعلقة ، لأنه يرتفع عن سطح الأرض ، وهو لهذا يعد من المساجد النادرة فى المنطقة التى يصعد اليها بعدة درجات . وللمسجد مئذنة مبنية من الطوب وتتكون من دورتين ، وقد كتب على واجهاتها الشمالية ، اسم الصناع الذين قاموا بعملها — وهو شىء نادر فى العصر الاسلامى — وكذا اسم المنشىء : عمل الحاج والمعلم — باذن الأمير على . وقد انمحت اسماء الصناع . وتحتوى المنـارة كذلك على لوحة أخرى من الجص كتب عليهـا ما يأتى : بسـم الله الرحمن الرحيم انشأ هذا المنار الأمير قنديل فى شهر رجب سنة ١٠٩٨ هـ .



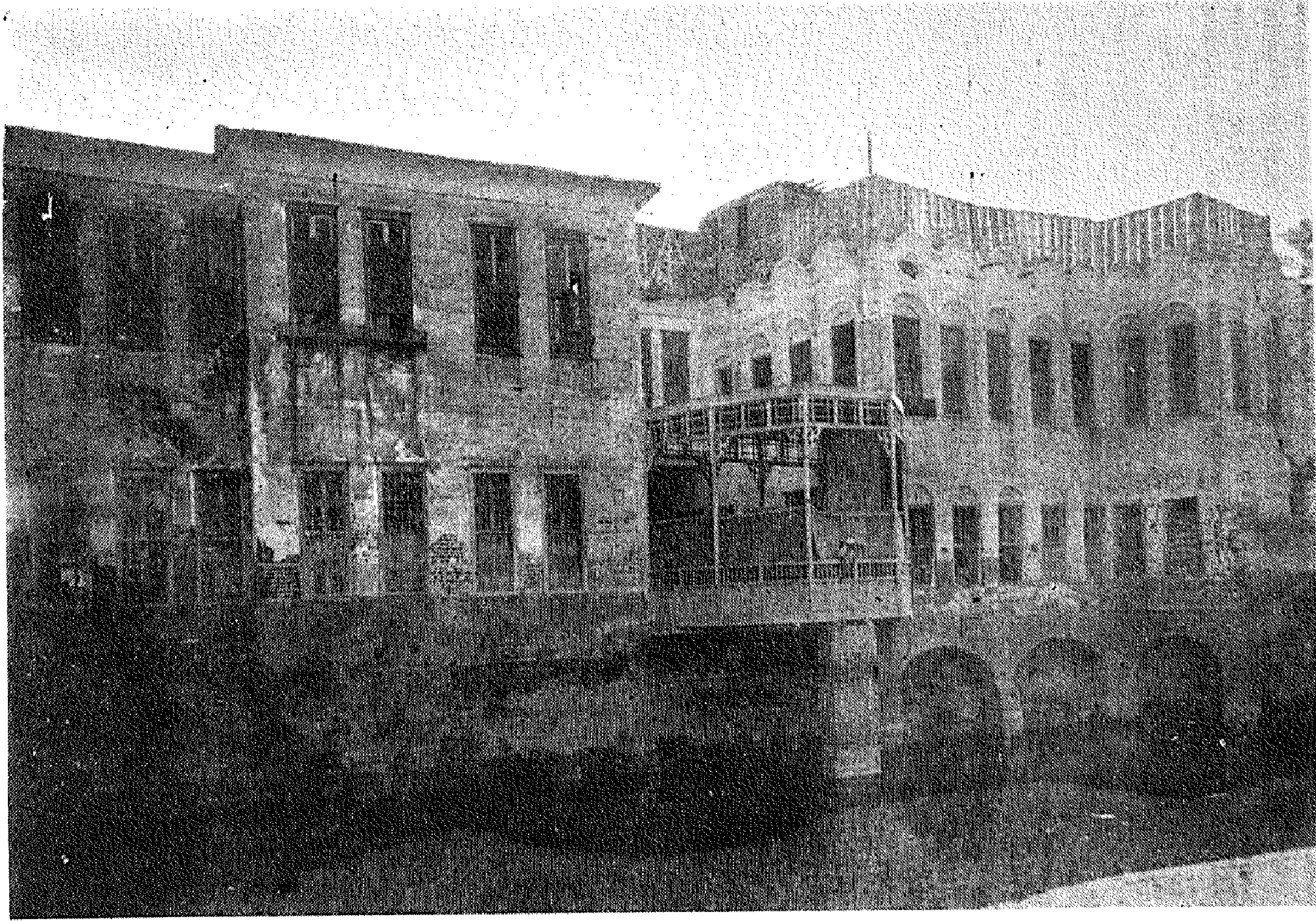
لوحـة رقم (٦٥) تبين منارة مسجد العمرى بمدينة ميت غمر



لوحة رقم (٦٦) تبين ايوان القبلة بمسجد الامير حماد بميت غمر ويرجع
الى القرن السابع عشر



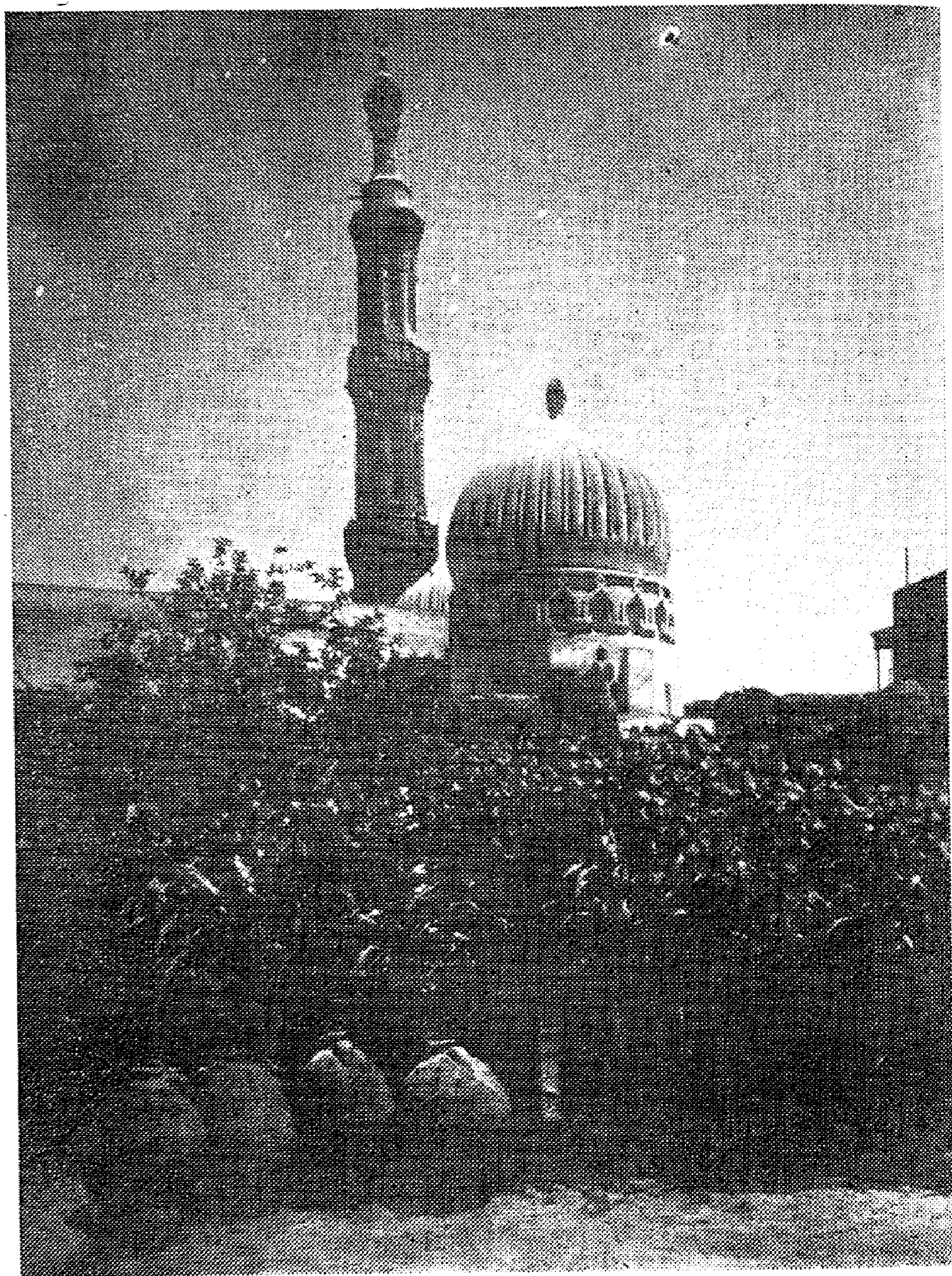
لوحة رقم (٦٧) تبين مئذنة مسجد الامير حماد بمدينة ميت غمر



لوحة رقم (٦٨) تبين منزل الحـــاج جلبي طوبار بمدينة المنزلة ويرجع تاريخ انشائه الى القرن التاسع عشر



لوحة رقم (٦٩) لبين دار ابن لقمان كـاتم سر السلطان التى اسر فيـها لويس التاسـع ، وقد حولت الان الى متحف تخليداً لآثار انتصارات المصريين على الحملة الصليبية السابعة



لوحة رقم (٧٠) تبين قبـة الشيخ عنبر

صهرجت الكبرى :

هى من القرى القديمــة اسمها القبطى (Sahat) ووردت فى نزهة المشتاق باسم صحرشت وهذا يتفق مع اسمها القبطى ، ثم حرفت بصهرجت وهى الآن من المدن التابعة لمركز ميت غمر . ومن الآثار الهامة فى هذه المدينة المسجد العمرى ، الذى يقال انه اقدم مساجد المدينة ، وقد جدد معظم اجزائه ولم يحتفظ بمعالمه القديمة غير مئذنته الشاهقة الارتفــاع وتتكون من ثلاث دورات ، ومن المرجح ان تكون من مبانى العصر المملوكى .

محافظة الشرقية

عرف اقليم الشرقية باسمه الحالى فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان قبل ذلك مقسما الى عدة كور صغيرة كل كورة قائمة بذاتها ، ثم ضم بعضها الى بعض وسميت الشرقية لوقوعها فى الجهة الشرقية من الوجه البحرى ، وفى سنة ١٨٢٦ قسمت الشرقية الى مأموريات وكانت كل مأمورية قائمة بذاتها، وفى سنة ١٨٣٣ ضمت هذه المأموريات بعضها الى بعض فأصبحت اقليما واحدا باسم مديرية الشرقية وقاعدتها مدينة الزقازيق (١) وفى سنة ١٩٦٠ تغير اسمها الى محافظة وظلت قاعدتها مدينة الزقازيق .

وعندما جاء عمرو بن العاص لفتح مصر سار على رأس جيش مكون من أربعة آلاف مقاتل حتى هبط رفحا فالعريش ، التى استولى عليها بسهولة على الرغم من أنها كانت مدينة ذات حصون . ويقول بتلر (٢) ان الروم خسروا ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير فى معارك بلبيس حين نشوب الحرب كما قتل من المسلمين عدد ليس بالقليل . وقيل ان ابنة المقوقس كانت فى بلبيس حين اشتداد المعارك فأرسلها عمرو الى أبيها معززة مكرمة ، فكسب بذلك محبة المصريين . وبعد أن أمضى العرب فى بلبيس قرابة شهر هبطوا منها الى أم دنين لاستكمال الفتح حتى تم لهم ما أرادوا وأصبحت مصر قطرا اسلاميا كان ولا يزال درة فى تاج الدول الاسلامية .

وقد سلك عمرو بجيشه بعد استيلائه على الفرما طريق بلدة القنطرة ملتزما بذلك جانب الصحراء ، وحدث فى أثناء الفتح العربى أن كانت مياه

---

(١) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٢٢ .
(٢) فتح مصر ص ٧ ٠٩.

بحيرة المنزلة :

قد طغت على ما حولها فأصبح الطريق من هناك صعب المسالك ، وكان جيش عمرو كله من الفرسان ولم تكن لديهم وسائل بناء القناطر على الترع والأنهار ، فسار من القصاصين جنوبا واجتاز تلال وادى الطميلات فى موضع قريب من التل الكبير حتى بلغ بلدة بلبيس .

وجاء مصر فى العهد الأموى مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية بعد هزيمته أمام خصومه العباسيين فى واقعة الزاب الكبرى المشهورة ، وقد أقام فى طريقه فترة فى بعض قرى الشرقية ومنها أرسل قوات للاستيلاء على مصر الوسطى والاسكندرية ولكن دهمته جيوش العباسيين بقيادة صالح بن على فى بلدة بوصير باقليم الفيوم حيث لقى حتفه . وقد أرشد عنه أعراب الشرقية الذين كان قد انتشر فى ربوعهم المذهب الشيعى . ولم تقف ثورات أعراب الشرقية بزوال الدولة الأموية بل كانت أكثر التهابا فى عهد العباسيين ، فعلى أثر وفاة الرشيد ونشوب الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون عاد أعراب الشرقية الى ثورتهم القديمة ، لأن الأمين كان قد تحبب اليهم بأن عهد ببعض الوظائف الكبرى الى رؤسائهم فضمن بذلك ولاءهم حتى ثاروا فى وجه والى مصر من قبل المأمون وتغلبوا عليه وقتلوه . ولما استتب الأمر للمأمون عين عبد الله بن طاهر واليا على مصر فاستطاع بحزمه وسداد رأيه أن يقف ثورات المصريين عامة ويعيد الهدوء الى ربوع القطر بأجمعه .

وفى غضون القرن الثالث الهجرى انقطع ما بين مصر ودولة بنى العباس من أسباب وانفصم ما كان يربط مصر بمركز الخلافة ببغداد من عرى الروابط وتربع على عرش مصر اذ ذاك أحمد بن طولون الذى أنشأ له فى مصر دولة دانت لها الشام وبعض أقطار أخرى وخشى بأسها الخليفة العباسى .

وفى نهاية الدولة الفاطمية ، عمت الفوضى والاضطراب ربوع البلاد اثر النزاع بين الوزيرين المصريين شاور وضرغام وامتد النزاع خارج حدود مصر اذ عول كل منهما — امعانا فى الكيد لخصمه — على أن يستعين بجيوش غير مصرية للانتقام والفتك من منافسه ، فطلب ضرغام من الصليبيين الحضور

الى مصر ليضمنوا له الوزارة دون غريمه شاور الذى استعان بدوره بسلطان حلب (نور الدين) لنفس الأمر ، فما كان من نور الدين الا أن أرسل جيوشه بقيادة أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبى فالتقى بجيوش ضرغام من المصريين عند بلبيس حيث انتصر شيركوه وهبط بعد ذلك الى الفسطاط . ولم يلبث أن قتل ضرغام وفاز شاور غير أنه تنكر لحلفائه وناصريه ، ومد يده الى الصليبيين واتخذ منهم اعوانا له ضد شيركوه فتقدم ملك بيت المقدس الى بلبيس وضيق الخناق على جيش نور الدين ولم يرفع الحصار عن المدينة الا بعد أن جاءته الأنباء بأن نور الدين استولى على أملاك الصليبيين فى الشام عند ذلك أسرع (أماريك) ملك الفرنجة فى العودة .

العرب فى الشرقية :

زعم كثير من المستشرقين أن العروبة فى وادى النيل بشطريه لا يتجاوز تاريخها عصر الفتوح الاسلامية الأولى ، ولو درس هؤلاء الهجرات الآتية من طريق سيناء الى مصر الفرعونية دراسة عابرة لكفاهم ذلك فى دحض هذا الزعم ، على أنه من الثابت والمتفق عليه اليوم ، أن موجات الساميين قد انبعثت منذ فجر التاريخ من جزيرة العرب الى البلاد التى تدخل اليوم فى نطاق الوطن العربى الأكبر ، بل الى بلاد أخرى غيرها ، وكل ما فى الأمر أن الذى أطلق على هذه الشعوب كلمة (الساميين) هو عالم نمساوى فى القرن الثامن عشر ،اقتداء بما ورد فى بعض أسفار التوارة من أن هذه الشعوب تنتمى الى سام بن نوح عليه السلام .

ومن بين هذه الشعوب ، العرب المقيمون فى جزيرتهم ، وجزيرة العرب ، هى المهد الأول للساميين أنفسهم ، فلا معنى لأن نفرق فى الاصطلاح بين العرب المقيمين فى الجزيرة وبين العرب النازحين منها . وغاية ما نفهمه من هذا الاصطلاح ، أن الساميين عرب سموا كذلك نسبة الى جدهم الأول ، أما لفظ العرب ، فهو فى الأصل نسبة الى (العربة) أى الصحراء ، أو مكان يقع فى الشمال الغربى من جزيرة العرب كان يسمى بهذا الاسم (١) .

---

(١) البيان والاعراب ص ٣٧ .

وفى مدة فتح عمرو بن العاص لمصر لم تكن قناة السويس موجودة ، وكان النيل يغمر البلاد مدة الفيضان ، فاذا انحسرت مياهه تركت مستنقعات وأراضى مغطاة بالكلأ والحشائش صالحة لرعى الأغنـام فى معظم أراضى الشرقية ، وبخاصة الشمالية منها والمجاورة للصـحراء ، مما شجع القبائل العربية بعد الفتح على الرحيل اليها لقربها منهم فأخذوا يتنقلون فيها ولم يجدوا فارقا بينها وبين صحارى بلادهم .

وقد استوطن كثير من العرب بعد الفتح فى الجهات الشرقية من مصر ، واستمروا بها حتى أواخر الدولة العباسية حيث سادت الفوضى بالبلاد العربية وحل القحط بمصر ، فرحل بعض القبائل من الشرقية ومن مصر كلها متجهين ناحية الغرب وبخاصـة الى طرابلس . ولما عاد الأمن والرخاء الى مصر فى عهد الفاطميين عاد بعض هذه القبائل الى مصر ، ومن ذلك العهد سمى العرب الذين لم يرحلوا الى الغرب عرب الشرق بينما سمى من عاد منهم الى مصر عرب الغرب .

لبث حال العـرب فى مصر على الحـال التى بيناها حتى أحضر ابن الحبحاب (١) عامل الخراج فى العصر الأموى مائة بيت من قيس ، وأقطعهم أرضا فى بلبيس وزودهم بالخيل والابل وجعل مهمتهم حراسة القوافل بين ساحل البحر الأحمر وداخل البلاد ، فأفادوا من ذلك فائدة كبيرة ، الأمر الذى جذب بيوتا أخرى من قيس لتلحق بهم .

وعند تولى الدولة العباسية زمام الخلافة كافأ عبد الله السفاح ، الخليفة العبـاسى عرب بنى هلال ، فمنحهم منطقة بلبيس ، وذلك لمناصرتهم لـه وانضمامهم لصفوفه عند محاربته بنى أمية فى موقعة الزاب .

ولما ضعفت الدولة الفاطمية ثار عليها المعز بن باديس زعيم بربر صنهاجة ، فأرسل الخليفة المستنصر سنة ١٠٤٩م الى بنى هلال وسليم ليمنحهم أرض المغرب ، وكان غرضه من ذلك تخفيف وطأة القحط الذى حل بالبلاد ، كما كان يبغى من وراء ذلك تأديب الثوار المغاربة لخروجهم عن طاعته ، فهاجر

---

(١) الولاة والقضاه ص ١٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٣ .

كثير من عرب الشرقية الى شمال أفريقية تحت رياسة بنى هلال، فقاومهم ابن باديس ولكن مقاومته باءت بالفشل ، وتوغل العـــرب فى طرابلس وتونس وتصاهروا مع القبائل البربرية .

ولما فتح صــلاح الدين الشــام انتقلت طائفة من قبيلة ثعلبة ونزلوا بالشرقية وكان فيهم من ذاع صيته وأمر بالبوق والقلم (أى أصــبحت له الكلمة فى الجيش والديوان) . وفى عهد المماليك قام عرب الشرقية بثورات كثيرة قتل فيها عدد كثير منهم سنة ١٢٥٤ م ، أيام سلطنة عز الدين أيبك التركمانى اذ أن العرب ثاروا بزعامة حصن الدولة العربى على المماليك وذلك لموالاتهم للأيوبيين ورغبتهم فى الثأر لمقتل توران شاه الذى قتله المماليك بعد موقعة المنصورة ، غير أن العرب هزموا عند التحامهم بالمماليك ومنذ ذلك الوقت تفرق العربان وخمدت جذوتهم .

وفى عهد الحكم العثمــانى قام عرب الشرقية وغيرهم بثورات كثيرة بقيادة ابن بقر ، وفى عهد محمد على ســاهم عرب الشرقية فى حملته على بلاد العرب ، اذ قدموا له الخيل ودربوا الجند على طريقة الكر والفر المعهودة عند الوهابيين . وكانوا فى ذلك العهد أيضا يقومون بخفارة الدروب وطرق القوافل ، ويحملون البريد والمعدات وكانوا خبراء فى معرفة الطرق والمسالك والدروب . وعندما قامت ثورة عــرابى اندفع العــرب وانضموا الى جانب الثوار وذلك لميلهم بسليقتهم للحرب فقاتلوا فى كفر الدوار وعند القتــال فى التل الكبير .

ومن أشهر قبائل العرب فى الشرقية الهنادى وقبيلة سمالوى والطميلات والعبابدة والسماعنة والصوالح والحرابى .

الزقازيق : (لوحة رقم ٧٢)

الزقازيق من المــدن الحديثة الكبيرة فى مصر ، تقــع على بحر مويس وكانت قاعدة مديرية الشرقية وهى الآن عاصمة محافظة الشرقيــة . وجاء فى الخطط التوفيقية (١) أن السبب فى نشأتها يرجع الى انشاء كثير من الترع

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١١ ص ٢٣ .

والقناطر وتعميم طرق الرى والصرف فى مديرية الشرقية فى القرن التاسع عشر ، وذلك لاصلاح أراضيها وتوسيع دائرة العمران فيها لزيادة ايرادات الحكومة من ضرائب الأطيان ، ويقول على مبارك : « لما بدأ العمــل لاقامة قناطر محل سد بحر مويس وحضر العمال والمستخدمون أحدثوا بجوارهــا عششا من الطين والأخصاص على جانبى بحر مويس لاقامتهم وتبعهم فى ذلك الباعة نحوها وتكاثرت النــاس شيئا فشيئا وازدادت الأبنية الخفيفة وبعد الانتهاء من عمل القناطر سنة ١٩٤٨هـ ١٨٣٢م بقيت تلك المنــازل مسكونة وازداد العمران بها . وأقامت الدولة مسجدا مبنيا خاصا بها ، وأخذت المدينة فى الاتساع والعمران حتى أن الدولة جعلتها قاعدة المديرية بدلا من مدينة بلبيس .

وعلى الرغم من أن مدينة الزقازيق تعد من المدن المصرية الحديثة الا أنها نشأت فى مناطق وأماكن عريقة فى القــدم ففى الجنوب الشرقى للزقازيق يوجد تل قديم يعرف باسم تل بسطة ، يبلغ متوسط ارتفاعه نحو ٢٥ متــرا ومساحته نحو ستمائة فدان ، وهو غنى بما عثر عليه وما يزال يعثر من آثار ترجع الى العصر الفرعونى والبطلمى والرومانى ، وكان هذا التل يعرف عند الفراعنة باسم (بيرياست) حيث أقاموا عليه مدينة كانت من أكبر مدنهم فقد اتخذها بعض الحكام قاعدة لهم ومقرا لحكمهم .

أما عن سبب تسمية المدينة باسم الزقازيق فقــد جــاء فى القــاموس الجغرافى (١) أن جماعة من العمال الذين قاموا ببناء قناطر بحر مويس كانوا من كفر الزقازيق الواقع فى شمال مكان القناطر وكان من بينهم رجل مقدام اسمه الشيخ زقزوق اختاره الباشمهندس رئيسا للعمال ، وقــد عرف المكان الذى أقيمت فيه مساكن العمال باسم نزلة الزقازيق نســبة الى أفراد عائلة زقزوق المذكور من جهة ، والى كفر الزقازيق موطنهم الأصلى بالقرب من القناطر ، ولما تم بناء القناطر سنة ١٨٣٢ أصبح من الضرورى تسميتها ، فاختير لها اسم قناطر الزقازيق نسبة الى نزلة الزقازيق . ويضيف محمد رمزى وأما

---

(١) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٨٦ .

القول بأنها سميت الزقازيق نسبة الى نوع من السمك يعرف بالزقزوق وجمعه الزقازيق كان يخرجه الصيادون من قناطرها أو من مستنقع بالقرب منها ، فيرجع الى الصدفة من وجود هذا النوع من السمك الذى كان ولا يزال يصاد بكثرة من خلف القناطر السابق ذكرها كما يصاد من خلف أغلب القناطر بالوجه البحرى ، فظن بعض الناس أن الاسم نسبة الى السمك المذكور ، ثم انتشرت هذه الرواية البعيدة عن الصواب . وكانت مدينة الزقازيق منذ نشأتها تابعة من الناحية الادارية الى مركز القنايات ، وفى سنة ١٨٩٠ فصلت عنها وأصبحت مأمورية قائمة بذاتها وفى سنة ١٨٩٦ نقل المركز من القنايات الى الزقازيق لتوسطها بين بلاد المركز ثم صارت كما قدمنا عاصمة الشرقية .

التل الكبير :

عرفت هذه الناحيةبهذا الاسم لوقوعها فوق التل المختلف من أطلال مدينة بيتوم القديمة ، وكان يوجد ناحية قديمة تسمى وادى السدير وردت فى التحفة (١) وفى الانتصار وفى الخطط المقريزية ، أنها من أعمال الشرقية . وفى تاريخ سنة ١٥٣٣ م ورد هذا الوادى باسم وادى العباسية المتاخمة لأراضى ناحية العباسية، ويقال له انيوم وادى الطميلات نسبة الى المتاخمة من العرب نزلوا به يقال لهم الطميلات . وفى تاريخ ١٢٨٤م ألغى اسم وادى العباسة وأضيف الى ناحية العباسة ، وكان الوادى المذكور يشتمل على قريتين قديمتين هما التل الكبير هذه والظاهرية . وفى سنة ١٨٧٠ م قسمت منطقة التل الكبير والشرقى ، وفى سنة ١٨٣٢ تغير اسم الشرقى الى التل الكبير لشهرتها ، حتى أن المعركة التى وقعت بين المصريين والانجليز سنة ١٨٨٢ عرفت به . وكانت هذه الناحية تابعة لمركز الزقازيق فلما انشىء مركز أبو حماد سنة ١٩٤٠ ألحقت به لقربها منه .

العباسة :

من القرى القديمة وردت فى معجم البلدان (٢) : العباسة هى بلدة من الديار المصرية أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام ، ذات نخل

(١) التحفة السنية ص ١٧ ، ابن دقماق ص ١٥ .
(٢) ياقوت جـ ٦ ص ١٠٦ .

طوال . وسميت بالعباسة نسبة الى بنت أحمد بن طولون ، لأن خمارويه بن أحمد بن طولون لما زوج ابنته قطر النـدى من الخليفة المستنصر العباسى ، وخرج بها من مصر الى العراق عملت أخته عباسة فى هذا الموضـع قصرا وأحكمت بناءه وبرزت اليه لوداع بنت أخيها ، فلما سافرت قطر الندى عمر ذلك الموضع بالقفر وصار بلدا لأنه فى أول أودية مصرمن جهة الشام . كذلك وردت هذه القصة فى تاريخ الملوك للطبرى فى حوادث سنة ٢٨٢ هـ سنة ٩٠١ م ، ومن هذه الرواية يفهم أن مدينة العباسة لم يكن لها وجود قبل ٢٨٢ هـ .

وذكر المقريزى فى خططه (١) رواية تخالف الرواية السـابقة قال : ان هذه البلدة ولد بها العباس بن أحمد بن طولون ولذلك سماه أبوه العباس ، أى أن بلدة العباسة كانت موجودة فى زمن أحمد بن طولون ، ولكن احمـد ابن طولون توفى سنة ٢٧٠ هـ مما يجعل رواية المقريزى غيرصحيحة . ووردت العباسة فى كتاب أحسن التقاسيم للمقدسى هى قصبة الريف عامرة طيبة رفعة سرية شرب أهلها من النيل فى موضع الريف والخصب ، وبنيانهم أفرج من بنيان مصر ولها تجارات تحمل اليها وجامع حسن من الآجر . كذلك وردت فى تاريخ ١٨٢٤م ولا تزال معروفة باسم العباسـة من يوم انشائها حتى الآن ، وتتبع الآن مركز أبو حماد .

بلبيس :

قاعدة مركز بلبيس ، وهى من المـدن القـديمة تقـع بين عين شمس وبين بسطه فى حدود الصحراء الشرقية ووردت فى المصادر العربية باسم بلبيس ، وجاءت فى كتب معاجم البلدان (٢) بلبيس مدينة مليحة وهى قصبة الحوف (أى قاعدة اقليم الشرقية) وبها والى الحرب وبها جامع ومدارس وأسواق وفنادق وبساتين ، وبها نخل كثير ويمر بها نهر من النيل أيام زيادته وهى مسـورة . ويضيف المقـريزى (٣) فى خططه « أن بلبيس سميت فى

(١) المقريزى جـ ١ ص ٣٧٤ .
(٢) معجم البلدان جـ ٦ ص ١٦٢ ، المقدسى ص ١٩٦ .
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٢٦٦ .

التوارة أرض جاشان » وكانت بلبيس قاعدة الحوف الشرقى فى أوائل العصر الاسلامى ، ثم قاعدة الأعمال الشرقية من العصر الفاطمى حتى نهـاية العصر المملوكى ، ثم قاعدة ولاية الشرقية فى سنة ١٨٣٣م حين نقل ديوان المديرية الى مدينة الزقازيق ، وبذلك أصبحت بلبيس قاعدة لقسـم بلبيس وفى سنة ١٨٧١م سمى مركز بلبيس .

وينسب الى محافظة الشرقية كثير من العلماء والفقهاء قديما وحديثا ، ومن أشهر المحدثين الشيخ عبد الله الشرقاوى ، ورد فى الجبرتى أنه ولد سنة ١١٥٠ (القرن الثامن عشر الميـلادى) ، فى قرية (الطويلة) من اقليم الشرقية (تتبع مركز فاقوس الآن) ولذا لقب بالشرقاوى ، وقد أظهـر من الكفاية والنبوغ ما أهله لتولى منصب مشيخة الأزهر سنة ١١٠٨ هـ وكانت له مواقف مذكورة مشكورة ضد الظلم فى العصر العثمانى كما كانت له مواقف خالدة مع الحملة الفرنسية .

ومن أبناء محافظة الشرقية الذين تفخر بآثارهم العلمية مصر الحديثة ، محمود الفلكى الذى ولد ببلدة الشبانات بالشرقية سنة ١٨١٥م ومن أهم مصنفاته التقويم العربى الذى وضعه سنة ١٨٤٦ وطبع بمطبعة بولاق ، ووضع رسالة فى المكاييل والمقاييس المصرية . ومن آثاره العلمية الجليلة أن وضع مدفع الظهر فى خط الزوال بالقلعة ، وتوفى سنة ١٨٨٥ م بالقاهرة . ومن أبناء الشرقية الأبطال أحمد عرابى الذى ولد سنة ١٨٤١م بقرية (هرية رزنة) من أعمـــال مركز الزقازيق . تلقى علومه بالأزهر ، ثم انقطع عنه وبقى فى قريته يرتل القرآن ، ثم التحق بالخدمة العسـكرية ، وتزعم حركات الجيش ضد الخديوى توفيق ، ثم قاد الجيش ضد الغـزو البريطانى سنة ١٨٨٢ م ونفى عرابى ورفاقه الى جزيرة سيلان ، حيث قضى نحو ١٩ سنة حتى صدر العفو عنه سنة ١٩٠١ ، وتوفى سنة ١٩١١ . وقد وضع قبل وفاته مذكرات عن الثورة العرابية سـماها (كشف الستار عن سر الأسرار) ضمنها وقائعه الحربية ومشكلات السياسة فى أيامه . ومن أبناء الشرقية النابهين الذين كان لهم قصب السبق فى ميدان المال والاقتصاد طلعت حرب الذى ولد فى (ميت أبو على) من قرى الزقازيق ، وتخرج فى كلية الحقوق سنة ١٨٨٩ م واشتغل فى

قلم قضايا الدائرة السنية مترجما ، وأخذ يترقى فى قلم القضايا حتى ظهرت طلائع الأزمة الاقتصادية سنة ١٩٠٦ ، فأسس سنة ١٩٠٨ شركة مالية مصرية بحتة هى شركة التعاون المالى وفى ٧ مايو سنة ١٩٢٠ افتتح بنك مصر ، وسار البنك منذ هذا التاريخ سريان الشريان فى الجسد بفضل روح طلعت الوثابة يؤازره تشجيع المصريين .

الآثار الباقية

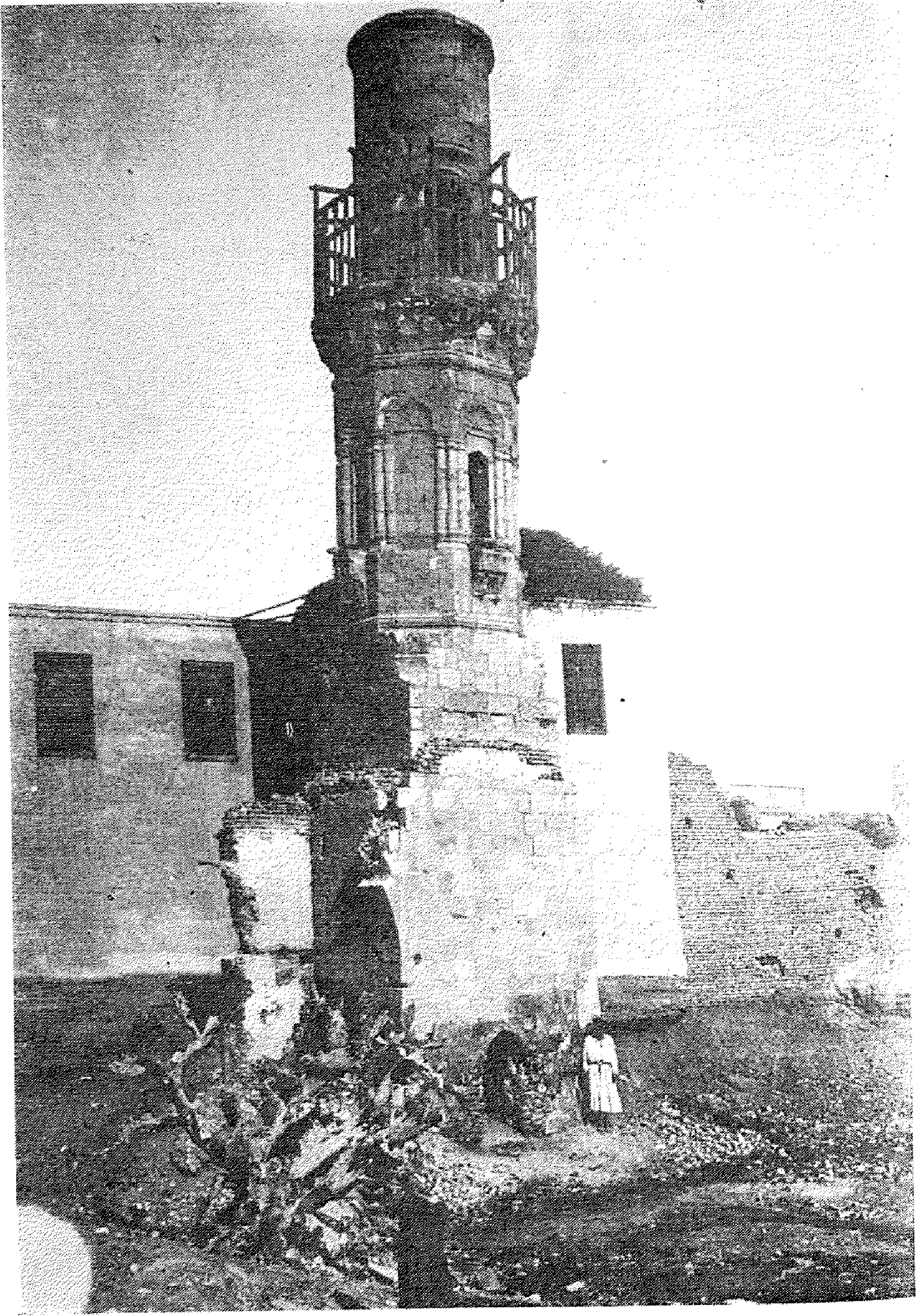
مسجد السادات : (لوحة رقم ٧١)

ومن الآثار الباقية بمدينة بلبيس مسجد السادات الذى أنشأه الأمير مصطفى الكاشف ١٠٠٢ هـ ، وهو ثانى المساجد من حيث الأهمية . وقد تهدمت معظم أجزائه ولم يبق منه الا المئذنة ، التى ثبت على بابها لوح من الرخام طوله ٥٧ سم × ٥٥ سم نصه « أنشأ هذا المنار المبارك الجناب العالى الأمير مصطفى الكاشف بالشرقية فى شعبان المكرم من شهور سنة ١٠٠٢ هـ » .

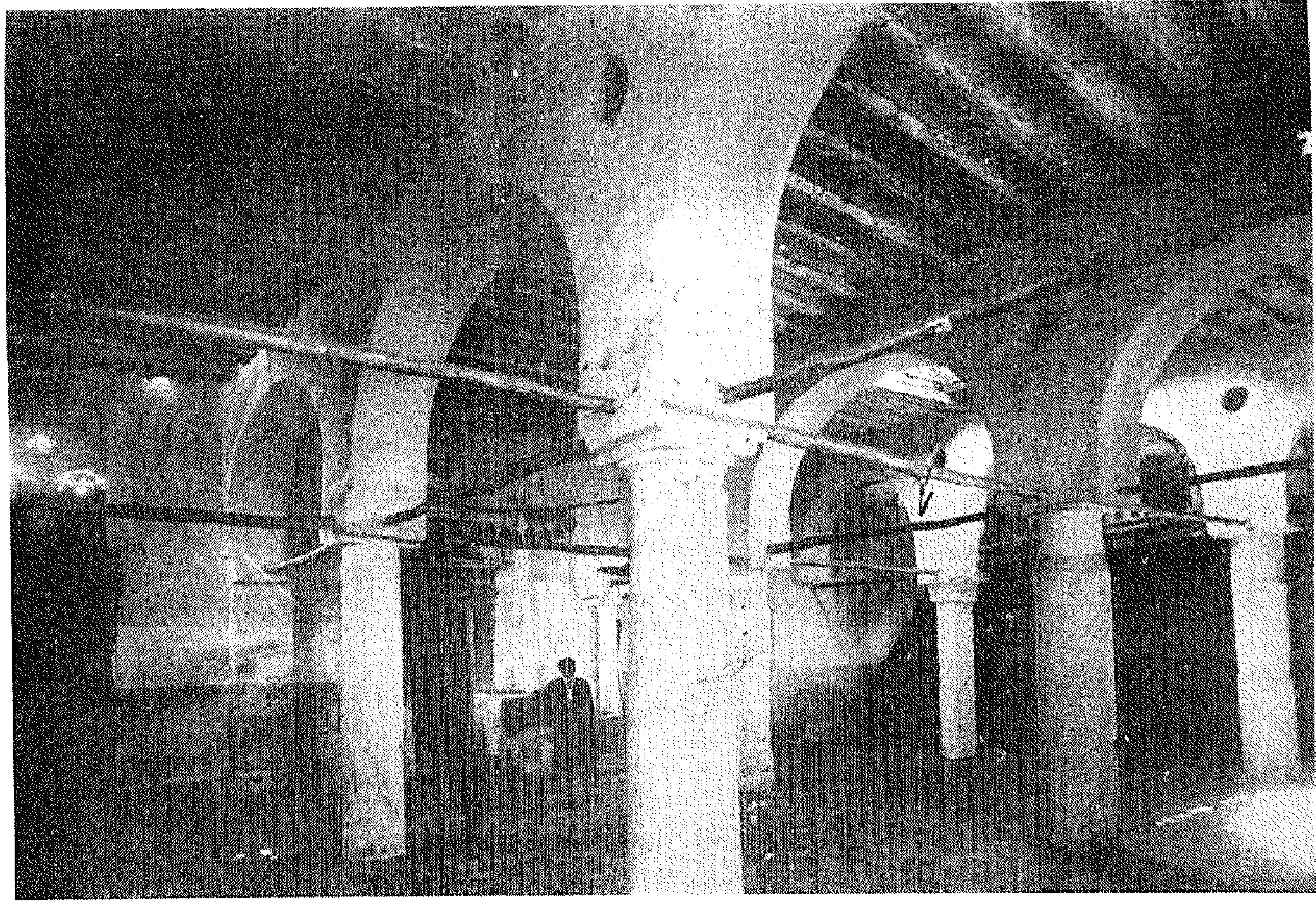
مسجد القرين : القرين قرية من مركز الصوالح بمديرية الشرقية تقع فى الجانب الشرقى لمدينة الزقازيق على مساحة عشرين كيلومتر ، كما انها تقع فى الجهة الشمالية الغربية لناحية أبى حماد ، وفى شمال ترعة الوادى . وكان يمر بالقرين طريق مهم مشهور يعرف باسم الطريق السلطانى ، كان أقرب الطرق الداخلية الموصلة الى بلاد الشام . وقد أنشأ السلطان قايتباى مسجدا عامرا سنة ٨٨٣ هـ ، ويقول ابن أياس (١) ان الأمير يشبك الجمالى هو الذى أشرف على بناء مسجد القرين فجاءت عمارته فى غاية النفع . وقد أوقف عليه السلطان قايتباى أطيانا هى الآن ، كما يقول على مبارك ، من أراضى كفر غرار ، كما بنى للمسجد ساقية بجواره . ولما تصدع بنيان المسجد قام بعمارته ، بركات أفندى أبو ديب من عرب بنى واصل النازلين بالقرين .

والمسجد الآن فى حالة سيئة للغاية ، وهو عبارة عن قاعة مربعة طول ضلعها (١٣) مترا وسقفها محمول على أربع دعائم موضوعة على شكل

(١) ابن اياس جـ ٢ ص ١٤٤ .



لوحة رقم (٧١) تبين مئذنة مسجد السادات بمدينة بلبيس



لوحة رقم (٧٢) تبين مسجد ابن سلام بمدينة الزقازيق

مربع . والمسجد خال من الزخارف من الداخل والخارج اللهم الا النقوش الكتابية التى تعد أقيم وأقدم ما هو موجود به ، اذ انها تحتفظ بتاريخ انشائه واسم منشئه . وتتــكون من آيات قرآنية تحيط بالجــدران من الداخل ، ويتخلل هذه الآيات سمه السلطان ، أو رنكه ، الوارد بها اسمه ومدلولها عز لمولانا السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره . ويحتوى المسجد على منارة مثمنة الشكل سميكة البناء ولكنها غير مرتفعة ، وتقع الى جانب المدخل الرئيسى للمسجد .

محافظة البحيرة

هى من الأقسام الادارية التى استجدت فى العصر الاسلامى باسم كورة البحيرة وفى عهد الدولة الفاطمية أضيف اليها كور أخـرى مجاورة لها ، فصارت اقليما كبيرا باسم البحيرة ، وفى سنة ٧١٥ هـ أطلق عليها اسم أعمال البحيرة ، وفى سنة ٩٣٣ هـ — سنة ١٥٢٧ م سميت ولاية البحيرة وفى سنة ١٨٣٣ تغير اسم الولاية الى مديرية وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت تعـرف باسم محافظة البحيرة وقاعدتها دمنهور .

دمنهـــور :

قاعدة محـافظة البحيـرة ، وهى من المـدن المصـرية القديمـة ، ذكرها جوتيه فى قاموسه فقال ، ان اسمها المصرى دمنهور Deomnhor أى مدينـة الاله هور ، واحتفظ بالاسم المصرى ومنـه اسـمها العربى الحـالى . وردت فى تقـويم البـلدان (١) ، أن دمنهور بلدة بينها وبين الاسكندرية يوم واحد فى طريق مصر ، وكانت بها وقعة بين عبيد بن السرى ابن الحكم (والى مصر من قبل الخليفة المأمون سنة ٢١١ هـ) وبين خالد بن يزيد بن مزيد . وجاء فى الانتصار لابن دقماق (٢) : دمنهور مدينـة قديمة عامرة وبها جامع ومدارس وحمامات وفنادق وقياسر وغير ذلك ، وهى قاعدة البحيرة . وبها مقام نائب الوجـه البحرى ، وهى فى الجنوب الشرقى من الاسكندرية وبينها مرحلة (أى سفر يوم) وتعرف بدمنهور المدينة . وجاء ذكرها فى قـوانين ابن مماتى (٣) وفى التحفة دمنهور الوحش من أعمال البحيرة . وجاء فى الخطط التوفيقية أنه أضيف الى اسمها كلمة الوحش لأنه كان بقربها محل كان يعرف بذلك . وجاء فى كتاب السلوك (٤) أنه حدث فى

(١) تقويم البلدان ص ١٠٦ .
(٢) ابن دقماق ص ٨٥ .
(٣) ابن مماتى ص ٩٦ .
(٤) المقريزى ص ١١٥ .

زلزال سـنة ٧٢١ هـ (١٣٢٠ م) : أن بطاقة وقعت من والى البحـيرة بأن كنيستين فى مدينة دمنهور قد هدمتا والناس فى صلاة الجمعة ، ويضيف ان السلطان برقوق جدد أسوار دمنهور فى سنة ٧٩٢ هـ . وكانت دمنهور ذات وحدة مالية ولها زمام خاص ، الا أنه لم يكن متصلا بسكنها ، بل يفصلها عنه أراضى ناحية شبرا الدمنهورية ، ولذلك فصـل فى تاريخ ١٢٧٣ هـ زمام دمنهور عنها ، وتكون منه ومن أراضى نواحى أخرى ، ناحية جديدة ، عرفت باسم أبعادية دمنهور ، فأصبحت دمنهور مقصورة على سكنها القائم على قطعة أرض ، يتلاقى عندها زمام نواحى شبرا الدمنهورية وسكنيده وفرطسا ونقرها وطاموس ومنشية غربال . وفى سـنة ١٩٣٥ أصبحت دمنهور مدينة قائمة بذاتها ، على أرض خاصـة بها فصلت من زمام النواحى الست السـابقة الذكر (١) .

وفى مدينة دمنهور دفن الشيخ عبـد الرحمن الحلبى ، وكان يقال له الدمنهورى ، لأنه تولى قضاءها زمنا طويلا ، وجاء فى ترجمته فى الضـوء اللامع للسخاوى أنه ولد بحلب سنة تسعة وخمسين وسبعمائة هـ ، فحفظ القرآن وتفقه بحلب ثم بالقاهرة ، ثم ولى قضاء دمنهور الوحش زمنا ،و كان فاضلا كيسا .

ومما تجدر الاشارة اليه أن مدينة دمنهور كانت قاعدة لاقليم البحيرة من العهد الفرعونى حتى اليوم ، فكانت قاعدة لمركز دمنهور من سنة ١٨٢٦ وقاعدة لمأمورية دمنهـور من سنة ١٩١٢ وقاعدة للمديرية ثم للمحافظة من سنة ١٩٦٠ .

ايتاى البارود :

من القرى المصرية القديمـة ، ذكرها اميلينو فى جغرافيته فقـال : ان اسـمها القبطى ايتى وهى ايتـاى ووردت فى قوانين ابن ممـاتى (٢) ايتيه من أعمال حوف رمسيس ، وجاءت فى التحفة السنية ، أنها من أعمال البحيرة . والظاهر أنه أنشىء بها فى العصر العثمانى معمل للبارود فعرفت

(١) القاموس الجغرافى جـ ٢ ص ٢٨٤ .
(٢) ابن مماتى ص ١٧

باسم ايتيه باروت ، وباروت كلمة تركية معناها البارود ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ وردت معربة باسم ايتاى البارود ، وهو اسمها الحالى . وينطقها العامة تيه البارود (١) .

وفى سنة ١٨٨٤ نقل المركز من بلدة الدلنجات الى ايتاى هذه لوقوعها على السكة الحديدية ، وبذلك أصبحت ايتاى قاعدة للمركز مع بقائه باسم الدلنجات ، وفى سنة ١٨٩٦ سمى مركز ايتاى البارود .

رشيد :

هى من الثغور المصرية القديمة ، وردت فى جغرافية استرابون باسم (Bolbitine) وأنها تقع على مصب بوليتين . وذكرها اميلينو فى جغرافيته فقا لأن اسمها القبطى (Raschit) ومنه اسمها العربى رشيد ، ويقال أن رشيد كانت تقع الى الشمال من موقعها الحالى ، الذى نقلت اليه فى سنة ٢٥٦ هـ فى عهد أحمد بن طولون .

وجاء فى كتاب المسالك لابن حوقل (٢) ، أنها مدينة على النيل قريبة من مصبه فى البحر المالح من فوهة تعرف بالأشتوم ، وهى المدخل من البحر ، وبها أسواق صالحة وحمامات ونخيل كثير وارتفاع (ايراد) واسع . ووردت فى نزهة المشتاق (٣) ، رشيد مدينة متحضرة بها سوق وتجار وفعله ، ولها مزارع وغلات ، وحنطة وشعير وبها بقول حسنة كثيرة وبها نخيل كثير . ووردت فى معجم البلدان (٤) : رشيد بليدة على البحر والنيل قرب الاسكندرية بمصر ، وفى الانتصار (٥) ، ثغر رشيد المحروس من الأعمال النستراوية عند مجمع البحرين (يعنى بذلك النيل والبحر الأبيض) وبها جامع وحمام وأمير مركز ، وبها كوم الأفراح وبأعلاه منار يرى منه مراكب الفرنج القادمة ، وهى على شاطىء النيل ، وأهلها كلهم مرابطون وعامتهم صيادون فى السمك والطير .

---

(١) القاموس جـ ٢ ص ٢٣ .
(٢) ابن حوقل ص ٢٣٨ .
(٣) الادريسى ص ١٤٧ .
(٤) معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٥٢ .
(٥) ابن دقماق ص ٥٨ .

ومما يذكر بالفخر لأهل هذا الثغر انتصارهم على الحملة الانجليزية التى جاءت سنة ١٨٠٧ م . وكانت مدينة رشيد محافظة من محافظات مصر القديمة وفى سنة ١٨٩٥ ألغيت محافظة رشيد وجعلت مركزا ثانيا من مراكز مديرية البحيرة ، ومنذ سنة ١٨٩٦ أصبحت رشيد قاعدة مركز رشيد .

وينسب الى رشيد على بن ابراهيم الخياط الرشيدى الشافعى الشيخ الامام الحجة الولى المتفنن فى علوم الدين واللغة ، ولد برشيد وبها نشأ وحفظ القرآن وتصدر للتدريس بها وتوفى سنة ١٠٩٤ هـ ودفن بها .

وادى النطرون : (لوحة رقم ٧٨)

وتمتاز الصحراء التى تقع الى الغرب من محافظة البحيرة باحتوائها على كثير من الكنائس والأديار وخاصة المنطقة التى تعرف باسم وادى النطرون . ويعرف هذا الوادى أيضا بالأسماء الآتية (وادى هبيب) و (بريه الأسقيط) ومعناها برية النسك (وبريه شيهات) وهى محرفة من اللغة المصرية القديمة (شبيهيت) ومعناها ميزان القلوب (١) . وقد ذكر استرابون الذى زار مصر فى القرن الأول الميلادى أن هذا الوادى كان يقال له اقليم النطرون ، وأنه يوجد به منبعان يستخرج منهما مقادير كبيرة من ملح البارود (النطرون) .

وكان بهذا الوادى فيما بين القرنين الرابع والسابع الميلادى ، عدد عظيم من الأديار وكان بعضها مخصصا لاقامة الرهبان الأجانب مثل الروم ، والأرمن والسريان والأحباش ، ولا يزال بوادى النطرون حتى الآن ٣٤ ديرا ، أربعة منها عامرة والباقى خرب ، وان كانت آثارها باقية . أما الأربعة القائمة الآن بوادى النطرون فهى دير البرموس ، سمى بهذا الاسم لأن القديسين مكسيموس ودمايوس ، ابنى ملك الروم ، كانا أول من ترهب به . ويرجع تاريخ هذا الدير الى أواخر القرن الرابع الميلادى . وتبلغ مساحته ١٠٧٠٠ متر مربع ، وهو يقع على مسيرة ساعة غرب ملاحات وادى النطرون فى البقعة التى تدعى تتريا أو جبل برتوج الذى ورد ذكره فى سير الشهدا (٢) .

---

(١) ابو صالح الارمينى ص ٦٨ .

(٢) المقريزى جـ ٤ ص ٤٠٩ .

ودير السيدة العذراء المعروف بدير السريان ، أنشيء كغيره من أديار برية شيهات فى القرن الرابع الميلادى ، ثم هدم وأعيد بناؤه وأدخلت عليه تعديلات فى أزمنة مختلفة . وتبلغ مساحته ٧٠٠ متر مربع ويقع الى الجنوب من دير البرموس وقد اعتنق السريان المسيحية على يد بطرس الرسول واتحدوا مع الأقباط . ويعتبر دير السريان من أهم أديار وادى النطرون من الوجهة الأثرية والفنية ، ومن المرجح أنه كان يوجد بهذا الدير عند تأسيسه فى القرن الرابع الميلادى جماعة من الرهبان السريان ، ولذا سمى باسمهم .

ودير أنبا بشوى وينسب الى بشوى مؤسس الدير الأحمر بالقرب من سوهاج ، أسسه أتباعه فى القرن الرابع ، وقد أعيد بناؤه فى عهد الأنبا يعقوب سنة ٨٢٠ م ورمم سنة ١٣١٩ م وكان آخر تجديد له منذ ١٧٠ سنة . وتبلغ مساحته ١١٣٠٠ متر مربع وهو أكبر أديرة وادى النطرون .

ويقع دير أبو مقار الى الجنوب الغربى من دير أنبا بشوى وتبلغ مساحته ٨٠٠٠ متر مربع ، أنشأه القديس مكاريوس (أبو مقار) الذى عاش فى القرن الرابع . ومما يذكر عن هذا الدير ، أنه ترجم به الكتب المقدسة من اليونانية الى القبطية ومن القبطية الى الحبشية وقد اشتهر رهبانه بالتبحر فى العلوم اللاهوتية (لوحة رقم ٧٩) .

الآثار الباقية

مدينة رشيد : (لوحة رقم ٧٣ ، ٧٤)

يوجد فى هذه المدينة عشرون منزلا وحماما وطاحونا وبوابة وتسعة مساجد وطابية وهى مجموعة لا توجد فى مدينة أخرى من مدن القطر ، بل ان عدد ما بها من المنازل الأثرية أكثر مما هو موجود منها بمدينة القاهرة . وقد بنيت هذه المنازل على طراز خاص ساد فى كثير من مدن وبلدان الوجه البحرى وخاصة دمياط والمحلة الكبرى وفوه ، وبعض مدن الوجه القبلى وخاصة اسنا فى نهاية العصر المملوكى وفى العصر العثمانى .

وفيما يلى بيان بأهم الآثار الباقية : بيت الاماصيلى — بيت النوفاتلى بيت القنادلى — بيت أحمد يونس — بيت عربى كلى — بيت ثابت — بيت البغراولى — طاحونة أبى جاهين — بوابة أبى الريش أو (الباب الغربى) كما جاء فى كتاب الحملة الفرنسية ، وذلك نظرا الى ان الخارج من باب الاسكندرية الشرقى الذى كان يعرف باسم باب رشيد حيث كان الخارج من هذا الباب لابد وان يكون قاصدا « رشيد » وانه لابد وان يدخلها من بوابة أبى الريش هذه . وتعطى هذه البوابة فكرة عن أبواب المدن المحاطة بسور كسور مدينة القاهرة ، والذى لم يبق منه سوى باب النصر وباب الفتوح فى الشمال وباب زويلة فى الجنوب .

وتمتاز هذه العمائر جميعها تقريبا بانها من العصر العثمانى وان واجهاتها مبنية بالطوب المنجور المكحول ، كما ان نوافذها وكذا المشربيات من الخشب الخرط الدقيق الصنع . أما من الداخل فان تصميم المنازل هو نفس تصميم المنازل فى القاهرة فى العصر الاسلامى ، الذى يتكون من صحن أو فناء فى وسط الدار وفى الدور الأول ايوان مكشوف يعرف بالمقعد الرجالى

يقابله ايوان آخر مغطى واجهته بخشب خرط يعرف بايوان الحريم . واذا كانت مساحة الدار صغيرة ، لا تتسع لايوانين متقابلين نجد الايوان الخاص بالرجال بالدور الأول ويعلوه تماما الايوان الحريمي بحيث يطل عليه بواسطة نوافذ من خشب الخرط ، والحكمة من ذلك هي تمكين النســاء من رؤية الرجال عند اجتماعهم في المقعد الرجالي ومشاركتهم عن بعد ، دون أن يراهن الرجال . ثم يحيط بهذين الايوانين باقي غرف الدار الخاصة بالنوم والأكل وما شابه ذلك . ونلاحظ أن أثاث المنازل في العصر الاسلامي كان بسيطا ولا يشغل فراغا من مساحة الحجرات فالدواليب حائطية ولها مصاريع مصنوعة من الخشب المزخرف برسوم الأرابيسك المحفورة أو الأطباق النجمية المجمعة والمطعمة بالعاج والصدف ، والأرائك والأسرة عبارة عن جلسات مبنية في الحــوائط ، كانت تفرش بالحاشــيات المنجدة والمغطاة بأجمــل أنــواع المنسوجات المزركشة أو الاكلمة الجميلة الصنع ، وكان المعمــارى ـــ نظرا الى قلة وجود الأخشــاب الجيدة بمصر ـــ يستغنى عن اســتعمال الأبواب الخشبية التى تفصل غرفة عن أخرى باستعمال العقود في الفتحات التى تغطى بستائر فتقوم مقام الأبواب .

قلعة قايتباى (١) :

تقع هذه القلعة على الشاطىء الغربى للنيل على بعد ستة كيلو مترات جنوب رشيد ، وقد أنشأها السلطان قايتباى ، فقــد جاء في ابن اياس « لما انتهى السلطان قايتباى من افتتاح قلعته المعروفة بالاسكندرية في جمادى الأول عام (٨٨٤ هـ ـــ أغسطس ١٤٧٩ م) قصد رشيد ليشرف على ما تم من بناء قلعتها التى كانت تشيد في ذلك الحين » ثم يعــود ويتكــلم عنها في عصر السلطان الغورى فيقول « انه (اى الغورى) لما خشى غزو العــثمانيين ذهب بنفسه للتفتيش على حصون الاسكندرية ورشيد وكان ذلك يوم الأربعــاء الموافق ٢ رمضان عام ٩٢٢ هـ ـــ اكتوبر سنة ١٥١٥ م) وشاع الخبر اذ ذاك بأن السلطان قد أمر ببناء سور لرشيد على ساحل البحر الأبيض المتوسط ـــ وأرسل لأجل ذلك البنائين والحجارين ولما عاد السلطان من رحلته يوم الثلاثاء

(١) عبد الرحمن زكى : قلعة صلاح الدين وقلاع أخرى معاصرة ص ٩٣ .

الموافق (٢٣ أكتوبر سنة ١٥١٥ م) ندب كبير معماريه (خير بك العلائى) وعينه قائد الألفى للاشراف على بناء تلك الأسوار . فرحل للقيام بمهمته وأخذ فى اتمامها الى أن عاد الى القاهرة عام ٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م) . وقد وصف قلعة رشيد كثير من الرحالة الذين وفدوا على مصر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ومجمل وصفهم ان البناء الأصلى يشبه فى تصميمه الى درجة كبيرة الحصن الداخلى فى قلعة قايتباى فى الاسكندرية . وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبا ، باركانه الأربعة ابراج مستديرة ويحيط بهذه الأبراج خنادق ، وما زالت بعض آثار القلعة قائمة حتى الآن . وقد اكتشف أحد ضباط الحملة الفرنسية فى قلعة رشيد فى شهر أغسطس سنة ١٧٩٩ الحجر المشهور بحجر رشيد الذى ساعد على كشف رموز اللغة المصرية القديمة .

جامع دمقسيس :

أنشأ هذا المسجد صالح أغا دمقسيس فى سنة ١١٠٦ هـ . وقد زخرفت واجهته البحرية باستعمال الطوب فى أوضاع هندسية جميلة — كما هو الحال فى عمائر رشيد كلها التى ترجع الى العصر العثمانى — وفى منتصف هذه الواجهة توجد المئذنة . ويتكون رواق القبلة من صفين من الأعمدة يقسمان المسجد الى ثلاث بوائك . والاعمدة متساوية الأطوال ومنتظمة وتتجه من الشرق الى الغرب . وجدران المسجد من الداخل مكسوة ببلاطات القاشانى ، وكذا القبلة ، وتوجد بعض الكتابات الأثرية التى ترجع الى تاريخ انشاء المسجد . كما يوجد بالمسجد منبر خشبى يعتبر من أجود المنابر الخشبية التى تحتوى على زخارف من الخشب الخرط التى تمثل العصر العثمانى أصدق تمثيل . والمئذنة مبنية كذلك من الطوب المكسى بالبياض ولكن قوالب الطوب وضعت فى زوايا وأوضاع خاصة فجاءت زخارفها غاية فى الابداع بل انى أرى انه ليس لها مثيل فى زخارف المآذن المشابهة .

مسجد زغلول :

يتكون هذا المسجد من جامعين متصلين ببعضهما ، النصف الشرقى ويعرف باسم الديوانى ، والنصف الغربى الذى أسسه زغلول مملوك السيد

هارون أحد الأمراء الذين عاشوا فى القرن ١٧ م . وبداخل المسـجد مقبرة مدفون فيها السيد المملوك . وقد جاء الجامع غير منتظم الوضع ويحتوى على اربع قبلات مجوفه وتبلغ مساحة المسجد ٩٠ مترا طولا فى ٤٨ مترا عرضا ، ويحتوى على حقل من الأعمدة ، اذ يبلغ عددها (٢٤٤) تحمل سقفا على شكل قباب صغيرة على الطراز العثمانى . وهذه الأعمدة متعددة الأشكال والمقاس بعضها من حجر الصوان والبعض من الرخام والبعض الآخر منحوت من الحجر الجيرى . كما توجد كذلك اكتاف مبنية من الطوب ، وقد استعمل أحد صحنى الجامع كحديقة مغروس بها النخيل . وللمسجد مئذنتان ، البحرية الشرقية بحالة جيدة ، والثانية زالت أدوارها العليا . والمسجد مبنى من الطوب المكسى بالبياض ، ومعظم المسجد غير مبلط الآن عدا اجزاء بسيطه فى ايوان القبـلة ، كما يوجد بالمسجد بقـايا دكة المبلغ ذات السقف المذهب وبعض الكتابات التى توضح تاريخ تأسيس المسجد وكذا بعض المقرنصات الخشبية الجميلة الصنع .

ادفينـا :

قرية قديمة أسمها الأصلى اتفينـه ، وينطقها العـامة دفينه . كانت تابعة لمركز العطف ، ولما انشىء مركز رشيد سنة ١٨٩٦ م فصلت ادفينا من مركز العطف والحقت بمركز رشيد لقربها منه . وقد تخلف بهذه الناحية بعض العمائر الاسلامية أهمها :

جامع الحلبى :

يرجع تاريخ هـذا المسجد الى العصر العثمـانى ، الـذى امتازت عمائره وخاصـة الدينيـة منها ، ببناء سقـوفها على شـكل قباب صـغيرة ضحلة وقد كان سقف مسجد الحلبى عبارة عن انصاف قباب ثم استبدلت بالقباب عقود . وبجانب المسجدضريح تعلوه قبة ، زخرف بابه بالطوب المنجور بالاسلوب الذى وجد بكثرة فى مدينة رشيد ، وكتب عليه اسم صانعه : عمل المعلم عطية الرشـيدى المعروف بابن يوسف البنـا . كما زخرف محراب الضريح ببلاطات من القاشانى صناعة كوتاهيه ، وكتب عليه : عمل المعلـم سليمان البنه الادفينى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) .

وقد عثرت مصلحة الآثار فى هذا المسجد على ربعة من القرآن الكريم موقوفة من الشيخ نور الدين القرمانى على الجامع العتيـق المعروف باسم أولاد شجاع بناحية ادفينه بالمزاحمتين ، مؤرخه سنة ٩٩١ هـ .

ويوجد بداخل المسجد مئذنة وضريح آخر تعلوه قبة صغيرة تعـرف باسم قبة الانصارى ، ومن هذه المجموعة تتكون الواجهه القبليه للمسجد . ويلاصق مسجد الحلبى من الجهة البحرية قبة تاج الدين وترجع الى نهـاية القرن الثانى عشر الهجرى . كما يوجد على شاطىء النيل مباشرة قبة سيدى محمد أبو العون .

دیبی :

دیبی : قرية قديمه اسمها (Db أو Dbi) ومنها اسمها الحالى ، ذكرها ابن مماتى باسم دیبه من أعمال فوه والمزاحمتين ، وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ أصبحت تابعة لمركز رشيد بمحافظة البحيرة . وقد جاء ذكر ناحية دیبی بولاية البحيرة فى وقفية لعبد الرحمن كتخدا مؤرخة ثمانية عشر ربيع الأول سـنة أربع وسبعين ومائة وألف ، لانفاق ريعهـا على المسـاجد وأعمـال البر والاحسان . وبهذه القرية مجموعة لا بأس بها من المساجد الأثرية أهمها :ـ

جامع الشيخ عامر : (لوحة رقم ٧٥)

من المرجح أن يكون منشىء هـذا الجـامع هو السلطان الأشرف شـعبان بن حسين بن النـاصر محمـد بن قلاوون كمـا يدل على ذلك المرسوم المـكتوب على اللوح الرخام المثبت على أحد عقدى باب الواجهة الغربية وهذا نصه : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد سيد السـادات من أهل الأرض والسـموات ورضى الله عن الصحابة أجمعين . بطل مكس دیبی بجملته ، فمن أحدثه بعد ذلك فعليه اللعنة الى يوم الدين ، بتاريخ شهر رجب سنة احدى وسبعين وسبعمايه الحمد لله . وكلمة المكس التى وردت فى النص هى نوع من الضرائب الهلالية (١) . أما عمارة المسجد الحالية فتشبه فى أسلوبها الطراز المسمى (بطراز الدلتا) ذى الواجهات المزخرفة بالطوب المنجور الذى انتشر فى العصر العثمانى . وليس

(١) المال الهلالى (انظر جامع الخطيب بمحطة ابو على بمركز دسوق بمحافظة كفر الشيخ)

من المستبعد أن يكون الجامع قد أعيد بناؤه فى العصر العثمانى كما يدل على ذلك النص الكتابى المنقوش على المنبر الخشبى الموجود بالمقصورة الخشبية المجاورة للباب القبلى للمسجد ، والتى بداخلها قبر الشيخ عامر الذى سمى المسجد المجدد باسمه ونص الكتابة كما يلى : انشأ هذا المنبر المبارك من فضل الله تعالى الحاج عامر نعمته سنة أربع عشر بعد الألاف .

مسجد على نور الدين :

من المرجح ان يكون هذا المسجد من عمائر القرن الثانى عشر الهجرى كما يدل على ذلك النص المنقوش على المنبر الخشبى وهو : (لا اله الا الله محمد رسول الله عمل الحاج عبد الله النجار سنة ١١٧٦ هـ) • ومن الثابت ان المسجد جدد فى القرن الثالث عشر الهجرى كما هو مبين فى الكتابة الموجودة على باب الضريح الموجود داخل المسجد ونصها : عمر هذا المسجد المعلم على بن المرحوم الحاج حسن الجاهل غايته سنة ١٢٣٤ هـ .

مسجد سيد على الخورجى (لوحة رقم ٧٦) :

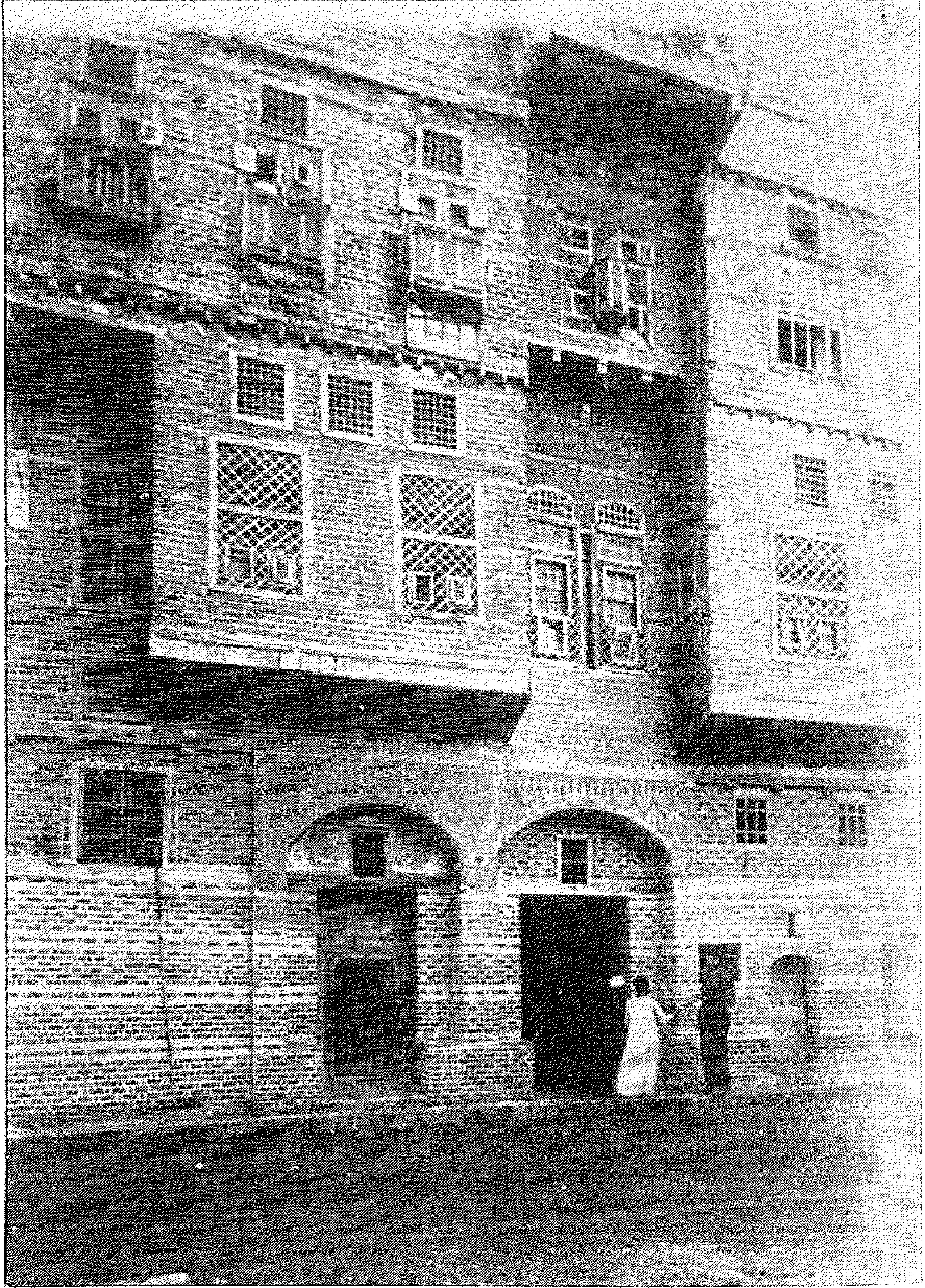
يمتاز هذا المسجد باحتوائه على قبة كبيرة مضلعة برقبتها فتحات مملوءة بجص مفرغ بأسلوب زخرفى جميل . وبداخل المسجد مقصورة كتب عليها تاريخ انشاء المسجد سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٦م) .

ديروط :

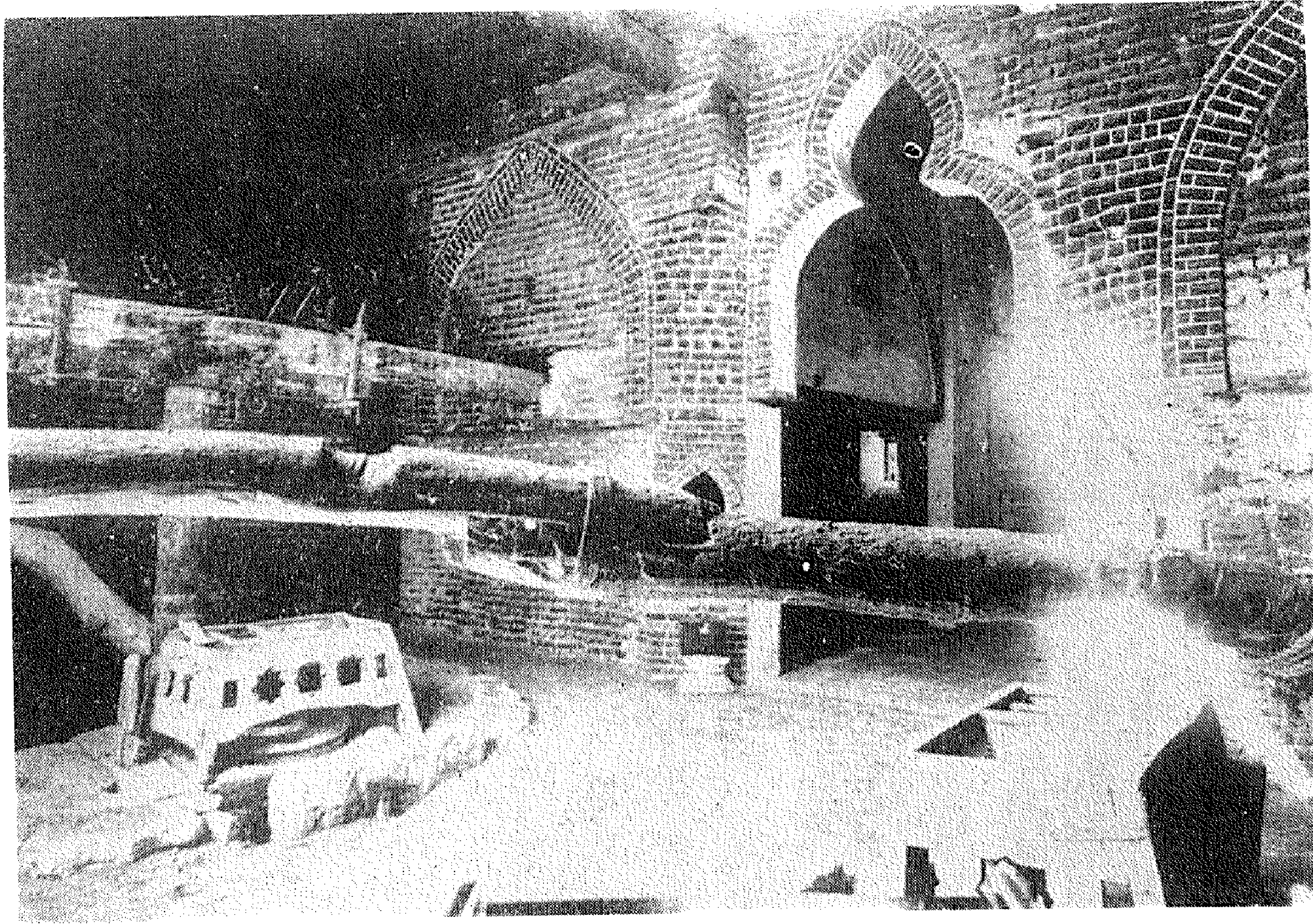
قرية قديمة كانت تابعة لنواحى الاسكندرية لأن الثغر كان يمتد طوال العصور الوسطى الى تلك الجهة ، ثم جعلت تابعة لمركز رشيد فى تاريخ سنة ١٢٢٨هـ . فلما انشىء مركز المحمودية سنة ١٩٢٨ الحقت به لقربها منه .

المسجد الكبير بديروط :

أنشأ هذا المسجد عيسى العادلى سنة ٩٦١ هـ كما هو مدون على لوح من الرخام بخط حديث : أنشأ هذا المسجد المرحوم عيسى العالى سنة ٩٦١ هـ ، وقام بصيانته وترميمه صاحب الحسنات المرحوم الحاج مصطفى محمد المنياوى واقتفى اثره فى ذلك نجله سعادة محمد بك المنياوى غفر الله لهم ، كتب سنة ١٣٢٥ هـ . ثم جدد المسجد فى القرن الثانى عشر الهجرى ، فقد كتب على مقصورة الشيخ عبد الرحمن ابو شوشه ما يأتى :



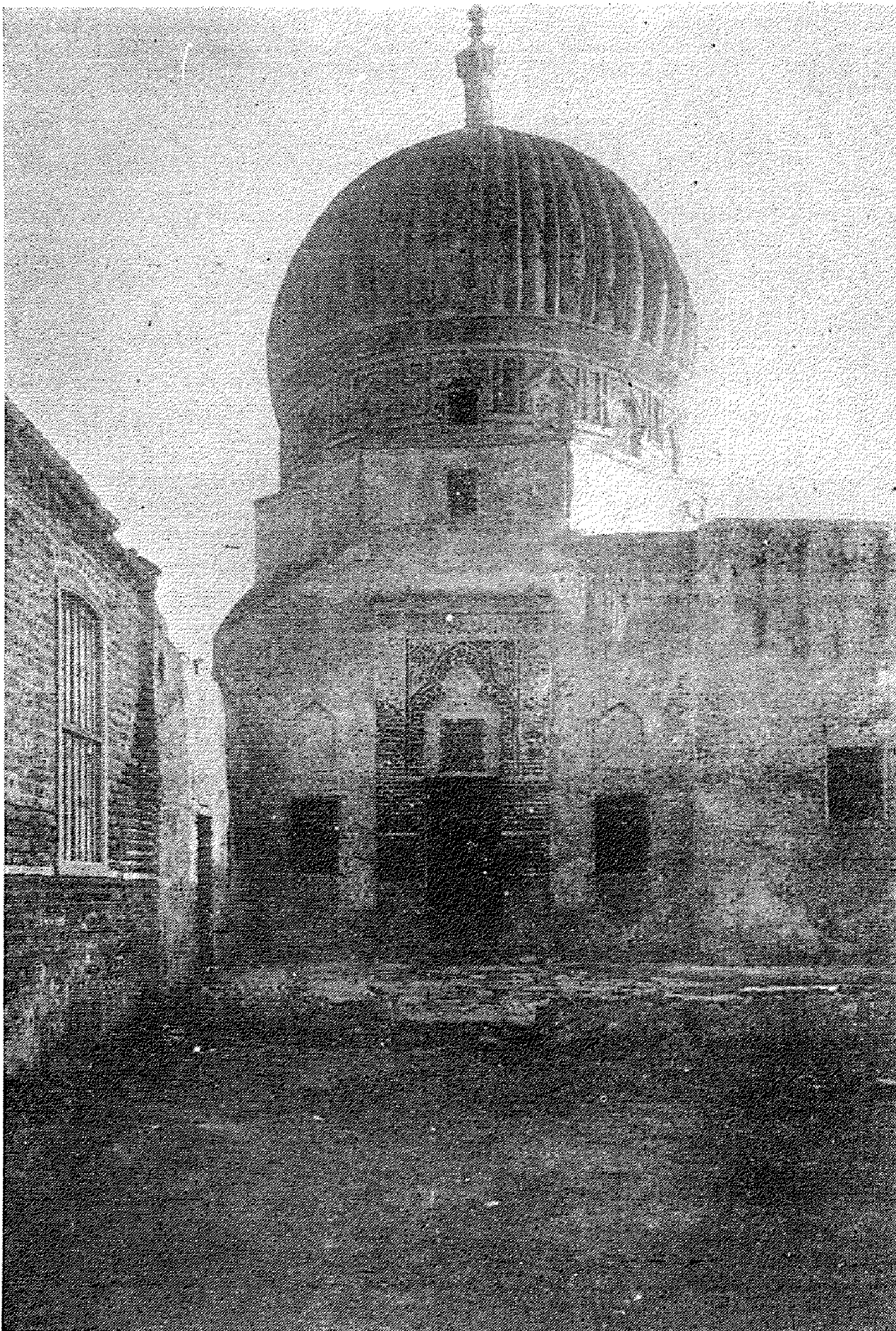
لوحة رقم (٧٣) تبين منزل الحاج رمضان بمدينة رشيد ويرجع الى العصرالعثمانى



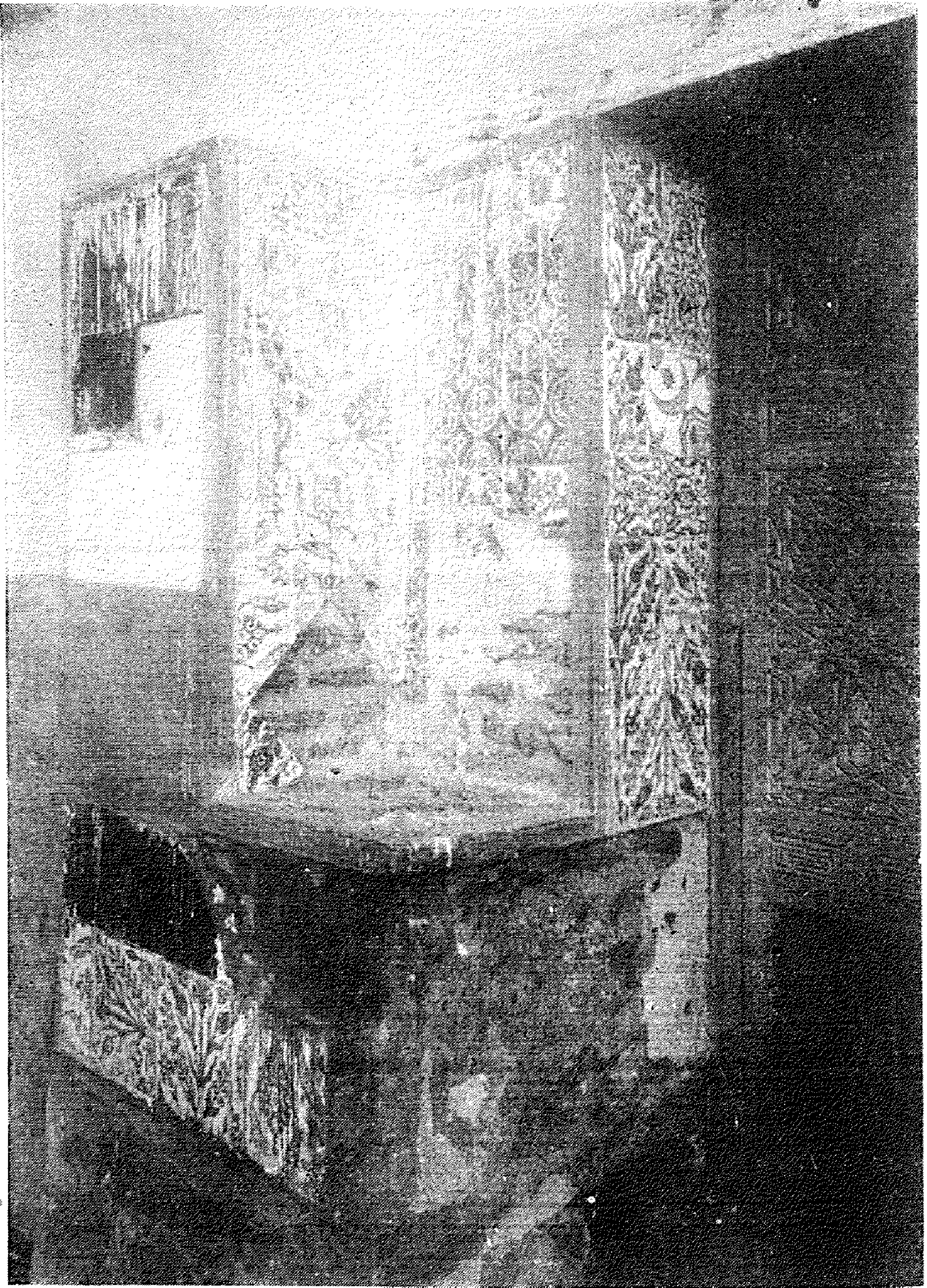
لوحة رقم (٧٤) تبين طاحونة أبوشاهين بمدينة رشيد



لوحة رقم (٧٥) تبين المدخل الرئيسي لمسجد عامر بمدينة ديبى



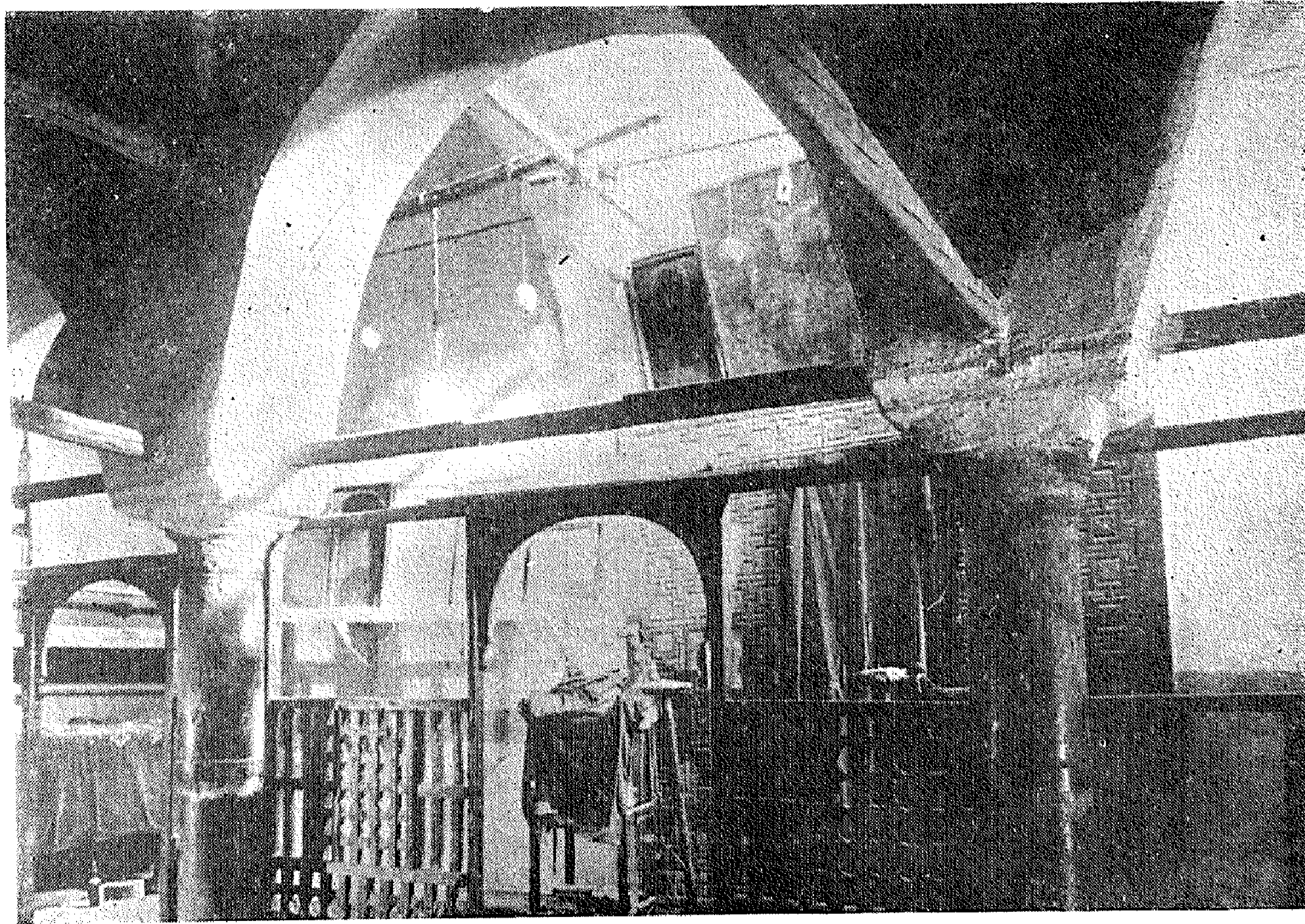
لوحة رقم (٧٦) تبين قبـــة الخرزجى بمدينة ديبى



لوحة رقم (٧٧) تبين باب ضريح الشيخ عبد الوهاب بمدينة مطوبس وقد كسى
بلاطات القيشـاني



لوحة رقم (٧٨) تبين المنظر العام لوادى النطرون بمحافظة البحيرة



لوحة رقم (٧٩) تبين دير (ابو مقار) أحد أديرة وادى النطرون

١ — بسم الله الرحمن الرحيم انشأ الجنـاب العـالى الأمير سليمان جوربجى عزبان جلفى .

٢ — هذه المقصورة المباركة لولى الله تعالى سـيد عبد الرحمن ابو شوشة .

٣ — عمل المعلم عبد الرحمن يوسف النجار الديروطى فى غرة رمضان سنة ١١٤٦ هـ (١٧٣٤ م) .

وبالمسجد منبر خشبى مزخرف بطريقة الخرط وعلى بابه ما نصه :

١ — انشأ هذا المنبر المبارك الأمير حسن العالى .

٢ — عمل الحاج على الديروطى سنة ألف وثمانية ومائة (١٦٩٦ م) .

قبة سيدى على عريان :

هى القبة الوحيـدة الباقية فى ديروط ، وهى من النوع المضلع ، ومن المرجح انها من ابنية القرن الثانى عشر الهجرى .

محافظة مرسى مطروح

كانت مرسى مطروح تتبع مصلحة الحدود التى أنشئت فى سنة ١٩١٧ على أثر الاضطرابات التى سادت الصحراء فى خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) وكان نظام هذه المصلحة يهدف الى توحيد الاختصاصات الحكومية على اختلافها فى ادارة واحـــدة فأصبحت جميعها مركزة فى يد المصلحة . وفى سنة ١٩٤٦ م غير اسم المصلحة وأصبحت تعرف باسم سلاح الحدود الملكى وقد تولى بدوره جميع السلطات الحكومية ، ثم تقرر فى هذه السنة تعميم القضاء المصرى الجارى العمل به فى وادى النيل ، وتطبيقه فى أنحاء الصحراء المصرية .

ثم أطلق على المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط شمالا الى واحة سيوه والفرافرة والبحرية جنوبا ، اسم محافظة الصحراء الغربية وكانت مرسى مطروح عاصـــمة لها ، وفى ســـنة ١٩٦٠ انفصلت عنها الواحات البحـــرية والفرافرة وأصبحت تعـــرف باسم محافظة مطروح مع بقـــاء مرسى مطروح قاعدة لها .

ومرسى مطروح بلـــدة قديمة ، كان لها شأن كبـــير فى عهـــد البطالمة والرومان ، واشتهرت بتصدير الشعير والاسفنج والبلح والأغنام ، كما كانت مصيفا للملوك والأمراء منذ العصر البطلمى . ومطروح ميناء صغير يحمى مدخلها سلسلة من الصخور الطبيعية ، وفى وسط هذه الصخور مدخل صغير يسمح بمرور المراكب الصغيرة الحجم . وحول المينـــاء عدد من البحيرات يفصل بينها حاجز رملى بسيط لا يلبث أن يغطيه البحـــر أحيانا فيملأ هذه البحيرات بمياهه فتصبح وكأنها بحيرة واحدة . وتحد هذه البحيرات من الجهة البحرية تلال من الرمال المتحجرة تمتـــد شرقا وغربا لمسافات طويلة

فتحجب هذه البحيرات عن ساحل البحر وتجعلها كملجأ أمين للسفن وقوارب الصيد . وعلى رابية مرتفعة فى مطروح يوجد بقـايا حصن أثرى قديم قـد يكون من العصر الرومانى .

والقسم الســاحلى من المحافظة ليس له اسم معين ، وهو يمتـد من الاسكندرية شرقا الى السلوم غربا ، فقـد سماه القرطاجيون باسم ساحل (ليبيا) وورد ذكره فى كتاب هيرودوت . وكان هذا الساحل طريق القوافل والغزاة منذ العصر الرومانى ، كما اتخذه العرب عند غزوهم الأندلس ، ثم طرقه الفاطميون عند فتحهم لمصر ، وكانت هى المرة الوحيدة التى نجحت فيها غزوة من الغرب فى تاريخ مصر . وتخترق هذا الطريق عدة وديان ، ويمتاز باحتوائه على عدة آبار ، ولذلك كثر استعمال العربان له حتى الآن لسهولة العثور على الماء والحطايا به (الحطايا واحات صغيرة متلاصقة) كما يوجد به كثير من الزوايا التابعة للطريقة السنوسية . وقد أسس هذه الطريقة محمد بن على السنوسى المعروف بالسنوسى الكبير فى سنة ١١٠١ هـ (١) ، ونشر مبادئه بين البدو والقبائل وجعل منهم قوة ، وحية وعاملا على بث السلام والاخاء بينهم وانتشرت الزوايا السنوسية فى الصحراء المصرية حتى بلغت العشرين .

ويسكن مطروح قبائل عربية من أولاد على وجماعة كبيرة من المهاجرين من طرابلس وبعض المغـاربة وجالية يونانية . كمـا يقيم بها جمـاعة من السنوسية ، وهم يتمتعون بمركز دينى ممتاز وبتقدير واحتـرام الأهلين . وتعتبر مطروح أكبر مركز تجـارى بالمحافظة لسهولة مواصلاتها ، ووجود طريق للقوافل بينها وبين سيوة .

برج العـــرب :

أنشئت هـذه المدينة عقب العمليات الحـربية التى قامت بين القوات البريطانية وبين السنوسيين سنة ١٩١٦ م ، وانتهت بطـرد السنوسيين من الصحراء الغربية ، ولمـا كان السنوسيون هم الذين أثاروا هـذه الحرب ، فقد تقرر هدم الزوايا السنوسية وتشتيت رجالها حتى تقف الدعوة السنوسية

(١) المرابطون للدكتور حسن محمود ص ١٣٨ .

بين العربان ، وكان من بين هذه الزوايا زاوية مهمة مشهورة هدمت وأقيم مكانها بلدة (برج العرب) . ولما استقرت الأحوال واستتب الأمن بالصحراء عادت العربان الى محلاتها المهجورة واستأنفوا حياتهم العادية كرعى الماشية وزراعة الشعير ، وغزل الصوف ، وصناعة الأكلمة .

السلوم :

يقول المقريزى (١) : ان الساحل الممتد بين الاسكندرية وأرض انطابوليس (وصحتها انطينيو بوليس) وهى برقة تشتمل على مائة وأربع وعشرين قرية غير الكفور . وان مدينة (مراقية) كورة من كور مصر الغربية وهى آخر حد لها ، وفى آخر أرض (مراقية) توجد أرض (انطينيوبوليس) وهى برقة . وبعدها عن مدينة (سنتريه) (سيوه) نحو بريدين » . واعتمادا على الأوصاف التى ذكرها المقريزى نرجح أن تكون مدينة (مراقية) التى ذكرها هى مدينة السلوم . وبمدينة السلوم عدة مسارب (يطلق اسم مسرب عادة فى الصحراء على أحسن الطرق وأشهرها) تصلها بعدة مدن بالصحراء شرقا وغربا ، كما توجد عدة مدقات (دروب متعرجة) .

واحة سيوه

عرفت سيوه منذ أقدم العصور باسم جنة الصحراء فقصدها الملوك والغزاة الفاتحون طلبا للراحة ، والاستجمام الجسدى والروحى ، ويؤيد هذا القول ما تركوه من معابد وآثار . ويرجع تاريخ اتصال سيوه بالعالم الى سنة ١٥٠٠ ق م . وبلغت شأوا عظيما فى عهد رمسيس الثالث ، وظلت خاضعة للحكم المصرى حتى سنة ٥٥٠ ق م . وفى سنة ٥٢٥ ق م حاول قمبيز ملك الفرس غزوها فسير اليها جيشا من جنوده وفرسانه الأقوياء ، وكان غرضه من ارسال هذا الجيش هو تحطيم معبد آمون ، الا أن الجيش هلك عن آخره ولم يبق من جنوده من يعود اليه ليحكى المصير الرهيب الذى لقيه الجيش . وفى سنة ٣٣١ ق م يمم الاسكندر

(١) المقريزى جـ ١ ص ٢٧٤ .

المقدونى وجهه شطر سيوه مخترقا الصحراء من ساحل البحر الأبيض ، ولم يكن غرضه من هذه الزيارة التدمير والتخريب كقمبيز ، ولكنه كان يبغى التودد الى المصريين عن طريق آمون وكهنته . ولما جاء الرومان الى مصر ، استعمروا الواحة كذلك فقد كانت تمدهم بالحاصـلات الجيدة من الزيتون والبلح .

ولما ظهرت المسـيحية وبدأ عهد الاضـطهاد الدينى الذى كان يلقاه المسيحيون على أيدى أباطرة الرومان ، فر كثير من القساوسة والرهبان الى سيوه ، واتخذوها ملجأ لهم وأنشأوا فيها الكنائس والأديار واستتبع ذلك دخول كثير من أهلها فى الدين المسيحى .

وفتح العرب (١) مصر سنة ٦٤١ م الا أن واحة سيوه ظلت مجهولة لهم حتى سنة ٥٠ هـ — ٦٦٠ م ، فقد حدث فى عهد عبد العزيز بن مروان ، أن أخبره بعض العرب أنهم ضلوا طريقهم فى الصحراء ، وأنهم عثروا على بلد غنى بالمحصولات والفواكه ، فأرسل عبد العزيز جيشا للبحث عنها . ولكن الجيش عاد بعد شهر دون أن يعثر على الواحة المختفية فى الصحراء وظلت سيوه مجهولة لا يدركها أحد ، حتى كان سنة ٨٠ هـ اذ عثر عليها موسى بن نصير بعد مسيرة سبعة أيام ، وأشرف عليها فرأى مدينة حصينة ، أبوابها

صعبة المرتقى ، حاول أن يغزوها ولكن جهوده باءت بالفشل ، فحاصرها ، وظل على حصارها مدة طويلة ، ولم يفلح فى دخولها ، واضطر أخـيرا الى العـودة دونها . وفى القـرن الثالث الهجرى ، التاسع الميـلادى ، تمـكن العرب من دخولها عن طريق بنى هلال وبعض القبائل العربية ، ومن ثم بدأ انتشار الاسلام بها ، الا أنها لم تخضع خضوعا تاما للحكم الاسلامى الا فى أواخر العصر الفاطمى سنة ١١٠٠ م .

ومنذ نهاية العصر الفاطمى انقطعت أخبار سيوه ولم نسمع عنها شيئا يذكر ، حتى كان عام ١٨٣٠ م حين اشتد الخلاف بين أهلها وانقسموا فريقين

(١) سيوه للدكتور أحمد فخرى ص ٣٩ — ٤٣ .

واستنجد فريق منهم بوالى مصر ، فأرسل اليها جيشا أخضعها خضوعا تاما وضمت سيوه الى حكم مصر نهائيا ، وفرضت عليها الجزية وقدرها (١٠٠٠) ألف ريال سنويا ثم زيدت الى (٦٠٠٠ ريال) ، وظلت سيوه على هذه الحال حتى ظهر السنوسى الكبير ، الذى سبقت الاشارة اليه ، فنشر تعاليمه فى أرجاء سيوه وأقام فيها كثيرا من الزوايا ، وامتد سلطانه بين العرب حتى أقام فى الواحة محكمة لمعاقبة المذنبين . وفى أواخر أيامه قدم القاهرة وعسكر بالقرب من أهرام الجيزة حيث استقبل استقبال الملوك وتوفى سنة ١٨٦٥ م .
وجاء فى الخطط التوفيقية (١) أن « سيوه كانت قاعدة الواحات البحرية التابعة لمديرية البحيرة . وفى سنة ١٩١٧ ضمت لمحافظة الصحراء الغربية . وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت تتبع محافظة مرسى مطروح .

وقد ورد تسيوه فى المراجع العربية باسم (سنتريه) ، فيقول المقريزى (٢) أن مدينة (سنتريه) من جملة الواحات وهى الآن (أى القرن ١٥ م) بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البربر يعرفون بسيوه ولغتهم تعرف بالسيوية وهى تقرب من لغة زناته ، وبها حدائق نخل وأشجار من زيتون وتين ، وغير ذلك وكرم كثير . وبها الآن (القرن ١٥ م) نحو عشرين عينا تسبح بماء عذب . ومن طريف ما يقوله المقريزى عن أهلها : « وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفرد منهم وتسمع الناس بها عزيف الجن » .
وجاء فى معجم البلدان (٣) : (سنتريه) بلد فى غربى الفيوم دون فزان السودان وهى آخر أعمال مصر وتعد من نواحى واح الثالثة وهى قصبة الواحة ، وقد نسب اليها بعض « أهل العلم » . وقال البكرى : « سنتريه كثيرة الثمار والعيون والحصون وأهلها كلهم بربر لا عرب فيهم » .

ويقول الأستاذ (Derry) أن أهل سيوه خليط من البربر والبدو والسودانيين ، وأنهم ، منذ أقدم العصور ، يختلفون عن سكان مصر ، وأنهم أكثر اتصالا بشمال افريقية منهم بوادى النيل . ويقول الدكتور فخرى ، أن سكان سيوه الحاليين يختلفون عن سكان باقى الواحات المصرية ، كما أن لهم

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ١١١ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ٢٧٩ .
(٣) ياقوت جـ ٥ ص ١٤٣ .

عاداتهم ولغتهم الخاصة . ويقول أهل سيوه الحاليون أنهم من سلالة قبيلة المحاميد) البربرية وقبائل (أمرات) و (اليجا) و (الهندووا) البدوية ، وينقسم أهل سـيوه الآن الى شعبتين ، الشعبة الشرقية أو (التحسيب) والغربية أو (اللافيا) .

وواحة سيوه عبارة عن منخفض عظيم فى صحراء ليبيا يحدها شرقا واحة الزيتون وغربا ناحية المراغى (المراقى) والأرض المنزرعة بها تبلغ ربع مساحتها والباقى عبارة عن أرض سبخة وتلال رملية وبحيرات مالحة .وتتألف الواحة نفسها من عدة واحات صغيرة أهمها سيوه وتنقسم الى سيوه شرق وسيوه غرب ، وواحـة الاغورمى ، والمـراغى وخميسـة وأبو الشروف ، وقوريشت ، والزيتون . ويتبعها اداريا عدة واحات صـغيرة متلاصقة من الشرق والغرب وتسمى الحطايا وأهمها من الشرق الجارة وتسمى (جارة أم الصغير) والقطارة والبحرين وسترا وواطيا والعرج وتبجيج وتاميرا . ومن الغرب لليج والمراقى وأم عشة ودهيبه ، والجريا وأم غزلان وشياطا . والأراضى المنزرعة ترتفع من نحو ثلاثة الى أربعة أقدام عن الأراضى السبخة ، وتحاط دائما بسياج من جريد النخيـل ليمنع عنها هبوب سـفن الرمال الخفيفة . وللوصول الى سيوه عدة طرق ، ويسمى العرب هذه الطرق بالمسارب ، التى تسمى عادة بأسماء الآبار التى تقع عليها ، فمسرب الاسطبل نسبة الى بئر الاسطبل الشهير ، ومسرب الخمسة نسبة الى بئر الخمسة ، الذى يحتوى على خمس فتحات يردها السابلة والعربان ، أما مسرب الاخوان ، فقد سمى كذلك نسبة الى الاخوان السنوسيين لأن هذا المسرب يصل الى واحة جغبوب قلعة السنوسيين . وعلى أن أهم المسارب وأحسنها هو طريق مطروح سيوه وهو الطريق الذى سـلكه الاسكندر المقدونى ، ويحتـوى على كثير من الخزانات للمياه التى يرجع معظمها الى العهد الرومانى . والتى أعيد حفرها بعد أن كان قد طمس معظمها .

الآثار الباقيـة

ومن الآثار الاسلامية التى لا تزال باقيـة حتى الآن بسـيوه الجامع العتيق ، ويقال أنه يرجع الى العصر الفاطمى ، أى أنه قد مضى عليه نحو ألف عام ، والمسـجد مبنى من اللبن والطمى (الجالوص) ومئذنته على شكل مخروطى وهى تشبه مآذن مساجد شمال افريقيا ، ويسـميها أهل سيوه (الصومعة) وهو نفس الاسم الذى يسمى به المآذن مسلمو شمال افريقية .

وأهالى سيوه (١) وشعبها بسطاء وديعون نشأوا على الفطرة ، وكان لانقطاعهم عن العالم مدة طويلة تأثير عظيم على أخلاقهم . ولذلك فان الكثير من معتقداتهم ، هى فى الواقع رواسب الماضى البعيد ، الذى يرجع الى عهد الفراعنة ، ففى سيوه يكثر المنجمون والسحرة من الرجال والنسـاء ، وهم متخصصـون فى كتابة الأحجبة والتمائم بأنواعهـا ويعتقدون فيها اعتقادا كبيرا ، ويحملها الجميع بلا استثناء . وهم يعتقدون فى تناسـخ الأرواح فيؤمنون بتقمص الأرواح الشريرة فى الحيوانات كالماعز والبقر والحمير ، وأنها اذا قابلت انسانا فانها تأخذ فى التضخم حتى تبلغ أبواب السماء .

ولأهل سيوه (٢) تقاليد خاصة بهم ، منها أن العروس تتوجه بعد عقد القران الى العين وتستحم وتلبس رداء أبيض وتمكث فى حجرة منفردة بحيث لا تراها البنات العذارى ، ويطلقون على الأرملة اسم (الغولة) ويتجنبون رؤيتها مدة أربعين يوما من وفاة زوجها .وعندما يريد الرجل السفر ترش والدته أو أقرب الناس اليه لبنا وتدير رغيفا من الخبز حول رأسه سبع مرات وكل من تسلم عليه من النساء تضع فى يده بيضة ويخرج معه الرجال بعد

---

(١) سيوه ص ٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٧ .

صلاة العصر الى خارج البلد ويدعون له بالسلامة والتوفيق ثم يؤذن أحدهم الآذان الشرعى ثم ينصرفون . وعند عودته ينتظر خارج البلد ويرسل رسولا الى أهله ، فيخرج أقاربه لمقابلته .

ويقول رؤساء القبائل وأعيان الواحة أن نظامهم القضائى مستمد من النظام القضائى الذى وضعه المسلمون فى شمال افريقية وبلاد الأندلس ، منذ فتحهم لتلك البلاد . كما يقال أن هذا القانون سجل بالخط الكوفى وبقى فى الواحة تتوارثه طبقة معينة من القضاة . وكان القانون يتألف من ستة وثلاثين مادة ، ولما اضمحل نفوذ القضاة نتيجة للاستعمار العثمانى والايطالى لصحراء ليبيا بطل تنفيذ القانون القديم ، وحل محله القضاء بالعرف . واستمر الحال على ذلك حتى سنة ١٨٧٣م حين شكل مجلس من الأعيان عرف بالمجلس الكبير ، ومجلس آخر يضم مشايخ الواحة عرف بمجلس المشايخ ، يعمل تحت اشراف مجلس الأعيان . ولما أصبحت سيوه تتبع مديرية البحيرة ، وضع لها قانون جديد سنة ١٨٩٧م وبعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧ اتبعت سيوه قوانين حاكم الصحراء . وفى سنة ١٩٤٦ تقرر تعميم القضاء المصرى فى أنحاء الصحراء .

محافظة الاسكندرية

ورد فى معجم البلدان (١) لياقوت أن الاسكندر المقدونى بنى ثلاث عشرة مدينة سماها كلها باسمه ثم تغيرت اسماؤها من بعده ، ولم يبق ما يعرف بهذا الاسم الآن (أى فى القرن ١٣ م) غير الاسكندرية العظمى التى بمصر . ثم يقول ياقوت أن بعض المفسرين ذكروا أن مدينة الاسكندرية هى المعنية فى الآية الكريمة : « ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » ويضيف (وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « خير مسالحكم الاسكندرية » ، (المسلحة — المرقب) ويعزو المقريزى (٢) السبب فى فتح العرب لمصر والاسكندرية الى القصة التالية « أنه لما كانت سنة ثمانى عشرة من الهجرة وقدم عمر بن الخطاب عند الجابية (ببلاد الشام) خلا به عمرو بن العاص واستأذنه فى المسير الى مصر وكان عمر قد دخل مصر فى الجاهلية وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها ، أنه قدم مرة الى بيت المقدس لتجارة فى نفر من قريش ، فاذا هم بشماس من أهل الاسكندرية قدم للصلاة فى بيت المقدس ، فبينما عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس فسقاه عمرو ، فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس حفرة فخرجت منها حية عظيمة فقتلها عمرو ، فلما استيقظ الشماس أخبره عمرو بخبر الحية فقبل الشماس رأسه وقال له ، قد أحيانى الله بك مرتين ، مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية ، ثم سأله ، كم دية أحدكم بينكم ، فقال له عمرو مائة من الابل فقال الشماس « انى رجل غريب فى هذه البلاد ، فهل لك أن تتبعنى الى

---

(١) ياقوت جـ ١ ص ٢٣٥ .

(٢) المقريزى جـ ١ ص ٢٣٢ .

بلادى ، ولك على عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين ، فقال له عمرو ، وأين بلادك ، قال مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية » ، فسأله عمرو « وكم يكون مكثى فى ذلك قال شهرا ، تنطلق معى ذاهباعشرا ، وتقيم عندنا عشرا ، وترجع فى عشر . فانطلق عمـــرو مع الشماس حتى انتهيـــا الى مصر . ومضى الى الاسكندرية فنظر الى كثرة ما فيها من العماره والأموال وكثرة أهلها فأعجب بها ، ووافق دخول عمرو ، عيدا عظيما يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم فى ملعب المدينة العظيم . وفى هذا العيد يترامى الملوك والأمراء بكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقـــونها بأكمامهم ، فمن وقعت الـــكرة فى كمه واستقرت لم يمت حتى يملكهم . فلما قـــدم عمرو الاسكندرية أكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج ، وذهب به الى الملعب وجلس عمرو والشماس مع الناس ، فرمى رجل الكرة فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو فعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الكرة قط الا هذه المرة ، أترى هذا الأعرابى يملكنا ، هذا ما لا يكون أبدا ، ثم أعطى الشماس لعمرو ألفى دينار ثمن مائتين من الابل ، حيث لا يوجد ابل بمصر . فقبضها عمرو ، وانطلق عائدا .

ومهما يكن من أمر هذه القصة فان الذى نستطيع أن نؤكده فى ثقة واطمئنان هو أن عمرو بن العاص زار مصر والاسكندرية قبل الفتح العربى لهما ، وأنه كان يوجد بمدينـــة الاسكندرية ملعب كبـــير يحضر احتفالاته الأمراء ووجهاء القوم . كما نستخلص من هذه القصة مبلغ ما كانت عليه مدينة الاسكندرية من الثروة والبذخ ، اذ استطاع شماس أن يفتدى نفسه بألفى دينار . ولما جاء عمرو بن العاص لفتح مصر سار الى حصن (بابليون) فقابله المصريون كمنقذ لهم من ظلم الرومان وجورهم فاستتب له الأمر فى مدينة منف بسهولة واستسلم له المقوقس وسلمه البلاد بلا مقاومة تذكر . ثم توجه عمرو الى الاسكندرية ودخلها منتصرا بعد حصار دام أربعة عشر شهرا من باب كانوب ، فوجد أمامه مدينة لم تزل رغم ما قاسته فى العصر الرومانى ، عامرة خلابة ، فأراد جعلها عاصمة لمصر ، فكتب الى الخليفة عمر يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول الذى أوفده عمرو « هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ، قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو انى لا أحب أن تنزل بالمســلمين منزلا يحـــول الماء بينى وبينهم ، فتحول عمـــرو من

الاسكندرية الى الفسطاط وكان عمر بن الخطاب يبعث فى كل سنة حامية من أهل المدينة (المنورة) ترابط بالاسكندرية ، وكان لا يغفل عن أمرها خشية أن يرتد الروم اليها .

ولما دخل عمرو مدينة الاسكندرية وسار فى شارع كانوب الرئيسى ذى التماثيل الجميلة على الجانبين والأعمدة الجرانيتية الرشيقة وأقواس النصر الفخمة ، رأى عن يساره ميدانا عظيما به قبر الاسكندر وقبور ملوك البطالمة ، وعن يمينه منارة الاسكندرية يعلوها الشاهد ، فاتخذ منها مسـجدا لاقامة الصلاة ، ثم رأى أمامه قصور الملوك وكنائس الاسكندرية وبقايا مدرسة الاسكندرية ومكتبتها ، وكتب الى الخليفة يقول ، لقد فتحت مدينة لا أقول عنها الا أنها تحتوى على أكثر من ٤٠٠٠ قصر ، ٤٠٠٠ حمام ، ٤٠٠٠ مسرح ، ١٢٠٠٠ حانوت ومخزن ، ٤٠٠٠٠ يهودى ، ومع ما قد يكون فى هذه الأرقام من المبالغة الا أنها تدل على أهمية المدينة عند الفتح العربى .

ولما تولى عثمان الخلافة بعد عمر ، أعطى ولاية مصر جميعها الى عبد الله ابن سعد بن أبى سرح أخيه من الرضاع ، فطمع أهل الاسكندرية ونقضوا العهد ، فقيل لعثمان ليس لها الا عمرو بن العاص فان هيبته فى قلوب أهل مصر قوية فانفذه عثمان ، ففتحها ثانية عنوة وسلمها الى عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وخرج من مصر ، فما رجع اليها الا فى عهد معاوية (١) .

ولقد كان للنزاع الذى قام بين الأمين والمأمون ولدى هارون الرشيد سنة ١٩٦ هـ أثر كبير فى الفوضى والشغب الذى ساد مدينة الاسكندرية سنة ١٩٩ هـ ، فقد كتب كل من الأخـوين الى الولاة بمصر والاسكندرية يدعوهم الى القيام بالدعوة له ، فأدى ذلك الى تنازع الأمراء للحصول على ولاية المدينة . ومما دعا الى تفاقم الحالة فى الاسكندرية رغم استقرار الأمور فى الدولة العباسية بعد قتل الأمين وتولى المأمون الخـلافة ، وفود جماعة اليها من أهل قرطبة بالأندلس بعد هزيمتها فى موقعة الربض سنة ١٨٢ هـ فى عهد الخليفة الحكم بن هشام ، وكان عددها عشرة آلاف رجل . فلما نزلت هذه الجماعة بالاسكندرية صارت تنصر واليا على آخر طمعا فى كسب النفوذ

---

(١) فتوح مصر ص ٤٢ ، النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٧٦ ، المقريزى جـ ١ ص ٢٦٣ .

على حساب المتنازعين ، وانتهى الأمر بهذه الجماعة أن صارت تولى وتعزل من تشاء من ولاة الاسكندرية . وما زالت الاسكندرية (١) وأعمالها فى اضطرابات وفوضى الى أن قدمت جيوش المعز لدين الله بقيادة جوهر الصقلى سنة ٣٥٨ هـ — ٩٦٩ م فملكتها وما برحت الى أن قام بها نزار بن المستنصر . فقد حدث بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ ، أن بادر الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى بالمناداة بالأمير أحمد أصغر أبناء المستنصر خليفة ولقبه بالمستعلى بالله ، فلما علم بذلك الأمير نزار أكبر أبناء المستنصر ، خرج من مصر مغاضبا واستنجد بوالى الاسكندرية افتكين ، الذى بايع نزار بالخلافة ونعته بالمصطفى لدين الله ، وأحضر أهل الثغر لمبايعته ، فبلغ ذلك الأفضل بن بدر الجمالى فخرج فى جيش الى الاسكندرية لمحاربتهم ولكنه انهزم ورجع بمن معه الى القاهرة ، وأخذ يتجهز ثانية الى المسير لمحاربة نزار . واستطاع فى هذه المرة من دخول الاسكندرية والقبض على نزار وافتكين وبعث بهما الى القاهرة حيث قتلا .

ويقول المقريزى فى حوادث سنة ٥٦٢ هـ « وقعت موقعة البابين بين شاور وزير الخليفة العاضد الفاطمى وبين أسد الدين شيركوه قائد جيوش نور الدين زنكى ، فانهزم عسكر شيركوه ومضى الى الاسكندرية فخرج اليه أهل الثغر وسروا بقدومه وسلموه المدينة ثم سار منها يريد بلاد الصعيد ، واستخلف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على الثغر فى ألف فارس ، فنزل عليه شاور ومعه (أمرى) ملك الفرنجة (الصليبيين) فقام معه أهل الثغر واستعدوا لقتال شاور فكان ما أخرجوه أربعة وعشرين ألف فارس ، فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخمس اذا سلموه صلاح الدين ، فأبوا ذلك وألحوا فى قتاله فحاصرهم حتى قل الطعام عندهم . فتوجه اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جموعا كثيرة فبعث اليه شاور وبذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع الى الشام فأجابه الى ذلك ، وفتحت المدينة وخرج صلاح الدين الى أمرى ملك الفرنجة وجلس معه ، فما زال به شاور أن يسلمه صلاح الدين فلم يوافقه بل سيره الى عمه شيركوه ، ودخل شاور الاسكندرية .

(١) المقريزى جـ ١ ص ٢٧٨ .

وفى سنة ٦١٢ هـ — (القرن ١٣ م) اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج ، وقدمت بطسة (سفينة حربية) الى الميناء تحمل ملكين من ملوك الفرنجة ، وحاولوا الثورة وقتـل أهل البلد وامتلاك الثغر ، فتوجه الملك العادل أبو بـكر بن أيوب اليها وقبض على التجار المذكورين وعلى البطسة وصادر أموالهم وسجنهم وسجن الملكين وعاد الى القاهرة .

وفىسنة ٦٧١ هـ (القرن ١٣ م) وردت الأنباء بخروج الفرنجة الى الثغور المصرية . فاهتم الملك الظاهر بيبرس بأمر الشوانى (السفن الحربية) ونصب على أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق .

من هذا السرد التاريخى يتبين لنا أن مدينة الاسكندرية كانت طوال العصور الوسطى ، أكثر المدن تأثرا بالأحداث السياسية التى تتعرض لها مصر وذلك لقوتها ومناعتها ووفرة ثروتها مما جعلها ملجأ أمينا لكل ثائر أو هدفا لكل غاز . كما أن موقعها الجغرافى كميناء على ساحل البحر الأبيض المتوسط مكنها من التأثير فى مجريات الحوادث لسهولة اتصالها بالعالم الخارجى .

وقد أدت هذه الأحداث والحروب المتواصلة الى اهمال العناية بآثار المدينة القديمة أو صيانتها فكانت المدينة تسـير فى طريق الخراب بخطوات كبيرة ، حتى أن المؤرخ ياقوت (المتوفى سنة ١٢٢٩ م) لم يجـد فى مدينة الاسكندرية عندما زارها شيئا يذكر سوى (عمود السوارى) . فاذا أضيف الى ذلك الهزات الأرضية العنيفة أو الزلزال الذى حدث فى بداية القرن الرابع عشر والذى أتى على كافة مبانى ومعالم المدينة ، وسبب انخفـاضا هائلا فى أرضها ، حتى أن الرحالة (برناردى بريدنباخ) الذى زارها سنة ١٤٨٣ م لم ير الا أنقاضا شاسعة وخرابا عاما . وكانت دهشته كبيرة عندما شاهد السور الهائل الذى يحيط بالمدينة .

ولم يقتصر الأمر عـلى المبـانى والآثار بل تعـداها الى المشروعات العمرانية ، فقد طمس فرع النيل الكانوبى وانقطعت المياه العذبة عن بحيرة مريوط ، وجفت هذه البحيرة وأصبحت غير صالحة للملاحة ، وبذلك احتلت مدينة رشيد مكانها كميناء بحرى ونهرى .

ومنذ بداية القرن التاسع عشر بدأت الحياة تدب فى المدينة من جديد ، وعادت اليها شهرتها وصفتها الأولى (عروس البحر الأبيض المتوسط) ، على أن عمارها السريع أدى الى ضياع معالم المدينة اليونانية والرومانية .

كثر الجدل حول موضوع حريق مكتبة الاسكندرية ، فذهب فريق من مؤرخى الفرنجة الى القاء تبعة هذه الجريمة الشنعاء على كاهل العرب عند فتحهم مصر ، وهو أمر لا يتفـق مع الحقيقة أو الواقع ففضـلا عما نعرفه وتؤكده المراجع التاريخية او الأثرية كلها من محافظة العرب على كل تراث الأمم والشعوب التى خضعت لهم والاستفادة منه فى شئون دولتهم الناشئة ، فاننا لم نسمع أن شعبا من الشعوب القديمة قد اهتم بترجمة علوم الأسبقين وحرص على الاستفادة منها كما فعل العرب حتى عرف العصر العباسى الأول الذى بدأ سنة ٧٥٠ م بعصر الترجمة واحياء التراث . ولست أريد فى هذا المجال أن أسير وراء العاطفة فى الحكم وانما اعتمد على الوقائع الثابتة التى لا تقبل الجدل أو النقاش (١) .

ان أول ضربة أصيبت بها مكتبة الاسـكندرية الشـهيرة كانت سنة ٤٨ ق . م . عند قدوم (يوليوس قيصر) الى هذه المدينة لتأييد (كليوباترة) ضد أخيها صاحب العرش الشرعى ، فقد لجأ هذا الأخير الى الشعب لنصرته ضد الغاصب ، فقـام (أشيلاس) القائد المصرى لنجـدته وحاصر قيصر وكليوباترة فى القصور الملكية ، ورأى قيصر أن لا نجـاة له اذا استولى المصريون على المواصلات ، وقطعوا عليه خط الرجعة من جهة البحر ، فعمد الى اضرام النار فى ٧٢ قطعة من المراكب الحربية الكبيرة التى كانت راسية فى الميناء الشرقية ، بالاضافة الى تلك التى كانت على وشك الانتهاء من البناء فى الترسانة . وقد كان لهيب النار شديدا حتى امتد الى الأرصفة فأحرقت النار مخازن الجمرك والشون ومخازن الكتب التابعـة للمكتبة التى كانت تطل على الميناء الشرقية بجانب القصور الملكية ، وقد قدر عدد المجلدات التى احترقت بما مقداره ٤٠٠,٠٠٠ مجلد ، وقد اعترض كثير من مؤرخى الفرنجة

---

(١) تصدى عبد اللطيف البغدادى المتـوفى سنة ٦٢٩ هـ فى كتابه (الافادة والاعتبـار) لذكر مكتبة الاسكندرية ، ويعتبر عبد اللطيف أول عربى نسب حريق المكتبة الى عمرو ، وأيده فى روايته المؤرخ الملطى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ فى كتابه المسمى « مختصر تاريخ الدول » .

على صحة هذه الواقعة وعلى القول بوصول النيران الى المكتبة بحجة أنه لم يذكرها أحـد من كتاب ذلك العصر ، وان موقع المـكتبة كان بعيدا عن رصيف الميناء الشرقية ، ولكنهم لم يستطيعوا نفى واقعة احتراق هذا العدد الهـائل من الكتب ، وقالوا انهـا كانت معروضـة للبيـع فى محـلات التجارة العادية لأن تجارة الكتب كانت رائجة جدا فى ذلك الوقت . وللرد على ذلك نقول ، (أولا) بعد المكتبة عن الرصيف لا يمنع وصول النار اليها خاصة بعد أن وصلت الى الجمرك والشون ، ما دامت المكتبة داخل نطاق الميناء . (ثانيا) اذا كان من المستبعد وصول النيران الى المكتبة رغم وجودها داخل الميناء ، فمن المستحيل اذن وصولها الى المحلات التجارية داخل البلد . (ثالثا) ان عدم ذكر المراجع المعاصرة لهذه الواقعة ، فمن المرجح بل ومن المعقول أن يكون ذلك تدبيرا سياسيا قصد به عدم اثارة الشـعور وخلق الاضطرابات .

وفى ثنايا تاريخ كليوباترة نجد ان (انطونيو) بعد ان استولى على (برجام) أهدى كليوباترة مجموعة كبيرة من مجلدات مكتبتها . ولعل اهداء أنطونيو لهـذه المجموعة الكبيرة من الكتب لها ، كان يعنى شبه تعويض للمكتبة التى احترقت والتى كانت كليوباترة السبب غير المباشر فى حرقها ، والا فبماذا نفسر سر اهداء الكتب الى كليوباترة اذا كانت المكتبة سليمة لم تحرق . وقد وضعت هـذه الهدية فى مكتبة أنشئت بالسيرابيوم وسميت بنت المكتبة الأولى .

ومن المحقق ان حالة مكتبة الاسكندرية قد انحطت كثيرا بعد الاحتلال الرومانى خاصة عند نهاية القرن الثانى الميلادى ، وذلك بسبب نقـل كثير من الكتب الى روما ، نتيجة لحوادث السلب والنهب التى حدثت فى عهد الامبراطور (كراكالا) . وفى سنة ٢٧ م هدم الحاكم الرومانى (أوريليان) حى (البروشيون) — وهو حى القصور الملكية والمكتبة بالميناء الشرقية هدما تاما انتقاما من المدينة لثـورتها ، فلجأ بعض رجال جامعة الاسكندرية ومكتبتها الى معبد السيرابيوم وسافر البعض الآخر الى القسطنطينية .

وعلى ذلك نستطيع أن نقرر بصـفة قاطعة أنه منذ نهاية القرن الثالث الميـلادى على الأكثر . كانت مدرسـة الاسكندرية ومكتبتها الرئيسية قد

تلاشتا وزالتا من الوجود نتيجة للاضطرابات السياسية ، وانتشار المسيحية ، ولما قام به المسيحيون من هدم آثار الوثنية والقضاء عليها .

وفى سنة ٣٨٩ هدم البطريرك (ثيوفيــل) بناء على أمر الأمبراطور ثيوديبسوس معبد السرابيوم وكسر تمثال (سرابيس) الشهير وأضرم النيران فى هذا الملجأ الأخير للوثنية . ويقال أنه نجا من الحريق بعض أجزاء المعبد ، وربما جزء من المكتبة الملحقة به ، وعلى أية حال فان ذلك لا يمكن اعتباره مكتبة عمومية ذات أهمية تذكر .

أما عن القصة التى وردت فى المراجع الأجنبية عن حرق عمرو بن العاص لمكتبة الاسكندرية فهى تقــول : ان قسيسا كان بمدينة الاسكندرية اسمه (جون فيلوبونوس) وكان صديقا حميما لعمرو بن العاص ، طلب اليه أن يرخص له بنقل بعض الكتب التى أصبحت بحكم الفتح من أموال الحكومة الجديدة ، فأرسل عمرو يستأذن الخليفة عمر بن الخطاب فى ذلك ، فأجابه الخليفة بهذا الجواب « اذا كان ما جاء بهذه الكتب مطابقا لما جاء به القرآن الكريم فهى تكرار لا فائدة منه ، واذا كان ما جاء بها مخالفا لما جاء بالقرآن فهى خطر فأحرقها » . ويكفى فى تفنيد ما جاء بهذه القصة أن نعلم أن (جون فيلوبونوس) كان قد مات قبل الفتح العربى .

من هذا السرد التاريخى نستطيع أن نقول فى ثقة واطمئنان أن عمرو بن العاص برىء من قصــة حرق مكتبــة الاسكندرية براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وأن هذه الأسطورة انما أريد بها الحط من قدر العرب والمسلمين ، فلم يعرف عن العرب فى تاريخهم الطويل أنهم أحــرقوا كتبنا وانما التاريخ الأوروبى هو المليء بحوادث حرق الكتب ، وتكفى لمحة من تاريخ محــاكم التفتيش لمعرفة أن حرق الكتب كان نظاما ومبدءا لدى الأوروبيين . ولعــل مؤرخى أوروبا نســبوا الى عمرو حــرق مكتبة الاسكندرية قياســا على نظامهم هذا ومبدئهم فى احراق الكتب .

الآثار الباقية

لقد عثر فى الحفريات التى أجريت سنة ١٨٦٦ م (١) على أسوار المدينة التى أقامها الاسكندر وأتمها ملوك البطالمة من بعده وكان عرض أساسات هذه الأسوار يبلغ خمسة أمتار ، وكانت مبنية بالأحجار الجيرية المنحوتة المأخوذة من محاجر المكس ، أما المونة فكانت من الجير والحمرة . وكانت الأسوار متعددة الأبراج الكبيرة منها فى الزوايا والأركان أما الصغيرة فتتخلل الأبراج الكبيرة ، وكانت الأسوار تتبع الشاطىء مبتدئة من الغرب حتى نهاية شارع كانوب (طريق الحرية الآن) وممتدة شرقا حتى رأس لوكياس (مدخل الميناء الشرقى الآن) بمحاذاة شاطىء البحر ثم تنحدر جنوبا حتى تقابل ترعة الاسكندرية (حلت محلها المحمودية الآن) ثم تسير معها حتى تصل الى ابتداء الأسوار مكونة بذلك شكلا مستطيلا .

وقد هدمت أجزاء كثيرة من الأسوار القديمة وأعيد بناؤها فى القرن الثانى للميلاد فى عهد الامبراطور هدريان وعهد انطونيو كما أجريت لها بعض الترميمات فى القرن الثالث الميلادى . وفى القرن التاسع الميلادى أعاد أحمد بن طولون بناء الأجزاء التى تهدمت من الأسوار . كذلك كشفت الحفريات عن أحد عشر شارعا رئيسيا : تمر عرضا من الشمال الى الجنوب وسبعة شوارع طولية كانت تمر من الشرق الى الغرب . وكانت هذه الشوارع مرصوفة بطريقة واحدة من أحجار البازلت الأسود والأصفر . وكان الشارع الأوسط من الشوارع السبعة الطولية هو أهم الشوارع وكان اسمه شارع (كانوب) وهو محل طريق الحرية الحالى وكانت المدينة مقسمة الى

(١) الخطط التوفيقية جـ ٨ ص ٥٦ .

خمسة أحياء يرمز لكل حى منها بحرف من الحروف الهجائية اليونانية فيقال حى « دلتا » الخ (١) .

وفى العهد البطلمى ، ربطت جزيرة فاروس بالشاطىء بواسطة رصيف عرف باسم الهيبتاستاد ، وقد قسم هذا الرصيف حوض الاسكندرية الى ميناءين مستقلين وبقى هذا التقسيم حتى (٢) الآن . وعلى جزيرة قريبة من جزيرة فاروس أنشأ بطليموس الثانى سنة ٢٨٠م منارة الاسكندرية واستمرت تؤدى عملها حتى القرن (الرابع عشر) . وقد استطاع الرحالة المعمارى أبو الحجاج يوسف البلوى الأندلسى المعروف بابن الشيخ الذى زار مدينة الاسكندرية فى القرن الثانى عشر الميلادى ، أن يعطينا وصفا دقيقا للمنارة ، فيقول ان المنارة تتكون من ثلاثة أدوار ، الأول مربع الشكل والثانى على شكل مثمن والثالث اسطوانى وتعلوه قبة ضخمة بداخلها فانوس كبير يضىء طريق المراكب ، ويبلغ ارتفاع المنارة ١٢٠ مترا وبها ٣٠٠ غرفة . واعتمادا على الأوصاف والمقاييس الدقيقة التى أعطاها ابن الشيخ ، لا سيما وأنه كان بناء قادرا وراوية دقيقا ، استطاع بعض الباحثين الاسبان اعطاءنا صورة جديدة لشكل المنارة ، لعلها أدنى الى الحقيقة من كل ما عرفناه عنها حتى الآن (٣) .

وفى نفس البقعة التى كانت بها منارة الاسكندرية ، وعلى أنقاضها ، بنى السلطان قايتباى طابية الاسكندرية التى تعد من أهم القلاع المصرية على الاطلاق والتى تناظر قلعة الجبل التى بناها صلاح الدين بالقاهرة . ويرجع تاريخ هذه الطابية الى سنة ١٤٧٧هـ عندما رأى قايتباى تفوق العثمانيين ومحاولتهم تأسيس دولة استعمارية تهدد الدول المجاورة لها لذلك فكر فى حماية أهم ثغور ساحل مصر الشمالى .

وتتكون الطابية من شكل شبه مربع يبلغ طولها ١٥٠ متر وعرضها ١٣٠ مترا وتبلغ مساحتها ما يقرب من ٢٠ ألف متر مربع . ويحيط البحر الأبيض بالطابية من جهات ثلاث ، وقد تآكلت الجهتان الشمالية والشرقية ، فى بعض

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٢٧٢ ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهرى ص ٣٩ .
(٢) دراسات فى تاريخ مصر فى عصر البطالمة ص ١١ .
(٣) كتاب ألف باء لابن الشيخ جـ ٢ ص ٥٣٧ ، ٣٨ .

أجزائهما ، أماالجهةالغربية فتكاد تكون سليمة . وبداخل الطابية وبالجهة الشمالية الشرقية منها يوجد برج المسجد ، وهو مربع الشكل وفى كل زاوية من زواياه الأربع يوجد برج صغير مستدير ، وتبلغ مساحة المسجد ٣٠ مترا مربعا . وفى الجدار الجنوبى الغربى يوجد باب المسجد وهو قليل الغــور ويعلوه عقد مدبب . ومن هذا الباب ندخل الى درقاعــة ومنها الى صــحن المسجد . ويحيط بالصحن أربعة ايوانات ، ذات تخطيط متعامد . وفى الجهة الغربية من المسجد توجد حجرة بها ضريح لا يعرف صاحبه . وفى الدور الأرضى للمسجديوجد دوران بهما حجرات وممرات ودهاليز مسقوفة بالاقباء المتقاطعة ويوجد فى حوائط البرج جميعها فتحات لرمى السهام ، كما يعلو الجدران الشرافات والمزاغل التى تسمح بوضع المكاحل ، وبأعلى واجهة برج المسجد يوجد أربعة مساقط . وقد بنيت جدران المسجد من الحجر المنحوت أما السقوف المقبية فقــد بنيت من الآجر ، وكان يوجد على باب المسجد لوحتان من الحجر منقوش عليها « عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره (١) » ، وللأسف فقدت اللوحتان (٢) .

ويقع المدخل الرئيسى للطابية فى الركن الجنوبى الغربى (المستعمل الآن مخازن مهمات) ، وهنــاك مدخل آخر يوصل الى فناء الطابية ، وعلى امتداد هذا الباب يقع باب المسجد . وفى الزاوية الشمالية الشرقية يوجد برج كبير ، يستعمل الآن كمنظرة لاستطلاع البواخر الحربية ولمراقبة الميناء . ويقول ابن اياس انه كان يوجد فى البرج الشمالى المطل على البحر مقعد، يستطيع من يجلس فيه أن يرى المراكب على مسيرة يوم قبل دخولها الميناء . وكان يحيط بالطابية من الداخل حجرات للجند . ومطابخ وحواصل ، وقد أجريت للطابية عدة ترميمات واصلاحات فى مختلف العصور وقد كتب عنها كثير من الرحالة فى العصور الوسطى (٣). ووصفها ابن اياس(٤) فقال: وجعل حول البرج (الطابية) مكاحل معمرة بالمدافع ليلا ونهارا لئلا تطرق الأفرنج

(١) نصحى ص ١٢ .
(٢) Van Bercham : Matérjaux pour un Corpus Inscriptionum. I P. 37
(٣) قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة ص ١٥٥ – ١٦٠ .
(٤) ابن اياس ص ١٩٨ .

الثغر ، وجعل مشرفا من خواصه وهو باش عليهم يقال له قنصـــوة المحمدى الخاصكى ، وقيل أن السلطان صرف على بناء هذا البرج زيادة على مائة ألف دينار وأوقف عليه الأوقاف الجليلة ، وجاء من أحسن الآثار .

وفى عهد السلطان الغورى سنة ١٥١٠م نالت الطابية كثيرا من عنايته وزاد فى عدد جندها والضباط المنتظمين وعين لها صـــناع للأسلحة والزرد لعمل الدرع الواقية ، كما كانت الطابية فى ذلك الوقت تضم ســجنا لكبار المماليك الذين يهملون فى الدفاع عن البلاد . وقد أصدر الغورى مرسوما عسكريا ينهى فيه عن اخراج السلاح من الطابية وقد جاء فيه « لا أحد يأخذ من البرج الشريف بالاسكندرية سلاح ولا مكاحل ولا بارود ولا آلة ولا غير ذلك ومن خالف ذلك من جماعة المماليك والعبيد والزردكاشية وخرج منه بشىء شنق على باب البرج وعليه لعنة الله » (١) .

أما فى العصر العثمانى فقد أهمل أمر الطابية وأصبحت فى حـــالة يرثى لها بعد أن كانت منيعة مهابة أيام المماليك . وعندما استولى الفرنسيون على الاسكندريةووضعوا يدهم علىقلعة قايتباى، عثروا فى أبراجها وأقبيتها على أسلحةكثيرة مكدسة، وسيوف علاها الصدأواستدلمنشكلها وماعليها من نقوش . على أنها أسلحة الصليبيين ، ومن مخلفات حملة لويس التاسع التى جاءت الى مصر سنة ١٢٥٠ م وباءت بالفشل .

وفى القرن التاسع عشر زاد الاهتمام بالطابية فرممت قلاعها وأبراجهـــا وزاد ما تحتويه من مدافع فأصبحت تحتوى على ٢٠ مدفعحصون و ١٢ مدفع هاون ، وفى النصف الثانى من القرن ١٩م زاد عدد مدافع الحصون حتى بلغت ١١٠ بينما نقصت مدافع الهاون فصارت ستة (لوحة رقم ٨٢) .

جامع العطارين : (لوحة رقم ٨٠ ، ٨١)

ويوجد بمدينـــة الاسكندرية ٤٩ مســـجدا جامعا و ٩٧ زاوية وعدد لا يحصى من الأضرحة ، ومن أقدم مســـاجد الاسكندرية جامع العطارين الموجود بشارع سوق العطـــارين وقد جدده بدر الجمـــالى وزير الخليفة

---

(1) Van Bercham P. 67

المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٧٧ هـ كما هو ثابت فى اللوحة التأسيسية الموجودة فى قاعة المنارة على يسار الداخل من الباب الشرقى .

ولما كان مسجد العطارين ، هو المسجد الجامع للفاطميين فى الاسكندرية فقد نقل الأيوبيون الخطبة من هذا الجامع الى المسجد الذى أنشأه صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٧٧ هـ — ١١٨١ م جريا على السياسة التى اتبعوها فى محاربة الشيعة ونشر المذهب السنى .

والى جانب الناحية الدينية ، فقد كان هذا الجامع مركزا ثقافيا تولى التدريس فيه نخبة ممتازة من العلماء ، منهم أبو العباس المرسى وكان من أولياء الله الصالحين . وكذلك قام بالتدريس فيه قاضى قضاة الاسكندرية أحمد بن أبى المعالى ، والعلامة ابراهيم بن محمد ابن عبد الواحد ، والشيخ أبو محمد الصعيدى شيخ قراء الاسكندرية كما تولى التدريس فيه العلامة محمد بن سليمان بن أحمد الصنهاجى المراكشى ، واتخذه مسكنا له الى أن توفى سنة ٧١٧ هـ ودفن فيه ، وأقيمت فوق ضريحه قبة ما زالت باقية حتى اليوم . ويتكون الجامع من خمسة أروقة . وبجوار المحراب منبر بسيط ، وفى الطرف الشمالى الشرقى قبة وفى الجدار الغربى توجد دكة المبلغ التى تعرف فى الاسكندرية باسم الصندرة .

مسجد ابى العباسى المرسى :

ومن المساجد المشهورة بمدينة الاسكندرية جامع سيدى أبى العباس المرسى ، ويوجد برأس التين ، وكان فى الأصل مسجدا صغيرا ، ولكنه جدد سنة ١١٨٩هـ على أيدى بعض الحجاج المغاربة ، ثم تولت وزارة الأوقاف بعد ذلك ترميمه واقامة الشعائر الدينية به . وكان الشيخ مرسى أبو العباس من العارفين بالله ، أخذ الطريق عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى المتوفى سنة ٦٧١هـ ودفن فى جامعه . وقبره مشهور يزوره أهل الاسكندرية وغيرهم من المترددين عليها ولا سيما المغاربة .

مسجد ياقوت العرش :

ومسجد سيدى ياقوت العرش ، المدفون فيه الشيخ ياقوت الذى كان اماما عارفا عابدا زاهدا وهو من أجل من أخذ عن أبى العباس المرسى ، وكان

حبشيا ولد بالحبش وهو مشهور بين الطائفة الشاذلية توفى سنة ٧٠٧هـ ودفن بمسجده وقبره مشهور يزار وله مولد فى رمضان من كل سنة .

مسجد البوصيرى :

ومن المساجد المهامة كذلك مسجد البوصيرى ، وهـو مسجد الامام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى صاحب البردة ، والهمـزية وله مصنفات كثيرة ، وكان أبوه من دلاص وأمه من بوصير قرية بقرب دلاص بمديرية بنى سويف .

وبمدينة الاسكندرية كنائس كثيرة المشهور منها ثلاث عشرة كنيسـة ، عشر منها للنصارى وثلاث لليهود .

بحيرة مريوط :

حفرت هذه البحيرة فى العصر الفرعونى وكان ماء النيل يأتى اليها من الجهة القبلية والبحرية فتسير فيها السفن بأنواع البضائع والتجـارة . وكان يخرج من البحيرة عدة فروع منها ما هو للرى ومنها ماهو للملاحة والرى معا ، ويقول المقريزى (١) ان الماء كان يصل الى البحيرة عن طريق خليج الحافر ، ولا تختلف سعة البحيرة الآن عما كانت عليه قديما الا أن السفن لا تجرى فيها بكثرة كما كان الحال فى العصور السابقة . وكانت البحيرة تجف فى بعض الأحيان ، كما حدث سنة ١٨٠١ م (٢) حين جفت جفافا تاما ، ثم ملئت بالمياه المالحة الواردة من قطع (أبو قير) . فقد حدث عندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر أن حاصر الأسطول الانجليزى شواطىء الاسكندرية ورابطـوا فى منطقة (أبو قير) وعمدوا الى قطع جسر بحيرة المعدية بقصد منع الامدادات والذخيرة التى كانت تأتى للجيش الفرنسى من القاهرة ، فامتلأت البحـيرة بالماء المالح ودخل فيها كثير من السفن الانجليزية . ولما رحل الجيش الفرنسى والأسطول الانجليزى عن مصر سـدالقطع فجفت البحيرة قليلا . وفى سنـة

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٢٧٣ .
(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٥ ص ٤١ .

القاهرة ، فامتلأت البحيرة بالماء المالح ودخل فيها كثير من السفن الانجليزية . ولما رحل الجيش الفرنسي والأسطول الانجليزى عن مصر سد القطع فجفت البحيرة قليلا . وفى سنة ١٨٠٧ قطع الانجليز السد مرة ثانية بعد انهزامهم فى موقعة رشيد ، وبعد خروجهم من مصر سد القطع مرة أخرى وبقى على ذلك حتى الآن .

وذكر استرابون أنه كان يوجد بالبحيرة ثمانى جزر والمعروف منها الآن سبعة الأولى جزيرة الطفلة والثانية يقال لها كوم المحار وكوم المخرز والثالثة تسمى جزيرة السعران وهى تجاه كفر الدوار وينضم اليها كوم الويلى وكوم العبسة وقد دلت آثارها على أنها كانت أكبر الجزائر ، والرابعة تقع تجاه بركة أبى الخير على يمين المتوجه الى الاسكندرية . أما الجزر الثلاث الباقية فتقع فى المكان المعروف باسم ذراع البحر .

وعلى البحيرة توجد مدينة مريوط ، وهى من المدن القديمة فقد ذكرها هيرودوت كما ذكرها مؤرخو العرب ، وتقع بالقرب من الاسكندرية وموضعها الآن فى مواجهة بركة الشيخ أبى الخير . وكانت المدينة من أهم المراكز التجارية ، كما أنها كانت تقع فى منطقة استراتيجية هامة بالنسبة لمدينة الاسكندرية ، فقد مر بها قيصر الروم كما مر بها عمرو بن العاص عند توجهه لفتح الاسكندرية ، وفى القرن التاسع عشر كانت الطريق الذى سلكته جيوش الحملة الفرنسية فى طريقها من الاسكندرية الى القاهرة .

ترعة الاسكندرية

كانت ترعة الاسكندرية (١) تمر فى خط يكاد يكون هو خط ترعة المحمودية الحالية ، وعند حجر النوتية تقريبا كانت تتفرع الى فرعين ، فرع منها واسمه ترعة كانوب وكان يمتد بمحاذاة شاطىء البحر الأبيض ليغذى مدينة كانوب ، وهى مدينة أبو قير ، التى سميت بهذا الاسم لأن رفات الانبا كير نقلت ودفنت بها ، وذلك فى القرن (١٥م) . والفرع الثانى يمتد الى الاسكندرية وكان اسمه ترعة الاسكندرية . وكانت هذه الترعة

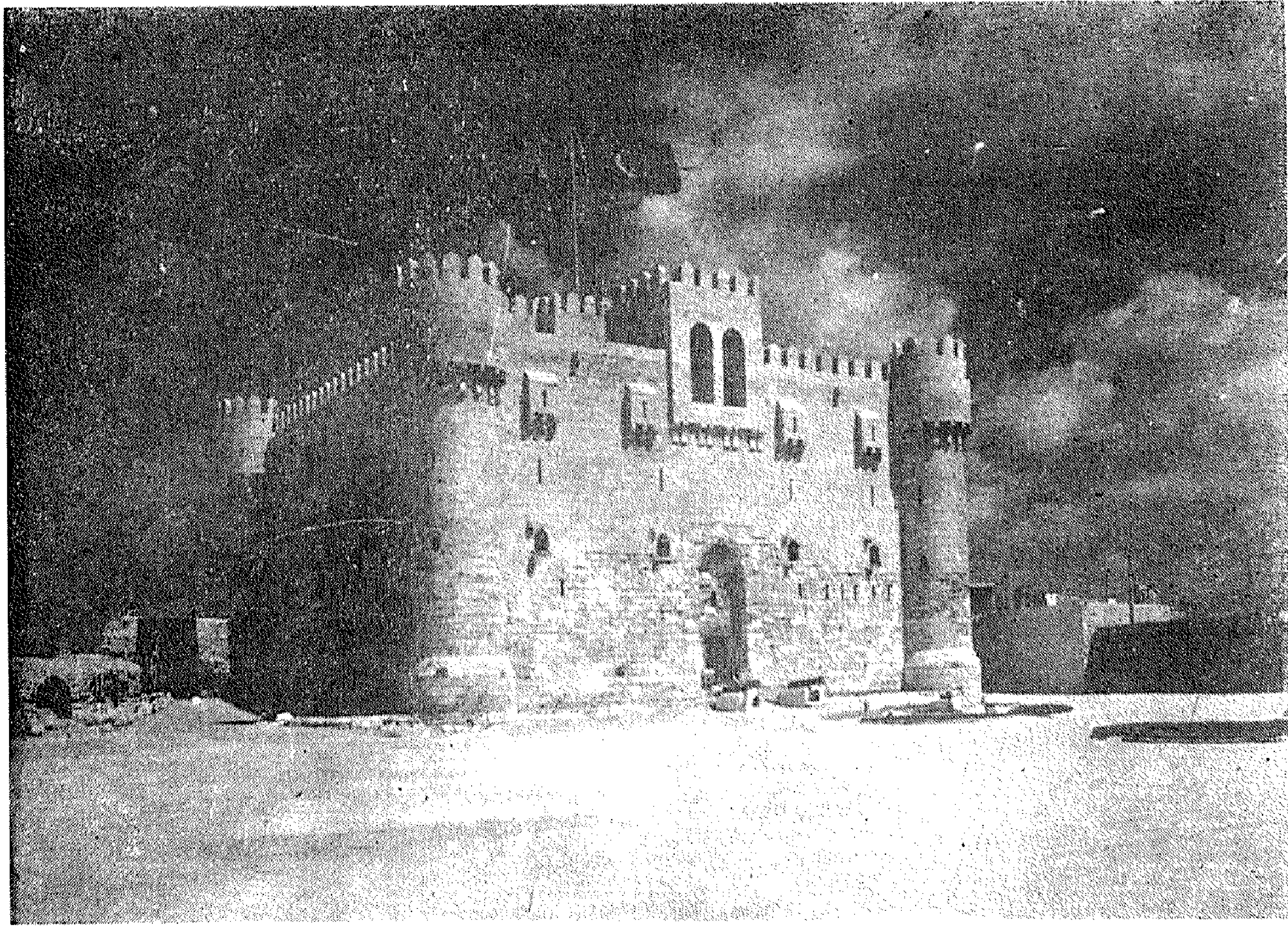
(١) المقريزى جـ ١ ص ٢٧٣ .



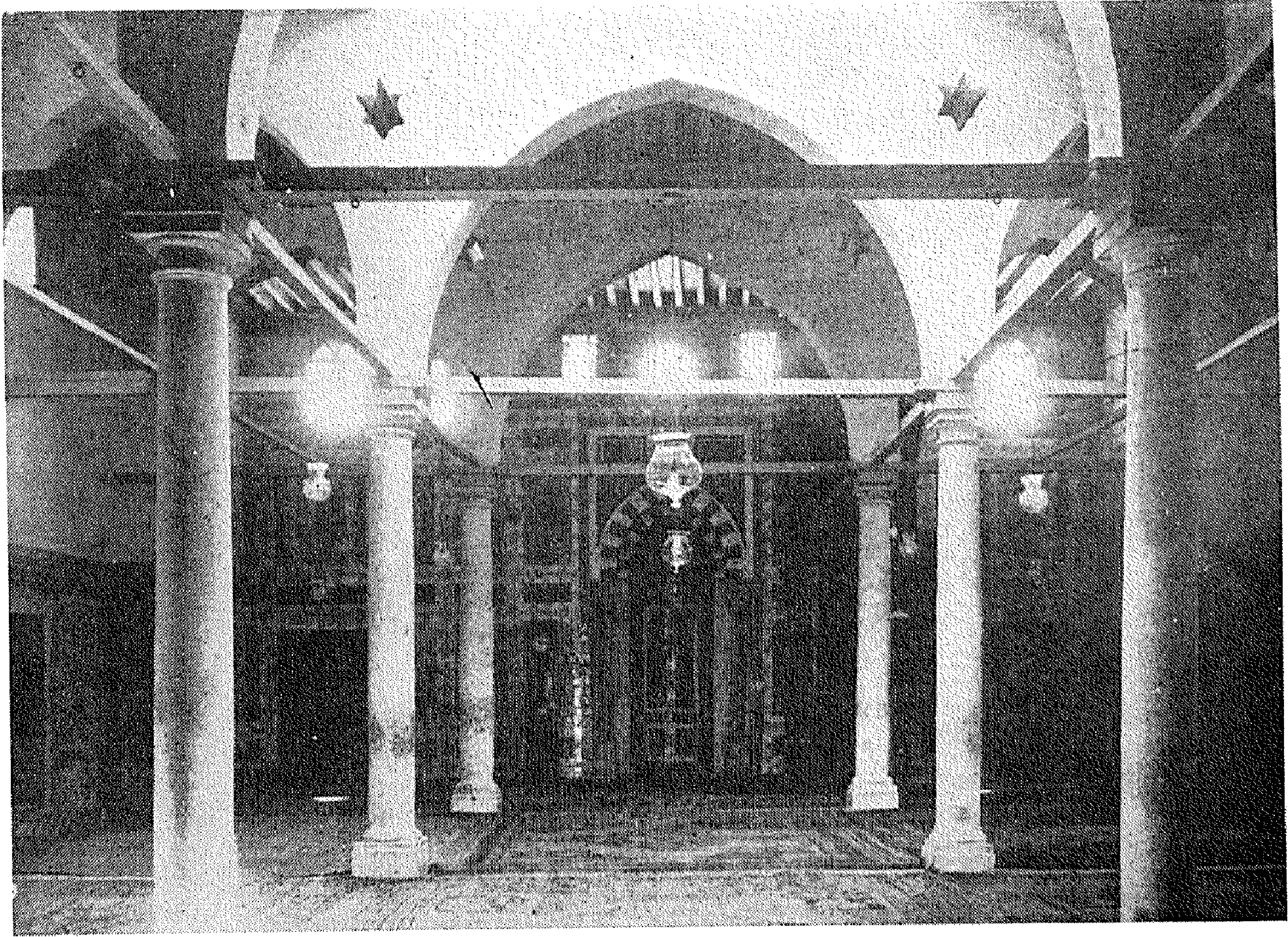
لوحة رقم (٨٠) تبين مسجد العطارين بمدينة الاسكندرية



لوحة رقم (٨١) تبين قاعة المنارة بمسجد العطارين وقد ظهر فيها اللوحة التاسيسية التى جـاء فيها ان بدرالدين الجمالى وزير الخليفـة المستنصر بالله الفاطمى جدد المسـجد سنة ٤٧٧ هـ



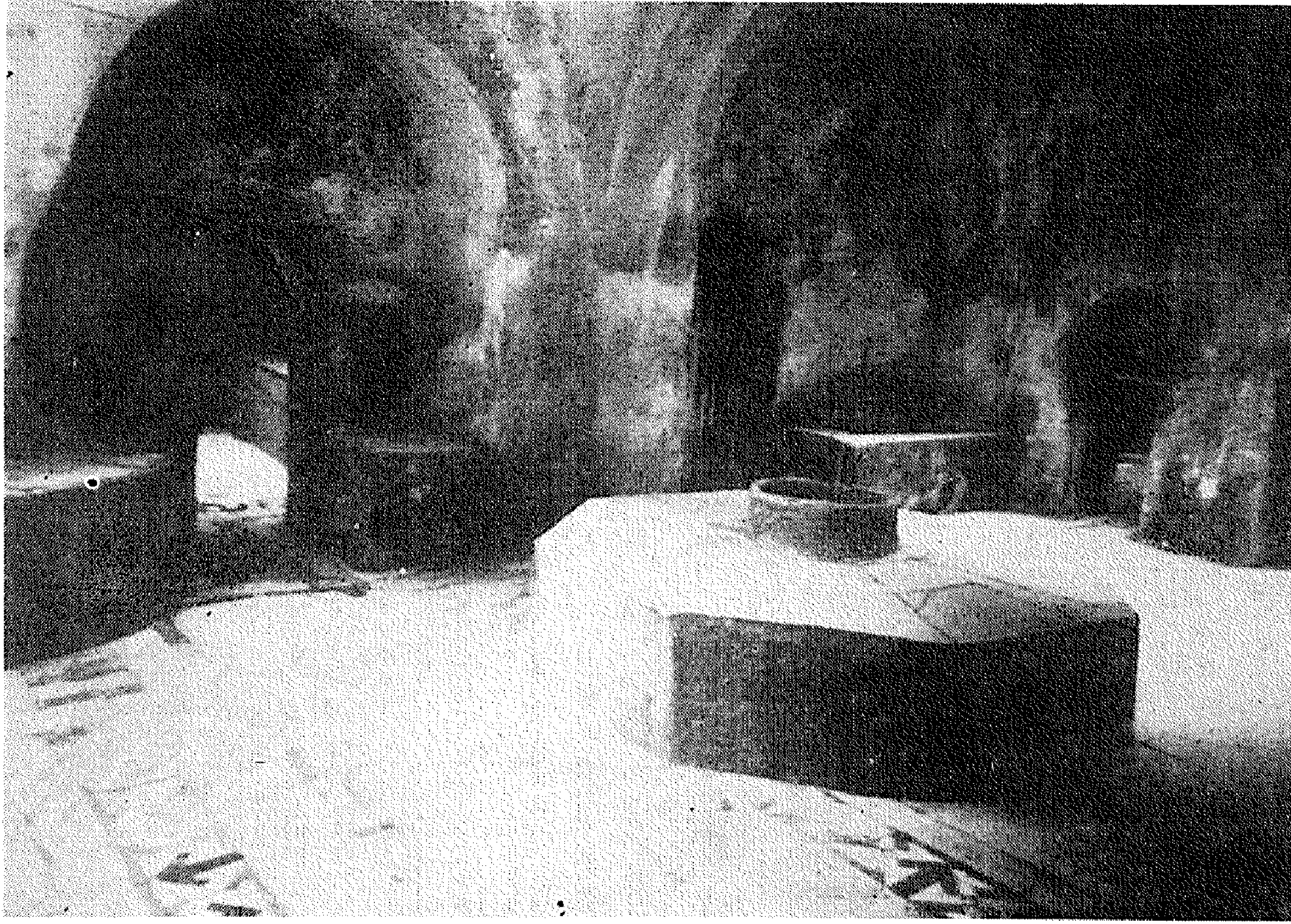
لوحة رقم (٨٢) تبين المنظر العام لمسجد قلعة قايتباى بالاسكندرية



لوحة رقم (٨٣) تبين رواق القبلة بمسجد الشوربجي بالاسكندرية



لوحة رقم (٨٤) تبين وكالة الشوربجى بالاسكندرية



لوحة رقم (٨٥) تبين حمام الذهب بمدينة الاسكندرية

الأخيرة تدور حول المدينة من الجنوب وتصب فى ميناء كيبوتوس الداخلية بالقرب من مصب ترعة المحمودية الحالى ، كما كان لها فرع آخر يصب فى الميناء الشرقى ، وكان هذا الفرع يمـــــر فى خط يكاد يكون هو خط ترعة الفرخة الحالية التى تغذى المدينة الحديثة بمياه الشرب .

وكانت ترعة الاسكندرية دائما محل عناية ورعاية جميع الملوك والولاة الذين توالوا على حكم مصر فى العصر البطلمى والرومانى والاسلامى . ولكن الثورات والفتن التى سادت مدينة الاسكندرية فى العصر الاســـلامى والتى انتهت بطمى فرع النيل الكانوبى فى القرن الثـــانى عشر الميلادى وعجـــز الحكومة عن كسح هذا الطمى ومداومة أعمال الصيانة ، كل هـــذه العوامل أدت الى ردم ترعة الاسكندرية . وفى العصر المملوكى أعاد السلطان الأشرف فتح ترعةالاسكندرية وأصلحها وأطلق عليها اسم الترعةالأشرفية ، وجعل فمها عند مدينة الرحمانية . وبعد انقضاء العصر المملوكى أهملت الترعة الأشرفية فردمت مرة أخرى ، وبقى الحال على ذلك حتى كان سنة ١٨١٧ فأنشئت ترعة المحمودية فى نفس مكان ترعة الاسكندرية تقريبا . وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى السلطان محمود العثمانى ، وكان الغرض من انشاء هذه الترعة هو امداد المدينة بمياه النيل للشرب ، وايجاد طريق ملاحى بين الاسكندرية وباقى أنحاء القطر .

محافظة دمياط

مدينة دمياط من ثغور مصر القديمة على الشاطىء الشرقى لفرع النيل المعروف بفرع دمياط ، وبينها وبين مصب هذا الفرع فى البحر الأبيض ١٥ كيلو مترا واسمها القبطى (Tamiat) ومنه اسمها العربى .

وكانت دمياط القديمة تقع الى الشمال من دمياط الحالية ونقلت الى مكانها الحالى منذ سنة ٦٣٣هـ . وهى من المحافظات القديمة التى تولى ادارتها محافظ باعتبار أنها من الثغور التى أنشئت سنة ١٨١٠م . وفى سنة ١٩٠٦ ألغيت محافظة دمياط وألغى مركز فارسكور وضمت بلاده الى دمياط وجعلت مركزا واحدا باسم مركز دمياط وقاعدته مدينة دمياط ، ولكن هذا التغيير لم يدم طويلا ففى سنة ١٩٠٩ أعيدت محافظة دمياط وجعلت فارسكور (١) قاعدة له .

وقد خضعت مدينة دمياط للحكم الاسلامى منذ فتح العرب مصر ، فقد ورد فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى : لما فتح عمرو بن العاص الفسطاط وجه عمير بن وهب الجمحى الى تنيس ودمياط وتونه ودميره وشطا ودقهلية وتبا وبوصير ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط .

ومنذ أن دخل العرب مصر ، أخذت بعض القبائل العربية تنزح اليها لاستيطانها وكان بعضهم قد قدم مع عمرو بن العاص . وجاء البعض الآخر بعد ذلك وكانت لهم عدة اقطاعيات فى جميع الولايات والأعمال . فانتقلت بطون من قريش ، ومنهم قوم من نصر بن معاوية من هوزان ، وسكن حول دمياط وتنيس ، ونزل بنو نصر فى وسط الدلتا . ومنذ سنة ٦٤٢م بدأت دمياط تتعرف الى العرب المهاجرين اليها من شبه الجزيرة العربية ، والى المرابطين

---

(١) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٨ .

من رجال الجيش الفاتح ، كما بدأت بناية المساجد بها ، (ولا يزال يوجد بدمياط اليوم مسجد قديم يسمى جامع فاتح ، يقال أنه يرجع الى عهد عمرو ابن العاص ، جدد عدة مرات فاندثرت معالمه الأثرية) . على أنه من الواضح أن العرب لم يجدوا فى دمياط وتنيس وسائر جزر بحيرة المنزلة ما يرغبهم فى الهجرة اليها فى جموع كثيرة ، ولعل ذلك راجع الى اشتغال أهلها بالملاحة والصناعة وهى حرف تركها العرب لأربابها ، جريا على السياسة التى استنوها لأنفسهم ، وهى ترك الحرف والصناعة والادارة فى أيدى أهلها وأن يتولوا هم الاشراف والحرب ، ولذلك فقد ظلت أكثرية أهل دمياط حتى القرن العاشر الميلادى من القبط . وشملت كورة دمياط مثلثا شماليا يشطره فرع دمياط شطرين ويحده البحر الأبيض المتوسط من شماله وجانبه ، فكانت بذلك تشمل مساحة من محافظتى الدقهلية والغربية الحاليتين . وكان يدخل فى زمامها من البلدان ، شطا وبورة البستان ، وفى شرقها كورة تنيس وحاضرتها مدينة تنيس ببحيرة المنزلة والى غربها كورة البجوم وجنوبها كورة دقهلة ، وقد ظل هذا التقسيم الادارى على حاله حتى أوائل العصر الفاطمى .

وقد لاقت مدينة دمياط الشىء الكثير من غارات الروم المدمرة المتوالية وكانت أولاها سنة (٩٠) هـ والثانية سنة ١٢١هـ . ويصف المقريزى (١) الغارة الأولى بقوله : وما زالت مدينة دمياط بين المسلمين الى أن نزل عليها الروم فى سنة ٩٠هـ فأسروا خالد بن كيسان (واليها من قبل الدولة الأموية) وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم ، فانفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التى كانت بينه وبين الروم » .

وعلى الرغم من فشل الدولة الرومانية فى هذه الحملة ، الا ان أساطيلها عادت ثانية الى دمياط بعد نحو ثلاثين سنة فى خلافة هشام بن عبد الملك وقد جاء فى خطط المقريزى أن مراكب الروم كانت ثلاثمائة وستين مركبا وأنهم قتلوا وسبوا وذلك فى سنة ١٢١هـ .ويرجع السبب فى هذه الغارات التى كانت تشنها الدولة الرومانية الشرقية بين الحين والحين الى أنها لم

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٣٤٤ .

تنس منذ أن أخرجت من مصر ، أنها فقدت أكبر ولاياتها وأكثرها خيرا . فظلت تتطلع الى استردادها ، فكانت محاولتها الأولى فى القرن السابع الميلادى بعد الفتح ثم أغار أسطولهم مرتين على دمياط فى القرن الثامن الميلادى . ثم عادوا فغاروا عليها ثلاث مرات فى القرن التاسع ومرة أخرى فى القرن العاشر ، وانتهت تلك الغارات كلها بالفشل . ولكنها أدت الى عناية الخلفاء وولاة مصر بتحصين الموانى وتزويدها بالحاميات المرابطة .

وفى القرن التاسع الميلادى ، فى عهد الدولة العباسية ، قسم الوجه البحرى الى ثلاثة أقاليم بدلا من الاقليمين الكبيرين (وهما الحوف والريف) ففصل من الحوف بعض الكور وأطلقوا عليها اسم (الحوف الشرقى) ، وكذلك فصلت بعض الكور من شرق الريف وأطلقوا عليها اسم (الحوف الغربى)ثم ضم ما فصل من الحوف والريف وجعل منه اقليما ثالثا ، عرف باسم (بطن الريف) وكانت كورة دمياط جزءا من بطن الريف . ثم عادوا فقسموا بطن الريف الى قسمين سمى الشرقى منهما باسم بطن الريف ، وأما الغربى فسمى (الجزيرة) وبقيت دمياط كما كانت جزءا من بطن الريف (١) .

ولما تولت الدولة الفاطمية كان أول ما وجهت اليه عنايتها بعد استقرار الأمور ، هو وضع نظام جديد للضرائب ، وتحصيل ما تأخر منها . فقد جمع من دمياط وتنيس والاشمونين فى يوم واحد من سنة ٩٧٣م أكثر من مائتين وعشرين ألف دينار ، وذلك أمر لم تعهده مصر من قبل . وقد أدت حالة الهدوء والاستقرار التى نعمت بها البلاد فى العصر الفاطمى الى ازدهار الصناعة والتجارة ولا سيما فى المدن العريقة كدمياط ومدن بحيرة المنزلة ، التى اشتهرت منذ أقدم العصور بصناعة المنسوجات الجميلة ، والتى أفرد لها كل من تكلم عن مصر من مؤرخى العصور الوسطى صفحات طوال يعددفيها أنواع منسوجات دمياط وخاماتها وطرزها . وأثمانها وما الى ذلك .

ذكر المقدسى (٢) ، وأما الثياب الشطوية (شطا قرية بين دمياط وتنيس) فلا يمكن أن ينسج منها شىء الا بعد ما يختم عليها بختم السلطان ، ولا تباع

(١) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٨ .
(٢) المقدسى ص ١٩٥ .

الا على يد سماسرة قد عقدت عليهم ، وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ، ثم تحمل الى من يطويها ، ثم الى من يشدها بالقشر ، ثم الى من يشدها بالسنط ، والى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم يأخذه ، وكل واحد يكتب على السفط علامته ، ثم تفتش المراكب عند اقلاعها . ويتحدث ابن حوقل عن دمياط وبحيرتها عام ٩٧٦م فيقول : ومن جليل مدن مصر تنيس ودمياط ، وهما مدينتان لا زرع فيهما ولا ضرع لأنهما جزيرتان في وجه النيل ، غربهما وجنوبهما وشرقيهما وشمالهما البحر ، وبهما يتخذ رفيع الدبيقي والشرب ، والمصبغات من الحلل السنية التى ليس في جميع الأرض مايدانيها في الحسن والقيمة ، وربما بلغ الثوب من ثيابهم مائتى دينار اذا كان فيه ذهب ومالا فيه يبلغ المائة دينار ، وأصلها من الكتان . كذلك وردت أسماء مدن وقرى كثيرة تابعة لناحية دمياط ، اشتهرت بصناعة المنسوجات ، مثل دبيق وتونة وميرة وغيرها من مدن جزائر بحيرة المنزلة . فيذكر الكندى(٢) أنه كان يصنع هناك (بناحية دمياط) الكتان الدبيقى والمقصور والشفاف والأردية وأصناف المناديل الفاخرة للأبدان ، والأرجل والمخاد والفرش المقلم والطراز ويبلغ الثوب المقصور منها خمسمائة دينار وأقل وأكثر .

ولم تقتصر نهضة دمياط وكورها في العصر الفاطمى على الناحية الفنية والصناعية فحسب ، بل شملت كذلك الناحية الثقافية ، فقد كانت مساجد دمياط حافلة بطلاب العلوم الدينية وبالزوار من الفقهاء والشعراء والكتاب ، الذين سجل بعضهم مشاهداته كما فعل شمس الدين المقدسى في كتابه (أحسن التقاسيم) أو من القضاة مثل أحمد بن مطرف أبو الفتح العسقلانى الذى تولى القضاء في دمياط سنة ٤١٢هـ . ومن أدباء دمياط في القرن الثانى عشر الميلادى ، أشهر شعراء الدولة الفاطمية : ابن قادوس الدمياطى ، والأنبا ميخائيل أسقف دمياط في سنة ١١٨٤ م وله عدة مؤلفات أخلاقية ودينية .

وقبيل نهاية الدولة الفاطمية ، بدأت دمياط فترة جديدة في تاريخها الاسلامى ، هى فترة الجهاد ضد الحروب الصليبية ، فقد تعرضت دمياط لغزو

---

(١) ابن حوقل ص ٢٣٧ .

(٢) الكندى ص ١٧ .

روجر ملك صقلية سنة ١١٥٥م ، فى عهد الخليفة الفائز الفاطمى ووزيره ابن زريك ، ولم تمنع أسوار دمياط أو حصنها الذى بنـــاه المتوكل من اقتحام روجر لها لضعف الحامية ، وعلى الرغم من ذلك فانه لم يستطع البقاء فيهـا طويلا وانسحب . وفى سنة ١١٧٠ عاود الصليبيون الكرة مرة أخـرى ، فقد أرسل امبراطور القسطنطينية أسطولا لحصار دميـــاط تمهيدا لفتح مصر ، فاستنجد الخليفة العاضد ، (آخر خلفـــاء الفاطميين) بنور الدين زنكى ، فأرسل اليه جيشا بقيادة أســد الدين شيركوه وابن اخيه صـــلاح الدين الأيوبى . ولما علم بذلك الفرنج وهم حول دمياط خشوا على أملاكهم التى استولى عليها على سواحل الشام ، من غزو نور الدين فاضطروا الى الرحيل عن دمياط ، بعد أن غرق لهم عدد من المراكب وتفشى بينهم المرض . ويروى المقريزى أن صلاح الدين انفق على صد هذه الحملة أكثر من نصف مليون دينار .

ولما استقل صـــلاح الدين بحكم مصر ، وكانت الأنبـــاء قد وصلت باستعداد جديد للفرنج لغزو دمياط ، أمر بتحصين قلعة تنيس وأســوارها ، وترميم سور دمياط وتزويد برجيها بالمقاتلة . وفى سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) سار صلاح الدين الى دمياط ليشرف بنفسه على اصلاح ســورها وأبراجها وسلسلتها ، وقبل وفاته بعام واحد (٥٨٨هـ ــ ١١٩٢م) أمر السلطان صلاح الدين باخلاء مدينة تنيس ونقل أهلها الى دمياط وقطع أشـــجار وبساتين دمياط وأخرج النساء منها ثم حفر خندقا حول دميـــــاط وأنشأ جسرا عند السلسلة لوصل البرج بها . وخلت تنيس الا من المقــاتلة وانتقلت مناسجها وصناعها الى دمياط ورحل بعضهم الى المحلة الكبرى وكانت هـــذه الهجرة مقدمة للضربة القاصمة التى حلت بهـــذه المدينة عندما أمر الملك الكامل ابن العادل سنة ١٢٢٨ م بهدمها فزالت من الوجود حتى لا تقع فى أيدى الصليبيين الذين ظلوا يهددونها عدة قرون .

ولما اتضح للصليبيين من انتصارات صلاح الدين عليهم فى الشـــام واستعادته لبيت المقدس وغيره من المدن ، أن مصر هى حصن الاسلام ومورد الرجال والسلاح ، قرروا فى سنة ١٢١٨م الذهاب الى دمياط للاستيلاء عليها

على اعتبار أنها مفتاح مصر وقلعتها الأمامية ، فاستولوا عليها وظلوا بها ستة عشر شهرا ، ولكنهم اضطروا أخيرا للرحيل عنها سنة ١٢٢١م بعـد أن عقدوا الصلح مع السلطان الكامل . وعاد الصليبيون بعـد ثلاثين سنة يحاولون الاستيلاء على مصر تمهيدا للاستيلاء على بيت المقدس وبلاد الشام ، فجاءت حملة لويس التاسع سنة ١٢٤٩م الى دمياط ، وانتهت هـذه الحملة بالفشل الذريع وأسر فيها لويس التاسع وأنزلوه دار ابن لقمان فى المنصورة ولم يفك أسره الا بعد دفع فدية كبيرة ، وخرجت آخر فلول هذه الحملة من مصر فى مايو سنة ١٢٥٠م . وكان من أثر هذه الحملات المستمرة على دميـاط والتى انتهت بغزوة لويس التاسع أن تخربت المدينة ، مما دعا الى انشاء بليدة صغيرة بالقرب منها تسمى بالمنشية (١) وكانت مدينة ذات أسواق وحمامات وما زال بدمياط حتى اليوم حى بهذا الاسم يعرف بالقرية القديمة .

ولما تولى بيبرس البنداقدارى أمر الدولة المملوكية ، رأى أن دميـاط الجديدة لم تعد تحميها أسوار منيعة ، وا ن السلاسل الحديدية التى تعترض النهر لا تقوى وحدها على المقاومة فأمر فى سنة ١٢٦١م بسد مصب النيـل بالأحجار حتى لا تستطيع سفن الأعداء أن تعبر الى داخل البلاد . وكان من أعمال بيبرس المدنية أن اهتم بالطريق الزراعى الذى يصل دمياط بالقـاهرة وأنشأ به ست عشرة قنطرة ، كما نظم البريد على ظهور الابل والجيـاد . وكانت أهم الخطوط البريدية فى عصره ، الخط بين القاهرة ودميـاط وبين القاهرة وكل من أسوان والاسكندرية ، وكان يخرج البريد من دميـاط الى غزة ومنها تتفرع سائر خطوط البـريد فى بلاد الشـام وترسل المراسيم السلطانية الى أنحاء السلطنة . كما كانت هناك خطوط جوية بواسطة الحمام الزاجل . وكانت مدينة دمياط فى القرن الخامس عشر ملجأ للمهـاجرين من العراق بعد أن استولى عليها التتار . ويقول ابن اياس (٢): وكانوا (أهل العراق) يجتمعون ويترافقون ويخرجون من دمشق الى مصر ، فكان أكثرهم ينزل الى البحر ويجيء من جهة دمياط ويدخلون مصر وهم فى أتعس حال .

(١) معجم البلدان جـ ٤ ص ٨٥ .
(٢) ابن اياس جـ ٢ ص ٣٠ .

ويروى السيوطى (١) فى حوادث سنة ٨٢٨ هـ (١٤٢٥) فى أوائل حكم برسباى : وقع بدمياط حريق عظيم حتى احترق قدر ثلثها وهلك بها من الناس والدواب شىء كثير . ومن سلاطين المماليك الذين أقاموا بمدينة دمياط الملك المنصور ، الذى خلعه السلطان اينال (١٤٥٣ م) ونفاه الى الاسكندرية ، ثم نقله السلطان قايتباى مكرما الى دمياط وبقى بها حتى توفى سنة ١٤٨٧ حيث نقلت جثته الى القاهرة . وقد زار المؤرخ المشهور تقى الدين المقريزى دمياط فى القرن الخامس عشر ، ووصفها شعرا ونثرا فى خططه حيث أفرد لها فصلا شائقا ، وقد جمع هذا الفصل مجمل ما وقع لها من أحداث فى نحو عشرين صفحة وأشار الى المصادر التى نقل عنها ، ولكنه لم يفصل بين الحقيقة والخرافة .

ولما ضعفت دولة الشراكسة فى القرن السادس عشر ، أضحت دمياط منفى للمتمردين من المماليك ، وأهمل أمرها كما أهمل غيرها من الموانى ووقفت حركة التصدير والتوريد نتيجة لفرض الضرائب الباهظة ولانتشار الظلم وعبث القراصنة الأجانب بالشواطىء ، وظلت كذلك حتى دخل العثمانيون مصر واستولوا عليها سنة ١٥١٧ م .

وقد عانت دمياط فى العصر العثمانى ما عانته البلاد كافة ، ولكنها كانت نسبيا بمنأى عن الفتن وتقاتل المماليك وأحزابهم ، والصراع بين الهيئات الثلاث الحاكمة ، (وهى الوالى والديوان والمماليك) ، ولهذا انصرفت الى تجارتها وصناعاتها بالرغم من تدهور الأحوال الاقتصادية ، نسبيا نتيجة لاهمال أمر الميناء وانسداده بالرمال ، ومع كل هذا فان الحركة التجارية فى الميناء لم تنقطع ، فقد كان يصدر منها الأرز والمنسوجات والقمح والبطارخ والملح ، كما كانت ترد اليها السفن محملة بالأخشاب والصابون والتبغ والفواكه والنقل .

ولما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر سنة ١٧٩٨م ، أدلت دمياط بدلوها فى الدفاع عن كيانها ، والذود عن استقلالها ، ولكنها اضطرت فى النهاية الى

---

(١) السيوطى ص ٦٦ .

التسليم سنة ١٨٠٠ . وبدأ نابليون فى تحصين منطقة دمياط وانشاء القلاع بها ، ويحدثنا على مبارك (١) فى خططه عن الحصون التى أنشأتها الحملة الفرنسية فى دمياط وما تبقى منها فى عصره فيقول : ان قلعة البوغاز الكبرى أنشئت زمن دخول الفرنساوية فى القرى القديمة المسماة بعزبة البرج ، التى هدمها بونابرت لقيام أهلها ليلا على عساكره وذبحوا منهم جملة ، وبنى بأنقاضها تلك البقعة ، ولم يبق من آثارها الا الجامع الذى بوسطها ومنزل صغير . وفى جهتى البوغاز شرقا وغربا ، قلعتان أنشئتا فى زمن الفرنساوية بصورة الاستحكامات الدائمة . وقد تولى الجنرال كليبر الاشراف على تحصين دمياط خشية استيلاء الانجليز أو العثمانيين عليها .

وكانت دمياط يوم تولى محمد على الحكم سنة ١٨٠٥ أهم الثغور المصرية وأعظمها تجارة بل انها كانت أعظم من الاسكندرية شأنا ، فلما أصلح ميناء الاسكندرية وحفرت ترعة المحمودية ، أخذت السفن التجارية الكبرى تفد اليها ، وكان من نتيجة هذه المشروعات عودة العمران والحركة التجارية الى الاسكندرية ، والقضاء على معظم تجارة دمياط ورشيد ، وأصبحت تجارة دمياط مقصورة على ما تحمله اليها المراكب الشراعية التى تقف خارج البوغاز المسدود بالرمال . وقد زاد فى اهمال ثغر دمياط انشاء الخط الحديدى بين الاسكندرية والقاهرة ، فأصبحت الاسكندرية ميناء مصر الأول ، كما زاد فى أضعاف شأن ميناء دمياط انشاء بور سعيد عند مدخل قناة السويس . كذلك كان لانشاء الخط الحديدى الذى وصل بين مدن فلسطين وبين القنطرة عن طريق العريش ، أثر ملحوظ فيما أصاب ميناء دمياط من الاهمال واضعاف حركته التجارية والعمرانية .

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٠ ص ٧٧ .

الآثار الباقية

مسجد أبو المعاطى : (لوحة رقم ٨٦)

يعتبر هذا المسجد أقدم مساجد دمياط واكبرها اذ تبلغ مساحته (٦٠) مترا طولا فى ٥٤ مترا عرضا هذا بخلاف المحلات التى ادخلت فيه بعد انشائه . وقد بنيت جدران المسجد الأربعة بحيث تواجه الجهات الأصلية مواجهة تامة دون احراف ، ولذلك جاءت قبلته فى وضع غريب فى الزاوية القبليه الشرقيه الحادثه من تقابل الضلع القبلى والضلع الشرقى لهذا المسجد وهذا أمر نادر الحدوث .

ويتكون المسجد من قبة فى الوسط حيث يوجد مدفن سيدى أبو المعاطى ، وبعض المدافن الأخرى ، ثم يحيط بالقبة أربعة ايوانات ، القبلى منها يحتوى على أربعة بوائك والشرقى والغربى لكل منهما ثلاثة بوائك ، أما الايوان الشمالى فلا يوجد به بوائك . على أن أعمدة هذه البوائك متعددة الأشكال ومختلفة الاطوال ، كما ان العقود غير منتظمة مما يدل على كثرة الاصلاحات والتجديدات التى تمت بهذا المسجد . ويوجد بالمسجد بعض الكتابات التذكارية التى تثبت بعض هذه التجديدات ، كما هو الحال فى الأفريز الخشبى الذى يحيط بالقاعةالتى تواجه الباب الغربى ، فقد كتب عليه تاريخ احدى العمارات التى تمتسنة ١٠٧٢ هـ . وبالقرب من الباب الغربى يوجد مئذنة المسجد وهى مبنية من الحجر وكذا المسجد كله . وكان المسجد يحتوى على مائة وستين وعمودا وباق منها الآن (١٤٤) عمودا .

مسجد المعينى : (لوحة رقم ٨٧ ، ٨٨)

ينسب هذا المسجد الى محمد بن محمد ، الملقب معين الدين الفارسكورى الأصل ، الدمياطى المولد والدار المتوفى سنة ٨٦٠ هـ .

وكان معين الدين من كبار تجار دمياط ، وكان ابوه مشرفا على قاعدة تجار دمياط كما كان ينوب عن قضاتها . وقد بنى بدمياط كثيرا من العمائر أهمها المسجد والمدرسة المعروفين باسمه . وجاء فى الخطط التوفيقية أنه كان مولى جوهر المعينى (١) .

مسجد البحر : (لوحة رقم ٨٩)

وهو من المساجد الكبيرة بمدينة دمياط وسمى كذلك لوقوعه على فرع دمياط مباشرة . ويدل أسلوب عمارته على أنه بنى فى العصر العثمانى .

وكالة وقف الأقباط :

تقع هذه الوكالة بشارع الأمير فاروق ، وهى تتبع البطريكية ،وكانت معدة لنزول الاحباش الوفدين على مصر فى طريقهم الى الحج الى بيت المقدس . ويدل طرازها المعمارى على أنها انشئت فى القرن الثامن عشر . وتتكون الوكالة من فناء مستطيل تحيط به عقود ترتكز على كوابيل جميلة ، وغرفها مغطاه باقباء متقاطعة ، وعلى الجملة فالوكالة بحالة لا بأس بها .

ومن الوكائل التى كانت تزخر بها مدينة دمياط على اعتبار انها ثغر ، وكالة وقف خفاجة .

مسجد البدرى :

انشأه الخواجه محمد والخواجه ابراهيم اولاد المرحوم يوسف خفاجى سنة ١١٠٦ هـ ، الا أن المسجد القديم تهدم وجددته وزارة الأوقاف سنة ١٩٣٦ . ويقع المسجد فى وسط المدينة ، وتعلوه منارة شاهقة الارتفاع مكونة من ثلاث دورات متناسبة الابعاد ، يراها القادم على المدينة سواء أكان من النيل أو من البر ، وكأنها منارة تهديه السبيل .

مسجد المدبولى :

جاء فى الخطط التوفيقية (٢) « جامع المتبولى وهو المدرسة المتبوليه التى أنشأها قايتباى لسيدى ابراهيم المتبولى بعد الستمائة (٣) من الهجرة » .

---

(١) على مبارك جـ ١١ ص ٥٥ .
(٢) المرجع السابق جـ ١١ ص ٥٢ .
(٣) اعتقد انه حدث خطأ مطبعى فى السنة ، فهى تسعمائة وليست ستمائة .

ولكن الطراز المعمارى للمسجد الحالى يدل على انه اعيد بناؤه فى العصر العثمانى فى القرن الثامن عشر . وقد وجدنا على باب المسجد تاريخ سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٤) مما يدل على انه جدد مرة ثانية فى القرن التاسع عشر .

زاوية الرضوانية :

يدل تصميم الزاوية على أنها كانت مدرسة لاحتوائها على ايوانات متقابلة ، وخلف الايوان الشرقى يوجد ضريح مقام عليه قبة ويكتنف القبة ايوانات . وقد زخرف القسم الشرقى بنقوش مذهبة وكتابات من آى ذكر الحكيم ، وبالمحراب بقايا من الفسيفساء الرخامية . واعتقادنا تهدم الجزء الشرقى ، وبقاء القسم الغربى فقط بحالة جيدة ، جعلهم يطلقون عليها اسم زاوية . ويعلو الباب لوح من الرخام عليه اسم المجدد ، الحاج رضوان سنة ١٠٣٩ هـ .

ضريح جمال الدين شيحه :

يقول على مبارك (١) : « علمت ان مدينة دمياط من أعظم الثغور الاسلامية بديار مصر فلذا تتوطنها وتقيم بها الاكابر والأعيان والأشراف والعلماء والصلحاء ومشايخ الطرق والسجادات ، وفيها مقامات كثيرة لأولياء الله تعالى المرابطين وغيرهم » ومن أهم هذه المقامات التى ما تزال باقية ضريح جمال الدين ، الذى يقع بالجبانة الى الغرب من جامع أبو المعاطى . والضريح عبارة عن مربع مكون من أربعة عقود سدت بحواجز من الخشب الخرط الجميل ، وتحمل العقود قبة صغيرة . ومما يسترعى النظر ان باب الضريح رصع بمجموعة من الأسلحه تبلغ العشر قطع ، ولعل معنى هذا انه كان مجاهدا اشترك فى الحروب الصليبيه التى غزت الساحل الشمالى لمصر وخاصة دمياط ، ولذا وضعت اسلحته على ضريحه ، أو لعلها اسلحة غيره من المجاهدين وضعت بعد وفاته وفاء لنذر .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١١ ص ٥٢ .

وبجوار الضريح يوجد قبر باسم الأمير أحمد بك بن الأمير محمد أغا عزبان المتوفى سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ م) ، ولعله هو الذى اعاد بنـــاء قبة ضريح الشيخ جمال الدين شيحه .

حمـــام القنطرة : (لوحة رقم ٩١)

ومن المنشـــآت التى نجدهـــا بكثرة فى مدينة دميـــاط وترجع الى العصر الاســـلامى ، الحمامات ، ومن أهمهـــا حمـــام القنطرة ويطلق عليه العامة الآن حمـــام النعيم • أنشىء فى العصر العثمـــانى فقـــد دون تاريخ الانشاء على لوحة تذكارية على مدخل الحمام تحتوى على أبيات من الشعر تضمنت اسم المنشىء (حسن) وتاريخ الانشاء سنة ١١٣٠ هـ = ١٧١٧ م .

ويتكون بيت الحراره من فسقيه فرشت ارضيتها من الفسيفســـاء الرخاميه ، ويحيط بالفسقية أربعة ايوانات كسيت جدرانها ببلاطات من القاشـــانى ، والرخام المجزع الجميل ، وبكل من هذه الايوانات خلوه . ويعلو الايوانات أقباء بها فتحات مســـتديره ملئت بزجـــاج ملو ن، وهو ما يعـــرف فى الفن الاسلامى باسم الشمسيات أو القمريات ، على اعتبار ان ضوء الشمس ينفذ خلال الفتحات الزجاجيه نهارا فيعكس الوانه المتعدده مما يضفى على الحمام جوا شاعريا جميلا ، أما فى الليل فينفذ منها ضوء القمر .

وفى الزاويه الغربيه القبليه يوجد المغطس الذى يصعد اليه بثـــلاث درجات ، وبداخل المغطس اثنى عشرة درجه .

سبيل أبو الطاسات : (لوحة رقم ٩٢)

ومن المنشآت المدنية ، فى دمياط ، السبل ، فقد جرت العادة فى العصر العثمانى من انشاء مبانى عامة فى الميادين يشغل الدور الأرضى منهـــا سبيل يستقى منه عابر السبيل ويعلوه كتاب لتعليم اليتامى القراءة وحفظ القرآن . ومن أهم أسبلة دمياط ، السبيل الذى انشأه حسن اغا محافظ دمياط سنة ١٢٣٨ = ١٨٢٢ م ، وهو يقع بالقرب من وكالة خفاجه .

الجامع الكبير بفارسكور : (لوحة زقم ٩٣)

فارسكور من القـــرى القديمة ، وردت فى معجـــم البلدان باســـم الفارسكر ، وقال اليعقوبى ، انها من قـــرى مصر قـــرب دمياط من قرى

الدقهلية . وقد انفصل مركـز فارسكور فى التقسيم الادارى الحديث عن محـافظة الدقهلية ، وأصبحت تابعـة لمحافظـة دميـاط .ومن أهـم الآثار التى ما تزال باقيه فيها ، المسجد الكبير الذى يطلق عليه أهلها اسـم الكوندكى ، وهو من أكبر مساجدها ، ويتكون من صحن كبير تحـيط به أربعة ايوانات وله بابان أحدهما شرقى والآخر شمالى . كما يمتاز المسـجد بمنارته الرشيقه التى تمثل الطراز المملوكى . ويرجع تاريخ المسجد الى القرن الرابع عشر كما هو ثابت من اللوحة الرخاميه المثبته على المحراب ، فقد نقش عليها مرسوم سلطانى هذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم (٢) قال الله جل ذكره ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا رسم (٣) المقر الأشرف العـالى السيفى قطلوبغا البدرى أمير مجلس الملكى المنصورى (٤) تقبـل الله عمله ان يرفع ما على عرضـه الغلال بناحية فارس كور الخـارجية فى اقطـاع المشار اليه من المكوس المأخوذه على سائر الحبوب الواصله اليها (٦) ويباع بها مما يزرع فيها ويكون ذلك مسطورا فى صحيفة المشار اليه بقـوله (٧) من استن سنة حسنه .. بتاريخ حادى عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة .

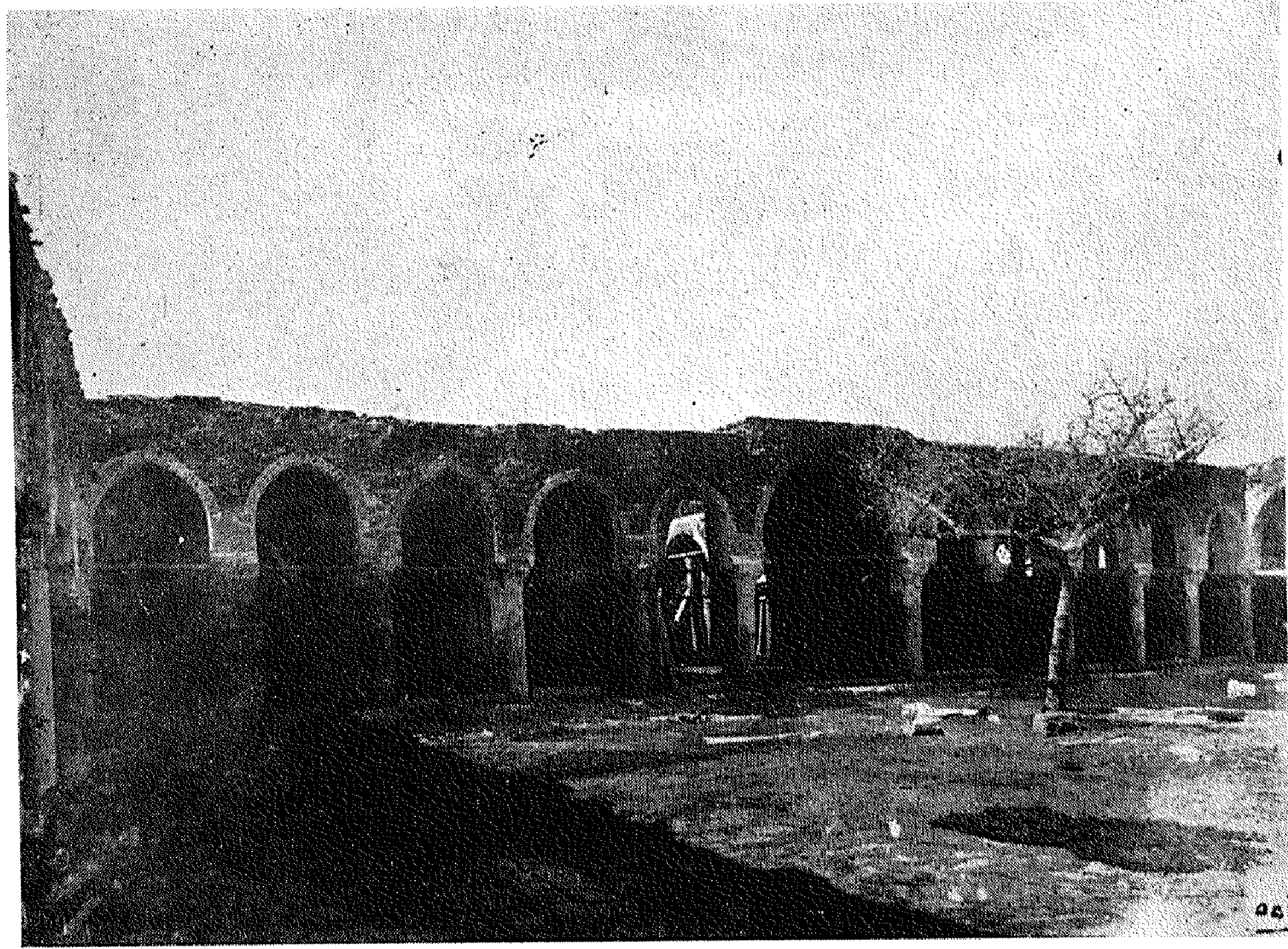
وقد جدد المسجد فيما بعد ، وكان ذلك فى العصر العثمانى فى القرن الثامن عشر الميلادى .

قبـة البـاز : (لوحة رقم ٩٤)

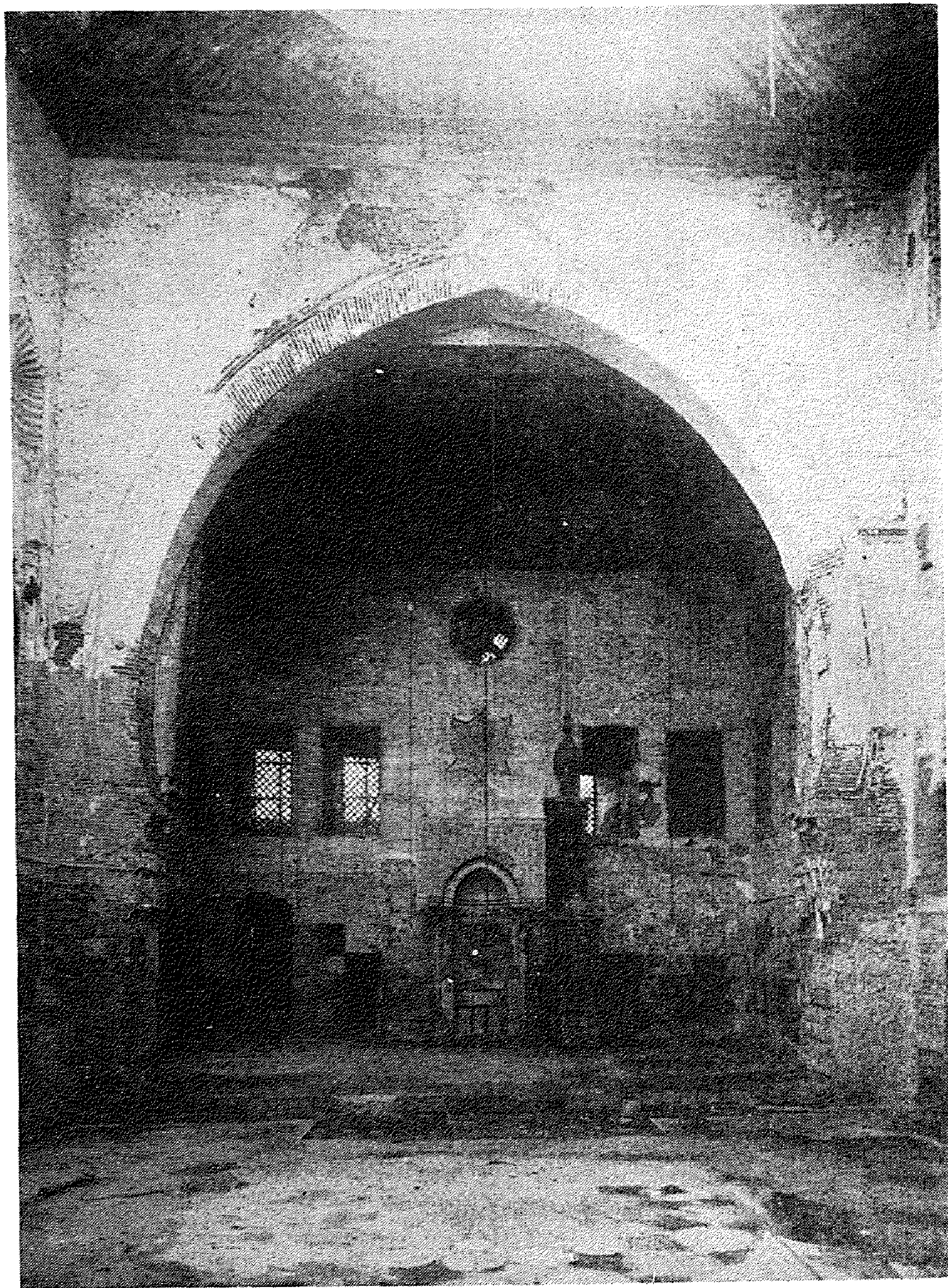
توجد هـذه القبة بكفر الباز من قرى فارسكور ، وهى قبة صغيرة مضلعة الشكل تشبه قبة الجعفرى بالقاهرة . وتقع القبة على شاطىء النيـل وترجع الى العصر العثمانى فى القرن الثـالث عشر الهجرى ، وهى محكمة البناء جميلة المنظر تدل على مهارة صانعها .

الجامع الحديدى :

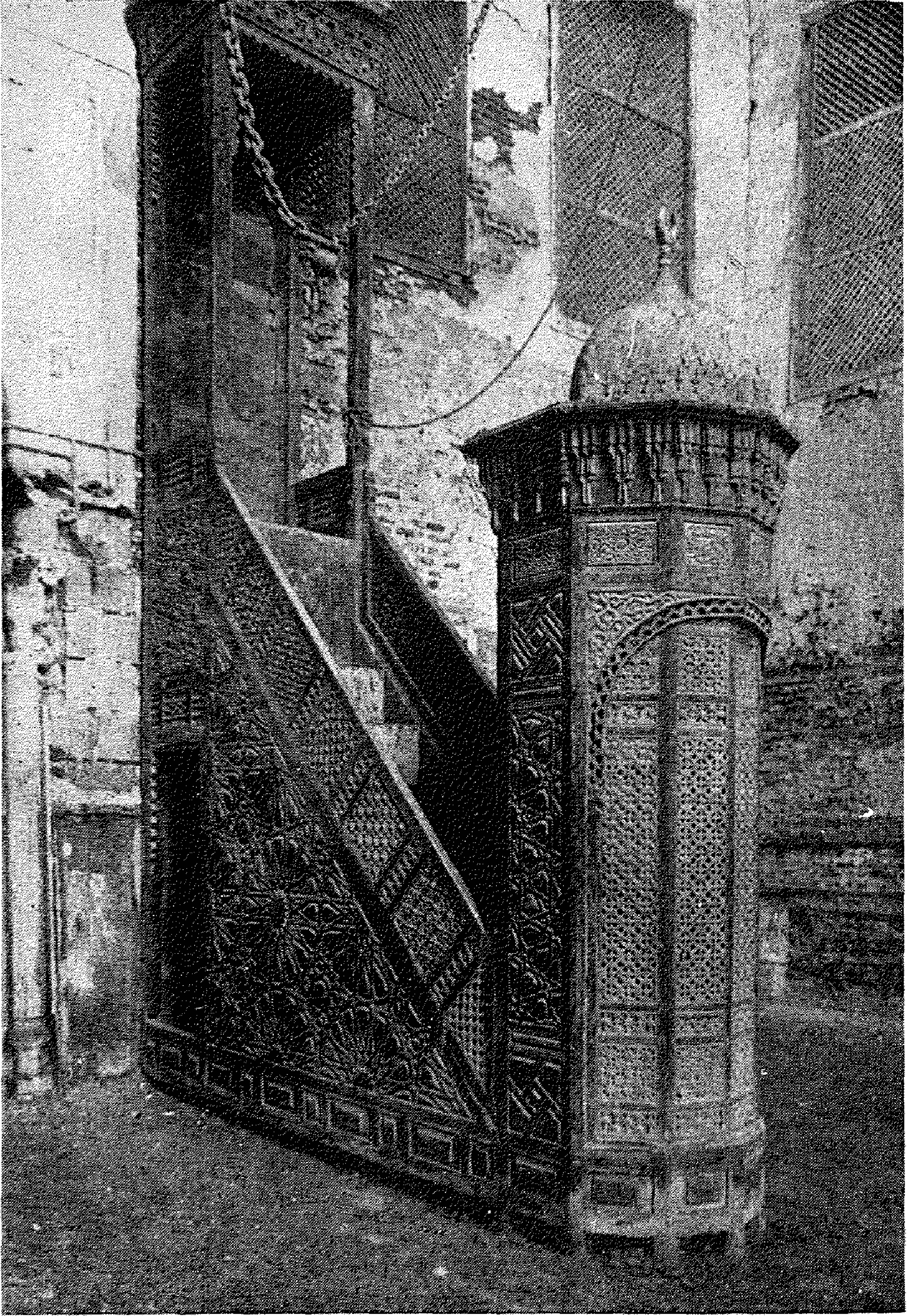
انشىء هذا الجامع سنة ١٢٠٠ هـ ، وملحق به قبة ، وبهذه القبة ايوان فى الجهة القبلية منها . وقد اعيد ترميم اجزاء كثيرة من المسجد ما عدا القبة والمئذنة التى تعلو الباب الغربى للمسجد .



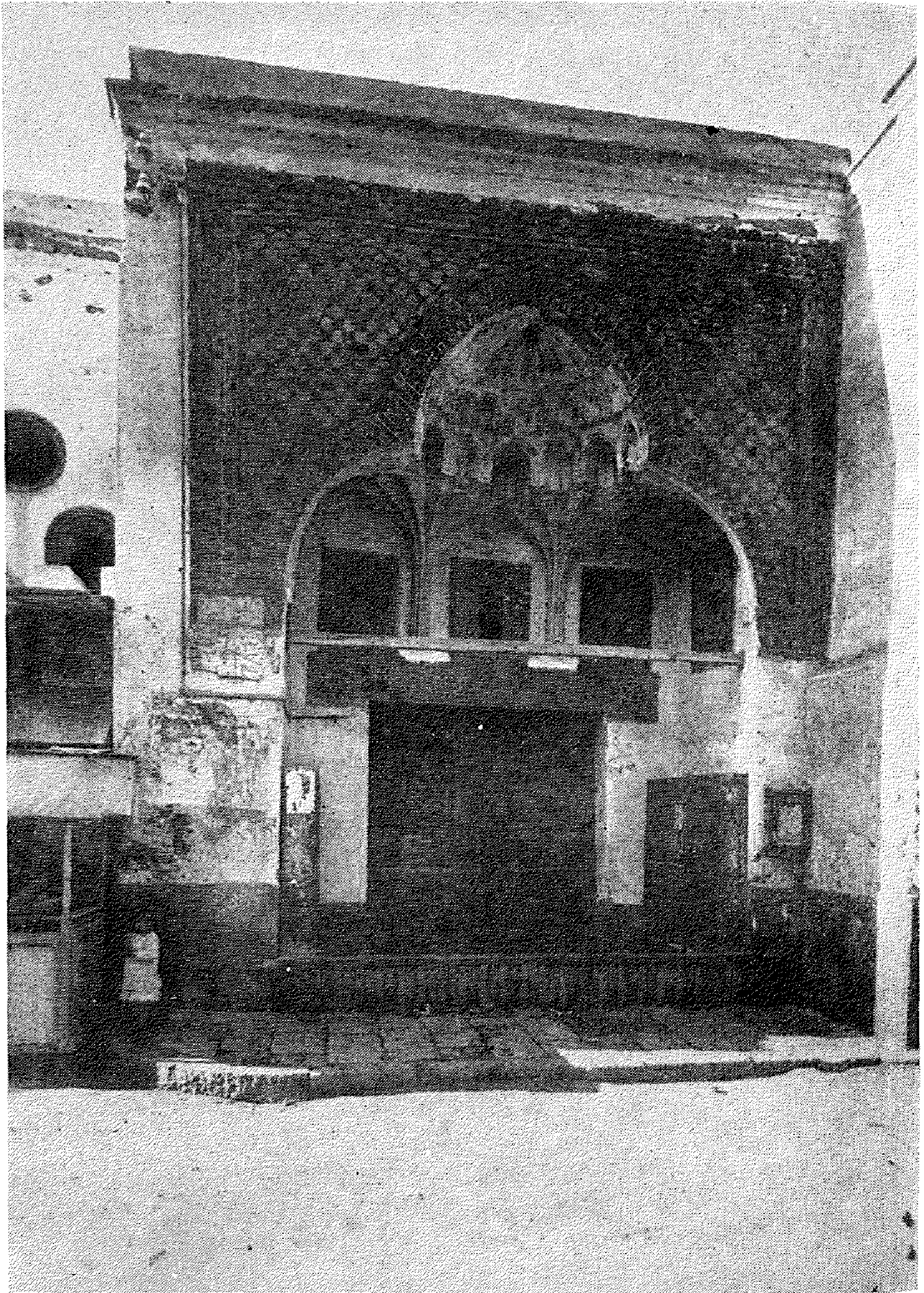
لوحة رقم (٨٦) تبين صحن مسجد ابو المعاطى بمدينة دمياط وقد احاطت به الاروقة



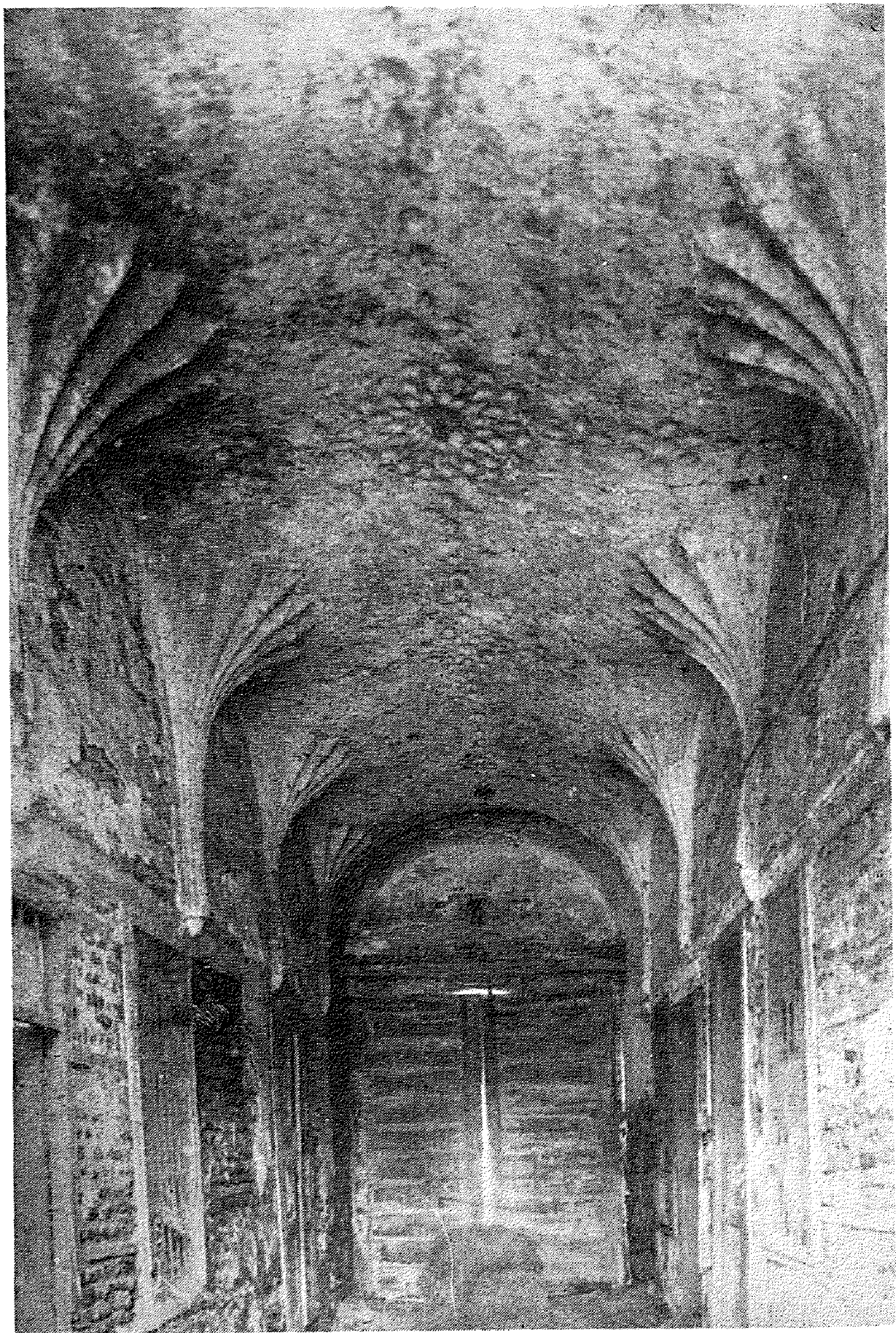
لوحة رقم (٨٧) تبين ايوان القبلة فى مسجد المعينى بدمياط



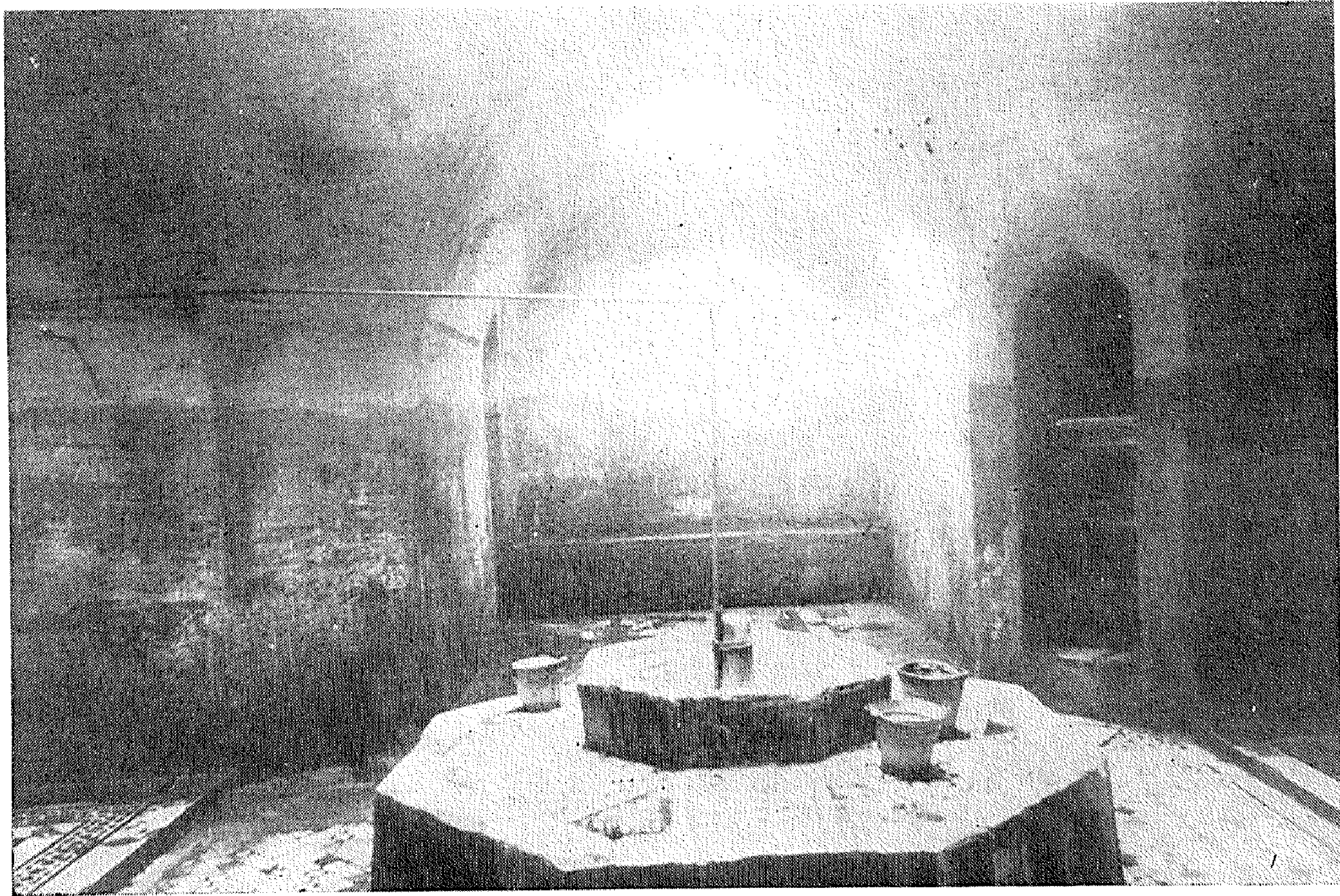
لوحة رقم (٨٨) تبين منبر مسـجد المعينى بدمياط وهو كما ترى تحفة فنية رائعة فى فن الحفر على الخشب بطريقة الحشوات المجمعة وطريقة الخرط



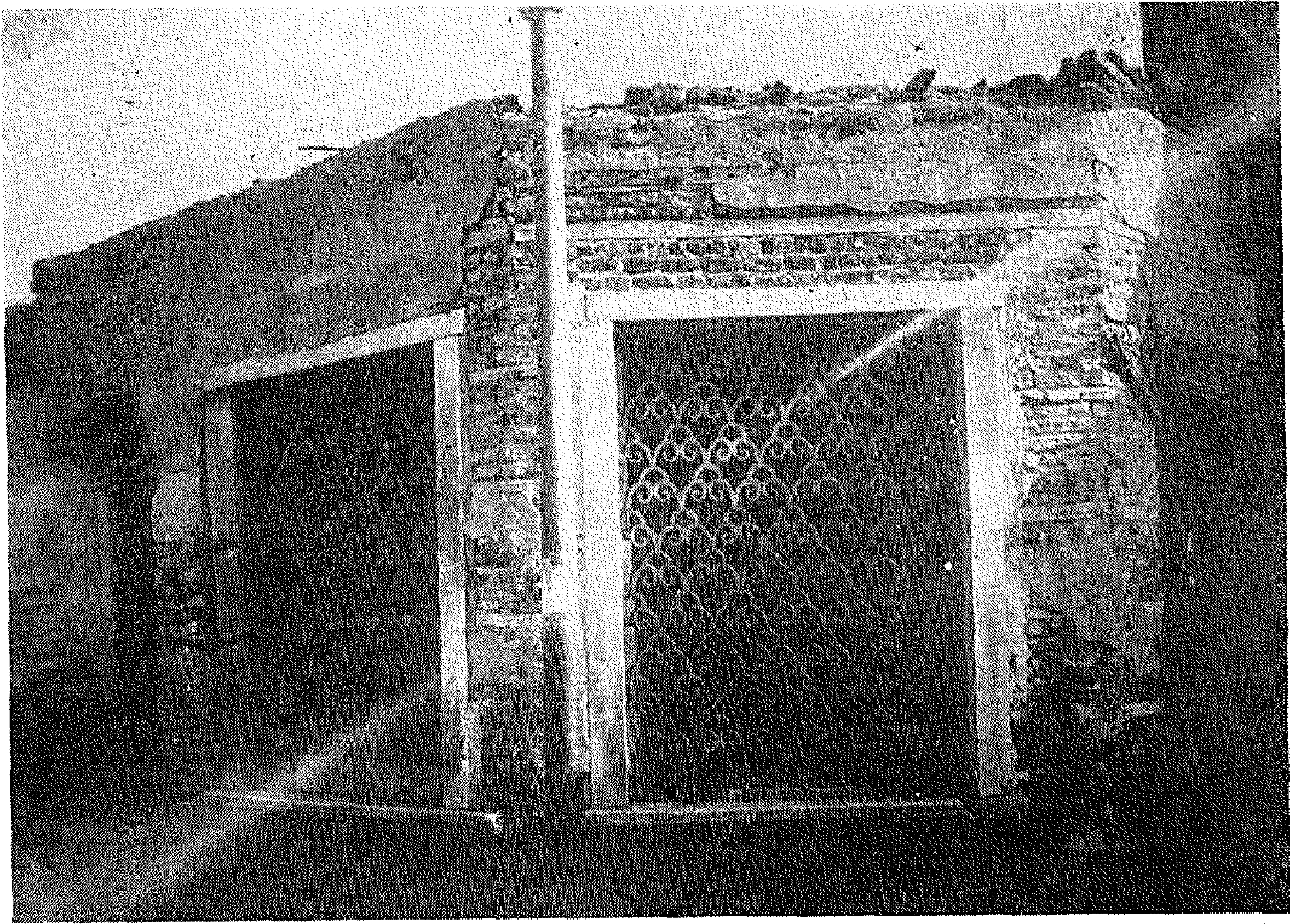
لوحة رقم (٨٩) تبين الواجهة الرئيسية لمسجد باب البحر بدمياط



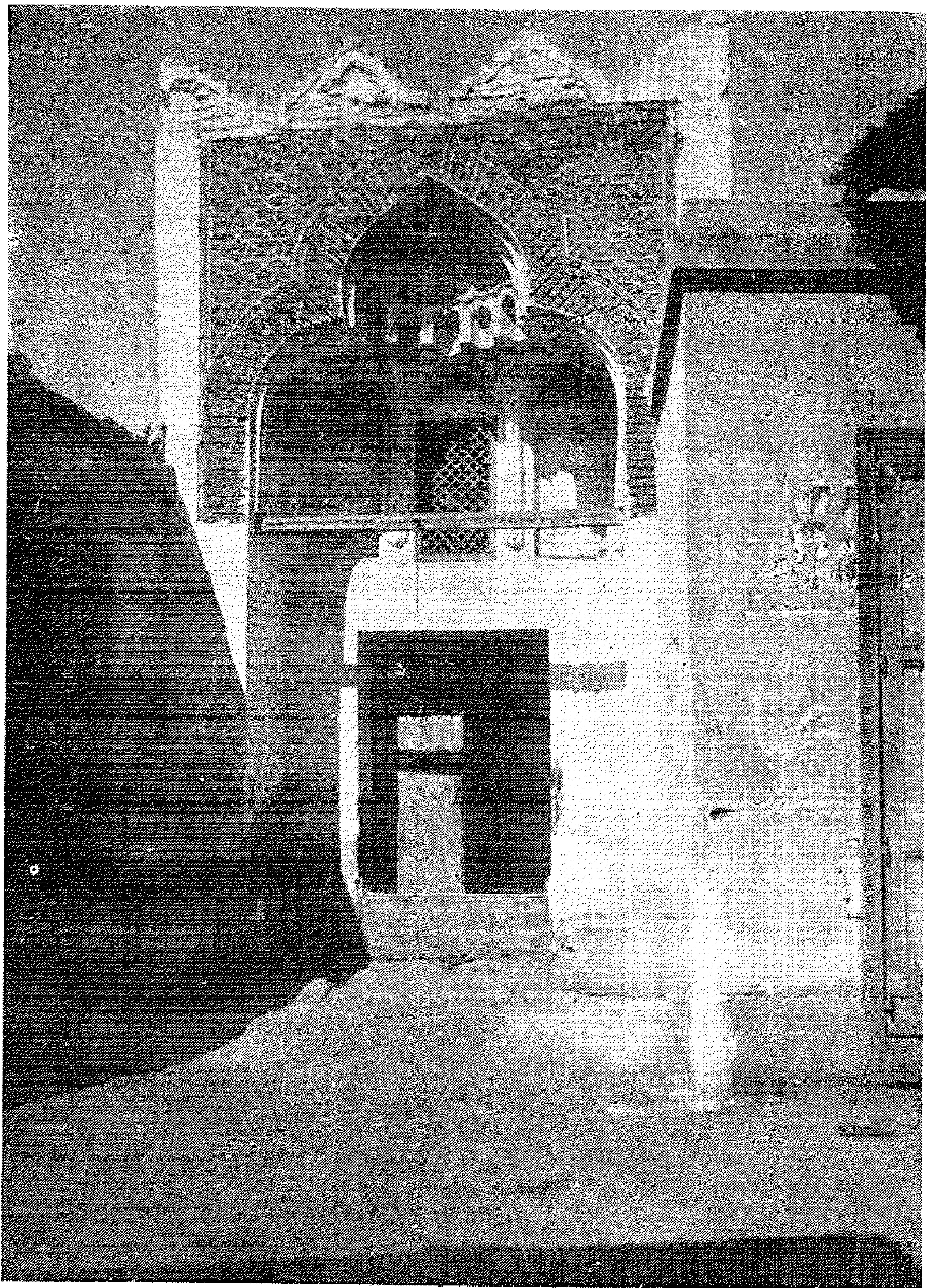
لوحة رقم (٩٠) تسقيف وكالة وقف الحرمين بالمحلة



لوحة رقم (٩١) تبين داخل حمام القنطرة بدمياط



لوحة رقم (٩٢) تبين سبيل حسن اغا بدمياط



لوحة رقم (٩٣) تبين المدخل الرئيسى للجامع الكبير بمدينة فارسكور



لوحة رقم (٩٤) تبين قبة الضريح الحسينى بفارسكور

زاوية الانصاري :

تمتاز هذه الزواية باحتوائها على قبة كبيرة بها ايوانين كما تحتوى على مقصورة من الخشب الخرط . وتشبه هذه القبة فى تصميمها مسجد الروبى بالفيوم .وتشبه قبة الانصار من حيث كبر الحجم والتخطيط العام . وفى مدينة فارسكور قبتان ، أحدهما باسم حسن الدياسطى ، والأخرى باسم قبة الحسينى .

مسجد كفر المياسره :

قرية كانت تابعة لناحية السرو : ثم فصلت عنها فى تاريخ سنة ١٢٣٠ هـ ، وقد سميت بكفر المياسره . نسبة الى بنى ميسر بطن من بطون العرب الذين نزلوا بين دمياط وفارسكور حيث كفر المياسره ويقع مسجدها على شاطىء النيل الا انه جدد حديثا فتغيرت معالمه القديمة . أما القبة الملحقة بالمسجد فترجع الى تاريخ سنة ١٢٠١ هـ كما هو ثابت من التاريخ المنقوش على مقصورتها . وتمتاز هذه القبة بأن المعمار أستعمل اسلوبا خاصا فى تحويل المربع الى دائرة لكى يقيم عليه القبة ، فقد عمل فى أركان المربع أربعة محاريب تبدأ من أرضيته ، وأعلا هذه المحاريب عمل عقودا فاستحال المربع الى دائرة أقيمت فوقها القبة .

محافظة بورسعيد

أنشئت مدينة بورسعيد سنة ١٨٥٩ فى الموضع الذى اختاره المهندس دى لسبس حين ابتدأ فى حفر قناة السويس . وكانت بورسعيد قاعدة محافظة القنال وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت محافظة مستقلة وأصبح على القنال ثلاث محافظات هى بورسعيد والاسماعيلية والسويس .

وقد جاء فى الخطط التوفيقية (١) أن مدينة بورسعيد بنيت فى منطقة قديمة معروفة فهى تقع على بعد ٢٨ كيلو مترا غربى مدينة الطينة ، التى كانت تقوم فى النهاية الشرقية لبحيرة المنزلة . وجاء فى معجم البلدان لياقوت (٢): الطينه بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر . ويضيف على مبارك فى خططه ، أنها كانت من أعظم مدن مصر وكانت تعرف أولا باسم (بيلوز) ومعناها الطينة ، ومن ثم فقد أطلق عليها العرب اسم الطينة . كذلك ذكرها استرابون وقال أنها كانت تبعد عن البحر قدر ميلين وانها كانت عامرة ، وبها الحصون المنيعة ، وذلك لوقوعها على حدود مصر الشرقية . ويضيف على مبارك ، ان مدينة الطينة لاقت الكثير من أهوال الحروب التى تعرضت لها مصر طوال العصور التاريخية ، من العصر الفرعونى والبطلمى والرومانى ، والاسلامى ، ومع ذلك ظلت عامرة آهلة بالسكان حتى الحروب الصليبية (فى القرن الثالث عشر الميلادى) فقد أغار عليها الصليبيون ونهبوها وتكررت غاراتهم ونهبهم وسلبهم لها ، مما أدى الى خرابها ، ولم يبق بها غير قلعة واحدة من القلاع التى بناها العرب وتعرف باسم قلعة الطينة وكانت تقع عند مدخل بحر الطينة لمنع دخول المراكب اليها . ومن الآثار التى ترجع الى العصر الاسلامى ببلدة الطينة ، سور مربع يقع على تل عال ، وبجهته

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٠ ص ٧٧ .
(٢) معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٧ .

البحرية باب يفتح على البحر ، ويعرف هذا السور باسم القصر . وذكر ابن اياس (١) : انه كان بها : (أى الطينة) قلعة وناس متوطنون الى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة (١٥١٧م) حتى الفتح العثمانى فقد أشيع فى تلك السنة بعد موت السلطان الغورى ان أوائل عساكر ابن عثمـــان (السلطان سليم الأول) قد وصلوا الى قطيـــا وتملكوا قلعة الطينة وهرب من كان بها من السكان . وجاء فى نزهة الناظرين : أنها لم تزل موجودة الى أول القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميـــلادى) ويروى قصة لأحـــد وزراء الدولة العثمانية وأنه نفى الى مدينة الطينة .

مما تقدم نستطيع أن نقول ان مدينة بور سعيد ليست من المدن الحديثة الناشئة بل هى قديمة وموغلة فى القدم ، وانمـــا الحديث هو اسمها فقط . لأنها حلت محل ثغر بيلوز فى العصر القديم وثغر الطينة فى العصور الوسطى والتى امتدت حتى القرن الثامن عشر ، ثم اضمحلت فى القرن التاسع عشر وأصبحت قرية صغيرة للصيادين عرفت باسم اشتوم الجميـــل ، وكانت قرية اشتوم الجميل هذه تقع الى الغرب من بورسعيد عند نشأتها ، أما الآن فهى منطقة عزيزة فى بورسعيد يشغلها المطار المعروف باسم مطار الجميل .

ويصف على مبارك فى خططه بورسعيد فيقـــول : وكانت أرضها التى هى عليها الآن قطعة من بحيرة المنزلة فيما عدا أجزاء قليلة منها ، وهو الجزء القريب من البحر (البحر الأبيض المتوسط) وقد أقيم عليه مساكن للشغالة المتوطنين بمزاولة الأعمال هناك ، ثم أخذت رقعة المدينـــة تزداد شيئا فشيئا وذلك نتيجة لردم الأجزاء المنخفضة منها بالطين الناتج من حفر القناة ، وكلما ظهرت أرض جديدة ظهرت عليها المساكن حتى كان بهـــا سنة ١٨٦٣م مائة وخمسون بيتا غير مائة وخمسون عشة وجامع قديم يعرف باسم جامع قرية العرب (لعلهم يعنون بقرية العرب الطينة) .

وجاء فى الخطط التوفيقية ان ميناء بورسعيد يعد من أوائل العمائر فى مصر التى بنيت بالأحجار الصناعية . ويقول فى ذلك : ولما كانت الجبـــال

---

(١) ابن اياس جـ ١ ص ٣٢٣ ، جـ ٢ ص ٩٨ ، جـ ٣ ص ٦٢ .

التى تستخرج منها الصخور اللازمة للعمل بعيدة عن بورسعيد بعدا بينا يلزم للنقل منها واليها صرف أموال جسيمة جدا ، اخترع لذلك عمل صخور صناعية من رمال البحر والجير المائى المعروف بجيـــر (توى) وماء البحر ، وكانت الأحجار الناتجة تقرب من الصوان فى المتانة ، وكان قدر الصخرة عشرة أمتار مكعبة ووزنها عشرون طنا . ويضيف : ولما قرب انتهاء أشغال القنـــال رأوا ضرورة تنوير ساحل البحر فيما بين الاسكندرية وبور سعيد ببناء فنارات فى نقطة معينة من الساحل ليهتدى بنورها السفن التى ترد على القنال ، فعمل أربعة فنارات ، واحد فى ساحل رشيد وآخر فى البرلس على الرأس الخارج فى البحر ، والثالث بقرب برج العزبه عند مصب فرع دمياط،والرابع فى مدينة بورسعيد وقد جعل ارتفاع الفنارت الأربعة ٥٥ مترا . ونور كل واحد منها يرى من مسافة عشرين ميلا (أى ٣٦ كيلو مترا تقريبا) . وأنوارها متواصلة بمعنى أنه متى غاب من المراكب نور أحدها ترى نور الآخر فلا ينقطع عنهـــا الاهتداء بأنوارها فى سيرها من الاسكندرية الى بورسعيد . ولأجل التمييز بينها وعدم التباس أحدها بالآخر لرائيها ، جعل لكل واحد منها وضع يخصه (من حيث الاضــــــاءة) ففنار رشيد آلاته متحركة بدوران بطىء وأنواره متنوعة الى أبيض وأحمر تتغير الحمرة الى بياض وعكسه بعد كل عشر ثوان . وفنار البرلس ثابت الآلات بنور واحـــد ويضىء فى خمسة أثمان الأفق ، أما آلات فنار دمياط فمتحركة ونوره أبيض غير ثابت بل يظهر ويختفى بعد كل دقيقة ، وفنار بورسعيد مضطرب مرتعش كهربائى له بعــــد كل ثلاث ثوان غمضة وانفتاح (أى أن تياره متقطع) .

محافظة الاسماعيلية

كانت مدينة الاسماعيلية فى أول أمرها (كما جاء فى الخطط التوفيقية) عبارة عن اخصاص كان يقيم بها عمال ترعة البرزخ من مهندسين وغيرهم ولما اتسع ميدان الأعمال وكثر العمال قامت بقربها قرية ريفية تعرف بقرية العرب .

وجاء فى دائرة المعارف (١) ، أن مدينة الاسماعيلية قامت على أنقاض قرية كانت تسمى التمساح ويؤيد هذا القول كل المؤرخين المحدثين (٢) ؛ فيقول محمد رمزى ، وفؤاد فرج أن موقع مدينة الاسماعيلية الحالى كان عبارة عن تلال مرتفعة تعرف باسم تلال الجسر وتقع الى شمال بحيرة التمساح ، ولما ابتدأ العمل فى مشروع قناة السويس نشأت قرية عرفت فى أول الأمر باسم قرية التمساح وفى عهد الخديوى اسماعيل سميت الاسماعيلية .

وبحيرة التمساح هذه عبارة عن حوض هائل منخفض وسط البرزخ تتسرب اليه مياه النيل فى الفيضانات العالية من ترعة الوادى عن طريق وادى الطميلات . ولكنها بعد فتح القناة صارت ميناء لمدينة الاسماعيلية وأقيمت بها أحواض واسعة وأرصفة وورش وغيرها مما يلزم لشئون الملاحة ، وكان افتتاح الميناء يوم ١٨ نوفمبر سنة ١٨٩٦ م وهو خاص بالسفن اذ كان يرسو به أكثر من خمسين باخرة من جميع الجنسيات وعليها الملوك وكبار الشخصيات العالمية .

أما مدينة الاسماعيلية فكان لها ولا يزال مركز ممتاز ففى أثناء تنفيذ مشروع قناة السويس كانت — وهى لا تزال ناشئة — المركز الرئيسى لجميع الأعمال وبها مقر المهندس المقيم ، كما كان بها بعد ذلك مركز ادارة الشركة

(١) فريد وجدى فى مادة (س) .
(٢) القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٦ .

بمصر وما يتبعه من مكاتبها الرئيسية ومخـازنها . وكان من المنظـور وقد تأسست سنة ١٨٦٣ أن تأخذ فى النمو بخطوات واسعة ولكن كثرة المستنقعات فى ضواحيها وتوالد ناموس الملاريا فيها حد من نموها بضع سنين . وماوافت سنة ١٨٧٠ حتى أصبحت مدينة الاسماعيلية مدينة الحدائق والمبانى الفخمة تزخر بقصورها وبأشجارها وفاكهتها .

وكانت مدن هذه المنطقة الواقعة على مدى قناة السـويس فى حاجة قصوى الى مياه النيل العذبة الصالحة للشرب ، فان من هذه البلاد ما حرم من مياه النيل كالسويس منذ ردم خليج أمير المؤمنين فى عهـد أبى جعفر المنصور [1] (٧٧٥ م) . لذلك كان فى شق ترعة الاسماعيلية لتغذية هذه البلاد بمياه النيل تحقيق أمنية غالية لسكانها الذين حرموا منها أمدا طويلا . وقد كان انشاء هذه الترعة من المشروعات الرئيسية التى نص عليها مشروع قناة السويس .

وقد استعملت ترعة الاسماعيلية أولا فى تغذية المدن الواقعة على قناة السويس ثم استعملت لرى الأراضى الواقعة بين ترعة الشرقاوية والصحراء وتبلغ نحو ١٨٠ ألف فدان وهى الى جانب ذلك طريق ملاحى هام .

ويبلغ طول هذه الترعة من القاهرة الى مدينـة الاسـماعيلية ١٥١ كيلومترا ، وطول الفرع الجنوبى من الاسماعيلية الى السويس ٨٧ كيلومترا ، وطول ترعة العباسية التى تغذى مدينة بور سعيد بالمياه الحلوة تبلغ ٩٠ كيلومترا . وتشق ترعة الاسماعيلية طريقها على الحد الفاصل بين الوادى والصحراء فتمر بمدينة بلبيس ثم الى بلدة العباسة ثم تخترق وادى الطميلات الى مدينة الاسماعيلية حيث تصب فى بحيرة التمساح . ويخرج منها قبيل وصولها المدينة فرعان أحدهما يتجه شمالا ويعرف باسم ترعة العباسية التى تغذى بورسعيد والقنطرة ومحطات القنال الأخرى بالمياه الحلوة ، والآخر يتجه جنوبا ويسمى ترعة السويس .

ومتحف القناة بالاسماعيلية زاخر بالآثار التى عثر عليها أثناء حفر القناة وأهمها تماثيل تل المسخوطة وتماثيل الملك دارا (ملك الفرس) . وشواهد

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٣٤٣ .

الترع التى أقيمت لتوصيل مياه النيل الى تلك المنطقة والتى كانت تقوم مقام ترعة الاسماعيلية الحالية منذ العهد الفرعونى ، وغير ذلك من الآثار التى كانت فى تلك المنطقة منذ أقدم العصور التاريخية . هذا بالاضافة الى آثار حفلات افتتاح القناة وما تركته الأمبراطورة أوجينى من أدوات الزينـة ومخلفات فرديناند دى لسبس .

وعلى بعد بضعة كيلومترات الى جنوب المدينة يوجد نصب تذكارى أقيم تخليدا لذكرى الدفاع عن قناة السويس التى حاول الأتراك الاغارة عليها سنة ١٩١٥ ولكنهم فشلوا . وقد وقع الهجوم التركى فى المنطقة المعروفة الآن بمحطة طوسون ومزار سيدى النـديك وهو مزار له شهرته بين سكان المنطقة .

ويتصل بالاسماعيلية طريق مصر فلسطين ، ذلك الطريق الحربى الذى نصت عليه المعاهدة الانجليزية سنة ١٩٣٦ . وقد ألغيت هذه المعاهدة أثنـاء العدوان سنة ١٩٥٦ . ويبدأ هذا الخط من الشاطىء الشرقى للقناة مقابل مدينة الاسماعيلية الى ناحية عوجه الحفير بالقرب من حـدود فلسطين بطول ٢٢٣ كيلومترا . وتصل من الاسماعيلية الى بوابة هذا الطريق بواسطة معدية تجتاز عليها القناة من الغرب الى الشرق . وهذا الطريق صالح لسير السيارات ذات الاطارات المفتوحة مهما يكن ثقلها . وينتهى الطريق على بعد ٧ كيلومترات من عوجـه الحفير بالقرب من الحـدود المصرية الشرقية ، وعلى بعـد ٢٠٠ كيلو متر من الاسماعيلية توجد نقطة بوليس الحدود المعـروفة باسم (أبو عجيلة) .

وكانت الاسماعيلية تابعة اداريا لمحافظة القنال ، وكانت تمثل قسما من أقسامها ، وهى تشتمل على عدة شياخات كالتمساح وفردان وتفيشة . كما تحتوى على نقطتى بوليس وهما نقطة أبو صوير ويتبعها السبع آبار الشرقية والغربية والمحسمة الجديدة والقديمة ونقطة فايد ويتبعها سرابيوم وفايد . وظلت الاسماعيلية تابعة لمحافظة القنال الى سنة ١٩٦٠ وفى سنة ١٩٦١ جعلت محافظة مستقلة وسيكون لوضعها الجديد أثره الطيب فى المستقبل القريب .

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٢ ص ٦٩ .

محافظة السويس

السويس بصيغة التصغير كما وردت فى الخطط التوفيقية (١) مدينة على الجانب الغربى لخليج السويس المسمى بالبحر الأحمر ، وثغر من ثغور مصر ، وفرضه لتجارات جزيرة العرب والهند والسودان ، واقعة فى شرق القاهرة وقد خلفت مدينة القلزم . وجاء فى الخطط المقريزية (٢) : ان مدينة القلزم قد خربت ويعرف الآن (القرن الخامس عشر) موضعها بالسويس ، وان اسم القلزم كان باقيا لها من زمن الفاطميين .

وقد كان لمصر فى عصورها التاريخية ميناء عند النهاية الشمالية لخليج السويس ، وفى العصر الرومانى لما استمر انسحاب البحر الأحمر الى الجنوب وانفصلت عنه البحيرات المرة ، كانت ميناء مصر الجنوبية هى مدينة « كليستما » التى سماها العرب مدينة القلزم وسموا بحرها بحر القلزم . ومدينة القلزم كما وصفها المقدسى (٣) : بلد يابس لا ماء ولا كلأ ولا زرع له . وكان الماء يحمل الى أهله فى المراكب من موضع على بعد بريد يسمى السويس .

وكانت القلزم نقطة عسكرية هامة على البحر الأحمر ، وان التل المرتفع القائم بجوار السويس لا يزال يعرف باسم قلعة القلزم . وفى القرن العاشر الميلادى نشأت قرية صغيرة جنوبى مدينة القلزم اسمها السويس ، وما لبثت أن طغت على القلزم وأصبحت هى ميناء مصر على البحر الأحمر . ويقول ياقوت (٤) : أن السويس بليدة على ساحل بحر القلزم ، (البحر الأحمر)

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١ ص ٧٧ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ٣٤٢ .
(٣) المقدسى ص ٥٨ .
(٤) معجم البلدان جـ ٥ ص ١٨١ .

وهو ميناء أهل مصر الى مكة والمدينة . بينها وبين الفسطاط سبعة أيام فى برية معطشة ، ويحمل اليها الميرة من مصر على ظهور الجمال ثم تطرح فى السفن ويتوجه بها الى الحرمين .

وفى القرن السادس عشر ، كان الأتراك بعد احتلالهم مصر سنة ١٥١٧م يشعرون بانهم مهددون من جهة البحر الأحمر فكانوا يرسلون من القسطنطينية سفنا حربية كانت تصل الى دمياط ورشيد ثم تفك قطعا قطعا وترسل برا على ظهور الجمال الى السويس حيث يعاد تركيبها . ولم تكن السويس فى هذا العصر صالحة للاقامة بها لعدم توافر مقومات الحياة وقلة المياه العذبة بها . ولذلك اعتبرت موقعا حربيا تقيم فيه حامية من الجند ، وقد بنى بها على أحد المرتفعات قلعة حصينة . وأقيمت بها دار لصناعة السفن (ترسانة) . وتشير الخطط التوفيقية (١) الى ذلك فتقول : كان لها أهمية فى جميع العصور وفيها دائما من طرف حاكم مصر رباط من العسكر المحافظين . ولها حاكم يقيم بها ومحل للجمرك يؤخذ فيه عوايد البضائع الواردة لمصر . وكان ينقل اليها من مصر على ظهور الابل المراكب التى يقتضى الحال انشاءها فى ميناها .

وكان يسكن السويس قليل من أهل الحجاز والطور ومصر وكانت بيوتهم مبنية من الدبش قليلة الارتفاع أكثرها من طبقة واحدة وفى بعض منها غرف قليلة يتخذونها من تقفيصات الخشب مملوء وسطها بالمونة والأحجار الصغيرة وهى المعروفة (بالسويسية) نسبة الى السويس . وفى موسم الحج يرد اليها كثير من العرب لبيع أشياءهم ثم يعودون الى أوطانهم لعدم وجود الماء العذب بها ، وكانوا يشربون من عيون مستملحة ، بعيدة عنها كعين غردقة وعين بهوق وعين موسى وقيل انها خمس عشرة عينا .

وكانت مدينة السويس وغيرها من البلاد الواقعة على منطقة قناة السويس الحالية تغذى بالمياه العذبة بعد الفتح العربى لمصر ، من قناة تعرف باسم خليج أمير المؤمنين ، ذلك أن عمرو بن العاص بعد أن استتب له الأمر فيها استأذن الخليفة عمر بن الخطاب فى حفر قناة تصل البحر الأحمر

(١) على مبارك جـ ١٢ ص ٩٥ .

بالبحر الأبيض المتوسط مباشرة ، ولكن الخليفة رفض خشـية أن يستخدم الروم هذه القناة فى أغراض عسكرية ضد العرب ، الا أنه حين عم الجدب جزيرة العرب ، أمر عمرو بن العاص باعادة حفر القناة القديمة التى كانت تصل القلزم بالنيل مارة بالبحيرات المرة بوادى الطميلات لارسال الطعام والغلال الى الحجاز .

وكانت هذه القناة قد أهمل أمرها وخفيت معالمها ، وقيل أن عمرو بن العاص استعان بمن يدله على موضعها من القبط وأجازه برفع الجزية عنه . وسرعان ما تم حفرها واستخدمت فى فيضان سنة ٦٤٤ م . وهكذا نعمت مدينة السـويس وغيرها من بلاد المنطقة بالمياه العـذبة . وظل خليج أمير المؤمنين ينتفع به حتى أمر الخليفة العباسى أبو جعفـر المنصور بسده سنة ٧٥٣م حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنه الطعام . وقيل ان هذا الأمر نفذ فى الجزء الأخير من الخليج بمنطقة برزخ السويس فقط ، قبلى بحيرة التمساح ، وبذلك حرمت بلاد هذه المنطقة من مياه النيل .

وفى سنة ١٨٦٣ عادت اليها المياه العذبة من ترعة الاسماعيلية فعاد الى مدينة السويس نشاطها وحيويتها وزاد عمرانها وعدد سـكانها . وفى سنة ١٨٦٩ م افتتحت قناة السويس وأضحت مدينة السويس نقطة هامة فى الاتصال بين الشرق والغرب ومحطة عالمية لتغذية البواخر والمصانع بالمازوت . كما أن الحركة التجارية فى مينائها زادت زيادة كبيرة بسبب الصلات التجارية مع الهند ، واستراليا واليابان ، وما نشأ من علاقات تجارية مع موانى افريقيا الشرقية ولهذا اصبحت من الناحية الادارية محافظة مستقلة .

ويقول بعض الباحثين أن السويس كانت قبل فتح قناة السويس ذات قيمة تجارية كبيرة ، فكانت تجارة الهند والصين واليابان الذاهبة الى أوروبا تنصب اليها ثم تحمل منها على الخطوط الحديدية الى الاسكندرية ومنها توجه الى أوروبا فكانت حركتها فى ذلك العهد نشيطة . أما بعد فتح القناة فصارت السفن تخترق القناة دون أن تعرج على السويس ولا ينزل اليها من البضائع الا ما هو خاص بمصر ، لذلك اعترى هذه المدينة فتور تجارى بقيت معه بطيئة الحركة . وتنحصر قيمة السويس اليوم فى كونها المدينة المتوسطة بين

مصر والحجاز فيجتمع بها حجاج بيت الله الحرام في مواعيد مقررة من كل عام ، فتروج تجارة المدينة وتنشط حركتها وتكون أشبه بمعرض لكثير من الأمم . ولكن النظام الذى وضعته الحكومة مراعاة للصحة العامة أفضى الى أنه لا يشخص الحاج الى السويس الا قبيل سفره بيوم واحـد ، وقد كان الحاج قبل ذلك يمكث في السويس عدة أيام ، فعـاد هذا كله بالكساد على التجارة .

قنــاة السويس :

وفي سـنة ١٨٥٤ حصـل المهندس الفرنسي فردينـاند دى لسبس من الخديو محمد سعيد باشا على امتياز بحفر قنـاة السـويس واستغلالها لمدة ٩٩ سنة تبدأ من يوم افتتاح القناة ثم استبدل سنة ١٨٥٦ بعقد آخر أتم وأكثر وضوحا ، وكانت شروطه الامتيـازية مجحفة بمصر كل الاجحاف . ويكفي أن تضع الشركة يدها على مساحة واسعة من الأراضي المصرية تكاد تكون شبه مستعمرة فرنسية شرقى الدلتا بلا مقابل وبدون ضرائب ، وأن يستغل المناجم والمحاجر بلا ثمن ولا ضريبة ولا تعويض . وفي سنة ١٨٥٨ م تم تأليف شركة القناة الدولية وطرحت أسهمها للاكتتاب ، فاكتتبت مصر في ١٧٧٦٤٢ سهما قيمتها ٩٠ مليون فرنك أى حوالى نصف رأس المال . وفي عهد اسماعيل وقع نزاع بينه وبين الشركة بايعاز من السلطان العثماني الموعز اليه من الحكومة الانجليزية لتخفيف بعض شروط الامتياز وانتهى النـزاع بتحكيم نابليون الثالث أمبراطور فرنسـا فأقر الحكومة المصرية على معظم مطالبها ولكن مقابل تعويض مالى فادح بلغ ٨٤ مليون فرنك ، وعلى ذلك صدرت موافقة السلطان على عقد الامتياز في سنة ١٨٦٦ .

وافتتحت القناة رسميا في سنة ١٨٦٩ م في حفل عظيم دعا اليه اسماعيل كثيرا من ملوك أوروبا ومن الأمراء والوزراء وقد أنفق على حفلات الافتتاح مبالغ باهظة قيل أنها تقرب من ١٦ مليون جنيه .

ولما حدثت الثورة العرابية ، احتل الانجليز قناة السـويس ومنعوا استعمالها للتجارة فحمل ذلك الدول على عمل اتفاق دولى يحتفظ فيه للقناة بحريتها التامة زمن الحرب والسلم ، وكان ذلك في معاهدة القسطنطينية سنة

١٨٨٨ ، كما أنها أعطت مصر الحق الأول فى الدفاع عن القناة وتنفيذ أحكام الاتفاقية .

وقد كان لمصر ما يقــرب من نصف رأس مال الشركة اذ كانت تملك ١٧٧٦٤٢ سهما وكان فى هذا الضمان الكافى لسيطرة الحكومة المصرية على الشركة وعلى أعمالها وضمان الحصول على نصف أرباح المشروع . ولكن مما يؤسف له أن الخديو اسماعيل باع هذه الأسهم الى الحكومة الانجليزية فى سنة ١٨٧٥ م بثمن بخس ، وهو أربعة ملايين من الجنيهات ، وهو يعادل نحو ربع ما أنفقه على حفلات الافتتاح . ونحمد الله ان استردت مصر قناتها فى عهد الثورة المجيدة اذ أممت سنة ١٩٥٦ ودفعت للمســاهمين فى الشركة تعويضات مجزية .

والسويس بلدة جميلة المنظر بها حدائق كثيرة غرست حديثا بعد اتصال ترعة الاسماعيلية بها ، وقد بذل السويسيون فى غرسها نفقات كثيرة وجهدا شاقا لأن أرضهم قاحلة بطبيعتها . والســويس من المناطق الساحلية المعروفة باعتدال جوها وجفافه صيفا وشتاء ، فهو الثغر الوحيد فى مصر الذى تجمعت له من البحر والصحراء والجبال ما يصح أن تفاخر به أشهر أماكن الاصطياف فى العالم .

ومن مصايفه : مصيف جبل عتاقة ومصيف السخنة وهى مصيف ومشتى فى آن واحد ، اذ توجد فى هذه المنطقة عين ساخنة ولذلك سميت السخنة تتدفق منها مياه ساخنة فيها كثير من الكبريت ، وقيل أن هذه العين تشبه عيون المياه فى بيريه باليونان .

وقد تكونت قرية الجناين من الوجهة الادارية سنة ١٩٢٢ وفى سنة ١٩٢٩ انفصلت من زمام مدينة السويس من الناحية المالية ومن تلك السنة أصبحت ناحية قائمة بذاتها تابعة لمحافظة السويس .

محافظة الوادى الجديد

تشتمل هذه المحافظة على عدد كبير من واحات الصحراء الممتدة غربى وادى النيل بالجمهورية العربية المتحدة . وكان بعض هذه الواحات يتبع من الناحية الادارية محافظة الصحراء الغربية التى تكونت سنة ١٩٤٦ ، وكانت قاعدتها مدينة مرسى مطروح . وفى سـنة ١٩٦٠ فصلت الواحات البحرية والفرافرة عن محافظة الصحراء الغربية ، التى تغير اسمها وأصبحت تعرف باسم محـافظة مطروح وضمت الى الواحات الداخلة والخارجة وأصبحت تكون محافظة الوادى الجديد .

ويقال أن لفظة (واحة) كلمة مصرية قديمة معناها مكان للراحة والواح مفرد جمعها واحات وهى عبارة عن قطع متفرقة من الأراضى الزراعية وسط الصحراء ، وتروى أراضيها من ماء يخـرج طافيا من عيون تنفجر من باطن الأرض . وجاء فى معجم البلدان (١) : أن الواحات ثلاث كور غربى مصر ، ثم غربى الصعيد ، ألواح الأول أوله مقابل الفيـوم ممتد الى أسوان وهى كورة عامرة ذات نخيل وضياع حسنة وفيها تمر جيدأفخر تمور مصر ، وهى أكبر الواحات . ووراؤها كورة أخرى يقال لها واح الثانى وهى دون تلك فى العمارة وكورة أخرى يقال لها واح الثالثة وهى دون الأولين فى العمارة ومدينة الواح الثالثة يقال لها سنتريه (سيوة) .

ويقول المقريزى (٢) فى خططه « الواحات منقطعة وراء الوجه القبلى فى مغاربة ولا تعد فى الولايات ولا فى الأعمال ولا يحـكم عليها من قبل السلطان وال وانما يحـكم من قبـل مقطعها . وبـلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة ، بعضها داخل ببعض وهو بلد قائم

---

(١) معجم البلدان جـ ٨ ص ٣٧١ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ٣٧٧ .

بنفسه غير متصل بغيره ، ولا يفتقر الى سواه ، وأرضها شبيه وزاجية وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخل ، وعيون مختلفة الطعوم من الحامض والقابض والمالح ولكل نوع منها خاصية ومنفعة ، وهى على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة .

ويقول المسعودى في كتابه (١) مروج الذهب : « وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة عبد الملك بن مروان ، وهو رجل من لواته (اسم قبيلة) الا أنه مروانى المذهب (أى أنه يميل الى الدولة الأموية القـائمة في ذلك الوقت فى بلاد الأندلس) ويركب فى آلاف من النـاس خيلا ونجيـا » : ان بالواحات شـجرة نارنج يقطف منهـا فى سنة واحدة أربعة عشرة ألف حبة نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى ما هو أخضر . ويقول أنه فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، سار ملك النـوبة فى جيش عظيم الى الواحات فأوقع بأهلها وقتل منها وأسر كثيرا . ويقول المقريزى وبالواحات الشب الأبيض بواد تجاه مدينة ادفو .

ومن أهم الظواهر الطبيعية فى الواحات غرود الرمال أو تلال الرمال السيالة المتحركة ، وهى تلال رملية هلالية الشكل لها خاصية الحركة البطيئة نحو الجنوب لذلك كان خطرها عظيما على المزارع والمبانى ، وكم من بلدة زالت ونخيل طمس وطريق ردم تحت رمال هذه الغرود ، التى تعد أخطر أسلحة ضد الانسان فى الواحات . وتتجمع هذه الغرود فى شكل مجاميع ، كالبحر المتماوج وتختلف فى الارتفاع وقد تصل أحيانا الى (٥٠) مترا وفى الاتساع نحو (١٠) كيلومترات .

وقد ردمت الغرود كثيرا من العيون والآبار بجهة (باريس) بالواحة الخارجية واكتسحت النخيل بناحية (عين القضاء) بالواحة الداخلة وهى الآن تهدد بلدة جناح بالواحة الخارجية . كما ردمت طريقا للقوافل بين الواحة الداخلة والكفرة ، ويقال أن جيش قمبيز ملك الفرس ، الذى أتى لغزو مصر سنة ٥٢٥ م ، وكان عدده ، ٥٠ ألف محارب اختفى تحت هذه الرمال ولم يعثر له على أثر ، عندما كان متجها لغزو واحة سيوة قادما من جهة طيبة .

(١) المسعودى جـ ٢ ص ٢٢٣ .

ويسكن أرض الواحات الممتدة غربي النيـل فريقان من البدو (1) السعادي والمرابطين . السعادى وهم أولاد (سعدى) وقد اتفق المؤرخون على انهم انحـدروا جميعا من (أبو ديب) الذى ينتسب الى قريش ، وان والدتهم سعدى بنت غازية الهلالية (من نسل قبيلة بنى هلال المنتسب اليها أبو زيد الهلالى) . ويظهر أن هذه القبائل سميت نفسها بالسعادى تمييزا لها عن القبائل الأخرى من سلالة (أبو ديب) من زوجاته الأخريات ، فقد ذكر ابن خلدون فى تاريخه ، انه كان بمدينة مسراطة زعيم عربى كبير يسمى أبو ديب . وكان له نفوذ عظيم ، فى اقليم برقة وطرابلس . وقد أنجبت سعدى ثلاثة أولاد وهم جبريلى وبرغوت وعقار ، ومن ذرية جبريل : العواقير والعربيات والمغاربة والجوافى وفروعهم ومن ذرية برغوت : عبيد والعرفة والفوائد وفروعهم ومن ذرية عقار : على وخديجة وبنى عونة والهنـادى والحرابى وفروعهم . أما « المرابطين » فقد اختلف الرواة فى أصلهم فبعضهم يقول أنهم أقدم من السعادى ، وانهم متفرقون وهذا سبب ضعفهم وأن كل قبيلة منهم فى حمى قبيلة من السعادى . ويقول بعض الرواة أن السعادى كانوا أقوياء وجاءوا البلاد فاتحين فدخلت بعض القبـائل الأخرى فى حمايتها لضـعفها فسموا (بالصدقان) أو الأصدقاء ، ولما كانت قبائل السعادى تقوم بالغزو فكانت تكلف قبائل الصدقان بالمحافظة على الحدود فى نقطة معينة ترابط فيها فمن ذلك سموا بالمرابطين . ويقول حسن محمود فى كتابه « دولة المرابطين » فى تفسير كلمة الرباط : الرباط معناه ملازمة ثغر العدو ومعناه أيضا المحافظة على أوقات الصلاة ، فقد ذهب الامام الطرطوشى أمام هذا المذهب حين فسر الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا أصـبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » بقوله : ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهـاد وقيل رابطوا على انتظام الصـلوات . والجهاد فى سـبيل الله من أخص صفات المرابطة ، والجهاد فى الثغور حيث ترابط خيل المقاتلة تحمى حياض المسلمين وترد عادية المعتدين .

وكان « المرابطين » موزعين على الآبار والزوايا فتفرغوا فيما بعـد للمعيشة الزراعية والدينية وفقدوا الروح البدوية العسكرية ، فى حين أن

---

(1) البيان والاعراب ص ٨٧ .

السعادى احتفظوا بعاداتهم من رعى الغنم والانتقال فى الفياق والجبال. وكان على كل قبيلة من قبائل المرابطين أن تدفع لقبيلة السعدى التى تحميها جملا سنويا يعرف (بالصدقه) ، على أن المرابط ملزم فى الوقت نفسه أن يحارب مع السعادى فى حالات الغزو والحرب .

وأهم قبائل المرابطين (١) هى المنفة والمملوالك والشواعر والقطعان والجوابيض والجرارة والحوتة والحبايل والتراكى والشهيات والفواخر وترهونة والعوامة والقدادفة والسمالوس والصريحات والقريضات وحبون والشربصات وذريتهم .

ولقد بلغت قبائل السعادى والمرابطين من الشهرة وقوة النفوذ أن استطاعت أن تضع قانونا بدويا ، هو التشريع المعمول به الآن فى منطقة الصحراء الغربية ، فقد اجتمع شيوخ قبائل السعادى والمرابطين ومعهم بعض الفقهاء ، وكان ذلك بجهة (الجحفة) التى تقع جنوبى مدينة درنة باقليم بنى غازى ، حيث تم وضع أسس القضاء البدوى ، الذى ظل معمولا به بينهم حتى أنشئت مصلحة الحدود سنة ١٩١٧ م ،فأقرتهم عليه لما لاحظته من أنه مناسب لأحوالهم . أما الآن فقد أصبحت محافظة الوادى الجديد تتبع القانون والقضاء المعمول به فى باقى أنحاء الجمهورية العربية المتحدة .

الواحات البحرية :

تعرف الواحات البحرية باسم واح الهنسا (٢) ، وهى تقع غربى محافظة المنيا والمسافة بينها وبين بلدة الهنسا على بحر يوسف بمحافظة المنيا تبلغ ٣٠٠ كيلو متر وكانت هذه الواحات تتبع محافظة الصحراء الغربية وفى سنة ١٩٦٠ فصلت منها وأصبحت تكون قسما من محافظة الوادى الجديد ومركزها قرية الباويطى . كما تتبع الواحات البحرية واحه صغيرة تسمى واحة الفرافرة تقع الى الجنوب منها ومقرها قصر الفرافرة .

ويوجد بالواحات البحرية (أو الصغيرة كما وردت فى الخطط التوفيقية) خمس قرى وهى منديشة والذبو ومنديشة العجوز والباويط والقصر . يزرع

(١) المرابطون — حسن محمود ص ٩٦ .
(٢) على مبارك جـ ١٧ ص ٣٠ .

فيها الشعير والأرز والبرسيم الحجازى ، وقليل من القمح ، كما يزرع بها بعض الخضر مثل البامية والملوخية والقرع والمقاتى والبصل . وبساتينها عامرة بمختلف الفواكه .

وبالقرب من الواحات البحرية يوجد عدة أودية متسعة بها ماء ومراع وربما زرع بها الأرز ، ومن أهم هذه الوديان ، وادى الحارة وهو يتبع قرية منديشة ووادى عيون بيجوم ، ويتبع قرية الذبو ووادى الحيوز ويتبع قرية القصر .

الواحات الداخلة :

تقع الى الغرب من الواحات الخارجة والمسافة بينهما تبلغ ١٨٠ كيلو مترا والمسافة بينها وبين وادى النيل ٣٨٠ كيلو مترا ، وعرفت بالداخلة لأنها متوغلة فى الصحراء . وهى أكبر الواحات وأكثرها محصولا ، وكانت تتبع محافظة الصحراء الغربية الجنوبية أما الآن فهى تتبع محافظة الوادى الجديد . وتشمل الواحات الداخلة على عشر قرى ، وهى : بلاط وبدخلو وأسمنت والقصر والمعصرة وقلمون والهنداوى والجديدة والمنديشة وموط وهى القاعدة .

ويوجد بمعظم تلك القرى حدائق غنية بفاكهتها مثل المشمس والبرتقال والرمان والعنب والعناب والتين والزيتون والموز والبرقوق والتفاح والكمثرى والنبق وغير ذلك . ويوجد فى الواحات الداخلة نحو من ٤٦٤ عينا تسيح مياهها على الأرض . وربما اشترك جماعة فى عين فيقتسمون الماء لسقى زرعهم ونخليهم ، وجاء فى الخطط التوفيقية ، ان الضرائب التى كانت تدفعها الواحات الداخلة فى أوائل القرن العشرين كانت تبلغ ٨٤٦١١ قرشا ، وكانت الضريبة تفرض على العيون وليست على الأرض . وكان عدد النخيل من الواحات الداخلة يبلغ ٢١٣٫٩٥٣ نخلة ، تحصل عليها الدولة ضريبة مقدارها ١٦٨ جنيها . أما أشجار الفاكهة فكانت تدفع عليها ضريبة أخرى ، هذا بالاضافة الى ما كانت تدفعه الواحات للصيارفة ورجال الحملة ، الذين يأتون لحماية الصيارفة ، ويبلغ مجموع ما كانت تدفعه الواحات الداخلة من الضرائب ٥٤٥ جنيها وهو مبلغ لا يتستهان به فى ذلك الوقت .

وبقرية بدخلو طائفة تعـرف باسم (الشريجية) تزعم أنهـا من سلالة المماليك الشراكسة ، وهى تتمتع بمركز ممتاز فى هذه القرية وكانوا يلبسون الملابس الفاخرة . وتتصل الواحات البحرية بمحـافظة أسيوط عن الطريق المسمى بالدرب الطويل الذى يبتدىء من ناحية بنى عدى ويمر بقرية بلاط .

الواحات الخارجة : (لوحة رقم ٩٥)

تقع غربى قنا وتتصل بوادى النيل عن طريق خط سكة حديدية طوله ١٩٨ كيلو مترا يخرج من (محطة مواصلة الواحات) الواقعة شمالى محطة فرشوط بمركز نجع حمادى بمحافظة قنا وتشتمل الواحات الخارجة على أربع قرى هى الخارجة وهى القاعدة وجناح وبولاق وباريس .

ويوجـد بالواحات الخارجة ٦٦٩٣٠ نخلة (كما يقول على مبـارك فى أوائل القرن العشرين) عليها من الخراج مبلغ ٥٢٧ جنيها كما يوجد بها ٦٥ عين ماء تدفع كل عين خراجا سنويا مقداره ، ٣٥٩ قرشا ، وبذلك يكون مقدار خراج العيون هو ٢٣٣ جنيها .

والى الجنوب من الواحات الخارجة وعلى مسيرة ثلاثة أيام من عين الماء المرة التى توجد جنوب بلدة باريس يوجد المكان الذى يستخرج منه معدن الشب من أقدم العصور . فقد ورد فى خطط المقريزى (١) : « أنه كان على مقطعى الواحات فى أيام الملك الكامل محمد بن العادل وأيام ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب حمل ألف قنطار من الشب كل سنة الى القاهرة » وجاء فى قوانين ابن مماتى (٢) « الشب حجر يحتاج اليه فى أشياء كثيرة أهمها الصبغ ، ومعـادنه بصحراء صـعيد مصر ، وعادة الديوان (ديوان الخراج) أن ينفق فى تحصيل كل قنطار منه ثلاثين درهما وربما كان دون ذلك . وتهبط به العرب من معدنه (موطنه) الى ساحل قوص والى ساحل أخميم وأسيوط والى البهنسا ويحمل من أى ساحل كان الى الاسكندرية أيام جرى الماء فى خليجها »

---

(١) المقريزى جـ ١ ص ٣٨٠ .
(٢) ابن مماتى ص ٢١٧ .

وكان طريق القوافل الآتية من دارفور بالسودان ، والذى كان يعرف باسم درب الأربعين ، ينتهى عند باريس ، فكان الحاكم الموفد من قبل حاكم جرجا يرسل عند ورود القافلة بشيرا الى مدينة أسيوط ، فترسل جماعة من العسكر لتلقاها لتجرى حصر البضائع الواردة معها ثم يؤخذ الجمرك عنها . وكانت الواردات السودانية تتكون من الابل والرقيق وسن الفيل وريش النعام وسن الخرتيت والتمر هنــدى والنطرون والصمغ وجلود التماسيح والأفاعى .

الآثار الباقية

مقابر البجوات : (لوحة رقم ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩، ١٠٠ ، ١٠١)

البجوات هى المدافن الرئيسية بالواحة الخارجة وقد ظلت كذلك مدة طويلة من الزمن تمتد على أقل تقدير الى القرن الثانى للميلاد كما تدل على ذلك الأديرة والكنائس التى ما يزال الكثير منها باقيا حتى اليوم . واستمرت البجوات كذلك حتى القرن السابع الميلادى أى الى الفتح الاسـلامى ، ثم هجرت المدافن . وتعتبر أديرة البجوات سجلا غنيا لدراسة العمـارة الدينية القبطية التى نقشت عدبها أقدم رسوم الفرسكو فى مصر .

أما فى العصور الوسطى فلعل أهم ما يذكر عن هذه المقابر هو عبارات الاعجـاب والتقدير التى سـجلها الرحالة المسلمون ، الذين كانوا يمرون بالمنطقة عن طريق درب الأربعين أو الذاهبين للحج من شمال افريقيا عن طريق عيذاب ، على جدران الكنائس والأديرة وخاصة التى تحتوى منها على رسوم بالفرسكو . فهناك أكثر من ثمانين ديرا ، وكنيسة تحتوى على كتابات عربية يرجع أقدمها الى القرن التاسع . والكتابة عبارة عن امضاءات أو أشعار تناسب المقام ، أى عن الموت والفنـاء ، واحيانا لم يجـد الرحالة مانعا من تسجيل أحاسيسه الخاصة على جدران الدير فيكتب عليها قصائد الحب والهيام (١) .

ومن الأسباب التى أدت الى صيانة هذه المبانى أن المدينة القديمة هجرت وبنيت قرية صغيرة على بعد خمسة كيلومترات منها وكان ذلك فى القرن الخامس عشر على وجه التقريب . ويوجد بهذه القرية كثير من المساجد التى يرجع بعضها الى القرن ١٥م وان كانت مآذنها قد جددت فى القرن العشرين .

---

(1) E I — Bagawat in kharga Oasis p. 293 :

وتعتبر كنيسة (Exodus) سفر الخروج من أحسن الأمثلة وأقدمها التى يتمثل فيها أقدم رسوم الفرسكو الموجودة بمصر ، بل قد تكون أقدم ما عثر عليه حتى الآن فى العالم المسيحى كله ، اذ انها ترجع الى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى ، وقد غطيت معظم الحوائط الداخلية للكنيسة بالرسوم ، ففى وسط القبة نجد رسم فرع عنب يتخلله رسوم طيور صغيرة . ثم يحيط بالقبة قصص الأنبياء والقديسين الواردة فى الانجيل الى جانب بعض الموضوعات المسيحية الأخرى . أما الجدران الأربعة التى تقوم عليها القبة فمعقودة . وفى المثلثات التى تعلو العقود الأربعة رسمت مجموعة من الصلبان المحورة عن علامة (عنخ) الحياة عند المصريين القدماء ، وأشكال أخرى ، تمتاز كلها بأن الضلع الرابع للصليب يحتوى على عروة أو دائرة ، والمقصود من هذا التحوير ، هو التحايل على رسم علامة الصليب بأشكال يمكن ان تفسر تفسيرا آخر الى جانب الصليب ، وبذلك لا يقع المسيحى تحت طائلة القانون اذا ما رآها أحد الحكام الرومانيين الوثنيين واعتمادا على هذه الرسوم استطعنا ان نرجع هذه الى الكنيسة الى أوائل القرن الرابع أى قبل ان يعترف الامبراطور ثيوديسس سنة ٣٩٢ بالدين المسيحى . أما الأسلوب الذى رسمت به الموضوعات التصويرية فهو على جانب عظيم من الأهمية ، اذ اننا نجد أسلوبا مخالفا تمام المخالفة للأسلوب الفنى السكندرى الذى كان سائدا فى ذلك الوقت أى فى القرن الرابع ، فنلاحظ ان الرسوم الآدمية والحيوانية بعدت عن الطبيعة وأصبحت رمزية تعبيرية الى أقصى حد ، ممالم يسبق له مثيل من قبل . كما كثرت الزخارف الهندسية التجريدية وملأت مساحات كبيرة ، ومثل هذا الأسلوب لم يكن متبعا كذلك ، اذ ان الزخارف الهندسية كانت دائما عنصرا مساعدا للرسوم النباتية أو الحيوانية ، أما أن تملأ مساحات كبيرة بخطوط هندسية مجردة فهو أسلوب جديد . وهكذا نستطيع أن نقول ان طرازا فنيا جديدا ظهر فى المقابر والكنائس المسيحية الموجودة فى الصحراء الغربية بعيدا عن أعين الحكام والرقباء . ولما كان هذا الطراز الفنى خاصا بمسيحى مصر وهم الذين عرفوا بالأقباط منذ سنة ٢٨٤ م — وهى سنة الشهداء — فاننا نستطيع أن نقول ان الفن القبطى نشأ فى

القرن الرابع الميلادى على أقل تقدير ، ويمتاز هذا الأسلوب الجديد ، بانه أسلوب بعدت عناصره عن محاكاة الطبيعة ، اذ أنه لم يعد يعن بالمادة واكتفى بالزمر اليها أو التعبير عنها بأبسط الوسائل وأقلها ، بل انه ذهب الى أكثر من ذلك فقد لجأ الى تجريد المادة ورمز اليها بمجرد خطوط هندسية ملأ بهـا فراغات كبيرة . وكان هذا الأسلوب بطبيعة الحال يلائم حالة الزهد والتقشف التى وصل اليها المسيحى بعد مالاقى من الاضـطهاد والتعذيب فى سبيل الاحتفاظ بعقيدته الجديدة .

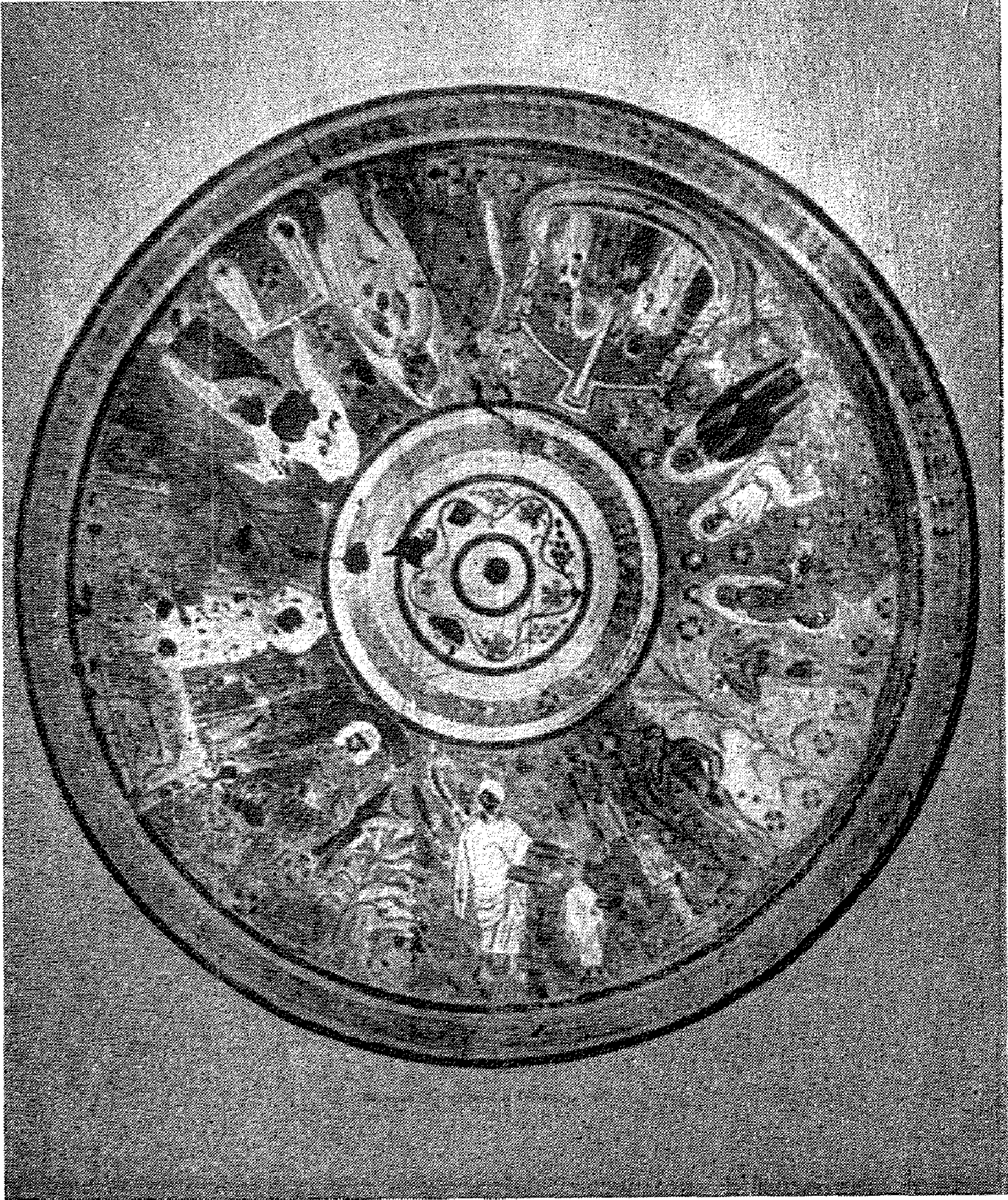
ومن أهم الرسوم والزخارف الموجودة بكنيسة (سفر الخروج) التى ظهرت فيها مميزات الفن القبطى واضحا ، الموضوعات التصويرية التى تمثل قصص الأنبياء والقديسين الواردة فى كتاب العهد القديم ، وهى :

١ — قصة الخروج .
٢ — سفينة نوح .
٣ — آدم وحواء .
٤ — دنيال فى الجب مع الأسود .
٥ — الاسرائيليون الثلاثة فى النار .
٦ — عذاب بنى اسرائيل .
٧ — قصة يونس والحوت .
٨ — ربيكا وعبدها ابراهيم .
٩ — ابراهيم واسحق .
١٠ — الراعى .
١١ — العذارى السبع وغيرها من القصص والموضوعات الأخرى .





لوحة رقم (٩٥) تبين مناظر عامة للواحات الخارجة بمحافظة الوادى الجديد



لوحة رقم (٩٦) تبين رسوم (بالفرسكو) فى قبة كنيسة (دير الخروج)
بالبجوات بالواحات الخارجة

floral wreath inside it which is divided into five sections by four four-petalled flowers (1). The leaves are painted gray and yellow alternately, some red dots (berries !) are seen between them ; the four-petalled roses are coloured light red.

The fourth circle contains the principal paintings. The red line of the third is lined with two white narrow lines and served as a ground for the names of persons or subjects depicted underneath them. The fifth circle is decorated with red small decoration arranged in parallel lines.

The ground of the first, second, third and fifth circles is a creamy colour with a tinge of red, but the principal fourth one has a ground darker than the others ; it is reddish light brown (2).

The paintings do not follow any special arrangement, I begin here with Adam and Eve which are in the east side of the dome and I continue the description of the scenes anti clockwise : —

(1) Adam and Eve (Fig. 62, Pl. XXI) :

They are represented here after they were driven away from Paradise ; both are naked and each one of them wipes his tears with one hand and covers his private part of the body with the other.

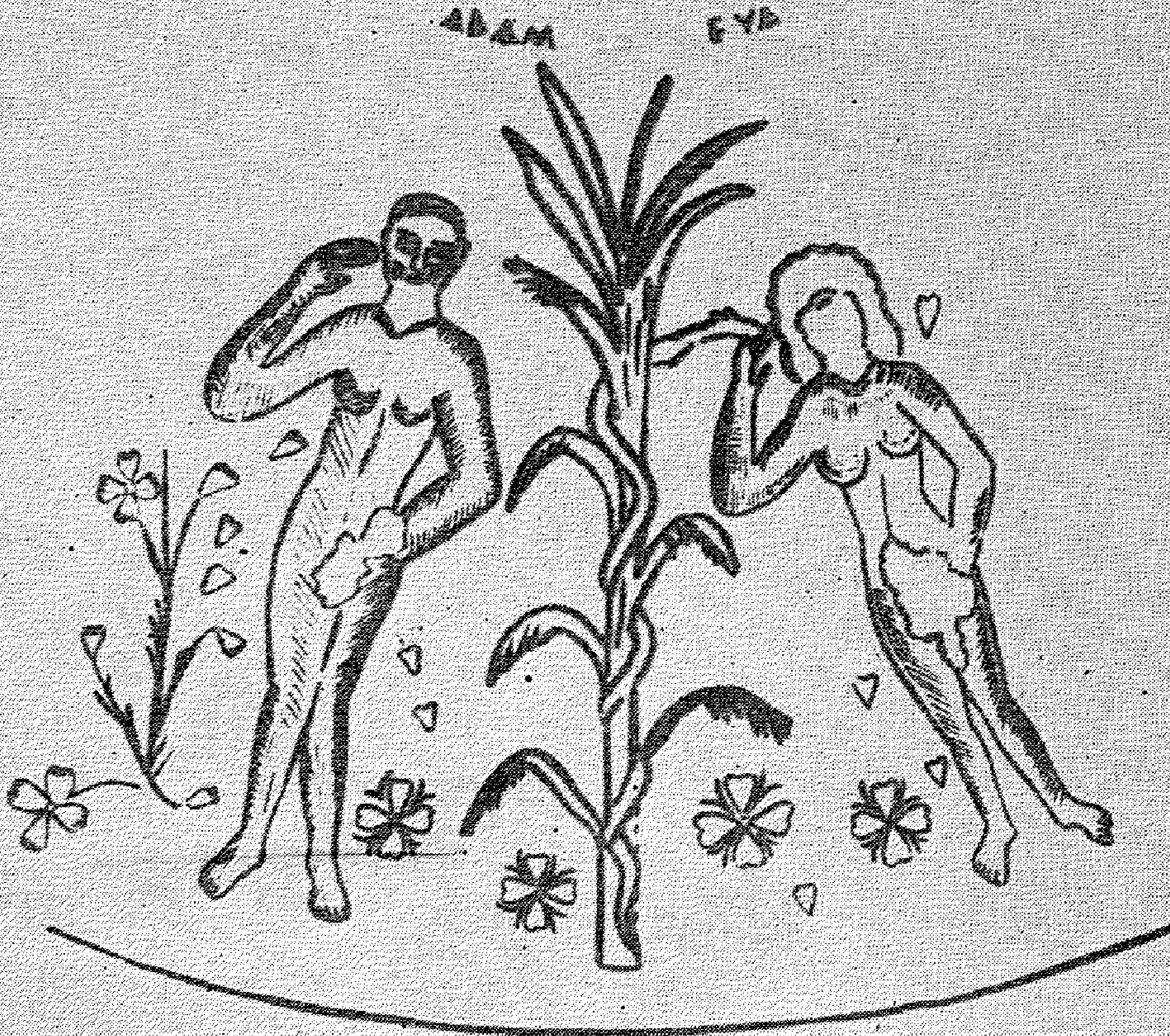


Fig. 62.—Adam and Eve

(1) The same kind of flowers are used to fill the vacant spaces in the fourth circle in abundance.

(2) K. Wilkinson, made a drawing of the paintings of this dome, which he published with description in Bulletin, M.M.A New York, Vol. XXIII (1928), in Section II, pp. 29-36. He calls this colour, 'fawnish'.

لوحة رقم (٩٧) تبين قصة آدم وحــواء المرسومة (بالفرســكو) فى قبة ديــر
(الخروج) بالبجــوات

The wife and two daughters wear green coloured clothes while three of the sons wear purple clothes and the sixth wears white one. Noah wears a white robe and puts on the shoulders a *himation*. All the family of Noah hold their hands in front of their breasts praying but Noah holds only one hand over his breast and points with his right one to the pigeon which comes to the ark with a branch in its beak (Fig. 69). Noah's name **Ⲛⲱⲉ** is written over the ark.



Fig. 69.—The Ark of Noah

(9) The Annunciation (Fig. 70, Pl. XXIV):

We see the Holy Virgin **Ⲙⲁⲣⲓⲁ** standing praying while the dove comes flying towards her to make the announcement. She wears a short wide purple dress with broad green lines of decoration at the two sides from the shoulders down to the lower edge; at the edges of the sleeves there are two bands of the same colour. She has blonde curly hair falling on her shoulders over which she puts a white veil falling at her back.

لوحة رقم (٩٨) تبين قصــة سفينة نوح المرسومة (بالفرسكو) فى قبــة كنيسة دير (الخروج) بالبجـوات

The serpent climbs on a tree and whispers in Eve's ear (Fig. 62). The painter has chosen a rosel colour for them both but the lines at the edges are red, both bodies are covered with smal hatches. Eve's hair is fairer than her skin. Over Adam is written Αδαμ and over Eve Eva.

(8) Abraham and his Son (Fig. 63, Pl. XXI):

The next scene is that of Abraham and his son. Abraham wears a white yellowish shroud



Fig. 63.—Abraham sacrifices his son.

لوحة رقم (٩٩) تبين قصة ابراهيم والفداء مرسومة (بالفرسكو)
فى قبة كنيسة دير (الخروج) بالبجوات

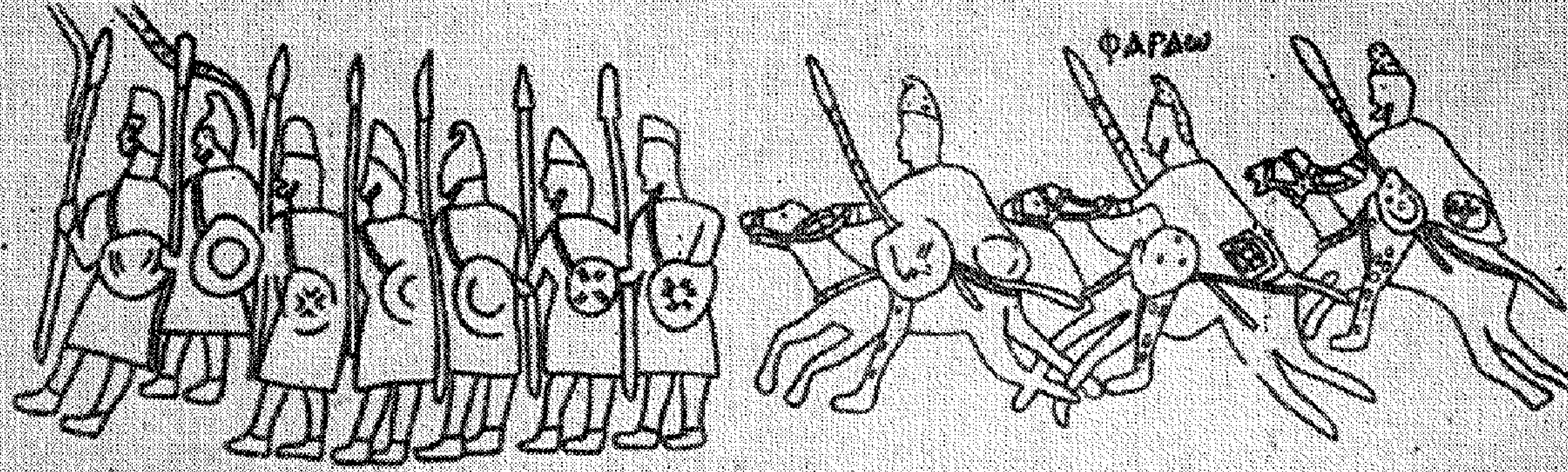


Fig. 35. —Pharaoh and his soldiers rushing after the Israelites

لوحة رقم (١٠٠) تبين قصة فرعون مصر وجنوده يطارد بني اسرائيل في قبـة دير (الخروج) بالبجوات



4.—Chapel No. 34. The Greek text at the left of the north wall.



لوحة رقم (١٠١) تبين بعض جدران الاديـــرة الموجودة فى البجـوات بالواحات الخارجة وقد ظهرت عليها كتابات من زارها فى العصور الوسطى ومما كتب عليها

الموت باب وكل النـاس تدخـله
فليت شعرى بعد المـوت ما الدار
الدار جنـة عدن ان عملت بمـا
يرضى الالـه وان خالفت فالنـار

محافظة البحر الأحمر

كان ولا يزال يسكن فى بادية الصحراء الشرقية الجنوبية بين النيل والبحر الأحمر ، قبائل البجه أو البجاه التى ترجع معظم الروايات أنهم من سلالة أولاد كوش بن حام ، الذين هاجروا الى السودان بعد الطوفان . ومن المقطوع به أنهم من سلالة غير السلالة الزنجية وأنهم من أقدم شعوب أفريقيا وان لم ينشأوا فيها بل هاجروا اليها من آسيا عن طريق البحر الأحمر من عهد بعيد . وكلمة البجاه محرفة من كلمة (المجا) المشتقة من كلمة (الماجوى) ومعناها فى الفرعونية الحارس أو المحارب ، وقد استخدمهم المصريون القدماء فى أعمال الحرب وحراسة حدود الصحراء ، وكان المصريون القدماء يطلقون على هذه القبائل اسم (المازوى) أو (الماجوى) بتعطيش الجيم ويقول الأستاذان (بترى) و (سلجمان) بأن الفراعنة والبجا شعب واحد . وقد عاش هذا الشعب طوال تلك العصور منعزلا عن العالم القريب منهم حتى فى أشد أوقات العسر ، عند انقطاع الأمطار وجفاف الوديان ، وظلوا ملتصقين بأرضهم فى عزم وصلابة وهذه احدى مميزاتهم . والمنطقة التى يعيشون فيها على ساحل البحر الأحمر (أو الصحراء) يكاد يحدها شمالا الطريق بين قنا والقصير ، وجنوبا الى حدود الهضبة الحبشية ، ويقدر عددهم الآن بنحو مليون ونصف يقطن ثلثهم تقريبا داخل حدود الجمهورية العربية المتحدة . ويدل تاريخ شعب البجة [1] على أنهم محاربون دائبو المعارك فى كل العصور ، كما يستدل على ذلك مما عثر عليه فى أوراق البردى التى ترجع الى الدولة المتوسطة ، فقد عثر على خطاب أرسله الملك (خانى) الى ولى عهده وسماهم الأعراب (بأن لا تعادهم ولا تحاربهم لأنهم يضربون

---

(1) المقريزى جـ ١ ص ٣١٣ .

ضربتهم ويهربون فى الجبل وحربهم غير مجـدية لأنهم لا يملكون غيـر أرواحهم) . وكان ولا يزال سلاحهم السيف والدرع وهى ترس يردون بها عن أنفسهم ضربات الأعداء .

ومضى القرنان الأخيران من حكم الرومان فى مصر ، ولم يسـمع عن قبائل البجة صوت فى التاريخ ، ولعل ذلك يرجع الى انشغال الرومان فى حروبهم مع الفرس ، فعادت قبائل البجة الى حياتها القديمة حول الجبال .

وبعد فتح العرب (1) لمصر سنة ٦٤١ م تدفق العرب على مصر وبلغ عدد القبائل التى نزلت مصر وشمال افريقية نحو ٢٢ قبيلة ما بين عدنانية وقحطانية . وبعد الفتح بأربعة أعوام استأذن عبد الله بن أبى السرح عمرو بن العاص ، فى غزو الجنوب فسار فى عشرين ألف مقاتل من مختلف القبـائل العربية ، وانحدر الجيش نحو بلاد النوبة وكان بينهم ثلاثة من أبناء الصحابة يسمون باسم عبـد الله وهم : عبد الله بن عمـر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وغزوا مملكة النوبة وتغلبوا عليها واستوطن بعضهم جنوب مصر واندمجوا مع قبائل البجة وسار بعضهم الى السودان . وقد أدى هذا الاندماج الى اسلام قبائل البجة ، بل ان القبائل فى مصر والسودان أصبحت تفخر بأنها تنسب الى قريش وقد اختارت البجة الزبير بن العوام للانتساب اليه ، وقد قوى هذا النسب بمجىء عبد الله بن الزبير بن العوام على رأس الجيش الذى غزا النوبة ، وبذلك تجاهلت البجة أصلها العريق واصطنعت النسبة الى الزبير بن العوام .

وتنقسم قبائل البجة المقيمة بمصر الى قسـمين كبيرين هما العبابدة وينسب العبابدة أنفسهم الى الزبير بن العوام ، وأن جدهم (عباد) المدفون فى وادى عباد بالقرب من مدينة ادفو ويقال أنه من نسل الزبير بن العوام ، ومن أجداد العبابدة عزاز الذى ينحدر من (كهيل) وهو جد قبيلة الكواهلة احدى القبائل العربية المستوطنة كردفان بالسودان . ويقول ابن بطوطة (2)

---

(1) البيان والاعراب ص ٣٥ .
(2) ابن بطوطة ص ١١٧ .

فى رحلته (سنة ١٣٥٣ م) أنه شاهد بعض قبائل أولاد كهيل (الكواهلة) تقيم على ساحل البحر الأحمر بالقرب من عيذاب .

ويسكن العبابدة فى الصحراء الجنوبية الشرقية ويفصلهم عن قبائل المعازة شمالا خط يمتد تقريبا من قنا على النيل الى بلدة الغردقة على البحر الأحمر . وجنوبا الى حدود السودان كما يقيم بعضهم بالقرب من شواطىء النيل . وهناك جماعة من قبائل العبابدة تسكن الدلتا فى محافظات الشرقية والدقهلية والغربية . ويقال انهم انفصلوا من قبائلهم الأصلية سنة ١٥١٩ م عقب فتح الأتراك لمصر . وتنقسم العبابدة الى أربعة فروع (أوبطون) تعرف بالعمائر أو البدينات ، وهى العشاباب والمليكاب والفقرا والعبوديين ويلاحظ أنها تنتهى دائما بكلمة آب وكلمة (آب) بالبجاوية معناها أبناء أو أولاد .

والقسم الثانى من البجة وهم البشاريين أو البشارية ، فهم مثل العبابدة ويرجعون نسبهم الى الزبير بن العوام كذلك ، وان جدهم كاهل ، ويقال أن « كاهل » أعقب ثلاثة عشر ولدا وأن أحدهم اسمه (بشار) وهو جد البشاريين (ويقال) أنه من نسل الزبير . وصلة البشارية بمصر قوية وهم يعتبرون بلدان أسوان ودراو أسواقا لهم . وهم ثلاث فرق ، واحدة تسكن على البحرالأحمر من القصير شمالاالى سواكن جنوبا ، والثانية على نهرعطبرة بالسودان ، والثالثة فى جزيرة عتباى وكل فرقة تنقسم الى عدةبدينات (أو بطون) . وأهم هذه البطون الحميد وراب ، التى تسكن منطقة المراعى عند جبل علبة وعلى السهل الساحلى من بئر الشلاتين الى حدود السودان . والعائلة الحاكمة فى قبائل البشارية تدعى (بطرانات) نسبة الى العمدة بطران على تويف .

ومن الواضح أن قبائل البجة بقسميها (العبابدة والبشارية) قد تأثروا بالاسلام تأثرا شديدا ولكنهم احتفظوا بلغتهم الحامية رغم معرفتهم العربية ، كما أنهم تأثروا أيضا بالثقافة العربية الى حد كبير ظهر واضحا فى حياتهم الاجتماعية مع الاحتفاظ ببعض عاداتهم الأصيلة ، التى نشأت معهم أو التى اقتبسوها من المصريين القدماء . ولغة البجة تسمى (البتداوى) أو (بداويت)

وهى للمخاطبة فقط ولا تكتب ولذلك فليس لهم تاريخ قومى مسجل ، الا ما يرويه جيل عن جيل .

البحر الأحمر :

كان البحر الأحمر أحد الطرق الثلاثة المتبعة فى التجارة بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، وكان البيزنطيون يشجعون هذا الطريق لمقاومة احتكار أعدائهم الفرس لتجارة الهند ، فكانت المتاجر الهندية تفرغ فى موانى بيزنطة ، ففى الشمال كانت تفرغ فى القلزم ، ثم تنقل المتاجر بواسطة القناة التى تصل القلزم بالنيل ، والتى وجدت منذ عهد الفراعنة . وأعاد حفرها البطالمة والرومان وقد ظلت موجودة الى أوائل القرن السادس الميلادى على الأقل . وفى الأوقات التى كانت تردم فيها أجزاء من هذه القناة ، كانت تنقل المتاجر على ظهور الابل وعند وصولها الى النيل ، تحمل حتى البحر الأبيض المتوسط ، وكذلك كان يفرغ بعض متاجر الشرق فى ميناء (Berenice) القديمة التى ظلت محتفظة بأهميتها التجارية الى القرن الرابع الميلادى على الأقل .

ولما فتح العرب مصر فى القرن السابع الميلادى أصبح البحر الأحمر ، أو بحر القلزم أو بحر جده (كما كان يسميه العرب (١)) أشبه ما يكون ببحيرة تفصل بين مركز الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة وبين أهم الأقاليم الخاضعة لها ألا وهى مصر . لذلك فقد ظهرت موان وثغور على الشاطىء الغربى للبحر الأحمر ونالت شهرة واسعة طوال العصر الاسلامى . ومن أهم هذه الثغور عيذاب (٢) .

عيذاب :

ورد فى رحلتى ابن جبير وابن بطوطة (٣) وفى الخطط المقريزية ، أن عيذاب كان فرضة (ميناء) على بحر القلزم ، وأنه لا عمارة

---

(١) معجم البلدان جـ ٩ ص ١٥٤ .
(٢) المقريزى جـ ١ ص ٣٤٣ ، رحلة ابن جبير ص ٢٨ ، المسالك والممالك ص ٨١ .
(٣) ابن بطوطة جـ ٢ ص ٢١٩ ، المقريزى جـ ١ ص ٣٢٧ ، معجم البلدان جـ ٦ ص ٢٤٦ .

٦

فيها ، ولكنها كانت من أشهر المراسى فى البحار ، تأتى اليها سفن اليمن والحبشة والهند . وكانت طريق الحج المصرى يسير اليها الحجاج عن طريق قوص ثم يركبون منها الى جدة . وقد أقام حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتى سنة يتوجهون الى الحجاز عن طريق عيذاب ، ثم بطل استعمال هذا الطريق فى سنة ٧٦٦ هـ (القرن الرابع عشر الميلادى) . وجاء فى الخطط التوفيقية (١) ، ان عيذاب كانت فى محل مدينة بيرنيس القديمة (برنيقة) (التى أنشئت فى العصر البطلمى) الواقعة على البحر الأحمر تجاه مدينة أسوان . ولكن محمد رمزى يعقب على ذلك فيقول : ان عيذاب لم تكن محل مدينة (بيرنيس) كما ذكر على مبارك ، لأن هذه تقع على البحر الأحمر عند رأس بناس على خط عرض ٢٣° درجة ، يقابلها من الغرب على النيل أسوان ، وأما عيذاب فكانت واقعة على البحر الأحمر جنوبى رأس أبو فاطمة على خط عرض ٢٢° درجة ، يقابلها من الغرب على النيل قرية أبو سنبل التى بمركز الدر . وقد اندثرت عيذاب من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وتلاشى طريقها وتحول عنها طريق الحجاج والقوافل التى كانت تسير بين عيذاب وقوص ، الى طريق السويس فالعقبة فالساحل الشرقى للبحر الأحمر الى جدة .

وقد جاء وصف عيذاب فى (درر الفوائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة) انها مدينة على ساحل بحر جدة غير مسورة أكثر بيوتها الأخصاص ، وفيها بعض البيوت من الجص وهى من أجل مراسى الدنيا ، وهى فى صحراء لا نبات ولا يؤكل بها شىء الا المجلوب ، ولأهلها ضريبة على التجار والحجاج ، وما من أهلها من ذوى اليسار الا من له الجلبة (السفينة) . وفى بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ فى جزائر قريبة منها يستخرج منه جوهر اللؤلؤ النفيس . وجاء فى رحلة ابن جبير (٢) وفى غيره أنه يوجد بصحراء عيذاب (الصحراء الشرقية) معدن الزمرد ومعدن النحاس . ثم يصف الطرق الموصلة بين قوص وعيذاب فيقول : المقصد من قوص الى

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٤ ص ٥٤ .
(٢) ابن جبير ص ٣٩ .

عيذاب على طريقين أحدهما يعرف بطريق العبدين وهو أقصر ، أما الطريق الآخر فيعرف بالجمينزى وهو طـريق وعر . وذكر ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، أن الشاعر أبو الفتوح نصر الله بن مخلوف بن على بن عبد القوى بن قلاقس اللخمى الأزهرى الاسكندرى القاضى ، المشهور بابن قاقس توفى ودفن بعيذاب سنة ٥٦٧ هـ — (١١٧١ م) . وكذلك ذكر ابن بطوطة ، أن فى طريق عيذاب بمنزله حميثرى قبر الولى الشـيخ أبى الحسن الشاذلى العلوى الفاطمى المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

الآثار الباقية

دير انطونيوس :

يقع دير انطونيوس على سفح جبـل القلزم من سلسلة جبال القلالة القبلية أسفل رابية عالية تطل على البحر الأحمر وعلى جبال سيناء ، عند خط عرض ٢٨٫٥٥° شـمالا على مسير ثلاثة أيام من النيل ويوم واحد من البحر الأحمر . والدير مشيد على العين التى قيـل أن القديس كان يستقى منها وعلى مقربة من المغارة التى كان يعيش فيها . وقد أنشىء هذا الدير قبل (١) سنة ٤٠٠ م ، وكانت مساحته وقتئذ لا تتعدى الثلاثة أفـدنة ، ولم يكن يحتوى الا على قلايات الرهبان وكنيسة واحدة وقليل من الأبنية الأخرى .

وكان دير أنطونيوس فى صورته الأولى يشبه الى حد كبير أديرة وادى النطرون ، من حيث المساحة والأسوار والتفاصيل الأخرى . ويقال أن الدير جدد فى أيام حكم الأمبراطور جستنيان (٢) سنة ٥٣٧ م . فقد حدث ان خسر هذا الأمبراطور احدى القلاع المهمة فى بلاد العرب التى كانت تحمى حدود مصر ، فأراد أن يقيم بدلا منها قلاعا على حدود مصر نفسها ، فبنى لذلك حصنا فى شبه جزيرة سيناء ، لا يزال قائما حتى اليوم يسكنه الروم الارثوذكس وهو المعروف بدير سانت كاترين ، وفى نفس الوقت عمر ديرى أنطونيوس وبولا وزاد فى مساحتهما وأضاف اليهما كثيرا من المبانى . أما التجديد الثانى فقد حدث فى القرن التاسـع عشر على يدى الانبا كيرلس الرابع ، الذى قام باصلاحات واسعة النطاق للدير ، لم يحظ بمثلها منذ بنائه فى المرة الأولى . واذ كان هذا البطريرك مغرما بالاصلاح فى كل ناحية من نواحى الحياة ، فليس بغريب اذن أن يوجه اهتماما خاصا للدير الذى قضى

1) Lausiac : History Of Churches vol. I p. 231 .
2) Butcher : Churches Of Egypt. P. 327 .

فيه أيام رهبنته ، فقام بعمل سور ضخم أحاط بالأسوار القديمة . والسور يشبه أسوار الحصون لضخامته وارتفاعه الذى يتراوح بين العشرة والاثنى عشر مترا وسمكه يزيد على مترين .

ومما يسترعى النظر ان الأسوار القديمة مبنية من اللبن مع أن الاحجار متوفرة هناك ، أكثر من توفر الطمى اللازم لعمل قوالب اللبن ، لأنها منطقة جبلية . ولكن ثبت ان استعمال اللبن فى تلك المنطقة كانت تقتضيه الحنكة الفنية ، ذلك ان تعاقب الحرارة والبرودة الشديدتين يفتت الحجر بخلاف اللبن فان الحرارة تزيده متانة ولا يؤثر فيه اختلاف الجو . وقد ثبتت صحة هذه النظرية بالمعاينة ، فقد رأينا أن الأسوار القديمة والمبنية من اللبن والتى ترجع الى القرن الرابع والسادس ما يزال أكثرها قائما حتى اليوم ، أما الأسوار الحجرية التى أقيمت فى القرن التاسع عشر والتى لم يمض عليها غير قرن واحد قد تهدم بعض أجزائها ، وأعيد بناؤه ، وهناك مبان حجرية كثيرة مهددة بالسقوط ان لم تتناولها يد الاصلاح .

ويعد دير أنطونيوس أكبر الأديرةالعامرة حتى الآن للاقباطالارثوذكس، اذ تبلغ مساحته ثمانية عشر فدانا ، بينما تبلغ مساحة أكبر الأديرة فى وادى النطرون فدانين ونصف فدان ، ودير بولا نحو خمسة أفدنة .

وللدير أجراس تقرع عند الدخول ، الذى كان يتم عن طريق الساقية ، وهى عبارة عن آلة تتكون من اسطوانة خشبية تتحرك حول محور رأسى ومثبت بها ثلاثة أذرع أفقية ، ومربوط بها حبل من أحد طرفيه ، ويمتد طرفه فيمر على بكرة حديدية معلقة فى السقف ، ويتدلى بعد ذلك لمسافة طويلة بشكل حبل مزدوج .

وعندما يسمح لشخص بالدخول يمر الحبل الى أن يصل أسفل السور ، ثم يقف الشخص ممسكا الحبل بكلتا يديه واضعا قدميه عند نهايته ، وبعدئذ يدفع شخصان أو ثلاثة أشخاص ، أذرع الأسطوانة لادارتها ، فيلتف الحبل ويرتفع الشخص الى أعلى البناء . ويقول الأستاذ لبيب حبشى (١) ، ان تسميه تلك الآلة بالساقية يرجع الى التشابه القائم بينها وبين الساقية المستعملة فى

(١) فى صحراء العرب والأديرة الشرقية ص ٦٨ .

الرى ، فكما ان الأخيرة ترفع الماء ، فان ساقية الدير ترفع الأشخاص والأشياء من خارجه الى الداخل .

ومن أهم أجزاء الدير ، ومن أقدمها ، كنيسة أنطونيوس ، التى يقال أنها بنيت فى حياة القديس أو بعد وفاته بقليل . والكنيســـة ذات تخطيط مستطيل اذ يبلغ طولها نحو عشرين مترا وعرضها عشرة أمتار ، وتنقسم من الداخل الى أربعة أقسام : قسمان للمصلين وقسم للشيوخ والكهنة . ويعلو هذه الأقسام الثلاثة قبة كبيرة ، أما القسم الرابع فتوجد به الهياكل وتعلوه ثلاث قباب صغيرة . ويوجد بالدير كذلك كنيسة الرسل وهى تتصل بكنيسة انطونيوس بدهليز طويل . وهى مقسمة الى أربعة أقسام متساوية يعلو كل منها ثلاث قباب وينفصل كل منها عن الآخر بواسطة حاجز خشبى . وبها كذلك أربعة هياكل . كما يوجد بالدير كنيسة العذراء ، وهى صغيرة ومقسمة الى ثلاثة أقسام يفصل كلا منها عن الآخر حاجز خشبى كذلك . والكنيسة مبنية بالطابق الثانى للدير . وأحدث مبانى الدير الكنيسة الجديدة وتقع عند مدخل الدير بجوار السور الشمالى ، وقد بنيت فى القرن التاسع عشر على الطراز الحديث ، ولها اثنتا عشرة قبة . ويقال انها لم تستعمل لأنها غير متجهة الى الشرق تماما .

وقد كان لدير أنطونيوس مكتبة عامرة بالكتب الدينية والمخطوطات الكهنوتية باللغة القبطية والعربية ، وذلك لأن قوانين الأديرة تقضى بأن كل ما يكتبه الراهب — سواء أكان نسخا عن كتاب آخر أم من تأليفه الخاص — فهو ملك للدير بعد وفاته ، وكان الرهبان فيما مضى على جانب عظيم من العلم والتفقه فى أحكام الدين . ولكن للأسف فان معظم هذه الكنوز قد ضاع ، اما على أثر غارات البدو أو عن طريق الأوروبيين الذين كانوا يفدون على الدير لشراء وسرقة كتبه ومخطوطاته ، وما بقى بعد ذلك نقل الى القاهرة ويبلغ نحو ألف مجلد بين مطبوع ومخطوط .

ومن الاجزاء الهامة بالدير كذلك القصر او الحصن (١) وهو عبارة عن معقل يلجأ اليه الرهبان وقت الخطر . وقد شيد القصر فى القرن السادس

---

(1) Couvent. Le St. Gutoine. P. 3.

عشر وتبلغ مساحته مئتى متر مربع ، ويتكون من ثلاث طبقات ، وبابه فى الطابق الثانى حتى لا يسهل اقتحامه .

وكانت المياه تصل الى القصر عن طريق أنابيب من الفخار ممتدة من نبع الماء تحت الأرض . وباعلى القصر توجد كنيسة القـــديس (١) ميخائيل ، حامى المعذبين من أجل الدين .

كما يوجد بالدير قصرالضيوف (٢) الذى أنشىء فىالقرن التاسع عشر ، وهو يتكون من أربع غرف وبهو مستطيل ويجد فيه الزائر كل أسباب الراحة أثناء أقامته بالدير . أما قلايات الرهبان فبعضها قديم داخل الســور القديم وأخرى حديثة فى خارجه . وفى هذه القلايات يجد الراهب كل ما يحتاج اليه من فراش وأدوات للطهى وخلافه . وللدير حديقة واسعة تنمو بها كثير من أشجار الفاكهة والكروم والنخيــل وكذلك بعض الخضروات . وتروى الحديقة بسهولة ويسر وذلك لانحدار سطحها ، ولوجود عين ماء فى مكان أعلى منها .

القديس أنطونيوس :

ولد القديس أنطونيوس (٣) سنة ٢٥٤م فى بلدة كوما (قمن العروس) بمركــز الواسطى . ويقــال أنه كان من أسرة عريقــة وتلقى تربية دينية . ولما بلغ العشرين من عمــره وبعــد وفاة والــده أعتــزل الحيــاة العامة ومال الى حيــاة العــزلة والتنسك ، وترك بلــده وأهله بعــد أن أودع أخته مع جمــاعة من المتبتلات وخــرج الى منطقة بسير ، بين أطفيح وبنى سويف فى المنطقة التى بنى عليها دير المنون وكان ذلك سنة ٢٨٥م . وعاش هناك عشرين سنة استهوى فيها بتدينه وخلقه الرضى كثيرا من الأتباع والمريدين . وفى سنة ٣١١م أخذ يطوف بالمدن مع جماعة من أتباعه يشجع المضطهدين ويحثهم على التمسك بدينهم ، حتى وصــل مدينة الاسكندرية وأخذ يتحدى حاكم المدينة علنــا . وفى سنة ٣١٥م أنطلق الى الصحراء الشرقية لأنه أراد أن يعيش فى عزلة مطلقة وانتهى به المطاف الى جبال القلاله

(١) Chester : Copic Deyrs. P. 10

(٢) Butler : Copic churches Vol. I.P. 70

(٣) ابو صالح الارمينى ص ٩٧ .

الجنوبية قرب نبع ماء على بعد أميال قليلة من ساحل البحر الأحمر حيث قابل القديس بولا • وعاش فى مغارة بقية حياته ، وتبعه بطبيعة الحال بعض المتقشفين فى عزلته ، وعاشوا على مقربة منه فى قلايات فى الجبل . ومات القديس أنطونيوس سنة ٣٩٥ .

وفى ذلك الوقت كانت الرهبانية قد ظهرت لأول مرة فى مصر ، وبدأت بنظام العزلة المطلقة ، ثم تطورت الى نظام الجماعات فى قلايات متقاربة ، ثم انتهت بانشاء الأديرة . واذا كان القديس بولا يعتبر أول من أنشأ نظام الرهبنة ، فان فكرة الرهبنة تركزت وتبلورت حول شخصيته القديس أنطونيوس الذى يعتبر أبو الرهبانية .

دير القديس بولا :

ولد القديس بولا بمدينة الاسكندرية سنة ٢٢٨م وذلك كما ورد فى مخطوط مؤرخ (١٣٤٥) ومحفوظ بالمتحف القبطى . وكان لبولا أخ يدعى بطرس ، وتوفى والده ولما يبلغ سن الرشد ، فاختلف هو وأخيه فى الميراث فزهد فى الحياة وهرب منها . وهناك رواية أخرى (١) تقول انسبب هروبه من الحياة لم يكن بسببلطمع اخيه فى الميراث ، بل أن بولا هربخوفا من أن يشى به زوج أخته الشرير ، عند الحاكم الرومانى بانه مسيحى فيقتله . ومهما يكن السبب فى زهده فى الحياة ، فمن الثابت أنه هرب من العالم قبل ان يبلغ سن الرشد ، حيث أقام فى قبر مهجور مدة ثلاث سنين ، كان يصلى ويبتهل الى الله ان يرشده الى طريق الصواب . وتقول الرواية ، ان الله أرسل له ملاكا قاده الى البرية الشرقية ، فأقام بها ثمانين سنة وحيدا لم ير فيها مخلوقا ، وكان يلبس ثوبا من أليافه النخيل . وتضيف الرواية أن الرب كان يرسل له غرابا بنصف خبزه كل يوم ليقتات بها . وتقول القصة ان الله لما أراد اظهار قداسة الانبا بولا أرسل له القديس انطونيوس ، فالتقى به فى المغارة التى كان يتعبد فيها وتحدثا فى أمور جليلة الشأن ، فلما كان المساءأتاه الغراب بخبزة كاملة ، فقال القديس بولو لانطونيوس : « الآن علمت أنك مرسل من عند الله لأن لى اليوم ثمانون سنة يرسل الرب الى نصف خبزة كل

(1) Amelineau ; Hist. des Modnasteres P.2

يوم ، وها هو ذا قد أرسل لك طعامك اليوم » ثم رجع انطونيوس لكى يخبر البطريرك بخبره ، فلما رجع اليه مرة أخرى كانت روحه الطاهرة قد صعدت الى بارئها فتحير فى دفنه . وتقـول الرواية ، ان انطونيوس رأى أسـدين يدخلان عليه ويشيران برأسيهما كمن يستأذن فيما يعمله ، فعلم أنهما مرسلان من قبل الرب ، فقاس لهما طول الجسد ، فحفرا بمخالبهما الى ان قال لهما كفى ، ووارى جسده الطاهر التراب ثم عاد القديس انطونيوس الى البطريرك وأعلمه بالخبر . وقد اعتاد الرسامون ان يرسموا الأنبا بولا وبجواره أسدان على جانبيه ، مع غراب يحلق فوق رأسه ، وقد أصبح واضحا انه يشار بهذه الرسـوم الى القصة السـابقة . وقد سمى المقـريزى هذا الدير باسم دير النموره ، ويظهر ان العرب فى العصور السابقة كانوا كذلك يطلقون عليـه هذا الاسم ، كما يقول الرحالة سـيكار (١) . وقد يكون السبب فى هذه التسمية وجود النمور (٢) فى المنطقة أو نسبة الى النمور التى حفرت قبـر القديس (٣) .

وصف الدير : يحد الدير من الجهة الغربية جبال القلاله القبلية العالية ويحيط به من الجهات الاخرى هضاب مرتفعة . ويقع على خط عرض ٢٨٫٥١ وعلى مسيرة يومين من دير انطونيوس وستة أيام من النيل وثلاث ساعات من شاطىء البحر الأحمر . والدير مشيد على هضبة مرتفعة ، فى البقعة التى عبر منها بنو اسرائيل الى البحر الأحمر عند خروجهم من مصر الى سيناء . وتبلغ مساحة الدير الآن خمسة أفدنة ، وهو مستطيل الشكل ، طوله مئتا متر وعرضه مئة متر . ويحيط بالدير أسوار مرتفعة تبلغ عشرة امتـار وسمكها مترين ، كما يوجد بالدير أسوار قديمة تشبه الجديدة فى ارتفاعها . ومن المبانى الهامة فى الدير كنيسة بولا ، وهى مشيدة فوق المغارة التى عاش فيها القديس ، التى تنخفض عن مستوى البحر بنحو ثلاثة أمتـار وينزل اليها بواسطة سلم من ثلاث عشرة درجة . ومعظم الكنيسة منحوت فى الصخر وبها

---

(١) Mission dans Levant Vol. P. 170

(٢) Coppin : Guerre St. P. 316

(٣) Granger : Voyage en Egypte P. 117

ثلاثة هياكل . وهذه الكنيسة أقدم بناء فى الدير كما توجد بالدير كنيسة ابى سفين التى تعلو مبانى كنيسة بولا السابقة الذكر وتحتوى هذه الكنيسة على هيكل واحد والى يساره توجدحجرة واحدة يسمونها (كلومية) (١) ومعناها المكتبة ثم كنيسة الملاك وبها ثلاثة هيــاكل وهى مقسمة الى اربعة أقســام ويعلوها اثنتا عشرة قبة فتبدو وكأنها حقل من القباب .

ومن المبانى الهامة كذلك بالدير الحصن، الذى يشبه حصن ديرانطونيوس ويتكون من ثلاث طبقات . وبهــــذا الحصن بعض الآثار القيمة من صلبان وأشياء أخرى من مخلفــات القديسين ، تصلح ان تكون متحفا لا بأس به للدير . كما يوجد به قصر للضيوف ومخازن وحديقة كبيرة .

وتسمية بعض المبانى فى هذاالدير ودير انطونيوس « بالحصن » جديرة بالالتفات لأنها تدل على ان المبنى معرض للهجوم عليه ، ولــذا فقــد عمد ساكنوه الى بنائه على شكل حصن أو على الأقل تسميته بهذا الاسم . ونحن اذا استعرضنا تاريخ المسيحية عامة وفى مصر بصفة خاصة ، وجدنا السبب فى هذه التسمية ، فان مسيحى مصر قد لاقوا من صنوف العذاب والاضطهاد ما لم يلقــه شعب فى سبيل التمسك بعقيدته ، وذلك من الحــكام الرومان الوثنيين ، ولذا فقد أصبح الدير بالنسبة لمن اعتنق المسيحية فى مصر حصنا يلجأ اليه ويحتمى فيه خوفا من الاضطهاد والعذاب . على أن هــذه التسمية ظلت كذلك بعد أن أعترف بالمسيحية بل وحتى بعد أن اصبحت المسيحية دين الدولة الرسمى فى القــرن الخامس الميــلادى ، والسبب فى ذلك ان معظم الأديرة وخاصة تلك التى بنيت قبــل الاعتراف بالمسيحية ، كانت توجد فى مناطق نائية بعيدة عن العمران وخاصة فى الصحراء الشرقية والغربية ، ممــا جعلها فى خطر غزو هجوم البدو الرحل ، ومن ثم فقد كان تحصينها ضرورة تقتضيها البيئه التى وجدت فيها .

---

(١) لبيب حبشى ص ١٤٦ .

محافظة سيناء

سيناء لغة الحجر ، قيل أنها سميت بهذا الاسم لكثرة جبالها ، وقيل أن اسم سيناء مأخوذ من سيمن بمعنى القمر فى العبرانية ، وسميت كذلك لأن أهلها كانوا قديما يعبدون القمر . ومن أسمائها شبه جزيرة طور سيناء أو جزيرة سيناء (١) .

وكانت سيناء فى أكثر عصورها التاريخية ، بل وبعد الفتح العربى تابعة لمصر . وفى الآثار الباقية بها مما أقامه المصريون من القلاع والأبراج ما يشهد بذلك . وأقدم هذه القلاع الفرما من عهد الفراعنة وقلعة جبل المغارة وقلعة خربة الرطيل من آثار الرومان وقلعة الباشا وقلعة مبعوق من أعمال صلاح الدين الأيوبى وقلعة نخل أقامها السلطان الغورى فى درب الحجاج لحمايتهم وقلعة الطور المنسوبة الى السلطان سليم ، وقلعة العريش التى بناها السلطان سليمان لحماية طريق العريش بين مصر والشام ، وأكثر هذه القلاع قد تهدم ولم يبق منها غير ثلاث وهى قلعة الطور وقلعة نخل وقلعة العريش .

ولسيناء شهرة قديمة حفظها لها التاريخ وذكرت فى الكتب المقدسة ففى القرآن الكريم جاء ذكرها فى أكثر من سورة . ففى سورة التين قوله تعالى : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » ، وفى سورة الطور « والطور وكتاب مسطور فى رق منشور ..الخ » ، وفى سورة مريم « واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا » ، وفى سورة المؤمنين : « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » ، وذكرت فى التواره باسم « حوريب » ونزلت بها الوصايا العشر .

---

(١) نعوم شقير ص ١٧ .

ومن سيناء عبر بنو اسرائيل عنــد خروجهم من مصر مع سيدنا موسى عليه السلام . وفيها جبل طور سيناء ، واليه تنسب شبه الجزيرة كلها ، حيث كلم الله موسى وناجاه فعد من الأراضى المقدسة ، وغدا الجبــل محجا لأهل الشرق والغرب من اليهود والنصارى والمسلمين . وما زال هناك دير مشهور يزار الى اليوم .

وفى سيناء منذ أمد بعيد طريقان تجاريان وحربيان يصــلان بينها وبين الشام وجزيرة العرب وهما « طريق الفرما » على شاطىء البحر الأبيض الى الشام فالعراق ، « الفيرا » يخترق بلاد الطور الى الحجاز . وبعــد الفتح الاسلامى قام منها « طريق الحج » يخترق بلاد التيه الى الحجاز ، و « طريق العريش » مارا بقطيه والعريش الى الشام فالعراق ، وهى ما زالت الطريق البرى الوحيد الذى يصل مصر بالبلاد الشرقية عامة وبالبلاد العربية خاصة .

وسيناء غنية بثروتها المعدنية ، اذ يكثر فى تلالها الحديد والمنجنيز ومادة الكاولين التى تصنع منها الأوانى الخزفية وفيها النحاس ومنــاجم الفيروز ، وكان الفراعنة يعرفونه فى بلاد الطور ، وأقاموا فى بعض مناجمها هيكلا من أنفس هياكلهم وما زال من أهل الطور من يتجرون فى الفيروز الى اليــوم وان لم يعد دخلهم منه كما كان من قبل .

وفى باطن سيناء من البترول أو الذهب الأسود ، ما يكفل لسكان هذه المنطقة الحياة الكريمة فى المستقبل القريب فقد اكتشفت بعض آبار البترول فى واحة فيران فى منطقة بئر عسل وغيرها . وما زال اكتشاف الآبار يتوالى مما يؤيد أهمية سيناء الاقتصادية فضلا عن أهميتها العسكرية .

ولسيناء ثروتها المائية من بحيراتها المتصلة بالبحر الأبيض ومنها بحيرة « البردويل » وبحيرة « الزرانيق » ويبلغ طول الأولى نحــو ٧٠ كيلو مترا وعرضها نحو ٤٠ كيلو مترا وعرض الفتحة التى تصلها بالبحر ٨٠ مترا وعمق الماء فيها نحو ثلاثة أمتار وتصــدر الأسماك الى بورسعيد والعريش لبيعها وتعد البطارخ فى صناديق خاصــة فى بلدة الزرانيق القريبة من البحيرة . ويقدر الدخل السنوى لأسماك هذه البحيرة بحوالى عشرة آلاف جنيه .

ولأهل سيناء تجارتهم وأهمهـا الابل والخيـل والغنـم يهتمون بتربيتها ويستولدونها ويتجرون بمواليدها الذكور ، ثم الفيـروز وحجـارة الرحى والعجوة والسمار . ولهم موارد أخـرى من تأجير الابل للسياح والحجاج وغيرهم من قاصدى زيارة دير سانت كترين وغيره من الآثار الجمة فى سيناء ، وان كان فى استعمال السيارات اليوم قد أضعف هذا المورد الى حد كبير . كما أنهم يبيعون ما يفيض عن حاجتهم من الأنسجة الصوفية ، فمن صناعتهم غزل الصوف وصبغة وحياكته ويقوم بهذا كله النساء .

وزراعة سيناء تعتمد على المطر ويقع أكثره فى بلاد العريش فى جهاتها الشرقية وأهم ما يزرع الشعير وهو المحصـول الرئيسى . وفى سيناء أرض خصبة تمتد لمسافة عشرين ميلا من شاطىء البحر الأبيض . ولو أمكن تعميم طلمبات الرى فى سيناء لنشأت بها مستعمرات زراعية تفـوق المستعمرات الصهيونية فى فلسطين .

والبدو تعيش على النظام القبلى ، فشيخ القبيلة ، هو رئيسهم يأتمرون بأمره ويعملون بمشورته وهو من جانبه يعمل لصالح القبيلة ويساعدهم فى شئونها ويشاورهم .

وليس للبـدو شريعه مكتوبه بل يحكمهم قضـاتهم بمقتضى العـرف والعاده . والقضـاء عندهم موكول الى قضـاة من خواص رجالهم فمنهم (القصاص) وهو قاضى الابل يقضى فى كل ما يتعلق بهـا كسرقتها ووثاقها وغيره . و (العقبى) وهو قاضى النساء يقضى فى مسـائل المهر والطـلاق.

و «المبشع» وهو قاضى الجـرائم المنكورة والتى لا بينة عليهـا . ودرجا تالقضاء عندهم ثلاث ، لكل درجة قاض ، فيرفع المتنازعان دعواهما الى الأول فاذا لم يقبلا حكمه رفعا الدعوى الى الثانى ، وهو بمثابة محكمة الاستئناف ، واذا لم يرضيا بحكم الثانى رفعا الدعوى الى الثالث ، وهو بمثابة محكمة النقض والابرام فحكمه نهائى .

وهناك « كبار العرب » وهم بمثابة رجال الصلح لتسوية المسـائل الهامة التى لا يمكن صرفها الا بالصلح كقضايا القتل والسلم والحرب .

ومادة الأحكام عند جميع قضاتهم الغرم بالمال فليس عندهم حبس ولا ضرب ولا قتل الا فى القضايا الجنائية والمالية . ولعل فى قصر العقوبات كلها على المال مالا يساعد على استتباب الأمن والسلام فى البلاد .

وقد ظل القضاء فى سيناء فى أيدى قضاة البدو ما عدا بلاد العريش ومدينة الطور فكانتا تابعتين للقضاء المصرى . وأما سائر بلاد سيناء فقد وضع لها نظام قضائى خاص فى سنة ١٩١١ ، بنى على العرف والعادة مع مراعاة حالة البدو وتحقيق العدالة . وعهد بالقضاء فيها الى مأمورين قضائيين ، أما الآن فيطبق عليها من الناحية الجنائية قانون الأحكام العسكرية وتعليمات الصحراء .

وكانت سيناء تمثل فى الأصلى البلاد الواقعة بين خليج العقبة وخليج السويس وهى المعروفة ببلاد الطور ثم امتدت اداريا فشملت حتى العريش من الشمال .

وكانت بلاد الطور تابعة فى الادراة لمحافظة السويس ولما تهدمت قلعتها سنة ١٨٢٦ م ألحقت اداريا ببلاد التيه ، وولى عليها ضابط من الضباط العظام للجيش المصرى ويلقب « قومندان جزيرة سيناء » ومركزه نخل . أما العريش فقد جردت حاميتها من العساكر ، بعد انسحاب مصر من سوريا فى سنة ١٨٤٣ ، وألحقت العريش بنظارة الداخلية ، وجعل عليها محافظ مدنى ومعه نفر من البوليس .

وظل الحكم فى سيناء على هذه الصورة الى أن كانت حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ وخلاصتها أنه وقع خلاف بين مصر والدولة العثمانية على حدود سيناء الشرقية ، وتدخلت الدولة البريطانية فى الأمر فعظم الخلاف حتى كاد يؤدى الى حرب ، وانتهى الأمر بتعيين الحدود بعمد على طول الخط بين العقبة ورفح . وبعد تعيين الحدود ضمت بلاد العريش الى قومندانية نخل والطور ، وجعل عليها ناظر فأصبحت بلاد سيناء كلها قومندانية واحدة بثلاث نظارات تحت ادارة نظارة الحربية . وفى سنة ١٩١١ أبدل بلقب مدير سيناء لقب محافظ وسميت البلاد محافظة الى اليوم .

وتنقسم سيناء اداريا كما يلى :

(١) قسم القنطرة ويبدأ من القنطرة شرق وينتهى عند نقطة بئر العبد على ساحل البحر الأبيض المتوسط . (٢) قسم سيناء الشمالى ومركزه العريش وهى عاصمة محافظة سيناء (٣) قسم سيناء المتوسط ومركزه نخل . (٤) قسم الطور ومركزه بلدة الطور .

العريش :

مدينة قديمة تعد أشهر بلاد سيناء قامت على اطلال مدينة مصرية قديمة تدعى « رينوكلودا » أى مجدوع الأنف ، قيل سميت كذلك لأنها كانت منفى لمن حكم عليهم بالاعدام واستبدل بالحكم جدع الأنف ، أما اسم العريش فقد أطلقه عليها العرب [١] . قال المقريزى [٢] فى خططه « ان العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين واقليم مصر وهى مدينة قديمة من جملة المدن التى اختطت بعد الطوفان .

وقد ذكر مؤرخو العرب روايات طريفة عن سبب تسميتها بالعريش نذكر منها الرواية الآتية وقد تكون أطرف الروايات . قال البيهقى فى كتابه المحاسن والمساوىء : كان دخول أخوة يوسف وأبويه ــ عليهم السلام ــ على يوسف بمدينة العريش . وهى أول أرض مصر وكان يوسف قد خرج للقياهم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه وكان له هناك عرش وهو سرير السلطنة فأجلس أبويه عليه . وكانت تلك المدينة تسمى مدينة « العريش » فحرفتها العامة الى العريش فغلب ذلك عليها .

والعريش بلدة تجارية تبعد بنحو ١ر٥ كيلو متر عن شاطىء البحر ، ومبانيها باللبن الجيرى وشوارعها رملية متسعة نظيفة ــ ولكل بيت فناء مسور بباب كبير لايواء الابل والخيل والغنم وأسوارها مرتفعة جدا . ومن أهل العريش من يتجرون مع البدو فى البادية ومنهم من يتجرون فى سوق المدينة وأكثرهم يقتنون الابل ويشتغلون بها .

---

(١) معجم البلدان جـ ٦ ص ١٧١ ، المقدسى ص ١٩٤ ، المسالك ص ٢٣٧ ، تقويم البلدان ص ١٠٩ .

(٢) المقريزى جـ ١ ص ٣٤٠ .

ولمدينة العريش ضواح أهمها : نخل أبو صقل ، وحلة المساعيد وقبة النبى ياسر ، وقيل عن هذه القبة انها بمكان يدعى « البدك » وقال عبد الغنى النابلسى (١١٤٣ هـ) (القرن الثامن عشر الميلادى) فى رحلته عند ذكر مدينة العريش « فى تلك البلاد مكان مبارك يقال له آلبيزك ، ويقال أنه متصل بالغار الذى فى بلاد الخليل » .

وفى العريش قلعة مشهورة قريبة من البلدة ، وفوق باب القلعة لوحة تذكارية باللغة العربية والتركية تبين اسم منشئها وسنة الانشا. (لوحة رقم ١٠٦)

رفح : جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى (١) : « رفح منزل فى طريق مصر بينه وبين عسقلان يومان لقاصد مصر ، وهو أول الرمل .

وهى تلى مدينة العريش فى الأهمية على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من الشاطىء وموقعها الحربى سيجعل منها مركزا هاما . وقد كانت فى معظم عصورها التاريخية الحد الفاصل بين مصر والشام وكانت ميدانا لمواقع حربية (انتصر فيها الجيش المصرى على قوات اسرائيل ، وبها أطلال رومانية قديمة ، وقد عثر فى تربتها على كثير من قطع النقود الفضية والنحاسية والزجاجية من عهد الرومان والبيزنطيين والدول الاسلامية الأولى .

ومن آثارها : « عامودا الحدود » وهما على بعد نحو ٣٦٠ مترا الى الجنوب الغربى من بئر رفح وهما من الجرانيت الأسمر وعرفا بعمودى الحدود ، وطول كل منهما سبعة أقدام ومحيطة نحو ثلاثة أقدام ، أحدهما يتجه الى الشمال والآخر الى جهة مصر ، فلما وقعت حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ أزال الجنود التركية العمودين من مكانهما ، وطمروهما فى الرمال ، ولما سويت الحادثة أبقى الحد ونصب فى مكان العمودين المذكورين عمودان آخران من الجرانيت من عمد رفح القديمة .

وقد أطلق مؤرخو (٢) العرب على معظم بلاد العريش اسم الجفار لكثرة الجفار بأرضها وهى الآبار الواسعة القريبة القعر .

---

(١) ياقوت جـ ص ٢٦٦

(٢) تقويم البلدان ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، المقريزى جـ ١ ص ٢٠٥ .

وجاء فى كتاب أحسن التقاسيم (١) : « فأما الجفار فقصبتها الفرما ومدنها البقارة والورده والعريش » .

وقال ياقوت الحموى (٢) « الجفار مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر أولها رفح من الشام » .

قطية :

من بلاد العريش الشهيرة على بعد نحو ٢٦ ميلا من القنطرة فى طريق العريش وكانت قبل فتح قناة السويس تابعة لمديرية الشرقية ، ولما فتحت الترعة الحقت بالعريش ولا تزال ، وبها حدائق متسعة من النخيل .وجاء فى رحلة النابلسى : « قطية (بفتح القاف بعدها طاء مهملة ساكنة) هى مكان أخذ المكوس من كل من يمر من ذلك الطريق ، فيأخذ الكاشف من جهة الأخباء المصرية خفارة الأموال والخيل والدواب التى للتجار وغيرهم ممن يمر فى تلك البرية » .

الفرما :

كانت قديما من أشهر مدن مصر البحرية وأكثرها عمارة . وكانت بحكم موقعها على شاطىء البحر الأبيض فى أقصى فروع النيل الشرقية عرضة لغارات الأمم المهاجمة برا وبحرا . وللملوك مصر فيها مواقف مشهورة لرد هجمات الغزاة من الأشوريين والفرس ، وفى العصور الوسطى أيام الحروب الصليبية . ويدل تاريخها على أنها عريقة جدا فى القدم وان أهلها الأصليين كانوا من البحارة الفينيقيين .

وقد عرفت عند اليونان باسم بلوسيوم واليها نسب فرع النيل القائمة عليه (الفرع البليوسى) وقد جف هذا الفرع من عهد بعيد ، وعرفت عند القبط باسم فرومى ومنه أخذ العرب اسم الفرما وهو الاسم المعروف الى اليوم . وذكر المقريزى (٣) فقال :

(١) المقدسى ص ١٩٣ .
(٢) ياقوت جـ ٣ ص ١١٣ .
(٣) المقريزى جـ ١ ص ٣٤١ .

« وكانت الفرما على شط بحيرة تنيس ، وكانت مدينة حصينة وقد بنى بها المتوكل على الله حصنا على البحر ، تولى بناءه عنبسة بن اسحق أمير مصر فى سنة تسع وثلاثين ومائتين (٨٥٣ م) عندما بنى حصن دمياط وحصن تنيس . ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس ، انفذ الى الفرما أبرهة بن الصباح فصالحه أهلها على خمسمائة دينار هرقلى واربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة .

وفى سنة ٥٤٥ هـ ١١٥٠ م نزل الفرنج على الفرما فى جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها . كما أن الوزير شاور خربها ، كما خرج منها متوليها عليهم أخو الضرغام حوالى سنة ١١٦٥ م ، فاستمرت خرابا ولم تعمر بعد ذلك . (١)

وطريق الفرما أقدم طرق مصر الى سوريا ، وكان قديما عامرا بالمدن والحصون (٢) والأبراج ، ولما جف الفرع البليوسى خربت المدن والحصون . وفتح طريق البر المعروف بطريق العريش وقل استعمال طريق الفرما كما قل استعمال طريق العريش (٣) بتقدم الملاحة :

نخل :

وهى مركز بلاد التيه وتعرف أيضا ببرية التيه وقيل سميت بالتيه لأنها كما قيل ، أن بنى اسرائيل تاهوا فيها أربعين سنة ، وهى سهل عظيم مقفر جامد التربة يشغل وسط شبه الجزيرة ويخترقه من الجنوب الى الشمال وادى العريش وفروعه وفى وسطه بلدة نخل .

وقد كانت مقر محافظة سيناء الى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وهى بلدة صغيرة مبنية بالطوب اللبن وبها شارع واحد ، وقد جددت بها عدة منازل سنة ١٩٠٦ ، وبنيت بالحجر على الطراز الحديث .

وقد اختلف بعض الباحثين فى أصل تسميتها بنخل فقال بعضهم أنها متخلفة عن « نخل مصراعيم » الاسم الذى أطلقه العبرانيون على وادى

---

(١) تقويم البلدان ص ١٠٦ ، الكندى ص ٢٨ .
(٢) معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٦٨ ، القدسى ص ١٩٥ .
(٣) على مبارك جـ ٤ ص ٧٣ .

العريش ، وقيل كانت تدعى قديما نخر ولكن هذا الإسم اندثر ولم تعد تعرف به الآن . وهى قرية ليس بها نخل ولا شجر يسكنها نفر من الناس ، وبها خان أنشأه السلطان قانصوه الغورى فى سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م) وكان الخان ضيقا فأمر السلطان العثمانى بتوسيعه فى سنة ٩٥٩ هـ ١٥٥٢ م .

وفى نخل قلعة وهى احدى القلاع الجميلة التى بناها السلطان قانصوه (١) الغورى سنة ١٥١٦ م فى درب الحج المصرى وكانت تعرف قديمان بالخان . (لوحة رقم ١٠٧)

وكان درب الحج المصرى الذى أنشأه السلطان الغورى يبدأ من القاهرة ويخترق صحراء العريش الى سيناء مارا بالنواطير الثلاثة الى وادى الحيطان الى سهل التيه فوادى السحيمى فالنهدان فقلعة نخل الى ثقب العقبة الى العقبة فمكة .

وكان ركب الحج المصرى يقطع هذا الدرب فى ستة أيام وقد أصبح الآن طريق تجار الابل والأغنام من الحجاز الى مصر .

أما أول طريق اتخذه الحاج المصرى الى مكة فهو طريق عيذاب ، فكان الحجاج يركبون النيل من ساحل الفسطاط الى قوص بمصر العليا ، ثم يركبون الابل من قوص فيقطعون صحراء عيذاب الى البحر الأحمر حيث ينزلون الى جده ، وهكذا طريقهم فى العودة . وهو أيضا طريق قوافل التجار من اليمن والحبشة والهند . وظل الحاج المصرى يتبع هذا الطريق حتى عهد السلطان الملك الظاهر فانه بعد أن استرجع ايله من الصليبيين سنة ٦٦٥ هـ ١٢٦٧ م زار مكة عن طريق السويس وايلة ، فصارت ايلة طريق الحج من ذلك الحين الى سنة ١٨٨٥ م ، اذ اتخذ طريق آخر وهو طريق البحر من السويس الى جده وما زال هذا الطريق متبعا الى الآن .

وقد اعتاد سلاطين مصر من أمد بعيد أن يرسلوا مع ركب الحج للكعبة كسوة كل سنة . وكان أول من نظم المحمل مع الحج المصرى وأرسل الكسوة للكعبة وحماها بالعساكر شجر الدر زوجة الصالح نجم الدين الأيوبى

(١) ابن اياس ص ٢٧٣ .

(أى منذ أكثر من ٧٠٠ سنة) التى حكمت سنة ٦٤٨هـ ــ سنة١٢٥٠م.وقد عنى ملوك مصر باصلاح طريق الحج وتمهيدها ، فأنشأوا فيها الخانات والقلاع وحصنوها بالعساكر تأمينا للطريق وحفروا الآبار ، وبنوا البرك لسقى الحجاج وركائبهم وعملوا على صيانتها بمن يرسلون من العمال والنجارين لترميم السواقى وملء البرك قبل وصول الركب .

الطور :

بلدة قديمة وهى مركز بلاد الطور التى تقع بين العقبة وخليج السويس وهى بلاد جبلية وعرة وقيل أنها قد تكون أوعر بلاد جبلية على سطح الكرة الارضية وجبالها الشرقية تقتحم خليج العقبة ولا تترك وراءها الا طريقا ضيقا على شاطئه . أما جبالها الغربية فتنحسر عن طريق خليج السويس فى أكثر جهاته فتترك وراءها ثلاثة سهول رملية عظيمة منها سهل « المرخاء » ، والمشهور أنه السهل المعروف فى التوارة ببرية سين ، حيث تذمر بنو اسرائيل من الجوع فأرسل اليهم المن والسلوى لأول مرة[١] .

وأشهر جبالها جبل طور سيناء واليه تنسب شبه الجزيرة كلها ، ويزعم رهبان سيناء أنه الجبل المعروف فى التوارة بجبل حوريب ، أى الجبل الذى نزل عنده موسى عليه السلام بعد خروجه بالاسرائيليين ، من مصر وتجلى له الرب فأنزل عليه الشريعة .

ولهذا الجبل قمم كثيرة عالية ، نذكر منها جبل موسى وهو أعلى هذه القمم ويبلغ ارتفاعه ٧٣٦٠ قدما فوق سطح البحر ، وقد بنيت على رأسه ، كنيسة صغيرة وجامع أصغر منها وجبل المناجاة ، ويزعم البدو أنه الجبل الذى عليه كلم الله موسى وناجاه . وبهذا الجبل تصدع ظاهر ولهذا زعم البدو أنه تصدع من خشية الله[٢] وجبل الصفصافة وسمى كذلك لأن فى سفحه الشرقى صفصافة ويطل على سهل فسيح يدعى « سهل الراحة » به تل صغير عليه كوخ من الحجارة يدعى (مقام النبى هارون)[٣]

(١) معجم البلدان جـ ٦ ص ٦٧ ع الكندى ص ٣٤
(٢) تقويم البلدان ص ١٠٧ ع المسالك ص ٢٣٧
(٣) ابن اياس جـ ٣ ص ٧٢

وجاء فى كتاب تاريخ سيناء « والذى عليه أكثر المحققين الآن أن جبل الصفصافة هو الجبل الذى وقف عليه موسى عند القائه الوصايا العشر على الاسرائيليين ، وان سهل الراحة هو السهل الذى وقف فيه الاسرائيليون عند تلقيهم تلك الوصايا وأن التل الذى عليه مقام النبى هارون الآن هو التل الذى عليه عبد الاسرائيليون العجل الذهب فى غياب موسى » .

وجبل سربال هو أشهر جبال سيناء بعد جبـل موسى يطل على مدينة الطور وله خمس قمم تمثل تاجا عظيما على شكل نصف دائرة ، ارتفاع أعلاه نحو ٦٧٣٠ قدما من سطح البحر ، وعلى سفحه الشمالى وادى فيران الشهير . وقيل ان اسم سربال مختزل من سرب بعل أو نخيل الاله بعل اشارة الى نخيل فيران فى سفحه .

وجبل حمام موسى : هو جبل صغير على خليج السويس على بعد أربعة أميال من مدينة الطور فيه سبعة ينابيع كبريتية حارة وقد بنى فوق احداها فى القرن (١٩ م) حماما لا تزال آثاره باقية الى الآن . وبقرب هذا الجبل ميناء « أبو صورة » .

ومن أودية بلاد الطور « وادى فيران » أو فاران وهو أشهر أودية شبه الجزيرة كلها قديما وحديثا وأعزرها ماء ونخيلا حتى سمى «واحة الجزيرة». ومن الضواحى العامرة لمدينة الطور ، محجر الطور يقع على شاطىء البحر على بعد نحو (٦٤٠) مترا جنوبى المدينة ، ومساحته نحو (٤) كيلو مترات، أسس سنة ١٨٥٨ وهو يتسع لآلاف من الحجاج فى وقت واحد وهو محجر للحجاج المصريين .

الآثار الباقية

دير طور سيناء : (لوحة رقم ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤)

يعد هذا الدير أشهر ما فى شبه الجزيرة من بناء أو أثر بناه الأمبراطور يوستيفانوس فى نحو سنة ٥٤٥ م ليكون معقلا لرهبان سيناء على سفح قمة من قمم جبل طور سيناء ويدعى أيضا « دير القديسة كاترينا » وقد غدا محجا لزوار المسلمين والنصارى وبخاصة نصارى الروس .

وفوق الباب العالى للدير حجران تاريخيان من الرخام نقش عليهما اسم بانيه وتاريخ بنائه أحدهما بالعربية والثانى باليونانية .

وللدير سور عظيم داخله أبنية كثيرة أهمها الكنيسة الكبرى وتعرف بكنيسة الاستحالة ، وعلى جانبيها من اليمين والشمال عدة كنائس صغيرة للرسل والأنبياء والقديسيين . وبالقرب من الكنيسة جامع صغير بمنارة أقل ارتفاعا من قبة الكنيسة . وفى الجامع أثران تاريخيان يرجعان الى عهد الدولة الفاطمية ، وهما كرسى ومنبر من الخشب الساج ، وقد نقش على جوانب الكرسى الأربعة سطران وعلى واجهة المنبر ستة أسطر ، وجميعها بالخط الكوفى . وجاء فى نص الكتابة التى على الكرسى أن بانى الجامع هو الأمير أنوشتكين الآمرى أحد أمراء الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥ ــ ٥٢٤ هـ ١١٠١ ــ ١١٣٠ م) وان صاحب المنبر هو الأفضل أبو القاسم شاهنشاه وزير الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله وتاريخ انشائه ٥٠٠هـ ــ ١١٠٦ هـ .

ويقوم بخدمة الجامع جماعة من قبيلة أولاد سعيد يتناوبون العمل فيه لكل منهم أسبوع يكنسون الجامع ويعنون بنظافته ويقومون باضاءته طوال شهر رمضان . ويلقب خادم الجامع (بالخوجه) وله جراية من الدير يومية وأسبوعية .

وندير مكتبة بها مجموعة نفيسة من الكتب الدينية والتاريخية والأدبية، تبلغ ٣٠٠٠ كتاب بين مخطوط ومطبوع ، وبلغات متعددة وأكثرها بالعربية واليونانية ، ومنها « العهدة النبوية » أو كتاب العهد الذى كتبه النبى محمد للرهبان . وقالوا أن الأصل كان محفوظا فى الدير الى أن فتح السلطان سليم مصر سنة ١٥١٧ م واعطاهم صورة منه مع ترجمتها التركية . وفى المكتبة عدة نسخ منها بعضها على ورق غزال وبعضها فى دفتر خاص وسنتكلم عليها فيما بعد .

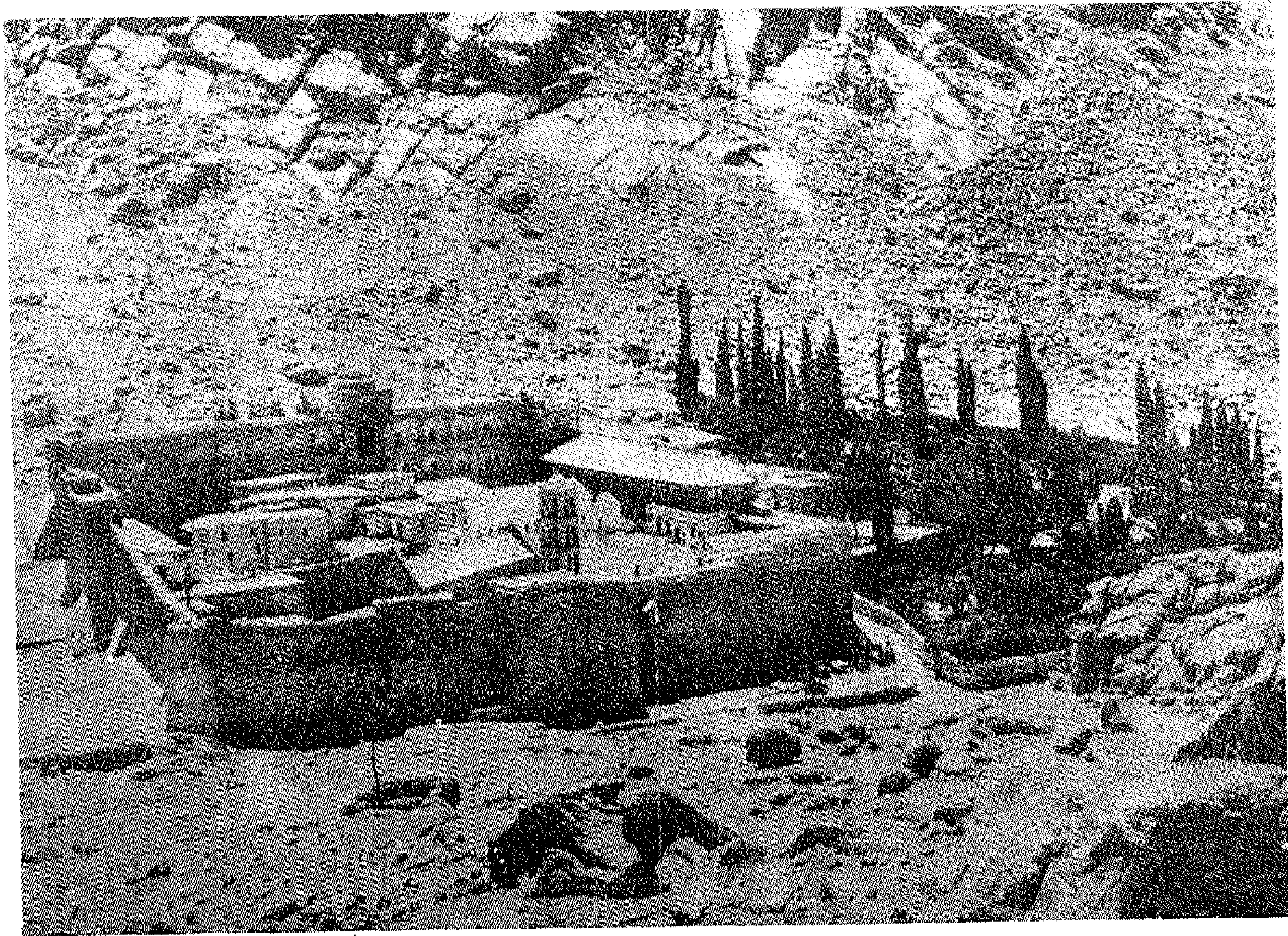
وللدير أملاك واسعةموقوفة عليه فى سيناء وفى خارجها ، منها فى سيناء الدير وضواحيه من البساتين ونخيل . وفى القاهرة مركز للرهبان تجاه جامع الظاهر ، يقيم فيه مطران سيناء معظم أيام السنة ، ومعه بعض الرهبان لتدبير المؤن ومطالب الدير ، وتسهيل وسائل السفر للسياح والزوار .

العهدة النبوية :

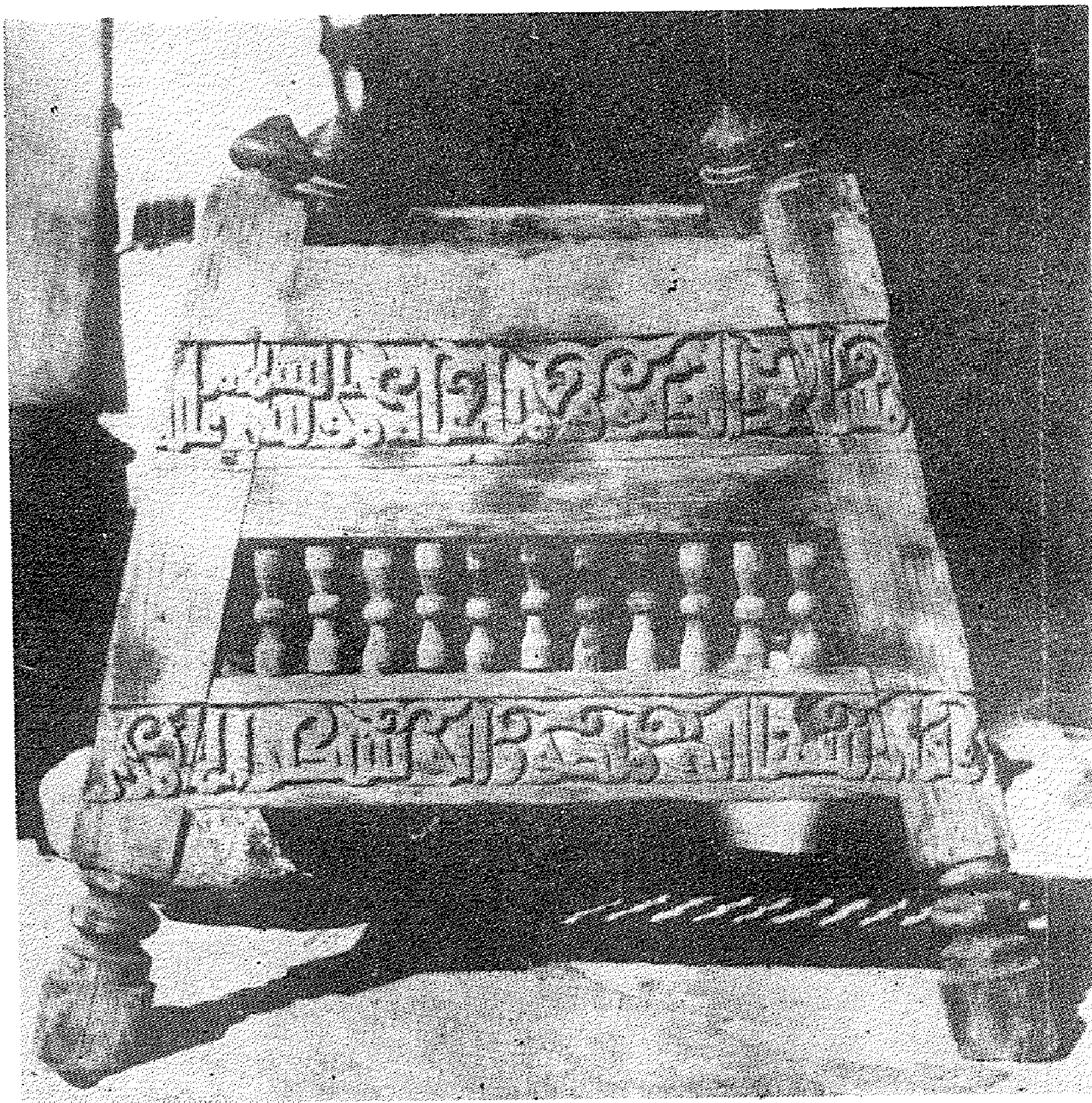
يوجد بدير طور سيناء صورة عهد قديم منسوب الى نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم يعرف « بالعهدة النبوية » ويزعم رهبان الدير أن النبى محمدا كتب لهم هذا العهد أمانا لهم وللنصارى كافة على أرواحهم وأموالهم وبيعهم وأن السلطان سليم العثمانى أخذه منهم عند فتحه مصر سنة ١٥١٧ م وحمله الى الاستانة وترك لهم صورة منه مع ترجمتها التركية .

ويقول نعوم شقير فى كتابه « تاريخ سيناء » ان العهدة التى رآها استعملت بعد البسملة ما يأتى : (هذا كتاب محمد بن عبد الله الى كافة الناس أجمعين بشيرا ونذيرا ومؤتمنا على وديعة الله فى خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكميا كتبه لأهل مكة ولجميع من ينتحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها كتابا جعله لهم عهد الخ . . .) .

ثم اختتم العهد بالجملة الآتية (وكتب على بن أبى طالب هذا العهد بخطه فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بتاريخ الثالث من المحرم ثانى سنى الهجرة) .



لوحة رقم (١٠٢) تبين المنظر العام لدار سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء



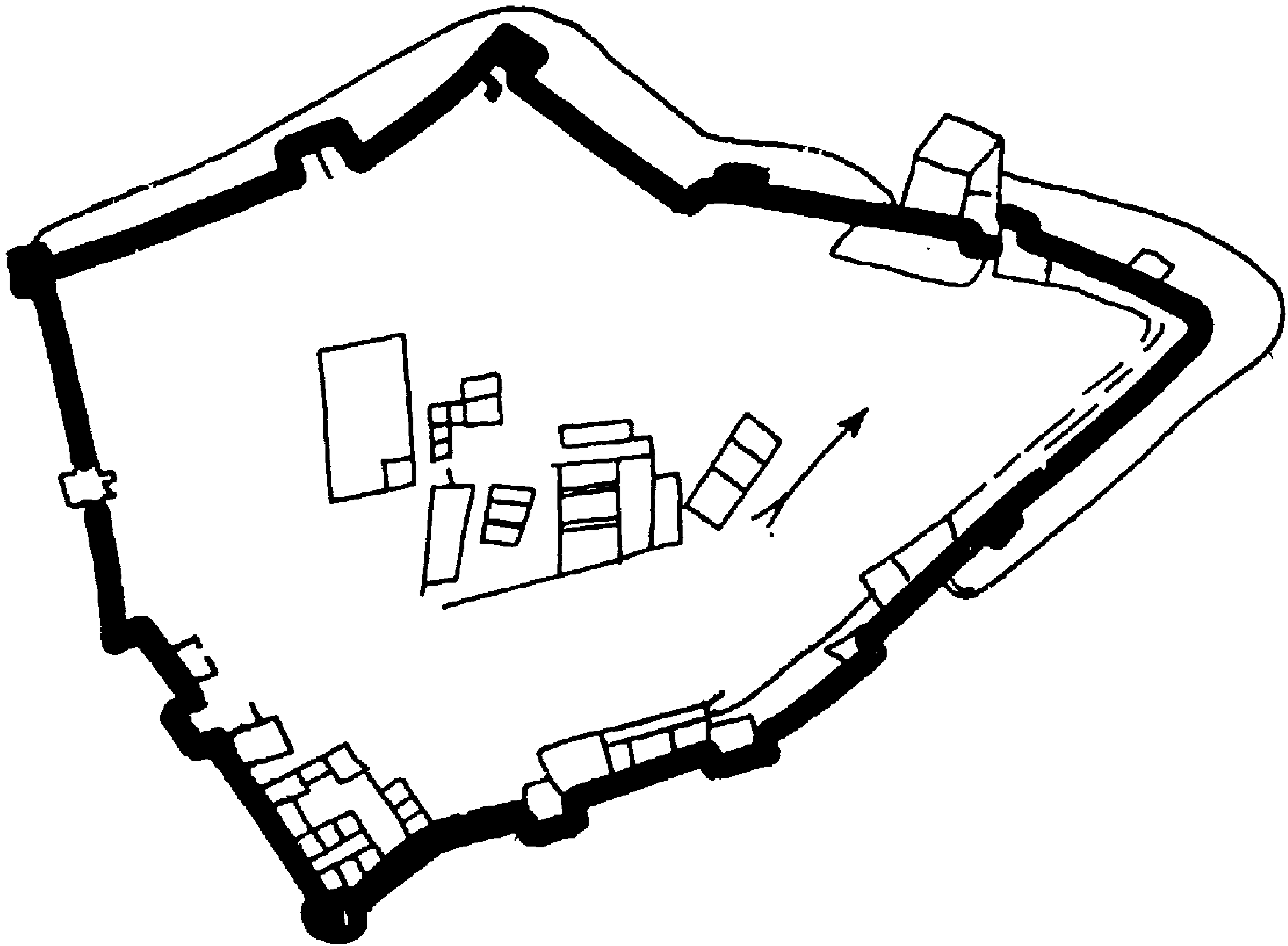
لوحة رقم (١٠٣) تبين كرسي مصحف من الخشــب موجود فى المسجد الذى بنى فى عهـد الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى بجـوار دير سانت كاترين بشبه جـزيرة سـيناء



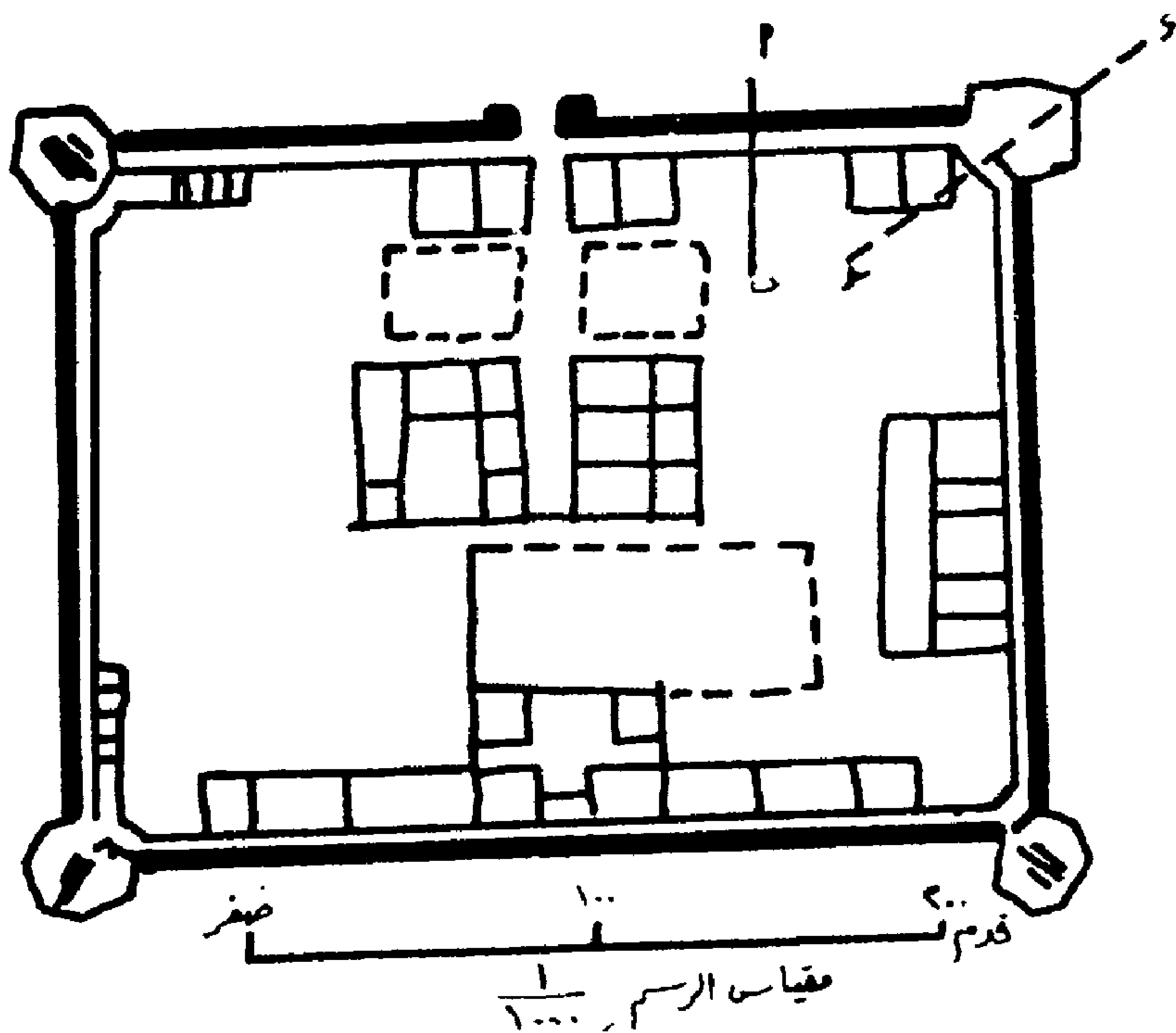
لوحة رقم (١٠٤) تبين مئذنة المسجد وبرج الكنيسة داخل دير سانت كاترين

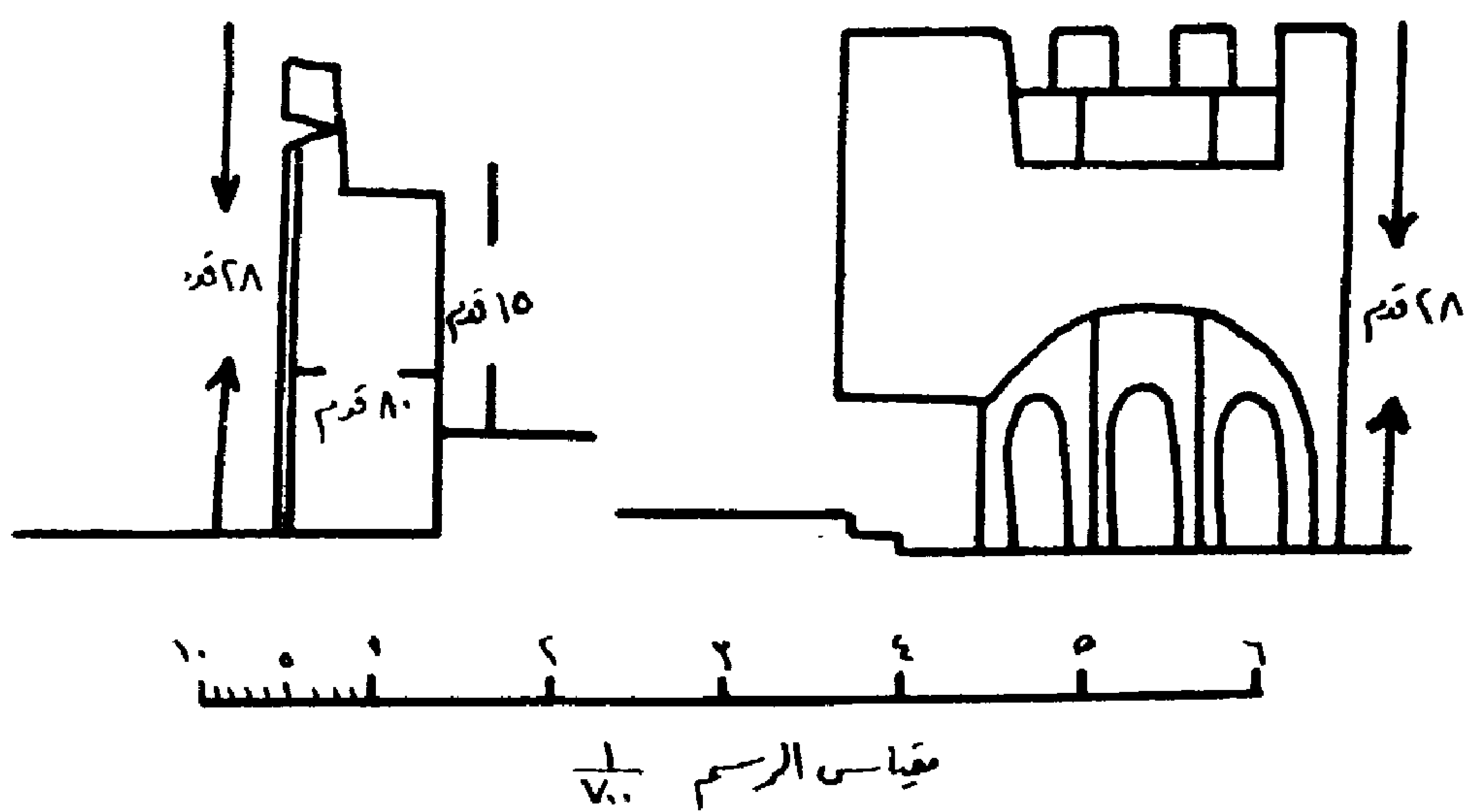
لوحة رقم ١٠٥)

قلعة صلاح الدين
في
شبه جزيرة سيناء



قلعة العريش بشبه جزيرة سيناء

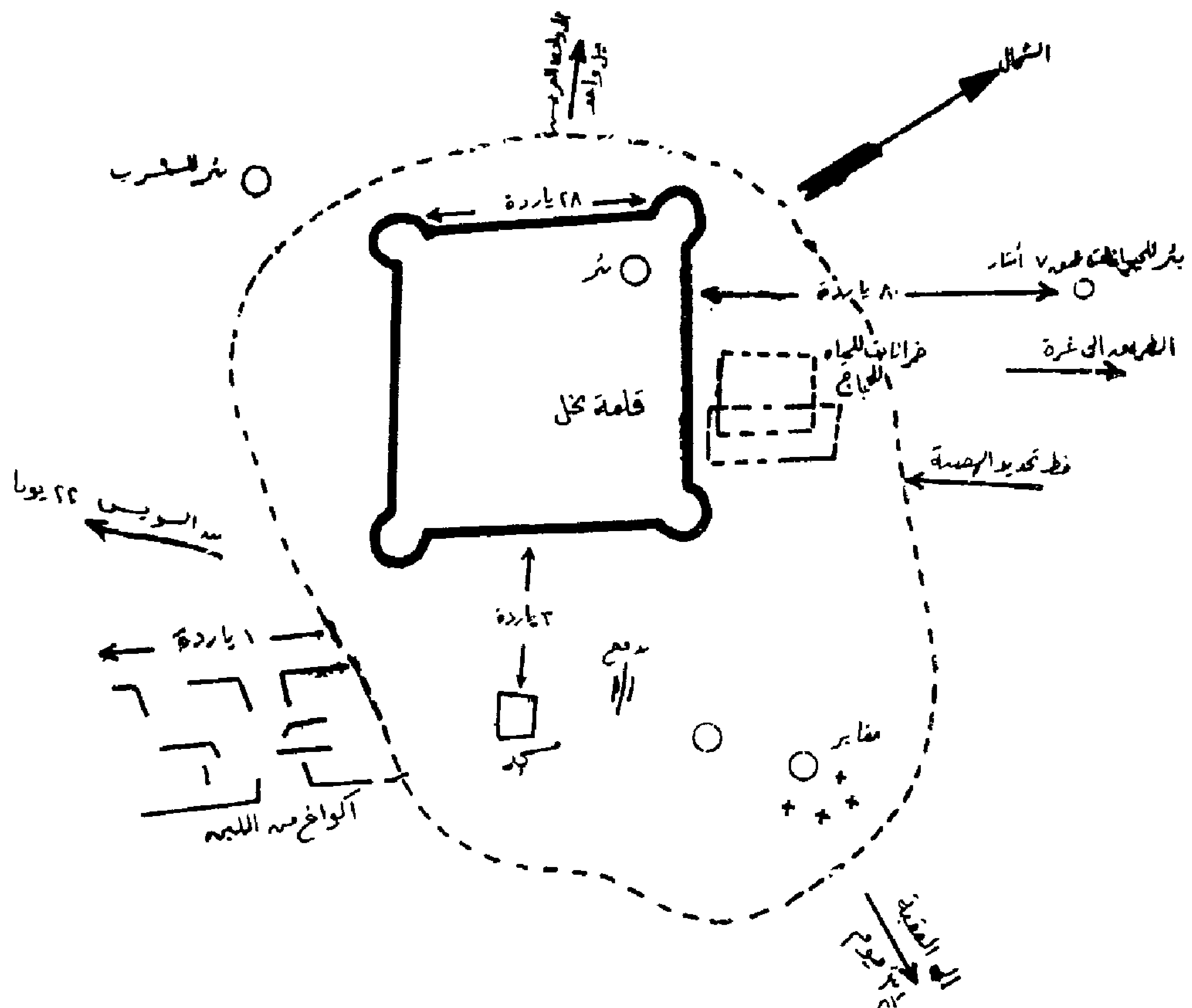




لوحة رقم (١٠٦)

لوحة رقم (١٠٧)

قلعة نخل في شبه جزيرة سيناء



وقد أنكر بعض الباحثين صدور هذا العهـد عن النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا ان رهبان سيناء اختلقوه للاستعانة به على ما قد ينالهم من ظلم أو أجحاف واستندا فى اختلاقه الى أنه مؤرخ فى السنة الثانية للهجرة مع أن الهجرة لم يؤرخ لها الا فى السنة الثامنة عشرة أى بعـــد وفاة النبى بسبع سنوات والى أن بعض الشهود المذكورين فى ذيل العهـد كأبى هريرة وأبى الدرداء لم يكونوا قد اسلموا فى السنة الثانية للهجرة والى أن لغة العهـد تختلف عن لغة عصر النبى ففيها من التراكيب والألفاظ ما لم يكن مألوفا فى ذلك العهد .

على أن الرهبان لا يدعون أن هذه العهدة هى الأصل الذى صدر عن النبى ولا أنها صورة طبق الأصل وانما هى الصـــورة التى أعطيت اليهم بعد أخذ الأصل منهم وان ثانى سنى الهجرة تحريف من النساخ والظاهر أنه ثامن لا ثانى سنى الهجرة وأنه منذ أخذ أصل العهد منهم كان يشار اليه فى كل فرمان أو منشور يعطى الى الرهبان .

على أنه بغض النظر عن هذ هالعهدة فان فى كتاب الله الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة وفى تعاليم الشريعة الاسلامية السمحاء من الوصـــايا بأهل الذمة من النصارى وغيرهم فى أنفسهم وفى أموالهم ومعاملتهم ما يغنى عن هذه العهدة المشكوك فيها .

المراجع العربيـــة

١ – ابن الأثير – الكامل فى التاريخ ... ... (القاهرة سنة ١٣٥٧هـ)

٢ – ابن الأخوة – معالم القرية فى أحكام الحسبة ... ... (كمبرج ١٩٣٧ م)

٣ – آدم متز – الحضارة الاسلامية ... ... (القاهرة ١٩٥٧ م)

٤ – ابن الشيخ – الف باء ... ... (القاهرة ١٢٨٧ هـ)

٥ – ابن الحاج – المدخل ... ... (القاهرة ١٩٢٩ م)

٦ – ابن زنبل – آخر المماليك (نشرة عبد المنعم عامر) ... ... (القاهرة ١٩٦٢ م)

٧ – ابن شاكر الكتبى – فوات الوفيات ... ... (بولاق ١٨٨١ م)

٨ – ابن عبد ربه – العقد الفريد ... ... (القاهرة ١٣٤٦ هـ)

٩ – ابراهيم على طرخان – مصر فى عصر دولة المماليك ... ... (القاهرة ١٩٦٠ م)

١٠ – ابن حجر العسقلانى – الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ... ... (الهند ١٩٢٩ م)

١١ – ابن حبيب – درة الأسلاك فى دولة الاتراك (مخطوطة بدار الكتب سنة ١٩٥٩ م)

١٢ – ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٨٤ هـ)

١٣ – ابن حزم – الفصل فى الملل والأهواء والنحل ... ... (القاهرة ١٣١٧ هـ)

١٤ – ابن قتيبة – عيون الأخبار ... ... (القاهرة ١٣٤٨ هـ)

١٥ – ابن النديم – كتاب الفهرست ... ... (القاهرة ١٣٤٨ هـ)

١٦ – ابن أبى أصيبعة – عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ... ... (القاهرة ١٣٠٠ هـ)

١٧ – ابن زولاق – العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج ... ... (ليدن ١٨٩٩ م)

١٨ – ابن العميد – تاريخ المسلمين ... ... (سنة ١٩٢٥ م)

١٩ – ابراهيم نصحى – دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ... ... (القاهرة ١٩٥٩ م)

٢٠ — ابن بطوطة — رحلة (باريس سنة ١٨٩٣)
٢١ — ابن جبير — رحلة (طبعة بيروت)
٢١ — أبو الحسن على بن محمد المعروف بالشابشتى — الديارات (نشرة كوركيس عواد)
٢٢ — ابن فضل العمرى — مسالك الأبصار (القاهرة سنة ١٩٢٤)
٢٣ — ابن الجيعان — التحفة السنية (بولاق سنة ١٨٩٨ م)
٢٤ — ابن ميسر — أخبار مصر (المعهد الفرنسى ١٩١٩م)
٢٥ — ابن دقماق — الانتصار لواسطة عقد الأمصار (القاهرة سنة ١٣٠٩ م)
٢٦ — ابن عبد الحكم — فتوح مصر (القاهرة سنة١٨١٤ م)
٢٧ — ابن خرداذبه — المسالك والممالك (ليدن سنة ١٣٠٩ هـ)
٢٨ — ابن شاهنشاه — تقويم البلدان (باريس ١٨٩٠ م)
٢٩ — ابن خلكان — وفيات الأعيان (القاهرة سنة ١٩٤٨ م)
٣٠ — ابن حوقل — المسالك والممالك (ليدن سنة ١٨٣٣ م)
٣١ — ابن مماتى — قوانين الدواوين
٣٢ — ابن اياس — بدائع الزهور فى وقائع الدهور (بولاق سنة ١٣١١ هـ)
٣٣ — ابن شداد — النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (القاهرة سنة ١٩٦٢ م)
٣٤ — ابن كثير — البداية والنهاية (القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ)
٣٥ — ابن الوردى — تتمه المختصر فى أخبار البشر أو تاريخ ابن الوردى (القاهرة سنة ١٢٨٥ هـ)
٣٦ — ابن الجوزى — المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم (الهند سنة ١٣٥٩ هـ)
٣٧ — أبو الفدا — المختصر فى أخبار البشر (القاهرة سنة ١٣٢٥ هـ)
٣٨ — أبو المحاسن تغرى بردى — النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة (دار الكتب سنة ١٩٢٩ — ١٩٤٢)
٣٩ — الادريسى — نزهة المشتاق (ليدن سنة ١٨٥٢)
٤٠ — الادفوى — الطالع السعيد (القاهرة سنة ١٩١٤م)
٤١ — البيهقى — المحاسن والمساوىء (القاهرة سنة ١٩٠٦ م)
٤٢ — أبو يوسف — كتاب الخراج (بولاق سنة ١٣٠٢ هـ)
٤٣ — أسامة بن منقذ — كتاب الاعتبار (برستون ١٩٣٠ م)
٤٤ — أمير على سيد — مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى (القاهرة سنة ١٩٣٨ م)
٤٥ — البلاذرى — فتوح البلدان (القاهرة سنة ١٣١٨هـ)
٤٦ — الجبرتى — عجائب الآثار (القاهرة ١٢٩٧ هـ)

٤٧ ـــ البلوى ـ تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ... ... (مخطـــــــوط)
٤٨ ـــ أبو فرج الأصفهانى ـ الأغانى ... ...
٤٩ ـــ خليل بن شاهين الطاهرى ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ... (بـــاريس ١٨٩١ م)
٥٠ ـــ ابو المحاسن بن تغرى بردى ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ... (دار الكتب ١٩٣٦ م)
٥١ ـــ أبو المحاسن بن تغرى بردى ـ مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة ... (كمبـــردج ١٧٩٢ م)
٥٢ ـــ حسن ابراهيم حســن ـ الفاطميون فى مصر ... ... (بولاق سنة ١٩٣٢ م)
٥٣ ـ تاريخ الاسلام السياسى ثلاثة أجزاء ... ... (القاهرة سنة ١٩٥٨)
٥٤ ـــ حسن محمود ـ قيام دولة المرابطين ... ... (القاهرة سنة ١٩٥٧)
٥٥ ـــ السخاوى ـ التبـر المسـبوك فى ذيل السلوك ... ... (بولاق ســنة ١٨٩٦)
٥٦ ـــ السخاوى ـ الضوء اللامع ... ... (القـدس ١٣٥٣ هـ)
٥٧ ـــ سعيد عاشور ـ المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ... ... (القاهرة سنة ١٩٦٢)
٥٨ ـــ سعيد عاشـور ـ مصر فى عصـر دولة المماليك البحرية ... ... (القاهرة سنة ١٩٥٩)
٥٩ ـــ سعيد عاشور ـ الظاهر بيبرس ... ... (القاهرة سنة ١٩٦٣)
٦٠ ـــ السيد الباز العرينى ـ الاقطـاع الحربى بمصر زمن سلاطين المماليك ... ... (القاهرة سنة ١٩٥٦)
٦١ ـــ السيوطى ـ حسن المحاضرة فى أخبـار مصر والقاهرة ... ... (القاهرة سنة ١٨٨١ م)
٦٣ ـــ زكى محمد حسن ـ فنون الاسلام ... ... (القاهرة سنة ١٩٤٨)
٦٤ ـ زيتر شتين ـ تاريخ سلاطين المماليك ... ... (لنــدن سنة ١٩١٩)
٦٥ ـــ عبد الرحمن زكى ـ قلعـة صـلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة ... ... (القـــاهرة ١٩٦٠)
٦٦ ـــ عمر بن محمد الكندى ـ فضـائل مصر المحروسة ... ...
٦٧ ـــ على مبارك ـ الخطط التوفيقية ... ... (بولاق ســنة ١٣٠٥)
٦٨ ـــ عبد الوهاب عـزام ـ مجالس السـلطان الغورى ... ... (القاهرة سنة ١٩٤١)
٦٩ ـــ العينى ـ عقـد الجمان فى تاريخ أهـل الزمان ... ...

٧٠ ــ القلقشندى ــ صبح الأعشى فى صناعة الانشا	(القاهرة سنة١٩١٨ م)
٧١ ــ محمد مصطفى زيادة ــ نهاية السلاطين المماليك فى مصر	(مجلةالجمعية التاريخية سنة ١٩٥١ م)
٧٢ ــ حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة	(القاهرة سنة ١٩٦١)
٧٣ ــ مصطفى محمد سعد ــ الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى	(القاهرة سنة ١٩٦٠)
٧٤ ــ محيى الدين بن عبد الظاهر ــ الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية	(القاهرة سنة ١٩٢٠)
٧٥ ــ محيى الدين بن عبد الظاهر ــ تشريف الأيام والعصورة فى سيرة الملك المنصور (نشر مراد كامل)	(القاهرة سنة ١٩٦١)
٧٦ ــ المسعودى ــ مروج الذهب	(القاهرة ١٨٨٢)
٧٧ ــ محمد رمزى ــ القاموس الجغرافى	(القاهرة ١٩٥٨)
٧٨ ــ جرجس حنين ــ الأطيان والضرائب	
٧٩ ــ عبد الله بن احمد الاسوانى ــ النوبة	
٨٠ ــ المقريزى ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار	(النيل ١٣٢٤ هـ)
٨٢ ــ السلوك لمعرفة الملوك (نشرة زيادة)	
٨٢ ــ اغاثة الأمة بكشف الغمة (نشره زيادة والشيال)	
٨٣ ــ البيان والأعراب	(القاهرة ١٩١٦ م)
٨٤ ــ المقدسى ــ احسن التقاسيم	(ليدن ١٩٠٩ م)
٨٥ ــ نعوم شقير ــ تاريخ سيناء	(القاهرة ١٩١٦ م)
٨٦ ــ ياقوت الحموى ــ معجم البلدان	(القاهرة ١٩٠٦)
٨٧ ــ اليعقوبى ــ البلدان	(ليدن سنة ١٨٩٢)
٨٨ ــ يعقوب ارتين ــ الأحكام المرعية	
٨٩ ــ يعقوب بن ابراهيم ــ كتاب الخراج	(بولاق ١٩٠٢ هـ)
٩٠ ــ لبيب حبشى ــ الاديرة فى صحراء العرب	

REFERENCES

1) Abu Saleh the Armenian: Churches and Monasteries of Egypt, (Oxford 1895).

2) Ahmed Fakhry: The Oasis of Siwa (Cairo).

3) Ahmed Fakhry: The Necropolis of El-Bagawat in Kharga Oasis (Cairo).

4) Amelinean F.: Geographie de l'Egypte à l'Epoque Copte, (Cairo 1895).

5) Breceia, F.: Guide to ancient and modern Alexandria (Bergamó 1922).

6) Butcher: Churches of Egypt.

7) Creswell: The Muslim Architecture of Egypt. (Oxford).

8) Description de l'Egypte, (Paris 1809-1817).

9) Gouthier Henri: Les Nomes d'Egypte depuis Herodote jusqu'à la Conquête Arabe, (Le Caire 1935).

10) Grohmann, A.: Arabic Papyri In the Egyptian Library, (Cairo 1932).

11) Quatremaire, E.: Histoire des Sultans Mamelouks de l'Egypte, (Paris 1837).

12) Lane-Poole: Egypt in the Middle Ages.

13) Lausiac: History of Churches.

14) Wiet, G.: L'Egypte Arabe (Paris 1937).

فهرس الاعلام

فهرس الاماكن والبقاع

فهرس الآثار الباقية

فهرس اللوحات

القـــــاهرة :

أســـــوان :

قنـــــا :

سوهاج :

لوحة رقم ١٤ تبين المدخل الرئيسى للدير الاحمر • وقد ظهرت الزخارف البنائية الجميلة المنحوتة على عتب الباب •
« « ١٥ تبين المنظر الخارجي للدير الابيض
« « ١٦ تبين صحن جامع الفرشوطى بمدينة سوهاج
« « ١٧ تبين رواق القبلة بمسجد سيدى جلال بمدينة جرجا • ونلاحظ أن الاعمدة التى يرتكز عليها السقف من الخشب وهو نادر فى مساجد الوجه القبلى
« « ١٨ تبين منارة مسجد المتولى بمدينة جرجا
« « ١٩ تبين رواق القبلة ومحراب الجامع الصينى بمدينة جرجا
« « ٢٠ تبين مئزنة مسجد الكاشف
« « ٢١ تبين منزل البحيرى بمدينة أخميم

أسيوط :

لوحة رقم ٢٢ مئزنة مسجد المجاهدين بأسيوط
« « ٢٣ مدخل وكالة بيت شلبى بأسيوط
« « ٢٤ نافور تتوسط حمام الدفتردار بمدينة أسيوط
« « ٢٥ قناطر المجذوب بمدينة أسيوط
« « ٢٦ المسجد اليوسفى بمدينة ملوى
« « ٢٧ مسجد العقلانى بمدينة ملوى
« « ٢٨ الدير المحرق
« « ٢٩ دير أبو حنس
« « ٣٠ دير أبو قانا

المنيا :

لوحة رقم ٣١ مسجد العمرى بالمنيا
« « ٣٢ مسجد الملطى
« « ٣٣ مسجد سمالوط
« « ٣٤ مسجد الامير زياد بمدينة مغاغة
« « ٣٥ دير العذراء بجبل الطير

بنى سويف :

الفيوم :

لوحة رقم ٣٦ مسجد دلاصى بمحافظة بنى سويف

لوحة رقم ٣٧ مسجد الامير سليمان بالفيوم
« « ٣٨ مسجد الروبى
« « ٣٩ لوح خشبى بضريح الشيخ الروبى
« « ٤٠ قنطرة اللاهون
« « ٤١ مسجد خوندا صلبا ى
« « ٤٢ قنطرة الشيخ سالم على بحر يوسف بالفيوم

الجيــــزة :

لوحة رقم ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ مسجد موسى بالجيزة
» » ٤٦ دير انبا بشوا ى بالجيزة

الغــــربية :

لوحة	رقم	٤٧	المسجد العمرى بالمحلة الكبرى واللوحة التأسيسية
»	»	٤٨	مسجد الطرينى
»	»	٤٩	مسجد الحاج عبد الله العاصى
»	»	٥٠	وكالة الغورى
»	»	٥١	حمام سراح بمدينة سمنود
»	»	٥٢	مسجد العمرى بمحلة مرحوم
»	»	٥٣	ضريح السيد البدوى
»	»	٥٤	سبيل السيد البدوى

القــــليوبية :

لوحة	رقم	٥٥	مسجد الاشرف برسباى بالقليوبيه
»	»	٥٦	رواق
»	»	٥٧	قناطر ابو المنجا
»	»	٥٨	رنك السلطان قايتباى بقناطر ابو المنجا

كفر الشــــيخ :

لوحة	رقم	٥٩	مسجد ضياء الدين بمدينة فوه
»	»	٦٠	مسجد حسن نصر الله بمدينة فوه
»	»	٦١	مسجد أبو المكارم بمدينة فوه
»	»	٦٢	ربع الخطابية بمدينة فوه
»	»	٦٣	مسجد العمر بمدينة البرج
»	»	٦٤	جامع الخطبا بمحلة أبو على

الدقهليــــة :

لوحة	رقم	٦٥	مسجد العمرى بمدينة ميت غمر
»	»	٦٦	مسجد الامير حماد بمدينة ميت غمر
»	»	٦٧	مئذنة مسجد الامير حماد
»	»	٦٨	مسجد الحاج طوبار
»	»	٦٩	دار ابن لقمان
»	»	٧٠	قبة الشيخ عنبر

الشرقيــــة :

لوحة	رقم	٧١	مسجد السادات بمدينة بلبيس
»	»	٧٢	مسجد ابن سلام بمدينة الزقازيق

البحيـــرة :

لوحة رقم ٧٣ منزل الحاج رمضان برشيد
» » ٧٤ طاحونة أبو شاهين برشيد
» » ٧٥ مسجد عامر بمدينة ديبى
» » ٧٦ قبة الخرزجي بمدينة ديبى
» » ٧٧ ضريح الشيخ عبد الوهاب بمدينة مطوبس
» » ٧٨ اديرة وادى النطرون
» » ٧٩ دير ابو مقار بوادى النطرون

الاســـكندرية :

لوحة رقم ٨٠ مسجد العطارين بالاسكندرية
» » ٨١ اللوحة التأسيسية لمسجد العطارين
» » ٨٢ قلعة قايتباى بالاسكندرية
» » ٨٣ مسجد الشوربجى بالاسكندرية
» » ٨٤ وكالة الشوربجى بالاسكندرية
» » ٨٥ حمام الذهب بالاسكندرية

دميـــاط :

لوحة رقم ٨٦ مسجد ابو المعاطى
» » ٨٧ مسجد المعينى
» » ٨٨ منبر المسجد المعينى
» » ٨٩ مسجد باب البحر
» » ٩٠ وكالة وقف الحرمين
» » ٩١ حمام القنطرة بدمياط
» » ٩٢ سبيل حسن أغا
» » ٩٣ المسجد الكبير بفارسكور
» » ٩٤ قبة الحسينى بفارسكور

الوادى الجديد

لوحة رقم ٩٥ الواحات الخارجة
» » ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ مقابر البجرات

ســيناء:

لوحة رقم ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ دير سانت كاترين
» » ١٠٥ قلعة صلاح الدين
» » ١٠٦ قلعة العريش
» » ١٠٧ قلعة نخل

فهرس الموضوعات

